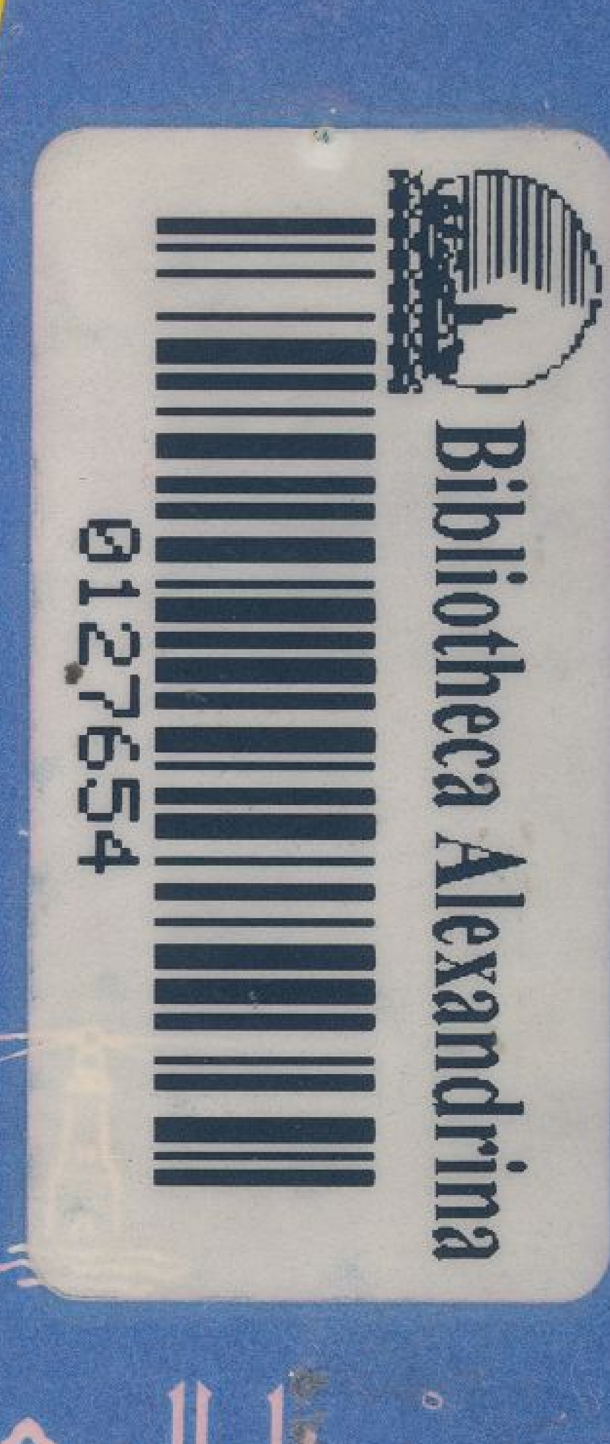
الدكتور أحمد جمال العمرى



أبو بكر الصولى

(٢٥٥ - ٣٣٦هـ)

حياته وأدبه - ديوانه



دار المعارف

أبو بكر الصولي

(٢٥٥ - ٣٣٦ هـ)

حياته وأدبه - ديوانه

تأليف

دكتور أحمد جمال العمري

الأستاذ المساعد بكلية الآداب

جامعة الزقازيق

دار المعارف

الناشر: دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

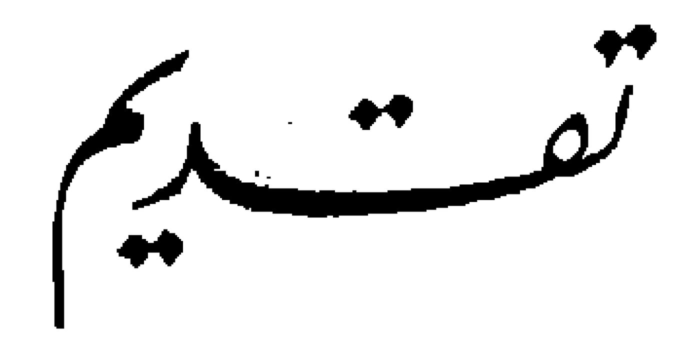
الإهداء

- إليهـــا..
- إلى نبع الحنان..
- إلى أم حنان ونوران..
- ومحمد وعبد الرءوف..

أحمد جمال العمرى

أَيْنَ مَنْ جالَسَ الخَلاَئِفَ قَبْلى وَافِـرٌ حينَ تُسْتَخَفُّ الحُلومُ
طَائِرى سِاكِنٌ وفِكْرِىَ عَـزُوفَ عَنْ فُضُول المُنى و لَحظى سَليمُ
وكَـلامِى قَـدرُ الكِفَـايـة إلّا شَـرَحُ علمٍ وَجَـانِبِى مستقيمُ

أبو بكر الصولى



تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وأفصح الناطقين سيدنا محمد، المرسل بالذكر الحكيم، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد.

لاشك أن دراسة الأعلام السابقين من أساطين الفكر النابهين، تهدف أولا إلى أن تقدم إلى الأجيال اللآحقة من طلاب المعرفة، ورواد الأدب، صورا ناطقة معبرة تمثل شخصيات أولئك المتقدمين من العلماء والأدباء، الذين برزوا وعرفوا فى مجال الدين والعلم والأدب. هذه الصور تجسم فيها تحتوى عليه من ملامح، وما تبرزه من قسمات عواطف هؤلاء الأعلام وأحاسيسهم، وتبين أهواءهم ومشاربهم، وتوضح أراءهم وثقافتهم، وتلقى الضوء على ما قدموه للبشرية من إنتاج علمى وأدبى فى مختلف الميادين والأغراض، وبذلك يضيفون لبنة إلى تلكم اللبنات، التى تشيد بنيان العلم، وصرح الأدب.

ولكى تكون دراستنا لعَلم من الأعلام كاملة واضحة، ومفهومنا له صادقا وأحكامنا علينا دقيقة، يتحتم علينا أن ننظر فيما خلّفه من نصوص وأقوال، ومؤلفات ومصنفات، ثم نحققها ونتثبت من صحة نسبتها إليه، وننظر فيما قيل فيه من آراء وأحكام من الذين عاصروه وصاحبوه، أو الذين ترجموا له ممن قرب عهدهم به.

وأخيرا نتفهم العصر الذى كان يعيش فيه، ذلك أن دراسة العصر تعين على تفهم العوامل التى أثرت فى شخصيته، وتبرز المقومات التى تتألف منها حياة المجتمع، وهى الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والعلمية والأدبية، ذلك لأن الإنسان كائن حىّ يتفاعل مع البيئة المحيطة به، سواء كانت ثقافية أو اجتماعية، كما يتأثر بالحالة السياسية، وظروف الحكم التى يخضع لها، وينعكس كل ذلك على نتاج فكره،

وأدبه.. هذا بالإضافة إلى أن لعصر الأديب أو العالم أثرا كبيرا فى تفسير وتوضيح ما قد يعترض الباحث فى بحثه أو دراسته من مشاكل أو عقبات.

وقد هدانى البحث - بفضل توجيه أساتذتى الأفاضل، إلى اختيار موضوع بحثى هذا فكان دراسة لحياة وأدب علم من أبرز أعلام العصر العباسى، عالم كبير، وفقيه نابغة، وأديب ملهم، وشاعر فحل، وناقد فذ، وإخبارى ثقة، وراوية عدل.. إلى جانب كونه نديما من الطراز الأول، كان له شأن فى أماكن شتى رسمية وغير رسمية، وفى مجالات متعددة، علمية وأدبية، وقلما يخلو كتاب من كتب التاريخ أو التراجم أو الأدب أو النقد - يتناول العصر - من اسمه وآرائه ذلك هو «أبو بكر الصُّولى».

عاش الصولى قرابة ثمانين عاما - من خمسينيات القرن الثالث الهجرى، حتى ثلاثينيات القرن الرابع - فى فترة تولى الخلافة فيها أكثر من إثنى عشر خليفة، نادم أربعة منهم، واتصل بمعظم الباقين، وكانت له مكانة مرموقة وسمعة حسنة لديهم جميعا، ففتحوا له أبواب قصورهم وقلوبهم، ليعيش فى بلاطهم أكثر من نصف قرن من الزمان، وليصادف ما لم يصادفه أحد من قبله، وليشهد ما لم يشهده غيره من معاصريه.

تطلب البحث فى دراسة هذا العَلم الفذ أن أعرض لعدة عوامل:

أولا: عوامل تتصل بالبيئة، وظروف العصر، ومؤثرات التاريخ، ومقومات الفكر التى أسهمت جميعا، وكان لها فضل تكون شخصية الرجل. وهذا ماضمنته فصول الباب الأول الأربعة.

ثانيا: عوامل تتصل بحياة الرجل.. مولده ونشأته، وحياته، فى قصور الوزراء والخلفاء.. وأيضا أساتذته الذين كان لهم فضل البذر والغرس والتعهد وتلامذته الذين تابعوا السير على هداه مسترشدين بآرائه وعلمه، وأن أعرض لثقافته الغزيرة ومنابعها، والمؤثرات التى طبعتها ولونتها، ثم رواياته ومصادرها، ومنادماته

ومادار فيها فى شتى المجالات العلمية والأدبية والترفيهية.. وهذا ما اشتملت عليه فصول الباب الثانى.

ثالثا: عوامل تتصل بأدب الرجل ونتاج فكره، ولقد تناولت ذلك فى الباب الثالث... فأوضحت أن الصولى دار بأدبه فى مجالات ثلاث:

المجال الأول: هو الأدب الإنشائى شعرا ونثرا..

ففى الشعر: تناولت أهم أغراض الشعر عند الصولى وطريقته فى تناول كل غرض منها ومنهجه وبينت مدى تأثر الصولى بعصره، ثم تناولت الخصائص الفنية التى ظهرت واضحة فى شعره، وحللت هذه الخصائص، كما تناولت أيضا أهم الخصائص اللغوية.

وفى النثر: تناولت كتابات الصولى النثرية وأوردت نماذج منها، ثم تناولت أهم خصائصه الفنية التى وضحت فى هذا النثر، ومنهج الصولى فى كتاباته الفنية.

أما المجال الثانى: فهو الأدب الوصفى.. وهو ذو شقين:

الأول: تاريخ الأدب وتراجم الشعراء: فأبرزت طريقة الصولى فى جمع الأخبار، وأوضحت العوامل التى أثرت فى منهجه فى الترجمة، ثم تناولت الأسس التى قام عليها منهج الرجل فى تأليف أخبار الشعراء المشهورين والمغمورين.

وفى الشق الثانى: تناولت النقد الأدبى: فأوضحت أهم الاسس التى قام عليها النقد الأدبى فى عصره، وبينت منحى الصولى فى هذا النقد ثم صنفت آراءه النقدية تحت عدة عناصر.

أما المجال الثالث: فهو الأدب التعليمى شعرا ونثرا:

ففى الشعر: عرضت لنشأة الشعر التعليمى، ثم انتقلت إلى هذا الفن عند

الصولى، وأوضحت أن الشعر التعليمى عنده كان يقوم أساسا على تعليم نظم الشعر وإنشاده وتذوقه، وأن هذا المجهود كان منحصرا فى تعليم أولاد الخلفاء، ويقوم أساسا على التطبيق العملى وتقليد النماذج.

وفى النثر: كان المجال أوضح ما يكون عند الصولى - حيث قام هذا الأدب على تعليم الكتاب طريقة الكتابة الديوانية، وشرح الأمور التى تعينهم على أداء حرفتهم على أكمل وجه.

وبعد أن عرضت لهذا الاتجاه عند الصولى، تناولت منهجه فى تعليم الكتاب وأسلوبه وأبرز خصائصه الفنية.

رابعا: وتطلب البحث أيضا أن أعرض لمؤلفات الرجل ومصنفاته.. فتناولت فى الباب الرابع والأخير العوامل التى أثرت فى كثرة وتنوع إنتاجه، واجتهدت فرجّحت على وجه التقريب زمن تأليف بعض هذه المؤلفات ثم قسمت مؤلفات الصولى من حيث الموضوعات إلى مجموعات:

فجعلت المجموعة الأولى تشمل مؤلفاته الاخبارية سواء اتصلت بالتاريخ السياسى أو التاريخ الأدبى.

وجعلت المجموعة الثانية تشتمل على رسائله ومؤلفاته الأدبية.

وجعلت المجموعة الثالثة خاصة بمؤلفاته الدينية.

أما المجموعة الرابعة فقد جعلتها تشمل باقى مؤلفاته المتنوعة التى لاتندرج تحت أى من المجموعات السابقة.

كما جمعت دواوين الشعراء، التى ألفها الصولى معا، وتتبعت الدواوين الموجودة منها سواء المطبوعة أو المخطوطة، ثم الدواوين المفقودة.

وبعد أن تناولت مؤلفات الصولى بينت منهجه فى تأليفها، والأسس التى قام

عليها هذا المنهج، ولقد كان هناك مأخذ على طريقته فى التأليف، أوضحتها وحللت موقفه منها.

خامسا وأخيرا: تطلب البحث – وأنا بصدد دراسة أدبه – تتبع شعره حيثما وُجد وأينما كان، سواء فى كتبه أو كتب غيره من الأدباء والمؤرخين، حتى يمكن دراسة وتقييم هذا التراث الشعرى، لمعرفة ذوق الصولى وشاعريته ومكانه بين شعراء عصره. فألحقت بالبحث ملحقا يضم شعر الرجل، صدرته بمقدمة تشمل طريقة عملى فى هذا الشعر، ثم رتبته على الحروف الهجائية بطريقة الصولى نفسه.

ولا يغالى الباحث إذا قال: إن المنهج هو الذى فرض عليه هذا التقسيم، فجاء البحث فى أبواب أربعة، وملحق خاص بشعر الرجل.

على أن الباحث لا يستطيع أن يزعم أنه قال القول الفصل فى موضوعه، أو يدعى أنه استوعب كل حقائقه ودقائقه، أو أنه بلغ درجة الكمال..

كل ما يمكن أن يقوله أنه بذل الجهد فى البحث والدرس والجمع والتصنيف، والحكم والتقييم، وأنه حاول أن يسير فى بحثه سيرا منهجيا.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه وأن يلهمنا التوفيق والسداد أنه نعم الموفق.

د. أحمد جمال العمرى

البـابُ الأول

عصر الرجل

الفصل الأول : الحياة السياسية فى عصر الصولى.

الفصل الثانى : الحياة الاجتماعية فى عصر الصولى.

الفصل الثالث : الحياة الثقافية والعلمية فى عصر الصولى.

الفصل الرابع : الحياة الأدبية والنقدية فى عصر الصولى.

الفصل الأول

الحياة السياسية

كان الجو السياسى فى عصر الصولى مشحونا بالمكائد والاضطرابات، ذلك أنه عصر سيادة العنصر التركى وسيطرته على الدولة، وعلى مقاليد الحكم بعد انقضاء العصر الفارسى.

طبعت الخلافة العباسية فى هذا العصر، بطابع الضعف والوهن لازدياد نفوذ الأتراك فى الدولة حتى أصبح خلفاء هذا العصر مسلوبى السلطة ضعيفى الإرادة، بسبب تدخل هؤلاء الأتراك فى شئون الدولة، بل لقد كانت لهم القدرة على تنصيب مَنْ يشاءون، وعزل من يريدون، ووصل بهم الأمر إلى قتل بعض الخلفاء أو حبسهم وسَمْل أعينهم...، قُتِل المتوكل... وخلع ثلاثة بعده، ثم قتلوا بعد خلعهم وهم: **المستعين بالله** (٢٤٨-٢٥٢هـ)، **والمعتز بالله** (٢٥٢-٢٥٥هـ) **والمهتدى بالله** (٢٥٥-٢٥٦هـ) ومن مات بعد ذلك حامت حول موته الشبهات.

وكان حظ ولاة العهود لا يقل سوءا عن حظ الخلفاء أنفسهم، فقلما نجا أحدهم من الخلع أو السجن أو استصفاء الأموال.

تولى المعتز بالله الخلافة مثقلة بتبعات جسام، فقد تفاقم نفوذ الأتراك وعلى رأسهم «**بغا الكبير**» و«**بغا الصغير**» و«**أتامش**» و«**باغر**» الذين انقلبوا على الخليفة السابق، **المستعين بالله** - وفتكوا به، فورث عنه ثورتهم وفتنهم والحروب الأهلية، غير أن أمر هؤلاء الأتراك استفحل فى عهده استفحالا عظيما، وسرعان ما أصبحوا هم الحكام الفعليين للدولة، بيدهم الأمر كله، ولهم تصريف الأحوال، وتسلطوا على كل مجالات الحياة فى البلاد. وقد بلغ من غدر الأتراك وجبروتهم أن

قتلوا المعتز بالله شر قتلة[١] بعد أن عذبوه أعنف تعذيب.

ثم تولى الخلافة **المهتدى بالله** (٢٥٥-٢٥٦هـ) وكان كسابقيه ألعوبة فى أيدى الأتراك، وخاصة «**موسى بن بغا**»، وفى عهده ثار العامة، وثار الجند بسبب استيلاء سليمان بن عبد الله بن طاهر أمير بغداد على رواتبهم، وأشعل العلويون نار الثورة فى كثير من البلاد، وبدأت الثورة (ثورة الزنج) التى هددت الدولة زهاء خمس عشرة سنة (٢٥٥-٢٧٠هـ)، وخرج الخوارج على الدولة، وتحدوا الخليفة، يتزعمهم **مساور الشاورى**، وقامت ثورات أخرى أهمها ثورة أحمد بن عيسى بن الشيخ، وهكذا أفلت زمام الموقف من يدى المهتدى، فلم يعد بقادر على أن يملك من أمور الدولة شيئا وسرعان ما أسر وخلع وعذب حتى مات[٢].

وخلفه **المعتمد على الله** (٢٥٦-٢٧٩هـ) الذى كان أول خليفة يُقْهر ويُحْجَر عليه ويُوكَل به[٣] فقد اعتلى العرش على أيدى الأتراك، الذين أخرجوه من «الجَوْسق» الذى حبسه فيه المهتدى، واستطاع أخوه «**أبو أحمد الموفق**» أن يشل يده عن مباشرة أمور الدولة، فأصبح مسلوب الإرادة، وبلغ الضعف به نهايته، فلم يكن له قدرة على الحل والربط، فلم ير بُدًّا من مصانعة الأتراك، وبذلك صار مسلوب الإرادة والسلطة أمام أخيه والأتراك جميعا.

بقى المعتمد فى الخلافة - ثلاثا وعشرين سنة، كانت عهد فتن واضطرابات ومحن وخطوب[٤] وقد تواترت الإشاعات بأنه سم[٥].

ثم تولى الخلافة **المعتضد بالله** (٢٧٩-٢٨٩هـ) وفى عهده انتعشت الدولة غير أن عهده لم يخل من ثورات ناهضت الخلافة وأقلقتها. ففى عهده خرج عمرو بن

---

(١) الكامل فى التاريخ - ابن الأثير - ٦٨/٧.

(٢) الكامل فى التاريخ - ابن الأثير ٨٣/٧.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٤٣.

(٤) تاريخ ابن الأثير ١٥٨/٧.

(٥) تاريخ ابن الأثير ١٥٨/٧.

الليث الصَّفَار واستولى على بعض بلاد فارس، وظهر القرامطة فى الكوفة على يد «حمدان قرمط» وفى البحرين على يد «أبى سعيد الجبّائى» - الذى جمع أخباره الصولى. وظهر ابن حوشب فى اليمن ونشر الدعوة «للمهدى»، وظهر أيضا أبو عبد الله الشيعى الذى نشر الدعوة الفاطمية فى بلاد المغرب.

مات المعتمد على الله، وبعده المعتضد بالله ميتة طبيعية بعكس من سبقوهما من الخلفاء الذين فتك بهم الأتراك.. ثم آلت الخلافة إلى المكتفى بالله (٢٨٩-٢٩٥هـ) الذى اتسم عهده بالهدوء السياسى، ومن ثم اتجه إلى الإصلاحات الداخلية فى الدولة. ولما مات خلفه أخوه المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ) ولقد اختير لحداثة سنه، ليكون أسلس قيادا وأقل خبرة ولم يلبث أن خُلع، وبُويع عبد الله بن المعتز، إلا أن هذه لبيعة لم تدم غير يوم[٦]، فسرعان ما استطاع أتباع المقتدر إعادته إلى العرش.

وعصر المقتدر رغم أنه دام حوالى ربع قرن، إلا أنه وصف بأنه عصر تقلب الوزارات، فقد تولى فى عهده وزراء كثيرون، عُزل بعضهم، وسُجن البعض الآخر، وقد وصفه ابن الأثير[٧] «بأنه كان دائم الرجوع إلى قول النساء والخدم والتصرف وفق إرادتهن، حتى لقد أصبح الأمر والنهى بيد أمه - التى يطلق عليها المؤرخون اسم «السيدة».

ورث القاهر بالله الخلافة (٣٢٠-٣٢٢هـ) فورث الفتن الداخلية والحروب، وانقلب عليه بعض كبار رجال دولته، وخاصة «مؤنس»، ووزيره «ابن مقلة» وعقدوا العزم على خلعه فلما أحس القاهر بذلك عمل على التخلص منهم، فتحيل عليهم إلى أن أمسكهم وذبحهم[٨].

ولكن حظه لم يكن أقل سوءا ممن سبقوه من الخلفاء، فقد سُمِل وحبس مدة ثم

---

(٦) الفخرى لابن طباطبا ص ٣٥٩.

(٧) تاريخ ابن الأثير ٢٥/٨.

(٨) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٥٧.

أفرج عنه ،وساءت حالة حتى أنه خرج يوما يطلب الصدقة بجامع المنصور[٩].

ومنذ بداية القرن الرابع الهجرى نلمس عوامل أخرى زادت من ضعف الدولة العباسية[١٠].

أولها وأهمها: تفاقم خطر الدويلات المنشقة المستقلة.

وثانيها: بداية عهد أمراء الأمراء وسيطرتهم على الدولة.

فلقد كان مطلع القرن الرابع، والحالة السيئة التى وصلت إليها الدولة العباسية، بيئة صالحة لنمو كثير من العناصر التى ناوأت الخلافة، فقد قامت فى أطراف البلاد دويلات عديدة نظرا لزيادة نفوذ أمرائها وحكامها - هذا فى عهد **الراضى بالله** (٣٢٢-٣٢٩هـ)، فإذا أضفنا إلى ذلك أنه استعان فى إدارة شئون دولته ببعض وزراء ضعاف من أمثال **«أبى على بن مقلة»، وعبد الرحمن بن عيسى بن الجراح وأبى جعفر محمد بن القاسم الكرخى، وسليمان بن الحسن بن مخلد**، فلما رأى الخليفة الراضى عجزهم - نظرا لازدياد نفوذ القواد، وتدخلهم فى أمور الدولة - اضطر إلى استمالة أكبر الأمراء وسلمه مقاليد الحكم ، فأسند إلى **« ابن رائق »** كافة أمور الدولة ورتبه أمير الأمراء[١١]، وأصبح بيده تولية الولاة وعزلهم بعد أن ترك له الخليفة الأمر، «ورد إليه تدبير أعمال الخراج والضياع، وفوض إليه تدبير المملكة، وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر.. وأن يكنى، وأنفذ إليه الخلع واللواء[١٢]».

وهكذا صارت **«لابن رائق »** السلطة العليا فى الدولة، وقيد بذلك سلطة الخليفة، ولاشك أن ذلك كان يحز فى نفس الراضى، ولكنه لم يكن ليستطيع أن يفعل شيئا، والدولة تكاد تنهار من ناحية ولخوفه من بطش الأتراك ومكائدهم من ناحية أخرى. على أن نفوذ **«ابن رائق »** لم يلبث أن ضعف سنة ٣٢٦هـ من جراء منافسة الأمراء

---

(٩) الفخرى - لابن طباطبا ص ٣٧٤.

(١٠) تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى - دكتور حسن إبراهيم ٢٦/٣.

(١١) الفخرى - لابن طباطبا ص ٣٨٤.

(١٢) تجارب الأمم - لمسكويه ٣٥١/١.

له. وانتقل الصراع الداخلى - فبعد أن كان بين الخلفاء وكبار القادة والأمراء، أصبح بين أمراء الأمراء وكبار القواد، فقد حاربه أبو عبد الله البريدى صاحب الأهواز، كما خرج عليه «بجكم» أحد قواده وحاربه وأجهز عليه، ودخل بغداد سنة ٣٢٧هـ، فسر الراضى بمقتله، وولى بجكم إمرة الأمراء، وانتهى بذلك نفوذ ابن رائق، واستبداده وتسلطه.

تولى بجكم السلطة فى الدولة زهاء سنتين (٣٢٧-٣٢٩هـ) غير أن الحالة فى عهده لم تكن بأحسن منها فى عهد من سبقوه، فقد وصلت الدولة إلى مرحلة من الضعف بحيث لم يتمكن الخليفة من دفع أرزاق الجند، ولا من الحصول على ما يكفيه. وظلت الحياة على ما هى عليه حتى توفى الراضى بالله سنة ٣٢٩هـ. ثم تولى الخلافة المتقى لله (٣٢٩-٣٣٣هـ) وسرعان ما تتابعت النكبات على بجكم، وأخذ نجمه فى الأفول، وانتهت هذه النكبات بمقتله، بيد بعض الأمراء الذين عول على انتهاب أموالهم، غير أن قتل بجكم لم ينه عهد نفوذ الأتراك، فقد دخل أبو الحسن البريدى واسط ثم بغداد فى جيش كثيف من الأتراك والديلم، واستولى على دار الخلافة، وقلد الوزارة أبا عبد الله البريدى، فهرب المتقى لله وابنه إلى الموصل[١٣].

استولى البريديون على السلطة الفعلية للدولة، وأصبح بيدهم الأمر والنهى، يقتلون كل من يقف فى طريقهم، ويصادرون أموال من يشاؤن.. وساءت أحوال الدولة حتى استوزر المتقى لله - فى منفاه - أبا اسحاق محمد بن ابراهيم الإسكافى المعروف بالقراريطى فأشار على الخليفة بأن يعين «كورتين» أميرا للجيش، ففعل، وسرعان ما أرسله المتقى على رأس جيش كبير، هزم البريديين وأخرجهم من واسط، وأعاد الخليفة المتقى لله إلى دار الخلافة ببغداد سنة ٣٣٠هـ بعد أن غاب عنها - كما يقول الصولى[١٤] - ثلاثة أشهر وعشرين يوما. وتقلد توزون شرطة

(١٣) أخبار المتقى لله للصولى - ص ١٩٧-٢٠٠.

(١٤) أخبار المتقى لله- للصولى - ص ١٩٧-٢٠٠.

بغداد واستمر القراريطى فى الوزارة.

ثم سطع نجم بنى حمدان فى أفق الدولة العباسية، واعتقد المتقى لله أن الحمدانيين سيسندون ظهره، وسيحمون عرشه، فخلع عليهم ووهبهم العطايا والمنح.. على أن حالة بغداد فى عهدهم لم تكن بأحسن منها فى عهد من سبقوهم[١٥]. أما عن استبدادهم بالحكم وبالخليفة المتقى.. يقول الصولى[١٦]: «وضيق ناصر الدولة على المتقى لله فى نفقاته، وعلى أهل داره، وانتزع ضياعه وضياع والدته، فجعلها فى جملته..»

على أن عهد المتقى لله لم يطل، فلم يدم الصفاء بينه وبين توزون، الذى قبض على المتقى ونهب أصحابه ممتلكاته وأمواله، وأصدر حكمه عليه بالعزل والسمل والموت.. ونفذه.

ثم تولى الخلافة المستكفى بالله (٣٣٣-٣٣٤هـ) الذى كان ألعوبة فى يد توزون. تقول المصادر[١٧] «إن توزون ضم إليه غلاما تركيا من غلمانه يقف بين يديه للوقوف على أسراره ولمعرفة ما يجرى فى قصر الخلافة من أمور».

ولم تطل حياة توزون، فمات فى أوائل عهد المستكفى بالله سنة ٣٣٤هـ، فخلفه فى إمرة الأمراء «**أبو جعفر بن شيرزاد**» الذى كان - كما وصفه الصولى - من أحسن الأمراء سياسة، إلا أنه لم يكن أقل عنتا ممن سبقوه. ولم تطل خلافة **المستكفى بالله**، فقد جلس على العرش سنة وأربعة أشهر، حتى سقطت بغداد فى يد «**معز الدولة بن بويه**» الذى لم يكد يستقر بها حتى حجر عليه، وسمل عينيه، واستدعى **الفضل بن المقتدر** وبايعه بالخلافة ولقّبه **المطيع لله** (٣٣٤-٣٦٣هـ).

---

(١٥) أخبار المتقى لله - للصولى - ص ٢٣٤-٢٣٧.

(١٦) أخبار المتقى لله - للصولى - ص ٢٣٥.

(١٧) مروج الذهب - المسعودى - ٥٤١/٢.

ولم يكن للخليفة العباسى فى عهد البويهيين شىء من النفوذ، لذلك فهم لم يدخروا وسعا فى تقوية نفوذهم وسلب السلطة من يد الخلفاء.

وخلاصة القول: إن عصر الصولى - الذى ولد ونشأ وعاش فيه - كان عصر اضطراب ومحن سياسية ودسائس وحروب وصراع داخلى من أجل السلطة، ومحاولة للسيطرة على مقاليد الحكم وأموال الدولة، وصراع خارجى من أجل استقطاع أجزاء من الدولة، وتكوين دويلات أو إمارات مستقلة، انتشرت فيه الجاسوسية والدّس والقتل والإرهاب بين الخلفاء والوزراء والقواد وأمراء الأمراء.. فساءت الأحكام والأحوال العامة، وتكاثر الفساد بسبب ذلك، وعمت الرشوة والمصادرة والفتك، فأصبح الناس يخافون على أرواحهم وممتلكاتهم وأموالهم، وأصبحت البلاد فى حالة من الفوضى، ليس فيها أمن المقام ولا طيب العيش، واشتعلت الخصومات والمنازعات بين الأفراد..

هذا الجو المشحون بالمكائد، والملبد بالدسائس، دفع الصولى وأضرابه، الذين لا يحبون العمل بالسياسة، إلى أن يبتعدوا عن هذا الجو الغريب، وأن يعتزلوا بمنأى عن التيارات السياسية، ويتفرغوا للعلم والأدب، ويعتكفوا - فى وقت فراغهم - على التدوين والتأليف، خدمة للعلماء والأدباء وطلاب المعرفة.. وليكونوا بمنجاة من الدسائس والوشايات التى سادت فى العصر.

* * *

الفصل الثانى

الحياة الاجتماعية

ورث عصر الصولى حضارات العرب والفرس والروم، وأساليب اللهو فى هذه الأمم وفى الأمم الأخرى التى اتصلت بها من ترك وهند وصين، وتجمعت الأموال بكثرة مفرطة فى أيدى الخلفاء والأمراء والوزراء وجباة الخراج. فبلغ الترف فيه ذروته، فكانت بغداد - وهى حاضرة الخلافة العباسية ومركزها السياسى والإجتماعى - صورة واضحة لحياة الثراء والأناقة.

ومما يصور الحياة العباسية المترفة، ما ذكرته المصادر القديمة عن الخلفاء ومعيشتهم وقصورهم وحدائقهم، فقد ذكر الخطيب البغدادى[1]: «إن قصور المقتدر كانت تحوى العديد من ستور الديباج المذهبة بالطرر الجليلة، المصورة بالجامات والفيلة والخيل والجمال والسباع» وذكر أيضا: إنه كان بأحد قصوره بركة رصاص حولها بستان بميادين فيها نخيل، قيل إن عدده أربعمائة نخلة، وطول كل واحدة خمسة أذرع، قد لبس جميعها ساجا منقوشا من أصلها إلى الطلع بحلق من شبه مذهبة.

ولم يكن الترف والثراء الفاحش وقفا على الخلفاء والأمراء وحدهم، بل إن الوزراء أيضا كانوا يعيشون فى رغد من العيش، فقد أصابهم ما أصاب خلفاءهم من الترف جزءا كبيرا، فتذكر المصادر أن الوزير أبا الحسن بن الفرات - الذى طالما مدحه الصولى - أنفق على الدار التى كان يقطنها فى وزارته الثانية ثلثمائة ألف

(١) تاريخ بغداد - الخطيب البغدادى - ١/١٠٠.

دينار، وأنه لما أمر بإصلاحها بلغت النفقة خمسين ألف دينار[٢].

ونتيجة للفتوحات وكثرة الأموال وإنتشار الحضارة.. كثر الرقيق كثرة مفرطة، فامتلأت بهم قصور الخلفاء والأمراء والوزراء والقواد وعلية القوم.. وكان الرقيق يباع ويشترى، وكانت بغداد أعظم سوق فى الشرق لتجارته، وكان يجلب من بلاد الزنج وأفريقيا والهند إلى جانب ما يجلب نتيجة للأسر فى الحروب، وقد ارتقى بعض هؤلاء الأرقاء الرقيق حتى وصل إلى مناصب كبرى فى الدولة، وفى بعض دواوين الخلافة، فأتخذ الخلفاء منهم قادة للجند مثل «مؤنس» وولاة للامارات مثل «مرداوج وبجكم» بل ومنهم من تلقب بأمير الأمراء مثل «ابن رائق، وكورتين، وتوزون» وغيرهم كثيرون.

واتخذ القوم لأنفسهم «ندماء» لكى يروحوا عن أنفسهم، ويدخلوا البهجة على قلوبهم - أولئك الناس الذين يجمعون بين آداب شتى ومعارف جمة، ويتقنون الحديث، وسرد الأخبار، وقص الحكايات، ورواية الأشعار، وإلقاء النكات، ولعب الشطرنج، وغير ذلك من الفنون.

وشاعت فنون الخلاعة والمجون، وأصبح لكل ضرب من ضروب اللهو علم يعرف علماؤه والمتفننون فيه، ويقرب أهله إلى الخلفاء وذوى الرئاسة، حتى الرقص والغناء.

وبعث التأنق فى الحياة إلى استحداث آداب المجالس وآداب السمر، وآداب المائدة، وأصبح للقوم فى هذه الآداب ما لم تتحدث بمثله المصادر عن ملوك رومة وبيزنطة وفارس، فكان من الرؤساء والوزراء من لا يأكل لقمتين بملعقة واحدة، كما قيل عن الوزير المهلبى.

---

(٢) كتاب الوزراء - للهلال بن المحسن - ص ١٧٩.

وتفنن القوم فى الطهو، وفى أصناف الحلوى، وكان الخلفاء لا يتناولونها إلا بعد أن يصفها لهم الجلساء والندماء، ويبالغون فى حلاوتها وصناعتها، ويذكرون كل ما قاله الشعراء فيها. كما تواضعوا على تصميم الملابس وزركشتها وتطريزها بالمذهبات، وتنويعها حسب المناسبات. واحتفل الخلفاء فى هذا العصر - لا بالأعياد الإسلامية فقط، بل وأيضا بأعياد الفرس، كعيد النيروز، وأعياد الترك، وأكثر الشعراء من مديحهم فى هذه المناسبات. وشارك الصولى فى هذا فله قصيدة زائية رائعة يمدح فيها الراضى بالله ويهنئه بعيد النيروز.

وتشبه الأوساط وبعض الفقراء بعلية القوم وأغنيائهم، فكثرت الحانات وبيوت القيان، وأدمنت المعاقرة صبوحا وغبوقا، وشاع إقتناء الجوارى والغلمان، واستبيحت اللذات على أنواعها، مألوفها وغير مألوفها، طبيعها وشاذها، وتكشفت الوجوه، وقل الحياء، واستشرى الفساد، بعد أن صار الحكام والولاة هم قدوة الناس فى هذه الأفانين، وهم موضع النعمة الذين يقتدى بهم، وتصبو إليهم نفوس المحرومين.

وتهالك الناس أيضا وترامو - على أعتاب القصور والدور - على العمالة والكتابة وسائر الوظائف الدائمة التى تدر مالا ثابتا، وتؤخذ رواتبها من الجبايات والرشى والأسلاب. وكانت قد تحطمت الحواجز والحدود من قبل، وتغيرت الحياة الاجتماعية، من حيث الزواج والمصاهرة، فامتزج الدم العربى بالدم الفارسى، بالدم التركى بغيره من الدماء الأخرى، فنجد كثيرا من أمهات الخلفاء والأمراء من أصل فارسى أو تركى أو رومى، كما اتخذ الخلفاء من السبايا والإماء الأجانب زوجات لهم، وكان لبعضهن نفوذ ودل وسيطرة على قلوب الخلفاء والأمراء.

وكانت تقام حفلات الزواج بطريقة تدل على الثراء والترف، فكانت تنثر الدنانير الذهبية والدراهم على الناس - وكأنها مطرا - تيمنا وغبطة، ولقد ذكر

الصولى أنه فى زواج ابن المتقى من ابنة البريدى نثر على الناس خمسة آلاف دينار ومائة ألف درهم[٣].

وإذا كانت الحياة الاجتماعية على هذا النمط فى القصور، متأثرة ومتشبهة بالشعوب المفتوحة، والأمم المتحضرة من الفرس والترك والروم وغيرهم، وإذا كان الترف والثراء قد انعكس على حياة المجتمع العباسى من حيث سكنى القصور والمظاهر والمأكل والمشرب والملبس، وجميع فروع الحياة الأخرى، فليس معنى ذلك أن عصر الصولى كله عاش على هذا النمط، وسار على هذه الوتيرة، أو أن هذه هى طبيعته التى عاشها كل الناس بل إن هذا الترف فى قصور الخلفاء والوزراء والأمراء والولاة.. كان يقابله فقر مدقع، وحرمان شديد عند آلاف العامة. فأدى هذا الترف إلى الفوضى السياسية وانحلال المجتمع، كما كان الدافع الأساسى إلى ثورة الشعب نتيجة للشقة الهائلة بين طبقات المجتمع، ووجود الفارق الكبير بين الطبقتين: **الطبقة المترفة، والطبقة المعدمة**، ترف القلة وبذخهم، وحرمان الكثرة وبؤسهم. ثراء فاحش فى قصور الحكام، وفقر قاتل فى بيوت الشعب، حتى لقد وجد من أفراد الشعب - كما يقول الصولى - من لا يجدون قوت يومهم، ومن كانت حياتهم ضنكا وبؤسا وشقاء.

ولقد أدى الفقر والحرمان إلى زهد القلة، وفساد الكثرة.. فخرّجت هذه الحياةالبائسة العديد من الزهاد الذين ألجأهم الفقر إلى الله، وقد اعتكفوا فى المساجد وزهدوا فى الحياة الدنيا، ورضوا بما قسم الله لهم فى دنياهم، آملين فيما ينتظرهم فى آخرتهم من ثواب الله.

ولكن هذه الأوضاع وهذه الحياة، لم تكن لتعجب غيرهم ممن رفض الاستسلام وحياة الإستكانة والمهانة، فخرج مشمرا عن ساعديه، يأخذ حقه بيديه، طالبا حق

---

(٣) أخبار المتقى لله - للصولى - ص ٢٠٢.

الحياة، آبيا الخضوع والخنوع، فكان يأخذ حقه من الأثرياء عنوة بالهجوم على القوافل وعلى القصور، خاطفا ما تستطيع أن تصل إليه يداه، وهكذا انتشرت السرقة، وساد النهب والسطو والقتل، واشتعلت الثورات، ثورة فى إثر ثورة، وكلما أخمدت ثورة فى مكان اشتعلت أخرى فى مكان آخر، واختلفت وتعددت باختلاف الدوافع والأغراض.

فقامت ثورة الزنج (٢٥٥-٢٧٠ هـ)، التى اختلطت فيها الأسباب السياسية بالأسباب الاجتماعية، وكان أقوى دوافعها الانتقام من المترفين وذوى الثراء، والحصول على الحقوق الإنسانية، فاستمال صاحبها العبيد[٤]، الذين كانوا يشتغلون بحمل السباخ، وقد أخذ يذكرهم بما هم فيه من سوء الحال، ووعدهم بتحرير رقابهم، وتمليكهم الأموال والمنازل، فكانت من أهم الثورات الاشتراكية والشعبية فى العصر.. ولقد كانت من العنف والقوة حتى أنها أقلقت نوم الخلفاء وزعزعت عرشهم، فواجهوها بقوة، حتى لقد قتل بسببها - كما يقول السيوطى[٥]: من المسلمين ألف ألف وخمسمائة ألف آدمى، وقتل فى يوم واحد بالبصرة ثلثمائة ألف»، وشاءت الأقدار أن تزيد المحن شدة فوق شدة، فحدث إبان هذه الثورة هزات وزلازل، فمات تحت الردم ألوف من الناس[٦].

وقامت ثورة العامة لغلاء الأسعار واعتصموا فى مسجد الرصافة[٧]، ودخل الجند فى طلبهم إلى الصحن، فصعدوا إلى السطوح، وغتوا الفرسان بالحجارة حتى هربوا.. وحارب الجند العامة بباب الطاق، فأخذ السلطان جماعة فضربهم بالسياط.

---

(٤) الفخرى لابن طباطبا - ص ٢٢٧.

(٥) تاريخ الخلفاء للسيوطى - ص ٣٧٣.

(٦) تاريخ الخلفاء للسيوطى - ص ٣٧٢.

(٧) أخبار الراضى بالله - للصولى - ص ٧١.

واشتعلت أيضا ثورات الهاشميين الذين اتخذوا من المساجد موقدا لها.. وسودوا وجوههم ومنعوا الأئمة يوم الجمعة من الصلاة[٨].

وانتشرت المنشورات السرية فى البلاد نتيجة للسرقات والإختلاسات، وقامت بسببها - وبغيرها من الأسباب - المصادرات[٩]، ولم تكن هذه المصادرات مقيدة أو مقصورة على بعض دون بعض، بل شاملة للجميع.. فصادر الخلفاء؛ الوزراء والأمراء والولاة، بل صادر بعضهم البعض، فكان اللاحقون يصادرون أموال السابقين وزوجاتهم وأمهات أولادهم... فقد «صادر القاهر جماعة من أمهات أولاد المقتدر، وصادر أم المقتدر واستخرج منها مائة وثلاثين ألف دينار[١٠]. وليس هذا فحسب، بل انتشر أيضا نظام الاقطاع، فكان الخلفاء يقطعون لمن يشاءون أرضا أو عقارا، كذلك الولاة كانوا يتعهدون بأنفسهم الأرض والمرافق لتأدية ما يطلب إليهم أداؤه من الأموال، وكثيرا ما وضعوا أيديهم عليها، وكثيرا ما انتزعوا الأرض من أصحابها عنوة، وصادروها بالاضافة إلى مصادرة الأموال والممتلكات.

ولقد كانت الوزارة والعمل فى دواوين الحكومة، وسيلةإلى الاثراء والنهب، وكان القائمون على خزانة الدولة يختلسون منها، وأيضا يفرضون الإتاوات على العمال والموظفين، ومن المؤسف حقا، أن بعض الخلفاء كانوا على علم ببعض هذه الاختلاسات والإتاوات، من ذلك ما كان يفعله **سليمان بن وهب** - وزير المهتدى - الذى كان يطلب من كل صاحب وظيفة «**المعجل والمؤجل**»[١١]. وراجت أيضا الرشوة، وانتشرت وبلغت نهايتها فى أواخر القرن الثالث، حتى أن الوزير **الخاقانى**

---

(٨) أخبار الراضى بالله - للصولى - ص ٦٦.
(٩) أخبار الراضى بالله - للصولى - ص ٦٦.
(١٠) الفخرى - لابن طباطبا - ص ٣٧٤.
(١١) مروج الذهب - المسعودى - ١١٨/٢.

- الذى كان سيء السيرة والتدبير، كثير التولية والعزل - ولّى فى يوم واحد تسعة عشر ناظرا للكوفة، وأخذ من كل واحد منهم رشوة[١٢].

وهكذا كان عصر الصولى.. ترف وبذخ وفوضى، أولد الدولة اضطراب سياسى وسرقات ورشاوى، ومصادرات ونكبات أتت على كل شيء.. تأهبت فيه النفوس لدعوة الجماعات السرية وتعلقت الآمال بالمهدى المنتظر، والمصلح الأكبر الذى سيملأ الدنيا عدلا، بعد أن ملئت جورا وفجورا. فكان عصره عصر داعية الزنج والقرامطة والحلاج والشيعة العلويين وغيرهم من الثوار وأصحاب المذاهب الذين كانوا يمزجون المقاصد الاجتماعية بالمقاصد الدينية، ويعالجون الترفيه عن الفقراء المدقعين، والعبيد المعدمين بالدعوة إلى المساواة، والحضّ على التمرد، ومناهضة الحكام. وسرعان ما أدى ذلك كله إلى تقطيع أوصال الدولة، وطمع الأمراء وولاة الأقاليم فيها، فأستقل الأمير تلو الأمير، وتكونت الدويلة بعد الدويلة حتى سقطت بغداد فى النهاية.

---

(١٢) الفخرى - لابن طباطبا - ص ٣٦٣.

الفصل الثالث

الحياة الثقافية والعلمية

فتح العباسيون نوافذهم للثقافات العالمية، بل فتحوا الأبواب على مصاريعها لكل الثقافات الوافدة على الفكر العربي من فارسية ويونانية وهندية وتركية وغيرها من ألوان الثقافات القديمة والمعاصرة. حتى إذا وصلنا إلى عصر الصولى، وجدنا أن الحياة الثقافية والعقلية قد بلغت عنفوان أمرها. وبلغت الذروة من الرقى والنضوج، وقد كان من نتائج دخول الثقافات الأجنبية الواردة، وامتزاج هذه الثقافات مع الثقافة العربية الإسلامية أن نشأت حياة عقلية علمية ثقافية لها طابعها الخاص.. ذلك الطابع الذى يمتاز بامتصاص الثقافات الأجنبية، وإضافتها إلى عناصر الفكر العربى الأصيل.

ولقد أدت الترجمة دورها كاملا فى صقل العقل العربى، بعد أن قدمت إليه هذا العدد الوفير من العلوم التى نقلت إلى عقله ولسانه، وسهلت له أن يستوعب كل ما يصادفه من علوم وآداب وثقافات، خاصة بعد أن دخلت فى حظيرة العروبة والإسلام شعوب متباينة فى لغاتها وأجناسها وعاداتها وثقافتها، صهرت جميعا فى البوتقة العربية، وامتزجت بالعنصر العربى تماما، فتعربت، وصارت أكثر من العرب أنفسهم إنتاجا. فكان لدخول هذه الأجناس فى مجال العروبة والإسلام، واختلاط العرب بأهل هذه الأمم المفتوحة عن طريق التزاوج وتسرى الإماء، أو عن طريق الولاء.. أكبر الأثر فى صبغ الثقافة العربية بصبغات أخرى زاهية الألوان، ونتج عن ذلك كله أن خرجت لنا الثقافة العربية الإسلامية، ثقافة واسعة شاملة حاوية لجميع الثقافات التى انعكست على مرآتها. وتغير كل شىء فى حياة الأمة العربية

الثقافية والعلمية.. كثرت العلوم، وتعددت المؤلفات وتغيرت المفاهيم وتغيرت التصورات وتغيرت الأذواق والأمزجة. فارتقت الآداب والعلوم، وعلى ضوء هذا التغيير نهضت الحياة العلمية والأدبية نهضة واسعة وتعددت مجالاتها.

وعصر الصولى يعتبر من أزهى العصور فى الإسلام من الناحية العلمية، ففيه نمت وأينعت علوم الثقافة الإسلامية كلها، وأهمها علوم القرآن.. فقد وضح ابن قتيبة كتبا فى غريب القرآن ومشكل القرآن وغير ذلك.. كما وضح الطبرى تفسيره.. ووضع الصولى فى هذا المجال كتابا سماه «الشامل فى علم القرآن».

ووضعت كتب الحديث المعروفة بكتب الصحاح الستة.. فقد وضع البخارى المتوفى سنة ٢٥٦هـ الجامع الصحيح، وألف مسلم المتوفى سنة ٢٦١هـ «صحيح مسلم» وألف ابن ماجة المتوفى سنة ٢٧٣هـ سننه، وألف ابن داود المتوفى سنة ٢٧٥هـ سننه، وألف الترمزى المتوفى سنة ٢٧٩هـ جامعه، وألف النسائى سنة ٣٠٣هـ سننه.. وهذه هى الكتب الستة التى تعد أصح كتب الحديث. وألف كثير من العلماء كتبا فى الحديث وشرحه وتأويله.. منهم الصولى فقد ذكر أن له كتبا[1] متعددة فيه، وذكرت بعض المصادر أن له «جزءا فى الحديث»[2]، كما وُضعت كتب الرجال، وغير ذلك مما يتصل بالسنة الشريفة.

وفى عصر الصولى استقرت دعائم المذاهب الأربعة فى الفقه، ووضعت الكتب حول الفقه، توضح علومه واختلاف المذاهب فيه، وتشرح أمور الدين والشرع، وكثرت المؤلفات فيه، وبرز من أعلام الفقه: أبو اسحق إسماعيل بن حماد المتوفى سنة ٢٨٢هـ إمام المالكية فى عصره، وله مؤلفات كثيرة فى الفقه، وعبد الله ابن الإمام أحمد ابن حنبل المتوفى سنة ٢٩٠هـ إمام الحنابلة ، وأبو على الحسن بن

---

(١) أخبار أبى تمام - للصولى - ص ٦٢.

(٢) الفهرست - لابن النديم - ص ١٥٠.

القاسم المتوفى سنة ٣٠٥هـ مؤلف كتاب المحرر فى النظر، وكتاب الإفصاح فى الفقه، وأبو بكر عبد الله بن داود السجستانى المتوفى سنة ٣١٦هـ، وأبو الحسن عبد الله الكرخى المتوفى سنة ٣٤٠هـ إمام الحنفية وغيرهم من الفقهاء.

وليس هذا فحسب، بل اتضحت آثار الفرق الإسلامية على اختلاف آرائها ومناهجها.. فنجد منهاج أهل السنة الذين تشددوا فى إنكار البدع، ومناهج الفرق الإسلامية المتعددة كالمعتزلة والمرجئة والشيعة والظاهرية.. ولكل فرقة من تلك الفرق منهج خاص تسير عليه كما كان لها تفسيراتها لنصوصها وكتبها وآرائها.

وفى هذا العصر لم يعد هناك علم قديم أو حديث إلا وله كتب وأعلام نابغون فعلوم اللغة والأدب والنحو والرواية نجد لها أعلاما مشهورين، منهم السجستانى (حوالى ٢٥٤هـ)، والرياشى (سنة ٢٥٧هـ)، والمبرد (سنة ٢٨٥هـ)، وثعلب (سنة ٢٩١هـ)، والزجاج (سنة ٣١١هـ)، والأخفش الأوسط (٣١٥هـ)، وابن دُرَيد (٣٢١هـ)، وابن الانبارى (٣٢٨هـ)، والصولى (٣٣٦هـ).

وعلم التاريخ وفتوح البلدان والأنساب نجد له أعلاما منهم: اليعقوبى (٢٧٨هـ)، والبلاذرى (٢٧٩هـ)، والطبرى (٣١٠هـ)، والمسعودى (٣٤٦هـ).

والفلسفة والمنطق نجد لها أعلاما منهم: الكندى (٢٥٠هـ)، والفارابى (٣٣٩هـ).

وراج علم الفلك حتى أوشك ألا يكون فى ذلك الزمن إلا منجم، بل لعله كان أروج العلوم الحديثة وأكثرها طلابا لطرافته وموافقته أحوال الزمن وتقلباته، وشيوع الحضارة الفارسية التى كان أهلها يعبدون الكواكب. ولقد كان الخلفاء يعتقدون أن للنجوم والكواكب أثراً فى أحداث الكون من موت وحياة وسعادة وشقاء وصحة ومرض، وينوطون بها مقادير الخير والشر، وطوالع السعد والنحس. وقد عظم شأن المنجمين فى العصر، واستغلوا إيمان الناس بالتنجيم حتى الخلفاء.

فالمعتز بالله حين تولى الخلافة أحضر خواصّه وتباعه المنجمين ليعرفوا كم يحكم وكم يعيش[٣]. وقد أُلفت فى هذا العلم الكتب، ووضعت الحسابات الفلكية للكسوف والخسوف وطبقوا نتائجها على حياتهم وحياة من هم حولهم، كما فعل الصولى بعد مصرع الخليفة المتقى لله[٤].

ولقد كانت الثقافة قسمة شائعة بين الناس جميعا، يشارك فيها خاصتهم وعامتهم، فالكل يشتغل بها ويقتنى كتبها ويحضر مجامعها ومناظراتها. وقد شاع ذلك بينهم شيوعا كبيرا، حتى أننا لنرى بعضهم يجمع أمشاجا كبيرة من الثقافات فى مختلف المجالات، فيكون أعجوبة الأعاجيب فى اتساع ثقافته وتنوعها، وفى كثرة مؤلفاته وموادها.

فابن قتيبة مثلا (٢٧٦هـ) أديب وراوية وناقد ومحدث وعالم بالقرآن وله مؤلفات كثيرة فى هذه النواحى. والطبرى (٣١٠هـ) مؤرخ ومفسر وفقيه. وله كتب عدة. وابن دُرَيد الأزدى (٣٢١هـ) من أكبر علماء اللغة والأدب والنحو والصرف والأنساب، وابن الأنبارى (٣٢٨هـ) عالم باللغة والأدب والقرآن والسنة ومؤلف لعشرات من الكتب.

أما الصولى فكان أديبا وناقدا وعالما باللغة والأدب، وراويا واخباريا ومؤرخا وعالما بالقرآن ومحدثا وفقيها وملما بعلوم الهندسة والفلك إلى جانب نبوغه فى علم الشطرنج.. وله مؤلفات جمة فى كل هذه المعارف..

ولاشك أن هناك عوامل ومؤثرات ساعدت على انتشار العلوم وتنوع الثقافات. أول هذه العوامل وأهمها: الحرية الفكرية، التى أنارت العقول وشجعت الهمم وحركت الألسنة، فأخرجت لنا العديد من الكتب فى الدين واللغة والتاريخ. فليس

(٣) الفخرى – لابن طباطبا – ص ٢٢٠.

(٤) أخبار المتقى لله – للصولى – ص ٢٣٨.

هناك «ما يمنع الناصر للحق من القيام بما يلزمه، وقد أمكن القول، وصلح الدهر، وخوى نجم التقية، وهبت ريح العلماء ، وكسد العِيّ والجهل، وقامت سوق البيان والعلوم[(٥)].

وكان من أبرز مجالات هذه الحرية: **الدين**. وقد وضحت الحرية الفكرية عند الشعراء والأدباء. فقد ضمنوا مدائحهم وكتاباتهم آراء وتعاليم بعض الفرق الإسلامية، خاصة ما يتصل منها بتمجيد الخلفاء وأولى الأمر.. وجعلوا ذلك سبيلا لنيل كثير البر وجزيل العطاء، فمدحوهم بأنهم من سلالة النور الإلهى.. وربطوا بين طاعة الله وطاعتهم، وأن من يخالفهم كافر له العقاب فى الدنيا والعذاب فى الآخرة.. ونجد من هذه المعانى الكثير فى مدائح الشعراء.. وأيضا فى مدائح الصولى للخلفاء.

أما العامل الثانى فهو: **امتزاج الثقافات**. إذ كان من أثر اختلاف السكان، وتعدد الأجناس، فى الدولة وتباين أصولهم وامتزاجهم بالسكنى والزواج وغير ذلك.. أن تنوعت الثقافات وتداخلت حتى ليمكن القول أنها كانت تكمل بعضها البعض. فامتزجت الثقافة الفارسية بالثقافة اليونانية بالثقافة الهندية بالثقافة العربية الإسلامية، وكان محصلة ذلك تكامل ثقافى فى شتى فنون المعرفة. ولاشك أن الذى ساعد على ذلك تعريب الكثير منهم، ودخول الكثير من أفراد هذه الأمم المفتوحة والمجاورة فى الإسلام، فكانت ثقافة العصر ثقافة متنوعة مختلفة، لأمم متعددة مختلفة.

وكان أثر الثقافة الفارسية فى الثقافة العربية الإسلامية واضحا فى العديد من النواحى، وأظهر ذلك «**الألفاظ الفارسية**» التى تسربت إلى معاجم اللغة العربية، فاستعملها الشعراء العباسيون فى أشعارهم، منهم الصولى، فله زائية تحوى العديد من الألفاظ الفارسية، كما تخرج فى فارس كثير من الفقهاء والمحدثين والمؤرخين واللغويين والنحاة والأدباء والفلاسفة، ونقلوا كثيرا من تراث آبائهم إلى العربية،

---

(٥) الحيوان - للجاحظ ٤٣/١.

وقد أرخ الصولى لتحويل الديوان من النظام الفارسى إلى النظام العربى[٦]

وكان للثقافة اليونانية تأثيرها القوى فى العلوم الإسلامية، فالمنطق اليونانى، الذى أطلق عليه ابن سينا «خادم العلوم» لون العلوم العربية الإسلامية بلونه الخاص. كما كان للفلسفة اليونانية أثر كبير فى تعاليم المتكلمين والفلاسفة،وأثرت البلاغة اليونانية فى البلاغة العربية، وعرب كثير من الألفاظ اليونانية واستخدم الشعراء كثير من ألفاظ المناطقة والفلاسفة وضمنوها أشعارهم، كما اتخذ الأدباء العديد من حكم اليونان. وقد ضمن الصولى كتابه «أدب الكتاب» العديد من حكمهم وآرائهم وأقوالهم فى الحياة والفن والأدب والكتابة.

وقد اكتسب القوم ثقافة الهند عن طريق الفرس، وكانت أول أمرها تتصل بالالهيات[٧] والحكم والفن والشطرنج. وقد تأثرت بعض الفرق الإسلامية بالدين الهندى، فأخذوا عنه فكرة تناسخ الأرواح. وقد ترجم إلى العربية كثير من كتب الهند وخاصة ما يتصل بالكواكب والنجوم.

وقد اطلع الصولى على بعض هذه الكتب وعرف ما حوته، وظهر ذلك واضحا فى ثقافته وكلامه عن النجوم والكسوفات[٨]. ووضحت الثقافة الهندية عنده فى حذقه لفن الشطرنج والتأليف فيه.

وخلاصة القول: إن عصر الصولى كان عصر الشمول، عصر امتزاج الثقافات.. عصر الإلمام بكل العلوم والمعارف والفنون.

ولاشك أن مما ساعد على هذه النهضة الثقافية والعلمية - أن هذا العصر كان عصر الموالى من مختلف الاجناس، أولئك الذين كانت العصبية الجنسية تدفعهم إلى

---

(٦) أدب الكتاب - للصولى - ص ١٩٢.

(٧) الإلهيات: أى الدين ممتزج بالفلسفة.

(٨) أخبار المتقى لله - للصولى - ص ٢٣٨.

دراسة العلوم الحديثة، والتعمق فيها لأنها تنافس العلوم العربية، فضلا عن أنهم كانوا يبغون ألا ينفرد العرب بالدين والسياسة والعلم، وألا يستأثروا دونهم بكل كمال وفضيلة.

الفصل الرابع

الحياة الأدبية والنقدية

استقل الأدب – فى عصر الصولى – عن غيره من العلوم – وأخذت علومه تتضح وتستقر، ولم يعد يعتمد على الرواية والنقل عن السلف فحسب، بل أن الأديب كان يتحرى الصدق ويتدبر الروايات، ويأخذها من أفواه المعاصرين الثقات.

ولقد كان للحوادث التى ألمت بالدولة الإسلامية فى ذلك الحين، أن تحول الأدباء إلى نشر الأخبار وسير الرجال، وجمع الشعر وتوثيقه، ورواية الأحاديث، والتأليف فى علوم القرآن.. إلى غير ذلك، لأنهم وجدوا فيها مواد خصبة للكتابة والتأليف من ناحية، ولأن ذلك يبعدهم عن ويلات السياسة من ناحية أخرى. فظروف العصر وحوادثه جعلت البعض يجمعون إلى جانب الإشتغال بالأدب الإشتغال بفنون أخرى تتصل بالتاريخ والمنادمة والتأليف فى العلوم المختلفة.

ويهمنا فيما يتصل بالحياة الأدبية والنقدية، أن نتبين ملامح الشعر وأغراضه، والنثر وأنواعه والنقد الأدبى واتجاهاته فى ذلك العصر.

أولا: الشعر

عاش فى عصر الصولى – وقبله قليلا – نخبة من فُحُول الشعراء النابهين كأبى تمام وإبراهيم بن العباس ودعبل الخزاعى، والبحترى، وابن الرومى، وابن المعتز.. وعاش فيه مع هؤلاء مئات من قالة الشعر المحسنين وغير المحسنين، المحترفين وغير

المحترفين، وأوشك أن يكون كل متعلم متأدب شاعرا ينظم الأبيات والمقطعات فى بعض أغراضه. فالخلفاء كانوا ينظمون فى الغزل والغناء وأيضا فى الفخر والرثاء، ينظمون فى حلمهم وغضبهم، ويصورون الأحداث حولهم، ويهجون أعداءهم. والأمراء والوزراء كانوا يتطارحون الأشعار ويحفظون منها الشيء الكثير، والمنتمون إلى الفرس أو الترك كانوا أسبق إلى المنافسة فى هذا المجال لينفوا عن أنفسهم تهمة العجمة، وليتنافسوا مع العرب فى ميدان الفصاحة والشعر.

ولقد طبع الشعر بطابع الحضارة والترف وظهر ذلك واضحا من حيث الشكل أو المضمون، وندُر فى ذلك العصر من خلا شعره من آثار الحضارة، فمن لم تظهر فى شعره المعانى الفلسفية أو ملامح العلوم الحديثة ظهرت فيه محسنات اللفظ والمعنى، ومن لم يظهر فى شعره هذا وذاك، ظهرت فيه تفخيمات الفرس وترصيعاتهم، وجاءته العدوى من أساليب الكُتَّاب فى النثر المنمق، وأساليب التحية فى المجالس، وأساليب المعيشة فى القصور.

وامتاز هذا العصر – على العصر الذى تقدمه – بما يصح أن نسميه «علم الشعر» تمييزا له من العناية بنظم الشعر نفسه، فالعصر السابق كان عصر سليقة وطبع وخيال، أما هذا العصر فكان عصر علم وعقل وصنعة وتكلف. فقد كان الشعراء المولدون يأتون بالمحسنات البليغة عفوا أو محاكاة للأقدمين أو تصرفا فى الإختراع.

نما الشعر فى هذا العصر وتطور فى ألفاظه ومعانيه، فى أوزانه وقوافيه، فى أغراضه وفنونه. فأما ألفاظه فقد رقّت وسهلت، وظهر فيها أثر الثقافة والحضارة. وأما المعانى فكان الشعراء يتخذونها طريقا إلى أغراضهم ومطامحهم، وكانت معانى حضرية صرفة يمتزج فيها العقل بالعاطفة، والخيال بالثقافة وتحول الشعراء بالأفكار والصور القديمة إلى معارض جديدة يزينها الفكر العباسى بألوانه العقلية. وأما الأغراض – فقد تعددت عند القوم وكثرت وشملت كل وصف، ودخلت كل معرض من معارض الحياة فى ذلك الزمان.

١ - الغزل

الغزل من الموضوعات التقليدية والمتوارثة التى تطورت وارتقت فى هذا العصر، ورقت معانيه، وهذبت ألفاظه، ولكنه كان - فى الغالب - صناعة متكلفة، قلما يصدق فى وصف العاطفة وتصوير ميول النفس وإنما كان الشعراء يتغزلون مجاراة وامتدادا للفن الموروث، فهم يصطنعونه تمثلا بالمنهج القديم. وقد وجد فى هذا العصر غزل يتفق مع البيئة المترفة الماجنة، ويصور ما انتهت إليه حياة القوم من الفساد وما كان فى المجتمع من تحلل خلقى أعانت عليه أسباب متعددة، فأطلقوا لأنفسهم العنان وصوروا نوازع غرائزهم النوعية وتغزلوا بالغلمان. ومع ذلك فقد كانت هناك أسراب من الغزل العفيف الذى يتغنى بلوعة الحب وشقوته ويصور الحنين واللهفة من مثل قول العباس بن الأحنف:

زَيْنَ نساءِ العالمين أجيبِى ... دُعَاءَ مَشُوقٍ بالعراقِ غَريبِ
كتبتُ كتابى ماأُقيم حروفَه ... لشدّة إعوالى وطول نَحِيبى
أَيَا فَوْزُ لو أبصرْتِنِى ما عَرفتنى ... لطولِ نُحولىِ بعدَكم وشُحوبِى
وأنت من الدنيا نصيبى فإنْ أَمُتْ ... فليتَك من حُور الجنانِ نصيبى
أرى البيَن يشكوهُ المحبُّون كلهُّمُ ... فيارَبِّ قرِّب دارَ كلِّ حبيبِ

ووجد أيضا من يتغزل فى المُطْلَق ومن يبتعد عن الفحش والمعانى الصريحة، ومن يلجأ إلى الرمز والاشارة وقد حرص الشعراء حرصا شديدا على أن يأتوا فى غزلهم بكثير من المعانى الطريفة من مثل قول أبى تمام:

بيضاءَ تَسْرِى فى الظلامِ فَيكْتَسِى ... نُوراً وتَسْرِبُ فى الضِّياءِ فيظلمُ

وقوله:

هى البدرُ يُغنيها تَوَدُّد وجهها ... إلى كل من لاَقَتْ وإن لم تَوَدَّدِ

كما حرصوا على الإتيان بالأوزان السهلة والألفاظ العذبة الرقيقة من مثل قول البحترى:

منّى وصلٌ ومنكَ هجرٌ   وفَىَّ ذُلٌّ وفيكَ كِبْرُ
قد كنتُ حُرًّا وأنتَ عبدُ   فَصِرْتُ عبدًا وأنتَ حرٌّ
أنتَ نَعِيمِى وأنتَ بُؤْسِى   وقَدْ يَسُوءُ الّذىَ يسُرّ

٢ - المديح

والمديح من الموضوعات التقليدية الموروثة أيضا - مضى الشعراء يتمسكون فيه بتصوير المثل الخلقية والعربية كالكرم والشجاعة والمروءة، وما تتطلبه الجماعة من عدالة الحكام ورفع الظلم عن المحكومين، وبذلك أكثروا من الحديث عن عدالة الخلفاء، وعن تقواهم، ومدحوا القواد والأمراء مدائح رائعة ومجدوا انتصاراتهم على أعدائهم، واستغلوا أذهانهم فى تجلية المعانى الخلقية المختلفة.

واتخذ الشاعر من مقدمات مدائحه متنفسا له، فبدأها بتصوير أحاسيسه عن الحب، وأضاف إلى ذلك بعض التحليلات لخواطره. وقد جعل بعض الشعراء مقدمات مدائحه تصويرا لمطامحه وآماله فى الحياة، على نحو تصوير أبى تمام لصلابة نفسه أمام عوادى الزمن. يقول:

يومى من الدّهر مثل الدّهر مُشْتَهِرٌ   عزمًا وحزمًا وساعى منه كالحقبِ
فأصْغِرِى أَنْ شيبًا لاَحَ بِى حَدَثاً   وأكبرى أننى فى المهد لم أشبِ
فلا يؤرقك إيماضُ القتير به   فإن ذاك ابتسامُ الرّأى فى الأدبِ
لا تُنْكِرِى منهُ تَخْدِيدًا تَجَلَّلَهُ   فالسيفُ لا يَزْدَرِى أَنْ كَانَ ذَا شُطَبِ

كما جعلها البعض الآخر فى وصف الرياض أو الربيع أو غير ذلك.

وضمن الشعراء مدائحهم منثورات من الحكم التى من شأنها زيادة خبرة

سامعيها بالحياة وبالناس أمدهم فى ذلك روافد من مأثورات الفرس والهند وغيرهم.

وظهرت فى المديح بعض العناصر الدينية، واتخذه البعض وسيلة لتمجيد الخلفاء ورفع مكانتهم، والسمو بمنزلتهم ورفعها فوق مصافِ البشر على نحو قول البحترى فى مديح الخليفة المتوكل:

يا ابنَ عِّم النبى حَقًّا ويا أَزْ كَى قريشٍ نَفْسًا ودِيناً وعِرْضاَ
بنْتَ بالفَضْلِ والعُلُوِّ فأَصْبَحْـ ـت سماءً وأصبحَ الناسُ أرضاَ
وأرى الفَضْلَ بين عارفةٍ منـ ـك تُرَجَّى وعزمة منك تُمَضىَّ

وكان الشعراء فى مدائحهم للخلفاء يشملون بالمديح كل من يرتبط بهم من أمراء ووزراء وقواد، ويصفون كل منهم بالصفة التى يجب توافرها فيهم، فإذا مدحوا وزيرا مدحوه ببعد النظر والقدرة على تصريف الأمور والحنكة والتجربة ومضاء الرأى. وإذا مدحوا أميرا أو قائدا مدحوه بالشجاعة والبأس وقوة الشكيمة والمقدرة القتالية. وقد كانت بعض مدائح الخلفاء أشبه ما يكون بالوثائق التاريخية، سجل فيها الشعراء كل ما يتصل بالخليفة وعصره وحروبه وانتصاراته.. من مثل قول أبى تمام فى مديحته المشهورة عموريه:

خليفةُ الله جازَى الله سَعْيَكَ عَنْ جُرْثومِة[1] الدِّينِ والإسلامِ والحَسَبِ
بَصُرْت بالراحة الكبرى فلم ترها تُنَالُ إلاَّ على جِسْرٍ من التَّعَبِ
إن كان بيَنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ منْ رَحِمٍ موصولة أو ذمام غير مُنْقَضِبِ[2]
فبينَ ـ أيامك اللاتى نُصِرْتَ بها وبين أيامِ بِدْرٍ أَقْرَبَ النَّسَبِ

غير أن المديح فى نهاية العصر داخله كثير من المبالغة، واشتد فيه الإسراف وبعد الشعراء عن القصد الذى هو من مميزات الطبع العربى الخالص، وشغل به الشعراء حتى اتخذوه أداة للكسب فى غير تعفف ولا كرامة ولا حياء.

---

(١) الجرثومة: الأصل.

(٢) منقضب: أى مقطوع.

٣ - الفخر

ومن الموضوعات التقليدية أيضا: الفخر. ولقد ظلت له حيويته القديمة، غير أنه فى هذا العصر - حيث ذابت الجنسيات وامتزجت - أصبح فخرا هادئا لا يصور عصبية ولا قبلية ولا جنسية، وإنما يصور شعورا طاغيا بالخلق الكريم والشيم الرفيعة والاحساس بالقوة، ومغالبة الزمن من مثل قول أبى فراس الحمدانى:

ونحْنُ أُنَاسٌ لا تَوَسُّط عِنْدَنا   لنا الصَّدْرُ دوُنَ العَالَمِين أو القَبْرُ
تهونُ علينا فى المعالىِ نفوسُناَ   وَمَنْ يَخْطُبِ الحَسْنَاءَ لَمْ يُغْلِها المهَرْ

وقد وجد من الشعراء من لا يفاخر بهذه المثل والقيم فحسب، بل يفاخر أيضا بخصالهم وعلمهم وثقافتهم. وفى مجال الفن - فاخر بعض الشعراء بشاعريتهم ومدائحهم التى لم يُقَلْ مثلها، وبأن أحدا لا يستطيع أن يجاريهم فيها. وممن أكثر من نثر هذا الفخر فى مدائحه وفى شعره أبو تمام والمتنبى.

٤ - الرثـاء

ومن أهم أغراض الشعر العباسى: الرثاء. فقد تنافس الشعراء فيه. وفى استحداث معانيه فصوروا الحزن والأسى وأحاسيسها تصويرا رائعا، وتنوعت معانيه نتيجة لمقدزة الشاعر على تحليل خواطره إزاء الموت والحياة. فكان الشاعر فى مرثيته يلائم بين معانى الرثاء من ناحية. وفلسفة الموت، والقيم الروحية الإسلامية، والقضاء والقدر من ناحية أخرى. يوائم بين صفات المرثى ومعانى الرثاء، مصورا أن الموت نهاية كل كائن حى، وأنه يصل إلى كافة البشر، يدركهم فى أى مكان، وبتوقيت معلوم. وقد رثى الشعراء الخلفاء، وأبناء الخلفاء. ورثوا القواد

مراثى تدلع العزيمة فى نفوس الشباب، من مثل قول أبى تمام فى رثاء ابن حميد الطوسى:

وما كنتَ إلاَّ السيفَ لاَقَى ضَرِيبةً　　فقطَّعها ثم انثنىَ فَتَقَطَّعَا

ورثى الشعراء أيضا أبناءهم وزوجاتهم وأمهاتهم.. من مثل رثاء ابن الرومى لابنه:

أَلاَ قَاتَلَ الله المَنَايَا ورَمْيهَا　　مِنَ القَوْمِ حبّاتِ القلوبِ علىَ عَمْدِ
تَوَخَّى حِمَامُ المَوْتِ أوسطَ صبْيتى　　فلله كيف اختار واسطةَ العِقْدِ
طَوَاهُ الرَّدَى عنِّى فأَضْحَى مَزَارُهُ　　بعيدًا علىَ قُرْبٍ قريبًا علىَ بُعدِ
لقد أنجزت فيه المنايا وعيدَها　　وأخلفت الآمالُ ما كان من وَعْدِ

ومن الموضوعات الجديدة فى هذا المجال.. مراثيهم للمدن والقصور، وقد استطاع الشعراء أن يستنبطوا كثيرا من المعانى الدقيقة والأفكار الطريفة.

وأضاف الشعراء إلى مراثيهم بعض أشعارهم الزاهدة التى توضح نفسياتهم، ومدى تعمقهم فى الدين والحياة وكما ارتبط الرثاء بالزهد، ارتبط أيضا بالحكمة والتأمل فى الحياة، والحديث عن الدهر وغير ذلك من الأمور.

٥ - الوصف

وكثر فى هذه المرحلة شعر الوصف والتفنن فيه، فوصف الشعراء: الخمر والقيان ومجالس الأنس وآلات الطرب. من مثل قول ابن الرومى:

وقيَان كأَنَّها أُمَّهَاتٌ　　عَاطفاتٌ على بَنِيهاَ حَوَانِ
مُطْفِلاَتٌ وما حَمَلْن جَنينًا　　مُرْضَعَات ولَسْنَ ذات لُبانِ

كلُّ طِفْلٍ يدعى بأسماء شتى بين عُودٍ ومزهر وكرانِ

ووصفوا أيضا السفينة والنحل والكلب والذئب والديك، والشيب والشباب وأكثروا من وصف الطبيعة - يقول ابن الرومى فى وصف الرياض:

ورياضٌ تَخَايَلُ الأرضَ فيها خيلاء الفتاةِ فى الأبرادِ

منظرٌ معجبٌ تحية أنفٍ ريحُها ريح طِيبِ الأولادِ

ويقول ابن المعتز فى وصف السحاب:

وساريةٌ لا تَمَلُّ البكا جَرَى دمعُهَا فى خدودِ الثرىَ

سَرَتْ تقدحُ الصبحَ فى ليلِهَا ببرقٍ كهنْديّة تُنتضىَ[3]

فلمّا دَنَتْ جَلْجَلَتْ[4] فى السمـ ـاءِ رعدًا أجش[5] كجَرْس الرَّحَا

ووصفوا أيضا السيف والقلم. وتحدثوا عن حياتهم المتحضرة وغن سكنى القصور، ووصفوا الحدائق والبساتين والبرك والأنهار، من مثل وصف البحترى لبركة قصر المتوكل.

ما بالُ دجلة كالْغَيْرَى تُنَافِسُها فى الحُسنِ طَوْراً وأطوارٌ تُباهِيهَا

تنصبُّ فيها وُفُودُ الماءِ مُعْجِلةً كالخيلِ خارجة من حَبْلِ مجريهاَ

كـأنما الفِضّة البَيْضَاء سائلة من السبائِك تجرى فى مَجَاريهاَ

فحاجِبُ الشّمسِ أحياناً يُضاحِكُها وريقُ الغَيْثِ أحياناً يُباكيهاَ

وليس هذا فحسب بل وصفوا أيضا حفلات الزفاف، وألوان الطعام كالفطائر والقطائف والخبيصة وغير ذلك، بل إنهم لم يتركوا شيئا مما يتصل بحياتهم إلا وصفوه وتفننوا فيه.

---

(٣) تنتضى: انتضى السيف: استله من غمده.

(٤) جلجل السحاب: رعد.

(٥) الأجش: الغليظ الصوت: الجرس: الصوت.

٦ - الزهـــد

إذا كان المجون قد فشا فى جانب من جوانب المجتمع فى ذلك الحين ، فقد كان يقابله الزهد عند كثيرين، فقد مضى غير شاعر ينظم فى مجال الزهد متحدثا عن الموت والثواب والعقاب وإيثار ما يبقى على ما يفنى، والتزود للآخرة بالتقوى والعمل الصالح.

وتحدث الشعراء الزاهدون طويلا عن القناعة بالكفاف والرضا بالمقسوم. واستطاع الزهاد أن ينوعوا تنويعا واسعا فى معانى الزهد، وكل ما يتصل به من الترهيب من النار، والترغيب فى الجنة، والدعوة إلى طاعة الله.

٧ - الرسائل الشعرية

ومن الطرائف التى استحدثها العقل العباسى المتطور فى مجال الشعر : الرسائل الشعرية. وهى رسائل نظمها بعض الشعراء فيما بينهم تفكها أحيانا وتصويرا لبراعتهم ومقدرتهم على الإتيان بالجديد أحيانا أخرى، وضمنوها عواطفهم وأحاسيسهم ومشاعرهم تجاه المرسل إليهم. ولعل هذا الفن - فن المراسلات الشعرية - كان يتصل بفن النقائض الذى وجد وشاع عند فحول الشعراء بالعصر الأموى. جرير والأخطل والفرزدق. حيث كان الشعراء يتراسلون ويبعث كل منهم بنقيضته إلى الآخر فيرد عليها. غير أن هذه الرسائل الشعرية كانت رسائل مودة ومحبة وتقدير، تراسل بها الأصدقاء وغيرهم ولا تتصل بفن الهجاء.

٨ - الشعر التعليمى

وظهرت فنون أخرى من الشعر، لعل أهمها: «**فن الشعر التعليمى**» فن الشعر التعليمى الذى دفع إليه رقى العقل العربى ورقى العلم وتسلطه على حياة الشعر والشعراء، فإذا هم يفكرون فى صوغ بعض العلوم والمعارف شعرا، مما هيأ لظهور **الشعر التعليمى**، وكان من أوائل من اقتحموا بشعرهم ميدان المعرفة «**إبان بن عبد الحميد**» فإنه ترجم كليلة ودمنة شعرا للبرامكة، ونظم أيضا فى التاريخ سيرتى أردشير وأنوشروان، ونظم فى الفقه قصيدة طويلة صور فيها أحكام الصوم والزكاة، ونظم فى نشأة الكون. وفى الشعر التعليمى نظم أبو العتاهية **مزدوجة** يقال أنها كانت فى أربعة آلاف بيت كلها حكم وأمثال. من مثل قوله:

مَا انْتفَعَ المرءُ بِمثْل عَقْلِهِ وخَيْرُ ذُخْر المَرْء حُسْنُ فِعْلِهِ
حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ القُوتُ ما أَكْثَر القُوت لِمَنْ يَمُوتُ

وقد شارك «**المعتزلة**» **فى هذا اللون الجديد من الشعر بحظ وافر يتقدمهم بشر ابن المعتمر** الذى نظم شعرا كثيرا فى النِّحل وأصحابها، وله فى كتاب الحيوان قصيدتان يتحدث فيهما عن الحشرات وأصناف الحيوان، ودلالتهما على قدرة الله فى خلقه.

ولا شك أن للثقافة المعاصرة دورا كبيرا فى الإنتاج الشعرى، ظهر ذلك فى رقة الألفاظ وعذوبتها وقوة المعانى وغزارتها، فقد تصرف الشعراء ببراعة فى ألفاظهم وصورهم وأخيلتهم، حتى ليمكن القول أنهم طوّعوا كل طرائق التعبير لتخدم ذوقهم المتحضر المثقف.

وسمة بارزة فى شعراء هذا العصر، وهى أن معظمهم جمع بين الفن والعلم فكانوا

شعراء وأدباء ومؤلفين. فالبحترى الشاعر نراه يؤلف كتاباً ضمنه مجموعات من الشعر العربى فى الحماسة، كما فعل أبوتمام من قبل. وعبد الله بن المعتز - الأمير، وخليفة المسلمين ليوم واحد، والشاعر - ألف فى النقد - حيث وضع الشعراء فى طبقات، واستقصى أنواع البديع، وجمع مختارات من الشعر وغير ذلك، إلى جانب كونه من فحول شعراء عصره. والصولى - علاوة على نظمه الشعر وإنشاده وتحليله، كان مؤلفا بارعا، ألف فى معظم فروع المعرفة.

ولهذه الظاهرة الجديدة قيمتها ودلالتها، فهى تدل على أن الشعر أخذ يفقد مكانته الأدبية قليلا وفطن الشعراء إلى عدم الاكتفاء بنظم الشعر وإنشاده، وشكّوا فى إمكان الإكتفاء به، فنراهم يقصدون إلى العناية بشىء آخر طغى، على هذا العصر - وهو العلم.

ولقد كان لضعف الخلافة - فى أواخر عصر الصولى - واشتغال الخلفاء بأنفسهم وخوفهم على مصيرهم، أثر على الحياة الأدبية. فقد أدى ضعف الخلافة إلى ضعف الشعر، فلم ينبغ فيه سوى قلة فرضوا أنفسهم بقوة شاعريتهم، وهكذا اختلف الحال عن ذى قبل.. وكسدت سوق الأدب.

ولعل أسباب هذا الكساد يرجع إلى عدة عوامل:

أولا: أن معظم الخلفاء والأمراء كانوا شعراء ينظمون الشعر فى مجالات متعددة، ويحفظون منه الكثير، ويروونه هم أنفسهم فى بعض المناسبات.

ثانيا: أن اشتغال هؤلاء الخلفاء والأمراء بالشعر ونظمه، وحفظه وروايته، جعلهم لا ينظرون إلى الشعراء تلك النظرة القديمة، التى كانت تجد فيها يسيل على ألسنتهم تخليدا لأمجادهم، وتفخيما لدولتهم وتعظيما لشأنها، وبالتالى لم يكن يجيزون على مدائح الشعراء بالجوائز السنية، والهبات القيمة، كما كان يفعل الخلفاء السابقون.

ثالثا: أن العصر أصبح عصر ثقافة وعلم، يود فيه كل إمرىء موصوف بالأدب أن يعرف كل ما يُعرف من الآداب، والفنون والعلوم والملاهى – فإذا تعلم القوم الشعر وأنشدوه – ومعظمهم فعل ذلك – فكما يتعلم الآن الرجل المثقف العزف على آلة موسيقية، أو هواية التصوير، أو غير ذلك..

ولا عجب أن يكثر الناظمون، وحافظو الشعر ومنشدوه ورواته، فى زمن كهذا، الوزارة فيه والكتابة وصناعة الأدب تكاد تكون فنا واحدا، فمعظم الوزراء والولاة والندماء والجلساء كانوا من الأدباء الذين ظفروا بالحظوة والتقدير عند الخلفاء.

وفى أواخر العصر، طرأت أمور كان من جرائها تطفيف أرزاق الشعراء، وتقليل العطايا والبر إليهم – منها: توزيع العناية بين العلوم الوافدة المستحدثة على الذهن العربى، والشعر الذى كان مستأثرا بجل عناية العرب فى صدر الدولة – ومنها: غلبة المنادمة على الشعر، وترجيح صفة النديم ومكانته على صفة الشاعر ومكانته – إذا تعذر الجمع بين الصفتين – ومنها قلة الإكتراث للمدح حيث كانت المعانى فى معظمها متداولة مكررة، وصورة معروفة مفهومة – ومنها اضطراب أمور الحكم واختلال أحوال الرعية بين عصرين: عصر الهيبة والثروة والعطايا والمُلْك الموطَّد وقد ذَهَب.. وعصر الأمراء الذين تقسموا الدولة واستقر كل منهم على إمارة، وتنافسوا فيما بينهم فى اجتذاب الشعراء والتشبه بالخلفاء.

كل ذلك جعل الشعراء ضائعين تائهين بين هنا وهناك، ولعل ذلك هو سر خفوت الشعر وقلة الشعراء المجيدين فى الربع الأخير من القرن الثالث، والربع الأول من القرن الذى تلاه.

ثانيا: النثر

وفى هذا العصر نما النثر وتنوع وكثرت فنونه، فمن نثر الدواوين الذى يصدر عن الخلفاء والوزراء والأمراء مصرفا لأعمال الدولة، إلى هذا النثر الذى أخذ يتناول بعض الأغراض التى كان يتناولها الشعر، من رغبة ورهبة، وعتاب ورثاء، ومدح وتهنئة، واستعطاف واعتذار إلى غير ذلك من هذه الفنون التى تصور نوازع الأفراد وأهواء نفوسهم، إلى نوع آخر من النثر لا يتناول شئون الدولة، ولا أهواء الأفراد، وإنما يتناول النفس الإنسانية من حيث هى مؤثرة فى الحياة، ومتأثرة بها، فهو يصفها ويبين أخلاقها، وهو يرشدها إلى الخير، ويعظها أن تتورط فى الشر، ويوضح لها سبل الحياة، بما يضرب لها من مثل، ومايُفَصّل بين يديها من حكم.

إلى نوع آخر من النثر، يقصد به كاتبه إلى التفكه، والترفيه عن النفس أو تحقيق اللذة الفنية الخالصة بتناول الموضوعات الأدبية من نقد للشعر أو شرح له، وما يتصل بهذا كله مما نجده فى كتب الأدب.. إلى نوع آخر من النثر يقصد به توضيح قيمة شاعر وإظهار مكانته وبراعته، والدفاع عن مذهبه الشعرى.. إلى نوع آخر من النثر اصطنعه العلماء والمؤلفون فى دروسهم وأماليهم وكتبهم العلمية والتعليمية دون ما استعراض لأسلوب أو تقعر فى لغة، إنما يقصد به مؤلفه توصيل المادة العلمية أو التاريخية أو الأدبية إلى عقول القراء مباشرة وبلا أدنى تكلف.

المهم أن نعرف، أن النثر – فى عصر الصولى – أصبح فنا تؤدى فيه جميع العلوم وجميع الأغراض، حتى التى كانت وقفا على الشعر.. فأصبح الناثرون يمدحون ويهجون ويرثون ويعاتبون ويصفون ويؤرخون.. وتغيرت طبيعته، فسهل ولان وأصبح مرنا يستوعب كل ما يصادفه من أمور وعلوم.

ولقد كان نتيجة لتطور النثر الفنى أن تسلط عليه الشعراء، وأخذوا منه، كما كان الكتّاب فى الماضى يسطون على الشعر ويأخذون منه - فنرى ابن الرومى يتفنن فى معانيه، ويطيل فى بسط فكرته وسردها، مقلدا الكتاب، بل ويسرف فى ذلك إسرافا مفرطا، فتطول القصيدة عنده طولاً لم نعهده فى العصور الماضية، كما بسط ألفاظها تبسيطا شديدا، وبذلك محَا ما كان بين النثر والشعر من فروق[٦].

وخصيصة بارزة فى أسلوب أدباء العصر وهى **تحليل المعانى والأفكار، وكثرة الاستطراد والتنقل من موضوع إلى موضوع** - زيادة فى الإمتاع والتثقيف - ثم الرجوع إلى أصل الموضوع الذى يتناوله الأديب.

وفى هذا العصر وضح **تنوّع الكتابة** لكثرة العلوم والفنون من جهة، ولتباين مذاهب كتاب العصر وتخصصاتهم. من ناحية أخرى. فأصبح لكل كاتب من الكتاب أسلوب خاص يتميز به عن غيره تبعا لثقافته وعلمه.. وأصبح فى المتكلمين كتاب وفى الفقهاء كتاب.. وللأدب كتاب.. كما كان للديوان كتاب.

ولقد أخذ كتاب الدواوين أنفسهم بثقافة واسعة، فنراهم يسيرون على الطريق الذى وضعه لهم **عبد الحميد الكاتب**. غير أنهم - فى عصر الصولى - لم يكتفوا بذلك، بل وسعوا ثقافتهم فشملت العلوم الفلسفية، وأضافوا إلى ثقافتهم العربية والفارسية - الثقافات الأخرى الداخلة، وعمقوا أفكارهم ورتبوا معانيهم ، وانعكس كل ذلك على أسلوبهم وطريقتهم فى التعبير - حيث كان الكتاب يبالغون فى تنميق كتاباتهم فأحدثوا **مذهب التصنيع**[٧] كما استغل كتاب الدواوين مهارتهم العقلية فى تلوين كتاباتهم بالعديد من الإستعارات والكنايات.. وأخذوا يحتالون فى كتاباتهم احتيالات كثيرة، ويضمنوها صورا طريفة تعين على إبراز الأفكار التى

---

(٦) الفن ومذاهبه فى الشعر - دكتور شوقى ضيف - ترجمة ابن الرومى ص ٢٠٠ - ٢١٤.
(٧) الفن ومذاهبه فى النثر - دكتور شوقى ضيف ص ١٩٩.

يريد الكاتبون تأديتها. وممن اشتهر فى هذا الجانب مجموعة من الكتاب على رأسهم أسرة الصوليين التركية، وأسرة البرامكة الفارسية[٨].

ولا شك أن الذى ساعد على اجتهاد الكتاب فى صقل أساليبهم وتوسيع ثقافتهم ومداركهم - أن الكتابة كانت الوسيلة إلى الوصول إلى أرفع مناصب الدولة وأرقاها، خاصة وأن الخلفاء كانوا ينتخبون من بين هؤلاء الكتاب وزراء هم وكتّابهم الخصوصيين وندماءهم ورؤساء الأعمال فى دواوينهم.

ولقد أولى الخلفاء العباسيون كتابهم عناية كبيرة، وتخيروا منهم أبرعهم خطاً وأتقنهم كتابة وتنميقا، وأروعهم أسلوبا، وأقدرهم على استخدام الاستعارات والتشبيهات والكنايات. ووصل منهم كتاب كثيرون إلى مراتب عليا فى الدولة منهم **أبو العباس بن ثوابة** المتوفى سنة ٢٧٧ هجرية[٩] وأخوه **جعفر بن محمد بن ثوابة** المتوفى سنة ٢٨٤ هـ الذى تولى ديوان الرسائل فى بغداد حتى تسلمه منهم **أبو اسحق الصابى** سنة ٣٤٩ هـ. وكانت هذه الأسرة من أبرع الأسر التى تولت الكتابة فى الدواوين، ولعبت دورا مهما فى استخدام أساليب الكتابة الديوانية خاصة السجع. ومنهم أيضا أبو بكر الصولى، الذى كان من أبرع الكتاب فى العصر وتولى الكتابة ردحا طويلا ثم أصبح بعد ذلك كاتبا خاصا للخليفة الراضى بالله، الذى كان لا يقرأ إلا ما كتب بخطه.[١٠]

وأهم ما يميز الكتابة الديوانية: **السمة الدينية** - فنرى الكتاب يميلون إلى استعمال ألفاظ القرآن الكريم، ومحاكاة أساليبه، واقتباس آياته، والاستشهاد بها فى ثنايا كتاباتهم لتقوية المعنى وتوضيحه، وتوسعوا أيضا فى إدخال صفات التعظيم ذات

---

(٨) الفن ومذاهبه فى النثر - دكتور شوقى ضيف ص ١٩٩.

(٩) معجم الأدباء ١٤٤/٤.

(١٠) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٨٣.

الطابع الدينى على أسماء الخلفاء صونا لأعلامهم، وحجبا عن إمتهانها على ألسنة الناس، فاتخذوا لهم صفات - لا ألقابا كما يقول الصولى[١١] - يُعرفون بها فوصفوهم بالمعتمد على الله، والمعتضد بالله والمكتفى بالله، والقاهر بالله، والراضى بالله إلى آخر هذه الصفات.

وفى هذا العصر وضُعت الكتب التى تخدم الكتاب وتثقفهم وتعينهم على أداء حرفتهم فوضع ابن قتيبة كتاب «**أدب الكاتب**» ووضع الصولى كتاب «**أدب الكتّاب**» كما وضعت كتب عدة تمد الكتاب بالثقافات العامة المتنوعة.. لغوية كانت أو تاريخية، أدبية أو فلسفية.. من مثل الكامل للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ، والأمالى للقالى، وغيرهم.. فاجتمعت الثقافة الواسعة مع ذوق العصر لكى ينهضا سويا بالنثر، وليعملا على تجويد الكتابة ورفع شأنها.

ثالثا: النقد الأدبى

وارتقت حاسة النقد الأدبى نتيجة لارتقاء حياة القوم الاجتماعية والعلمية والثقافية، فقد حدث تغيير واسع فى عقلية القوم وتطورت أذواقهم وأحكامهم وأخذوا فى وضع المبادىء والأصول والمقاييس التى يمكن بها أن يقيسوا جودة الكلام ورداءته وتعاون الأدباء مع اللغويين والمتكلمين فى وضع هذه المبادىء والأصول.. فتطور النقد بتأثير ذلك كله تطورا كبيرا.

وفى هذا العصر وضح أن النقد لم يعد يتقيد بميل الناقد وذوقه ومزاجه فحسب، ولم يخضع لتحليل الصياغة والأعاريض واللغة فقط.. كما كان الشأن من قبل - بل ظهر فيه أيضا أثر الأدباء، الذين كان لهم الفضل فى تحليل الشعر المحدث، وإبراز

---

(١١) أخبار الراضى بالله ص ٣.

جمال عناصره، وإظهار مواطن القوة فيه، والوصول إلى أكثر خصائصه وأدق أسراره فاتسع أفق النقد وأصبح رحب الجوانب يعتمد على الذوق الأدبى السليم ويأتنس بما دخل على الفكر والذوق العربى من علم وثقافة. وإذا كان النقاد القدماء، قد فطنوا إلى عناصر الشعر القديم وخصائصه، فإن نقاد عصر الصولى قد وقفوا وقوفا طيبا على العناصر الحديثة فى الأدب والتى ظهرت فى شعر المحدثين.

ومنذ أحدث الشعراء المحدثون تجديدهم، انقسم النقاد إزاء هذا التجديد إلى طائفتين:

١ - طائفة تحتذى القديم ولا تقبل التجديد إلا بمقدار وبشرط عدم الخروج على عمود الشعر القديم المتوارث، فهى تؤثر القديم لقدمه ولأصالته، وفى نفس الوقت تتحامل على الشعر المحدث.

٢ - وطائفة مالت إلى التجديد وقبلته على أنه من حتميات التطور والتجديد، ونتيجة لما دخل على الذوق العربى من ثقافات متنوعة، وارتضت بالشعر المحدث دون مساس بالشعر القديم، بل مزجت بين المذهبين، ورفض أعضاؤها الجمود وحاربوه، وسايروا التطور، فإذا كانت حياة الإنسان تتطور وتتحضر فلابد للغته أن تتطور وتتحضر أيضا، ولابد أن ينعكس ذلك كله على تعبيره الوجدانى.

قبلت الطائفة الأخيرة شعر المحدثين، وأخضعته لمعايير الشعر المتفق عليها فاشترطوا فيه اكتمال المثل العليا التى تواضعوا عليها، جزالة الألفاظ ومتانتها وتخير الكلمات، وأن يشتمل أساسا على روعة التعليل وسمو التخييل، ودقة الطباق، وجمال الجناس، وسحر الإستعارة والكناية، وبلاغة التقسيم.. وألا يتعمد الشاعر التعقيد فى العبارة أو مخالفة القياس، أو الجنوح نحو الشاذ أو الغريب.. وفوق ذلك أن يسلك الشاعر سبيلا معينا مستويا فى استعاراته وتشبيهاته، فلا

يسرف فى الصنعة أو يغرب فى الخيال، حتى لا يتعرض للركاكة والضعف، وأن يكون الشاعر مقتدرا على لغته، متمثلا التراث العربى فى كل صوره وعصوره، لا يجد مشقة فى الأوزان ولا فى اختيار القوافى، وأن يكون مستوفيا لشرائط المديح والرثاء من ناحية إيراد المعانى الضخمة، والمثل العليا فى الممدوحين والمرثيين على السواء.. كل ذلك مع الإضافات التى تتمشى مع تجديدات العصر من المعانى والصور والألفاظ.

وظهر التجديد - الذى قبلته هذه الطائفة أكثر ما ظهر - فى الزخرف والتنميق وقد وجدوا له أصولا ونماذج فى الشعر القديم، جاءت عفوا وسليقة وطبعا، وكان من نتجته أن أصبح الشعر فنا يسير فيه الشاعر وراء جمال اللفظ ورقته، وجمال المعنى وعذوبته،وجمال التركيب ومتانته، وصارت الألفاظ تبدل، والعبارات تغير، ليحدث اللفظ طربا فى السمع، وليحدث المعنى نشوة فى الروح.

وهكذا تناول التجديد فى الشعر كل ما يتصل بالشعر.. أغراضه، وألفاظه ومعانيه، وصوره وأخيلته، وتبع التجديد فى الشعر - التجديد فى أذواق القوم، والتجديد فى تقييم العمل الفنى، وشمل التجديد فى النقد ظواهره وأشكاله وجوهره وأصبح النقد يقوم على الأسس الفنية المتوارثة، ويقوم أيضا على الثقافة وعلى كل ما دخل الذهن العربى من المعارف الأجنبية.

ومن خلال كتب الصولى فى الشعر والشعراء، ومن خلال كتب النقد القديمة، يستطيع الباحث أن يقول: إن النقد الأدبى - فى هذا العصر - قام أساسا على الموازنة والمقارنة. فقد أخذ النقاد يوازنون ويقارنون - لا بين الشعراء المحدثين ومن سبقوهم فحسب، بل أيضا بين الشعراء المحدثين أنفسهم، فقارنوا بين معانيهم وألفاظهم وصورهم وأخيلتهم، وأشاروا إلى مواطن الجمال والقبح، وأسبقية اختراع المعنى، وتوضيح استراقات الشعراء، وإرجاع المعانى إلى أصحابها، وتحديد التابع

والمتبوع، وتقييم شعر المتنافسين حول معنى واحد. وتوضيح من منهما أحق بالمعنى وتحدثوا أيضا عن إئتلاف اللفظ والمعنى.

وأيضا قسموا الشعراء إلى طبقات حسب جودتهم الفنية، وقسموهم إلى مذاهب فنية من حيث الطبع والصنعة، وقسموهم إلى شعراء مجددين، وشعراء مقلدين أو تقليديين. واتخذوا من أبي تمام رمزا لشعراء الصنعة المجددين، ومن البحترى رمزا لشعراء الطبع التقليديين، وأقاموا بين منهجيهما المتنافرين مقارنات واسعة، ودافع كل منهم عن المنهج الذى يرتضيه، والشاعر الذى يعبر عن فلسفته، فخرج للناس العديد من الكتب النقدية فى الموازنة وفى المحاسن والمساوىء وفى السرقات.. من هذه الكتب:

الشعر والشعراء لإبن قتيبة (٢٧٦هـ) وقواعد الشعر لثعلب (٢٩١هـ) ومحاسن شعر أبي تمام ومساويه، وطبقات الشعراء لإبن المعتز(٢٩٦هـ)، وأخبار أبي تمام، وأخبار البحترى للصولى (٣٣٦هـ). وهى كتب يتضح منها تقدم النقد، وسريان بوادر الروح العلمية المتجهة إلى التنظيم والتجديد. كما شهد العصر أيضا صراعا عنيفا بين الأدباء والنقاد، اتضحت أثاره فيما يتصل بالبلاغة، وكان من نتائجه كتاب البديع لابن المعتز.

وفى نهاية عصر الصولى فى القرن الرابع الهجرى - بلغ النقد الأدبى أقصى مداه، وكثرت فيه المؤلفات ومن بينها أشهر ما عرفه تاريخ النقد العربى مثل: نقد الشعر ونقد النثر لقدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) وعيار الشعر لإبن طباطبا (٣٤٥هـ)، الموازنة للآمدى (٣٧١هـ). والوساطة للجرجانى (٣٩٢هـ) وغيرهم. وهى كتب تمتاز عن سوابقها بالصبغة العلمية فى تحديد القواعد والضوابط ومحاولتها استيعاب عناصر النص الأدبى.

الباب الثانى

حياة الرجل

أبو بكر الصولى

الفصل الأول : اسمه ونسبه.

الفصل الثانى : عائلته وأسرته.

الفصل الثالث : مولده ونشأته.

الفصل الرابع : حياته فى قصور الخلفاء.

الفصل الخامس : أساتذة الصولى.

الفصل السادس : تلاميذ الصولى.

الفصل السابع : ثقافته ومنابعها.

الفصل الثامن : روايته ومصادرها.

الفصل التاسع : ولوعه وحذقه فى فن الشطرنج.

الفصل العاشر : منادماته.

الفصل الأول

اسمه ونسبه

اتفق المترجمون لأبى بكر الصولى - جميعا - على اسمه ونسبه، وكنيته ولقبه. فهو عندهم «**محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول تكين**» **البغدادى الشطرنجى**. ولكنهم اختلفوا فى الطريقة التى أوردوا بها إسمه من حيث الطول أو القصر، ومن حيث التقديم والتأخير.

فمنهم من أورد اسمه واسم أبيه فقط[١].

ومنهم من أورد اسمه واسم أبيه وجده الأول[٢].

ومنهم من أورد اسمه واسم أبيه وسلسلة أجداده حتى وصل إلى الجد الأكبر «صول تكين»[٣].

وتبع إتفاقهم على إسمه ونسبه، إتفاقهم أيضا على كنيته ولقبه، فهو عندهم جميعا «**أبو بكر الصولى البغدادى الشطرنجى**[٤]».

وقد اتفق أكثر المؤرخين والأدباء وأصحاب التراجم على أن لقب «**الصولى**» هذا نسبة إلى جده الأكبر «صول».

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد ٣٣٩/٢.

(٢) الفلاكة والمفلوكون للدلجى ١٠٣/١٢.

(٣) وفيات الأعيان لإبن خلكان ٤٧٧/٣، الكامل فى التاريخ لابن الأثير ٣٢٤/٦، الأنساب للسمعانى ص ٣٥٧، المنتظم لابن الجوزى ٣٥٩/٦ ومعجم الشعراء للمرزبانى ص ٢٦٥، ومعجم الأدباء لياقوت الحموى ١٠٩/١٩.

(٤) مرآة الجنان - اليافعى ٣١٩/٢.

غير أن قلة من المترجمين تنسب الصولى إلى مدينة «صول»[٥] أو جول إحدى ضياع جرجان أو إلى بلدة «صول» بصعيد مصر الأدنى[٦]» ولكن من الثابت تاريخيا أن الصولى الجد أو الحفيد لم يحضر إلى مصر، ولم يتحدث عن أقارب له فيها. كما أننا لم نجد فى المصادر الأدبية القديمة التى ترجمت للصولى من أرجع نسبه إلى «قرية صول المصرية[٧]» بل أن هذه المراجع كانت تذكر «قرية صول» المصرية لمجرد التشابه فى الأسماء - كما جاء فى معاجم البلدان - وتحترز بذلك حتى لا يقع لبس فى نسبته إليها.

على أن المحققين من أمثال ياقوت والمرزبانى وابن العماد والأصفهانى وابن الأنبارى وابن الجوزى وغيرهم يرجحون الرأى الأول وهو نسبة أبى بكر محمد بن يحيى الصولى إلى جده صول التركى الأصل.

وعموما فإن جده الأكبر «صول» ينسب بل ويتسمى باسم مدينة صول الفارسية. وسواء أنسب أبو بكر الصولى إلى جده صول، أو إلى مدينة صول فالنتيجة واحدة وهى:

أنه جرجانى الأصل ومن مدينة صول، فمن ينسبه إلى جده يطلق عليه «الصولى»، ومن ينسبه إلى موطنه يطلق عليه «الصولى»، غير أن نسبته إلى جده مما أجمع عليه الرواة والمؤرخون.

وقد أجمع كل الذين ترجموا لأبى بكر الصولى على عراقة أصله ونسبه. فقال ابن

---

(٥) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٥/١.

(٦) ذكر ياقوت ذلك من باب تعريفه للبلدان، ولكنه لم يذكر أن أحدا نسبه إليها ثم اعتقد محمد بهجة الاثرى أن هناك من نسبه إليها، فكذب ذلك فى مقدمة كتاب أدب الكتاب.

ويقول ج. هيورث. دن: إن المؤرخين يختلفون فى نسبته هذه (الصولى) أهى إلى المدينة المسماة (صول) أم إلى إلى جده (صول) ويرجح أغلب المحققين الرأى الأخير. (راجع مقدمة كتاب أخبار الشعراء). الصفحة (ط)

(٧) قرية صول: قرية صغيرة ناحية الصف مديرية الجيزة (القاموس الجغرافى للقطر المصرى ص. ٤٣).

الأنبارى[٨] «وكان ذا نسب، فإن جده «صول» وأهله كانوا ملوك جرجان».

وقال ابن الأثير والسمعانى وابن الجوزى[٩] «جده الأعلى هو صول ملك جرجان».

فالمصادر العربية القديمة تدلنا جميعا على أن أبا بكر محمد بن يحيى أحد حفدة «صول تكين» الأمير التركى الجنس، الذى نزح إلى جرجان إحدى مدن فارس وتملكها هو وأخوه فيروز، وتشبه بالفرس ودان بدينهم المجوسى، وعبد النار وظل على ذلك ردحا من الزمان، فنشأت سلالته على التشبه به وبأهل فارس، حتى كانت حملة «يزيد بن المهلب بن أبى صفرة» على جرجان واستيلائه عليها، ودخول الاسلام فيها، فأسلم «صول» على يديه، وأصبح مولى من مواليه، ولم يزل معه حتى خرجا معا على بنى أمية فقتلا يوم العقر[١٠] سنة ١٠٢هـ.

ولكن المصادر العربية القديمة لم تتعرض أو تتناول الأسباب التى جعلت هذا الأمير التركى ينزح إلى جرجان ليمتلكها.. ومتى كان ذلك أو كيف.. هل حربا أو سلما.

وأغلب الظن أن «صول تكين» كان أحد زعماء قومه أو قبيلته التى كانت تتنقل من أجل المرعى أو الغزو، وأنها فى نهاية المطاف استقر بها المقام فى جرجان، وسرعان ما سيطر عليها ونصب نفسه ملكا تحميه سواعد قومه وسيوفهم فنشأت سلالته فيها.

---

(٨) نزهة الألبا فى طبقات الأدباء لابن الانبارى ص ٣٤٣.

(٩) الكامل فى التاريخ لابن الأثير ٣٢٤/٦، الأنساب للسمعانى ص ٣٥٧، المنتظم لابن الجوزى ٣٥٩/٦.

(١٠) الأغانى للأصفهانى ٤٣/١٠ – هو عقر بابل وهو موضوع عند كربلاء قتل عنده يزيد بن المهلب وصول سنة ١٠٢هـ.

الفصل الثانى

عائلته وأسرته

نشأ أبو بكر الصولى فى بيت من أكبر بيوت السياسة والعلم والأدب. فعائلة الصولى إحدى العائلات العريقة التى أسهمت بنصيب وافر وفعال فى نشر الدعوة العباسية وإنجاحها، وإسقاط دولة بنى أمية، ثم شاركت بجهود ضخم فى خدمة الخلفاء العباسيين ودواوينهم، وفى خدمة أهل العلم والأدب والمعرفة.

فمن عائلة الصولى: «**أبو عمارة محمد بن صول**[1]» أحد جلة الدعاة العباسيين. ومنها «**مسعدة الصولى**[2]» الكاتب البليغ، أحد كتاب خالد بن برمك، والذى تولى الكتابة بعده لأبى أيوب وزير المنصور على ديوان الرسائل.

وكذلك ابنه «**عمرو بن مَسْعَدة الصولى**[3]» الذى نشأ فى دواوين البرامكة وتربى على أيديهم، ثم ولى شئون الدواوين لعهد المأمون[4] الذى كان يعجب برسائله.

يقول عنه ياقوت[5]: «من جلة كتاب المأمون، وأهل الفضل والبراعة والشعر منهم» أما عن بلاغته فيقول[6] إنه «أبلغ الناس، ومن بلاغته أن كل أحد إذا سمع كلامه ظن أن يكتب مثله فإذا رامه بَعُد عليه».

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٥/١.

(٢) معجم الأدباء لياقوت ١٢٧/١٦.

(٣) معجم الأدباء لياقوت ١٦٥/١.

(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٩٠/١.

(٥) معجم الأدباء لياقوت ١٢٧/١٦.

(٦) معجم الأدباء لياقوت ١٢٩/١٦.

ولقد بلغ عمرو بن مَسْعَدة الصولى مكانة مرموقة فى عهد الخليفة المأمون لبلاغته وعلمه وبراعته، جنى من ورائها مالا وفيرا، تحدث أبو بكر الصولى عن ذلك فقال[٧]:

«لما مات عمرو بن مَسْعَدة، رفع إلى المأمون أنه خلَّف ثمانين ألف ألف درهم، فوقع على رقعة: «هذا قليل لمن اتصل بنا، وطالت خدمته لنا فبارك الله لولده فيه».

ومن عائلة الصولى أيضا «**إبراهيم بن العباس الصولى وعبد الله بن العباس الصولى**» اللذان تخرجا فى مدينة المنصور - بغداد، وكانا من وجوه الكتاب فى عهد الوزير الفضل بن سهل الذى عرف قدرهما، فرفع من شأنهما. وكان عبد الله أسنهما وأشدهما تقدما، وكان ابراهيم آدبهما وأحسنهما شعرا[٨]. كان يقول الشعر ثم يسقط رذله ثم الوسط ثم يختار مما بقى، فلا يبقى فى القصيدةإلا اليسير، وربما لم يدع منها إلا بيتا واحدا أو بيتين». يقول عنه دعبل الخزاعى[٩]:

«لَوْ تكسَّب إبراهيم بن العباس الصولى بالشعر لتركنا فى غير شىء».

ويروى أبو بكر الصولى عن الحسين بن عبد الله أنه قال[١٠]:

«سمعت إبراهيم بن العباس يقول لأبى تمام الطائى، وقد أنشده شعرا له فى المعتصم؛ يا أبا تمام: أمراء الكلام رعية لإحسانك، فقال له أبو تمام: ذلك لأنى أستضىء بك وأَرِدُ شريعتك».

ويقول الصولى أيضا[١١]: «سمعت ثعلبا يقول:» كان إبراهيم بن العباس أشعر

---

(٧) معجم الأدباء لياقوت ١٢٩/١٦.

(٨) الأغانى - للأصفهانى ٤٣/١٠.

(٩) الأغانى للأصفهانى ٤٧/١٠، وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٥/١.

(١٠) الأغانى للأصفهانى ٥٧/١٠.

(١١) الأغانى للأصفهانى ٥٩/١٠.

المحدثين «وما روى ثعلب شعر كاتب قط».

ولقد كان لمكانة إبراهيم بن العباس الصولى وأخيه عبد الله - جد أبى بكر - وثقافتهما وشاعريتهما، أن اتخذهما **«الفضل بن سهل»** كتابين للدولة(١)، فتنقلا فى مختلف الأعمال والدواوين وظل إبراهيم يتنقل فى الأعمال الجليلية والدواوين إلى أن مات وهو يتقلد ديوان الضياع والنفقات بسُرَّ مَنْ رَأَى فى سنة ٢٤٣هـ.

وليس هذا فحسب بل أن عائلة الصولى تتصل عن طريق المصاهرة والنسب بأحد فحول الشعراء فى عصره وهو **«العباس بن الأحنف»** خال ابراهيم بن العباس وأخيه عبد الله(١٣).

من كل ما تقدم .. نستطيع أن نخلص إلى أن أبا بكر محمد بن يحيى الصولى قد انحدر عن آباء وأجداد هم رؤوس فى السياسة والعلم والكتابة والشعر، تقلدوا جلائل الأعمال فى دواوين الخلافة. وكانت لهم مكانة خاصة عند الخلفاء والوزراء، وظلوا أئمة للعلم والأدب على مر العصور، حتى جاء أبو بكر وقد ورث نبوغهم جميعا، فكان أكثرهم ثقافة وإنتاجا، وكان إمام عصره(١٤) إخباريا مؤرخا، وأديبا مصنفا، وكاتبا وشاعرا ونديما.

وإذا كانت المصادر الأدبية القديمة تحدثت عن عائلة أبى بكر الصولى وأصلها العريق، ومكانتها المرموقة فى السياسة والكتابة والأدب، فإن هذه المصادر لم تتناول ولم تتحدث عن أسرته الصغيرة - زوجته أو أبنائه، ولم يتحدث الصولى نفسه عنها كما تحدث عن أجداده وآبائه، ولم يترجم المترجمون لأحد من أبنائه من بعده..

---

(١٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٥/١.

(١٣) انظر الأغانى ٥٩/١٠.

(١٤) ارشاد الأديب ١٣٦/٧، الكامل فى التاريخ ٣٢٤/٦، تاريخ بغداد ٤٢٧/٣.

وذلك يجعل الباحث لا يستطيع أن يقطع بالقول.. فى أن أبا بكر الصولى قد تزوج وعاش حياة الناس العادية الأسرية، أو أنه لم يفعل ذلك، فليس هناك دليل..

كل ما يمكن أن يقال أن الرجل تزوج العلم والأدب وخدمة الخلفاء ومنادمتهم. ووهب حياته لذلك..

الفصل الثالث

مولده ونشأته

ولد أبو بكر محمد بن يحيى الصولى ببغداد[1]، ونشأ بها، ولم يذكر مؤرخوه أو المترجمون له شيئا عن مولده، وفى أى سنة كان، ولم يذكروا شيئا عن طفولته.

وقد دل البحث على أن أبا بكر الصولى ولد فى خمسينات القرن الثالث الهجرى – وبالتقريب – فى سنة خمس وخمسين ومائتين. فنحن نرى صورة لشبابه فى بغداد، وتردده على الأدباء والعلماء والشعراء فى سنة ست وسبعين ومائتين للهجرة.

ويحدثنا هو أنه إلتقى بالبحترى الشاعر[2] فى هذه السنة وقرأ عليه وسمع منه. كما يحدثنا عن اتصاله بالمبرد[3] عند عبد الله بن الحسن القطربلى فى هذه السنة أيضا، ويذكر الصولى بعض الأخبار عن أبى بكر أحمد بن زهير[4] فى هذه السنة نفسها.

ويقول الصولى عن ابن أبى طاهر[5]: «وقد رأيته بالبصرة سنة سبع وسبعين ومائتين وكتبت عنه مجلسين أو ثلاثة، فلما رأيته صحفيا، لم أر عنده ما أريد تركته...».

كل ذلك يدل على أن أبا بكر الصولى كان يحضر هذه المجالس وقد تجاوز

---

(١) إرشاد الأريب – ياقوت الرومى ١٣٦/٧، ومعجم الأدباء لياقوت الحموى ١١٠/١٩.

(٢) أخبار البحترى للصولى الخبر رقم ١ ص ٤٩.

(٣) أخبار البحترى للصولى ص ٩٩.

(٤) أخبار الشعراء للصولى ص ١٤٥.

(٥) أخبار الشعراء للصولى ص ٢١٠.

العشرين من عمره.. حتى يكون قادرا على استيعاب ما يقال فيها، قادرا على الحكم على العلماء والأدباء.

ويؤكد هذا الرأى ويدعمه، قول الصولى فى مديحته الضادية للراضى بالله – فى ثنايا أحداث سنة سبع وعشرين وثلاثمائة للهجرة:

وِإذَا دَنَتْ سَبْعُون مِنْ مُتَأَمِّلٍ دَانَى وَلَمْ يَرَ فِى الَّلذَاذَةِ مَرْكَضَا

وإذا كان المؤرخون والمترجمون لم يذكروا شيئا عن سنة ومولده أو طفولته فإنهم أيضا لم يتحدثوا عن منابع علمه، ولا أين طلب العلم، أو متى.. وفى أى سن.

ولكننا نعرف أن بغداد كانت موئل العلم والعلماء، وقبلة الشعراء والأدباء فى عصره.. فكان ولا شك يجد فى مسقط رأسه بيئة صالحة لنمو موهبته المبكرة.

ومن المؤكد أن أبا بكر الصولى – وهو حفيد كتبة الدواوين وعمال الإمارات، نشأ نشأة أبناء علية القوم، فى بيت عرف بالعلم والأدب، وسار فى نفس المجال الذى رسمه له أجداده وآباؤه، فتعلم القرآن الكريم وحفظَه، والحديث النبوى الشريف، ومبادئ القراءة والكتابة فى كتاتيب بغداد، حتى شب فارتحل من بغداد إلى البصرة[٦] والكوفة وغيرهما من أجل أخذ العلم ورواية الحديث.. ثم انتظم فى الحلقات العلمية والأدبية والدينية، التى كانت تقام فى ساحات المساجد لينهل من العلوم اللغوية والفقهية ما يروى ظمأه.

وأغلب الظن أن آباءه – وهم أساتذة الكتابة والأدب – تعهدوه بالرعاية والصقل والتوجيه، حتى تستقيم له لغته، وتنمو فيه تلك الموهبة الفذة المبكرة فى حب الأدب والشعر. فكانت هذه الرعاية وهذا التوجيه هما الدعامة الأساسية فى غزارة

---

(٦) أخبار الشعراء للصولى ص ٢١٠.

ثقافته، وتنوع علومه حتى وصل إلى هذه المكانة المرموقة بين معاصريه.. وفى مجالس الخلفاء والوزراء.

فنشأة الصولى كانت ولاشك نشأة دينية أدبية، تبدو واضحة جلية من اتجاهه العام، وطريقته فى التعبير(٧)، والتأليف والتصنيف، وسرده لكثير من المعانى القرآنية، واقتباسه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وأن هذه النشأة أنمت البذرة التى بذرها آباؤه وأجداده فكان طرحها هذا المحصول الوافر من المؤلفات والمصنفات التى قام بها – وفى شتى المجالات – أبو بكر الصولى.

(٧) راجع خصائصه الفنية فى الأدب الانشائى (النثر الفنى).

الفصل الرابع

حياته فى قصور الخلفاء

ورث الصولى – فيما ورث – خدمة الخلفاء والعمل فى دواوينهم ولاشك أن آباءه قد تعهدوه بل وأعدوه لكى يخلفهم فيما هم فيه من أعمال ووظائف رسمية.

ولاشك أنه كان يتصل – بحكم صلته العائلية – برجال الدولة من الكتاب والحجاب والولاة وغيرهم وكان يسألهم عما يدور عليه عملهم، وكيف يزاولون مهنتهم وما الذى يقومون به فى خدمة الخلفاء.

كل ذلك حبب إليه أن ينخرط فى سلكهم ويدور فى مجالهم، وشجعه على الإنكباب على دراسته وتعميق ثقافته، كما نمَّى طموحه وقوى عزمه، فأخذ يدرس كل ما يحتاج إليه الخلفاء وما يتطلبه العمل فى خدمتهم، ويتزود بأسلحة العلم، ويوسع مداركه، ويحفظ الشعر قديمه وحديثه، ويعرف آداب الملوك، وأدوات النديم، حتى اشتد ساعده واستطاع أن يشق طريقه المرسوم فى سبيل الغاية الموضوعة.

وأغلب الظن أن الطريق إلى الخلفاء – كما أدركه الصولى – لابد وأن يمر أولا على الوزراء والأمراء، فنراه يتجول على قصور الوزراء والأمراء يكتب لهم ويمدحهم بأشعاره، شأنه فى ذلك شأن غيره من الكتاب والشعراء، ويرجح هذا الظن ما نجده من مقطوعات شعرية صغيرة وأبيات يسردها الصولى، ويقول أنها من قصائده فى بعض الرؤساء[1].

أمضى الصولى الثلث الأول من حياته فى مرحلة الإعداد للهدف الكبير الذى

(١) أدب الكتاب للصولى ص ٨٢، وأماكن أخرى متفرقة.

طالما طمح إليه فاتصل أولا برجال الدولة ووزرائها وأمرائها، وعمل فى خدمتهم، حتى واتته الفرصة، أو ربما هُيئت له حين عرفوه فوجدوا فيه خامة جديدة جيدة، فيها كثير من المميزات والكفاءات، ولمسوا مواهبه، فقدموه إلى الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩ هـ) ليعمل فى بلاطه كآبائه كاتبا.

وتقول المصادر الأدبية القديمة أن الصولى كسب ثقته واحترامه وتوطدت بينهما الصلة وتوثقت، فكان الصولى يكتب له ويمدحه بقصائده وينادمه أيضا، بل لقد ذكر المسعودى[٢] أن الصولى كان له دلّ على المعتضد يطلب منه فيعده، ثم يفى بوعده، والصولى يقدم له المدائح فى المناسبات المختلفة، ويذكر أحداث الخلافة، كما يضمن شعره علاقات المعتضد بأصدقائه ومحبيه.

ولما مات المعتضد بالله، اتصل الصولى بخليفته المكتفى بالله (٢٨٩-٢٩٥هـ) فكان أحد ندمائه.

ثم ارتبطت حياةالصولى - بعد المكتفى - بالخليفة المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ) فتذكر المصادر أن الصولى نادمه، وسهر على راحته، وقام على مجالسه، وقدم إليه مايحتاج إليه من علم وأدب. وأن المقتدر بالله كان يحبه ويعظمه لحذقه فى لعب الشطرنج.

ولم تقف علاقه الصولى بالمقتدر عند حد المنادمة والمجالسة كما فعل مع الخلفاء السابقين، بل تعدت ذلك إلى علاقات أقوى وأمتن. فلقد لمس المقتدر فى الصولى العلم والأدب والدين، كما عرف فيه سعة الاطلاع وعمق التفكير ورجاحة العقل. فاستعان به فى تعليم ولديه محمد وهارون وتثقيفهما، وألقى على كاهله تبعة إعدادهما لما قد تجره وتقدره لهما الأقدار. فصلة الصولى بالمقتدر وحياته فى رحابه كانت ذات شقين :

---

(٢) مروج الذهب - المسعودى ٢٧٨/٤ (راجع علاقة الصولى بالمعتضد فى فصل المنادمة).

- شق يتصل بالمنادمة والمجالسة وما يتصل بذلك من أمور.

- وشق آخر أهم وأسمى وهو تعليم أولاده علوم الدين والأخبار والشعر والأدب. فكانت حياته فى عهد المقتدر حياة حافلة بالحركة والنشاط.

ولعل ذلك ما دفع الصولى إلى الاستزادة والتعمق فى العلم. لأن مركزه كنديم للخليفة ثم معلم وأديب لأولاده، اضطره أن يحصل من العلوم أوفر قسط حتى لا تخفى عليه خافية، ولعل ذلك أيضا ما لفت نظر الصولى بل ودفعه إلى تأليف الكتب فى شتى المجالات بقصد نشر العلم والأدب والثقافة.

استمرت صلة الصولى بتلميذه الأمير محمد بن المقتدر بالله طوال حكم أبيه، ثم طول حكم القاهر بالله (٣٢٠-٣٢٢هـ) حتى كتب الله للأمير أن يتولى خلافة المسلمين، فكانت سعادة الصولى لا تقدر ولا تُحد، وكان له نعم الناصح الأمين والمرشد والموجه. وظلت حياته مرتبطة بتلميذه الراضى بالله طوال سنوات خلافته (٣٢٢-٣٢٩هـ)، ولا شك أن هذه الفترة من أهم الفترات وأخصبها وأبرزها فى حياة الصولى لعدة أسباب:

١ - أنه كان يشعر بالفخر والاعتزاز والإكبار أن تلميذ الأمس صار خليفة اليوم.

٢ - أن الصولى كان مشفقا عليه، مدركا مدى التبعات الجسام التى ألقيت على شبابه الغض، وأيضا ما كان يدور حوله من مؤامرات ومكائد أودت بالخلفاء السابقين، كل ذلك جعله أقرب منه وألصق به.

٣ - أن هذه الفترة تعتبر أهدأ الفترات فى حياة الصولى لما شعر به من الإستقرار المادى والنفسى والراحة القلبية.

٤ - أن هذه الفترة - أخصب الفترات فى حياة الصولى، ففيها وضع العديد

من مؤلفاته - كما أشار هو إلى ذلك فى كتابه الأوراق، إبان تأريخه لحكم الراضى، خاصة كتابيه أدب الكتاب وأخبار الخلفاء، وما يتصل بأحداث الخلافة فى الماضى والحاضر.

٥ - أن هذه الفترة هى الوحيدة التى وصلت إلينا كاملة وواضحة مع فترة خلافة المتقى لله (٣٢٩-٣٣٣هـ) برواية الصولى نفسه، دوَّن فيها كل ما رآه وسمعه، وجال فى خاطره، ونظم من شعر، فقدم لنا صورة واضحة من حياته فى رحاب الراضى، كما سجل لنا كل خواطره وانفعالاته وما صادفه من أمور.

حقيقة أن الصولى كتب عن عصر القاهر وأحداثه، ولعله كتب عما سبقه من عهود الخلفاء.. ولكن لم يصلنا منها شىء، فظلت هذه الأخبار مجهولة.

وإذا كانت حياة الصولى فى عهد الراضى قد اتسمت بالهدوء والإستقرار المادى والنفسى، وانعكس كل ذلك على إنتاجه الشعرى، وما أخرجته قريحته من مدائح فى الراضى بالله. كما انعكس على إنتاجه الأدبى والعلمى فأثمر العديد من المؤلفات والأبحاث، فإن دوام الحال من المحال، فسرعان ما أفاق الصولى من هذه النشوة التى أسكرته، وصحا من غفلته، على دقات نواقيس الحاجة والفقر، وقد صار كهلا تعدى السبعين، فأحس بأن نجم حياته قد أفل، وهوت سماء أحلامه، ومات الأمل العذب، فبموت الراضى بالله، مات الاستقرار، وولت السعادة والطمأنينة، وحلت محلها الغربة والوحشة وذل الحاجة والفقر، والصراع من أجل البقاء. وزاد الألم مرارة وأظلمت الحياة فى عينيه حين رفض المتقى لله (٣٢٩-٣٣٣هـ) أن يجالس أحدا، أو يتخذ نديما، وانتهج نهجا خالف فيه كل من سبقوه، فقد كان متعبدا زاهدا، ففضل أن يخلو بنفسه إلى المصحف، وأبعد كل حاشية الراضى.

وحاول الصولى أن يتقرب من وزيره «ابن مقلة» فمدحه بقصائد عصماء لعله يفتح أبواب قصره وقلبه، ولكن دون جدوى. فانغلق باب الرزق تماما فى بغداد -

وسد فى وجهه كل أمل فى البقاء بعاصمة الخلفاء، خاصة بعد أن تعرض للضغط والاضطهاد، والجحود والنكران من الوزير، فلم يجد الصولى بدا من أن يستأذن الخليفة فى الخروج من بغداد، فأذن له.

انتقل الصولى إلى واسط حيث الأمير بجكم التركى واليا هناك، فوجد لدى بجكم كل ما فقده عند المتقى ووزيره، فكان بجكم يعرف علمه وثقافته وأدبه، ولعله لم ينكر أفضاله.. وعن ذلك يقول الصولى[٣] : «لما وصلت إلى واسط دخلتُ إلى بجكم، فأكرمنى وقربنى، وأمر أن يؤخذ لى منزل قربه، وأدخلنى فى جملة ندمائه وذوى أنسه، ووصلنى سرا وعلانية.. وكان ربما وجه إلى بالعشيات إذا خلا فأدخلنى أنا وقاضى واسط - المعروف بالعسكرى - فربما شاورنا فى شىء».

وعرف أهل واسط بقدوم الصولى العالم المحدث الفقيه، فتقدموا إلى واليهم يرجونه أن يستسمحه فى الجلوس إليهم فى المسجد الجامع يوم الجمعة، فتقدم إليه بذلك، فوافق الصولى وجعل لهم مجلسين فى مسجد على بابه فى كل أسبوع[٤].

وهكذا وجد الصولى الترحاب من بجكم، وهكذا ارتاحت نفسه بعد أن رأى شبح الفقر وذل الحاجة، وظل فى واسط، فى حمى بجكم وولايته حتى علم بوفاة المتقى لله سنة ٣٣٣هـ، فدفعه طموحه - الذى لا يُحد - أن يتقرب من الخليفة الجديد «المستكفى بالله» (٣٣٣-٣٣٤هـ). فنراه يزمع العودة إلى بغداد، وسرعان ما وجد من المستكفى مثلما وجد من المتقى من قبل، وتقول بعض المصادر القديمة:[٥] أن المستكفى بالله رغب عنه لاتصاله بالهاشميين وحضوره مجالسهم وندواتهم، فأبعده عن مجالسه لاعتقاده أنه يميل إليهم ويؤيد مطامعهم وآراءهم.

---

(٣) أخبار المتقى لله للصولى ص ١٩٤.

(٤) أخبار المتقى لله للصولى ص ١٩٤.

(٥) تاريخ بغداد ٤٢٩/٣، وتاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان ٥١/٣.

وتقول المصادر القديمة أيضا: أن العامة والخاصة طلبت دمه، لأنه ذكر خبرا فى حق أمير المؤمنين على بن أبى طالب[٦]، ولكنها لم تذكر ما هو الخبر وما هى طبيعته وكنهه..

ولعل الصولى أراد أن يتقرب إلى الخليفة فذكر ذلك الخبر، فخسر الطرفين جميعا، فانتقل إلى البصرة هاربا من أقواله وأيامه، تتدافعه أيدى الحرمان وقد كشفت له وجه النكران لينزوى فى البصرة مجهولا مستترا حتى حان أجله، فانتقل للقاء وجه ربه..

وهكذا انتهت حياته بعد أن أسدل عليه ستار الغربة والنسيان.

وفـــاته

وإذا كان المؤرخون والأدباء والمترجمون الذين تناولوا حياة الصولى وسيرته، وعلمه وروايته، ومؤلفاته ومصنفاته، قد أغفلوا ذكر السنة التى ولد فيها.. فإنهم أيضا لم يحددوا على وجه الدقة السنة التى جاور فيها ربه وإن يكن وجه الخلاف بينهم جميعا ليس كبيرا، فهو لم يتعد العام الواحد.

فمن المترجمين والمؤرخين من ذكر أن الصولى قد توفى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة[٧] للهجرة (سنة ٣٣٥هـ). ومنهم من قال أنه قد وافته المنية فى سنة ست وثلاثين وثلثمائة[٨] للهجرة (سنة ٣٣٦هـ).

---

(٦) الفهرست لابن النديم ص ١٥١، وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٨١/٣.

(٧) معجم الأدباء ١١١/١٩، الفلاكة والمفلوكون ص ١٠٣، شذرات الذهب ٣٣٩/٢، ارشاد الاريب ١٣٧/٧، وتاريخ أبى الفدا ٩٦/٢ هدية العارفين ٣٨/٢، لسان الميزان ٤٢٨/٥، تاريخ الأدب العربى لكارل بروكمان ١٣٧/٣.

(٨) المنتظم ٣٦١/٦، معجم الشعراء ص ٤٦٥، النجوم الزاهرة ٢٩٦/٣، البداية والنهاية فى التاريخ ٢١٩/١١.

وهناك جماعة من المؤرخين احترزوا من الوقوع فى الخطأ عند تحديد سنة بعينها، فقالوا: «توفى الصولى سنة خمس وقيل ست وثلاثين وثلثمائة للهجرة[٩]».

على أن المؤرخين قد أجمعوا على أن أبا بكر الصولى قد لبى نداء ربه وهو شيخ هرم، قد ناهز الثمانين من عمره - أو ما يقاربها - بالبصرة بعد أن خرج من بغداد وقد أعوزه القوت، وأنه مات فى أوائل عهد الخليفة المطيع لله أبى الفضل بن المقتدر بالله (٣٣٤ - ٣٦٣هـ).

---

(٩) وفيات الأعيان ٤٧٧/٣، الأنساب ص ٣٥٨، نزهة الألبا ص ٣٤٥، أنباه الرواة ٢٣٦/٣، تاريخ بغداد ٤٣٢/٣، مرآة الجنان ٣٢٥/٢.

الفصل الخامس

أساتذة الصولى

وأساتذة الصولى فى ذلك الحين أعلام الثقافة والأدب واللغة والنحو والفقه والحديث فى عصرهم، تتلمذ عليهم، وحضر مجالسهم وحلقاتهم، وسجل كل ما دار فيها من أمال وحوار ومناقشات، وشرح لمختلف العلوم. ونقل عنهم وروى لهم، وكان لهم الفضل الأكبر فى توسيع نطاق ثقافته وتنوع فنونه وعلومه.

فمن علماء الحديث الذين تتلمذ عليهم الصولى:

عبد الحمن بن خلف الضبى، المعروف بأبى رويق الضبى[١] المتوفى سنة ٢٧٩هـ. والذى اشتهر برواية الحديث فى بغداد.

ومحمد بن يونس البصرى المشهور بأبى العباس الكديمى[٢] المتوفى سنة ٢٨٦هـ. الذى رحل من البصرة إلى بغداد، واشتهر بأنه كان حافظا للحديث راويا له كما اشتهر برواية الغرائب.

ومعاذ بن المثنى العنبرى[٣] المتوفى سنة ٢٨٨هـ. الذى عاش فى بغداد، واشتهر برواية الحديث فترة طويلة.

وسليمان بن الأشعث المعروف بالسجستانى[٤] المتوفى سنة ٣١٦هـ. يقول عنه

(١) أنباه الرواه ٢٣٤/٣، تاريخ بغداد ٤٢٧/٣، الأنساب ص ٣٥٧.

(٢) لسان الميزان ٤٢٧/٥، أنباه الرواه ٢٣٤/٣، تاريخ بغداد ٤٢٧/٣، الأنساب ص ٣٥٧، المنتظم ٣٢٤/٦.

(٣) نفس المصادر السابقة.

(٤) مرآة الجنان ٣١٩/٢، لسان الميزان ٤٢٧/٥، تاريخ بغداد ٤٢٧/٣، الكامل فى التاريخ ٣٢٤/٦ ومصادر أخرى.

ابن النديم[٥] : «هو من جلة المحدثين وفقهائهم، وله من الكتب كتاب التفسير، وكتاب ابن أبى داود. وكتاب المصابيح فى الحديث، وكتاب المصاحف، وكتاب نظم القرآن، وكتاب فضائل القرآن. وكتاب شريعة التفسير، وكتاب شريعة المقارى، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب البعث والنشور». كل ذلك مما يدل على غزارة علمه وفقهه ومعرفته بعلوم الدين.

● ومن علماء اللغة والنحو:

أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد[٦] المتوفى سنة ٢٨٥هـ. وهو إمام البصرة فى العربية والنحو فى عصره، والذى يعد ممثلا لأرفع ما بلغته الثقافة العربية الخالصة فى القرن الثالث الهجرى، وله من المؤلفات «كتاب الكامل» و«كتاب الفاضل» وغيرهما.

وأبو العباس أحمد بن يحيى الشيبانى المشهور بثعلب[٧] المتوفى سنة ٢٩١هـ وهو إمام مدرسة الكوفة فى النحو واللغة، وهو عالم ثقة راوية للشعر القديم، علامة بالغريب، وضع كتبا عدة منها «الفصيح» و«مجالس ثعلب» و«قواعد الشعر».

وهما العالمان اللذان يفخر الصولى بعلمهما وأستاذيتهما له فيقول[٧]: «ومن جليل من رأيناه ولزمناه وأكثرنا عنه من بعد صيته، وشهد بالعلم له ووقع الإجماع عليه إثنان: أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدى، وأبو العباس أحمد بن يحيى الشيبانى رحمهما الله».

---

(٥) الفهرست لابن النديم ص ٣٢٤.

(٦) وفيات الأعيان ٤٧٧/٣، الكامل فى التاريخ ٣٢٤/٦، الأنساب ص ٣٥٧، والمنتظم ٣٥٩/٦، تاريخ بغداد ٤٢٧/٣، الفلاكة والمفلوكون ص ١٠٣، البداية والنهاية فى التاريخ ٢١٩/١١، مرآة الجنان ٣١٩/٢.

(٧) مرآة الجنان ٣١٩/٢، ولسان الميزان ٤٢٧/٥، تاريخ بغداد ٤٢٧/٣، الكامل فى التاريخ ٣٢٤/٦، البداية والنهاية فى التاريخ ٢١٩/١١، أنباه الرواة ٢٣٤/٣، الأنساب ص ٣٥٧، وفيات الأعيان ٤٧٧/٣، المنتظم ٣٥٩/٦، تاريخ أبى الفدا ٩٦/٢.

(٨) أخبار أبى تمام للصولى ص ٧.

كما أخذ الصولى عن أحمد بن عبد الرحمن النحوى[٩].

● ومن الأخباريين وأصحاب النوادر:

محمد بن زكريا الغلابى، المعروف بأبى عبد الله الغلابى[١٠] البصرى، الذى اشتهر بنقل الأخبار وروايتها.

ومحمد بن القاسم بن خلاد الضرير المعروف بأبى العيناء[١١] المتوفى سنة ٢٨٣هـ. صاحب النوادر والشعر والأدب، والذى اشتهر بأنه كان من أحفظ الناس وأفصحهم لسانا وأسرعهم جوابا وأحضرهم نادرة.

● ومن أساتذة الصولى أيضا الذين حدث عنهم وتتلمذ عليهم:

عون بن محمد الكندى[١٢] وإبراهيم بن فهد الساجى[١٣]، وعباس بن الفضل الأسفاطى[١٤] وخلق كثير[١٥].

وكان الصولى يكتب كل ما يسمعه من أساتذته ويدون ما يملونه من آراء، ويسجل ما يعن له من ملاحظات فى كتب خاصة، حتى تجمعت لديه مكتبة ضخمة كل كتبها من سماعه وتصنيفه وتدوينه.

والصولى لم يقف عند آراء أساتذته، وما ثقفه أو تعلمه منهم، بل أنه قرأ كتب الأقدمين، واطلع على تراث السالفين من الأمم المجاورة من اليونان والأتراك

---

(٩) أنباه الرواة ٢٣٤/٣، تاريخ بغداد ٤٢٧/٣، الأنساب ص ٣٥٧.

(١٠) أنباه الرواة ٢٣٤/٣، تاريخ بغداد ٤٢٧/٣، الأنساب ص ٣٥٧.

(١١) أنباه الرواة ٢٣٤/٣، تاريخ بغداد ٤٢٧/٣، لسان الميزان ٤٢٧/٥، البداية والنهاية فى التاريخ ٢١٩/١١، المنتظم ٣٥٩/٦.

(١٢) دائرة المعارف الإسلامية ٣٨٩/١٤، الأنساب ص ٣٥٧.

(١٣) أنباه الرواة ٢٣٤/٣، تاريخ بغداد ٤٢٧/٣، الأنساب ص ٣٥٧.

(١٤) أنباه الرواة ٢٣٤/٣، تاريخ بغداد ٤٢٧/٣، والأنساب ص ٣٥٧.

(١٥) المنتظم لابن الجوزى ٣٥٩/٦.

والفرس فثقفها وفهمها وأخذ عنها.. فنقل عن بعض ملوك اليونان[١٦]، كما نقل عن جالينوس[١٧] وأرسطاطاليس[١٨]، ونجد أثر ذلك كله فى كتابه «أدب الكتاب»، فقد ضمنه العديد من الأقوال والحكم والمأثورات.

---

(١٦) ج. هيورث دن - مقدمة كتاب الأوراق للصولى قسم أخبار الشعراء.

(١٧) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٤٧.

(١٨) أدب الكتاب للصولى ص ٥٠ وأماكن أخرى متفرقة.

الفصل السادس

تلاميذ الصولى

وإذا كان أبو بكر الصولى قد تتلمذ على أعلام الحديث والفقه والأدب واللغة فى عصره.. وتأثر بثقافتهم، واستشهد بآرائهم، وروى عنهم كل ما ذكروه وتناولوه بالتحليل والشرح.. فإن له أيضا تلاميذ شُهد لهم العلم والثقافة والأدب وكان لهم دور كبير فى نقل التراث العربى وروايته، كما كان لهم أجل الأثر فى التأليف والتصنيف والرواية من بعده.

من هؤلاء العلماء الذين تتلمذوا على الصولى وأخذوا منه، ونقلوا عنه:

على بن الحسين الأصفهانى المعروف بأبى الفرج الأصفهانى[1] المتوفى سنة ٣٥٦هـ، فقد روى عنه فى أغانيه ما يقرب من ثلاثمائة خبر.

ومحمد بن عبد الله بن شاذان المشهور بأبى بكر بن شاذان[2] المتوفى سنة ٣٧٦هـ، وهو الذى جمع كلام المتصوفة.

ومحمد بن عمران المشهور بأبى عبيد الله المرزبانى[3] المتوفى سنة ٣٨٤هـ، الذى كان يفخر بأستاذه ويقول «شيخنا رحمه الله[4]» فنجد فى كتبه - خاصة موشحه ومعجمه نُقُولا كثيرة يرويها عن الصولى.

---

(١) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان ٥١/٣، دائرة معارف القرن العشرين ٥٨٩/٥.

(٢) أنباه الرواة ٢٣٤/٣، الأنساب ص ٣٥٧، نزهة الألبا ص ٣٤٣.

(٣) وفيات الأعيان ٤٧٧/٣، الأنساب ص ٣٥٧، الفلاكة والمفلوكون ص١٠٣.

(٤) معجم الشعراء للمرزبانى ص ٤٦٥.

وعلى بن عمر الدارقطنى المعروف بأبى الحسن الدارقطنى[٥] المتوفى سنة ٣٨٥هـ، الذى انفرد بالإمامة فى علم الحديث مدة طويلة من الزمن.

ويحدثنا الصولى نفسه عن أناس تتلمذوا عليه، وكان لهم شأن فى الحياة الإسلامية والدولة العباسية من هؤلاء الأمير هارون بن المقتدر المتوفى سنة ٣٢٦هـ.

ومنهم الأمير محمد بن المقتدر بالله المتوفى سنة ٣٢٩هـ - يقول عنهما الصولى: «إنهما تتلمذا عليه وقرءآ عليه كتبا كثيرة..[٦]».

ومنهم أيضا سيف الدولة الحمدانى المتوفى سنة ٣٥٦هـ - أمير حلب - يقول الصولى: «أنه كان فى حداثته يلزمنى، وقد قرأ على علما كثيرا[٧]».

ومن تلاميذ الصولى أيضا - قاضى بغداد - عمر بن محمد المتوفى سنة ٣٢٨هـ والذى تولى القضاء لفترة طويلة ويقول عنه الصولى[٨]: «كان تلميذا لى، وكنت أنا كالمربى له.. قرأ على من كتب اللغة والأخبار وكتبى المصنفة ما يقارب عشرة آلاف ورقة...».

ولقد تتلمذ على الصولى رجال كثيرون ذكرتهم المصادر كما ذكرهم الصولى نفسه بين ثنايا مؤلفاته من هؤلاء: أبو أحمد الفرضى[٩] وأبو الحسن بن الجندى[١٠] وأبو أحمد ابن

---

(٥) وفيات الأعيان ٤٧٧/٣، الأنساب ص ٣٥٧، المنتظم ٣٦٠/٦، تاريخ أبى الفدا ٩٦/٢.

(٦) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٢٥.

(٧) أخبار المتقى لله للصولى ص ٢١٨.

(٨) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٤١.

(٩) الأنساب للسمعانى ص ٣٥٧، تاريخ بغداد ٤٢٧/٢.

(١٠) أنباه الرواة للقفطى ٢٣٤/٣.

الدهان[١١] وأبو عمر بن حيوية[١٢] وعبيدالله بن عثمان بن يحيى[١٣].

كما أخذ عنه أناس عديدون منهم الحسين بن الحسن الغضارى[١٤]، والحسين بن الحسن الجواليقى[١٥]، وعلى بن القاسم النجاد البصرى[١٦]، وعباس بن عمر الكلوذانى[١٧] وغيرهم.. وغيرهم من تناولتهم كتب الأدب والأخبار والتراجم.

(١١) أنباه الرواة للقفطى ص ٢٣٤/٣.
(١٢) الأنساب للسمعانى ص ٣٥٧، والمنتظم ٣٦٠/٦.
(١٣) تاريخ بغداد ٤٢٧/٣.
(١٤،١٥،١٦،١٧) تاريخ بغداد ٤٢٧/٣.

الفصل السابع

ثقافته ومنابعها

تتسم ثقافة الصولى بالشمول والتنوع، ذلك أنها ثقافة موسوعية شملت جميع علوم وفنون وآداب عصره. فهو لم يترك علما من العلوم، ولا فنا من الفنون، ولا فرعا من فروع الأدب، إلا ونهل منه حتى الثمالة.

والصولى بهذا كان يجارى تيار عصره الذى لا يؤمن بالتخصص فى منحى خاص من مناحى العلم أو الأدب، بل كان يحتم على المرء أن يجمع، من كل بستان زهرة خصوصا لمن كان يؤهل نفسه علميا وأدبيا لكى يدخل قصور الخلفاء كاتبا وأديبا ومعلما ونديما، ويؤهله طموحه لكى يشغل المناصب الكبرى فى الدولة.

انتهج الصولى نفس المنهج الذى كان شائعا فى عصره: «من أراد أن يكون عالما، فليطلب فنا واحدا، ومن أراد أن يكون أديبا، فليتسع فى العلوم[1]».

ففى عصر الصولى - أى خمسينيات القرن الثالث الهجرى حتى ثلاثينيات القرن الرابع، لم يكن لطابع التخصص شأن، بل إنهم كانوا يزدرون التخصص ويقبحونه، ويعيبون أن يكرس المرء جهوده لعلم واحد أو لفن واحد، لأنه فى هذه الحالة يتصف بالقصور والجمود، فلابد من تنوع المعارف «فما أقبح الرجل يتعاطى العلم خمسين سنة، لا يعرف إلا فنا واحدا، حتى إذا سئل عن غيره لم يُجْلِ فيه[2]».

(١) قول ابن قتيبة - العقد الفريد لابن عبد ربه ٤٢٣/٢، تاريخ بغداد ٤٠٧/١١، أنباه الرواة للقفطى ١٦٢/٢.

(٢) قول أحد الأمراء وقد دخل مجلسا فوجد مجموعة من العلماء، وكلما سأل أحدهم فى موضوع يتصل بعلم من العلوم اعتذر العالم المسئول عن الرد بحجة أن هذا الموضوع ليس تخصصه، فقال الأمير هذه العبارة. (راجع تاريخ بغداد ٤٠٧/١١، أنباه الرواه ١٦٢/٢)

عرف الصولى ذلك واقتنع به، فعمل على تنويع ثقافته وتلوينها، والإلمام بكل علم وفن ظهر وشاع فى عصره، حتى صارت ثقافته شاملة لكل ما زخرت به الثقافة العربية من علوم وفنون وآداب، وقد أهلته هذه الثقافة الواسعة لأن يضطلع بكل الأدوار التى قام بها فيما بعد فى الحياة الرسمية والأدبية.

ولقد اتضحت هذه الثقافة الشاملة المتنوعة، وبدت جلية فى تأليف وتصنيف كل هذا العدد الضخم من الكتب والرسائل على اختلاف علومها وفنونها، وتنوع أغراضها ومضمونها.

ذلك لأن ثقافته هذه لم تكن وقفا على الدراسة والإستيعاب والإطلاع والالمام فحسب. بل انعكست أيضا على بذل العلم ونشره وتقريبه إلى الأذهان، فهو يدرس ويستوعب، ويطلع ويلم.. ثم يخرج ما درسه من خلال ذهنيته محللا واضحا شاملا لكل دقائق وجزئيات الموضوع مضيفا آراءه فى كل ما درسه واستوعبه، مؤلفا فى نفس المجال أحيانا..

ففى دراسته **لعلوم القرآن** وإلمامه بفروعها، لم يقف عند هذا الحد، بل ألف كتابه «**الشامل فى علم القرآن**[٣]» وذلك مساهمة منه فى التعريف بهذه العلوم ونشرها ومجاراة للتيار السائد فى عصره وخدمة لطلاب العلوم الدينية.

بل إن الصولى – فى كتبه المختلفة – لم يترك موضوعا من الموضوعات التى تناولها فى العلم والأدب إلا وكان يستشهد على صحة رأيه أو توضيحه بآيات من الكتاب الكريم تمس الموضوع وتدعمه وتؤيده.

فحين طلب إليه أن يختار لقبا للأمير «محمد بن المقتدر» الذى تولى الخلافة سنة ٣٢٢هـ.. احتج الصولى على ذلك وقال إن هذه صفات وليست ألقابا، لأن الألقاب

---

(٣) الفهرست لابن النديم ص ١٥٠، هدية العارفين لاسماعيل البغدادى ٣٨/٢.

مكروهة، وقد نهى الله تعالى عنها فى القرآن الكريم، فقال عز وجل «ولا تنابزوا بالألقاب»[٤].

وليس هذا فحسب، بل أن كتابه «**أدب الكتاب**» وطريقته فى تحليل مواده يدل دلالة واضحة على تعمقه الواسع فى علوم القرآن ولغاته وألفاظه ومعانيه، فقد تضمن العديد من الشواهد القرآنية فى مختلف الموضوعات.

وفى دراسته **لعلم الحديث**، تتلمذ الصولى على كبار أئمة الحديث، وانتظم فى حلقاتهم بالمساجد ودور العلم.. نقل عنهم وروى لهم وفسر ما رووه. وتقول المصادر القديمة إنه ألف «**جزءا فى الحديث**[٥]» من مروياته. ويقول الصولى نفسه إنه وضع «**كتبا فى الحديث**»[٦] ليس جزءا فقط.

والصولى إلى جانب معرفته بعلم الحديث يعرف طبقات المحدثين، ويعرف مدى عدلهم وصدقهم فنراه فى كتابه «**أخبار الراضى بالله والمتقى لله**» يؤرخ للعديد منهم، ولمولدهم ووفاتهم، ويذكر نبذة تكفى للتعريف بهم.

فيقول عن **أبى عبد الله المهتدى**[٧] المتوفى سنة ٣٢٣هـ: «المحدث الفقيه المشهور الذى كان له حلقة يجتمع إليه الناس».

ويقول عن **إبراهيم بن عبد الصمد بن موسى** المتوفى[٨] سنة ٣٢٤هـ «المحدث وهو شيخ هاشمى قدم بغداد من سر من رأى.. ولد سنة ٢٢٤ وكان عنده علو إسناد، فتكلم الناس فى سماعه، والتهبت له سوق، ثم طفئت ورجع إلى سُرّ مَنْ رأى.

---

(٤) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٥.
(٥) كشف الظنون ص ٥٨٨.
(٦) أخبار أبى تمام للصولى ص ٦٢.
(٧) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٦٧.
(٨) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٧٦.

ويقول عن أبي بكر بن أبي الأزهر المتوفى [٩] سنة ٣٢٥هـ «كذبه أصحاب الحديث لادعائه السماع عن أبي كريب، وسفيان بن وكيع، واسحق بن الضيف ونظرائهم».

ويقول عن أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي[١٠] المتوفى سنة ٣٣٠هـ، أنه محدث لا مثيل له.. وما كان بقى على الأرض محدث أسند منه مع صدقه وثقته.

كما ذكر الصولى العديد من علماء الحديث الذين كان يختلط بهم فى مجالس الخلفاء وقصورهم من أمثال «أبي القاسم بن بنت منيع وعلى بن الجعد وابن عائشة وأبي نصر التمار» ويقول عنهم إنهم «أعلى من بقى فى زمانه إسنادا وأكثرهم ثقة[١١]».

أما عن مجالس الصولى . فقد ذكر إنه كان يجلس فى أخريات أيامه فى أحد مساجد واسط[١٢] أيام ولاية بجكم سنة ٣٢٩هـ ليروى الأحاديث ويفسرها، ولعله فعل ذلك فى بغداد أيضا بعد عودته إليها من واسط. فالخطيب البغدادى يذكر بعض الأحاديث[١٣] التى رواها الصولى بنفسه عن كبار أئمة الحديث الذين تتلمذ عليهم والتقى بهم.

والصولى لتعمقه فى علم الحديث وتفسيره وروايته، ولمعرفته برجاله وكل ما يتصل بهم وبأحوالهم وصف بأنه «الإمام المفتن[١٤]».

أما ثقافته الفقهية، فقد اكتسبها من أعلام الفقه والتشريع الذين طالما وفد

---

(٩) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٨٨.
(١٠) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٢٣٠.
(١١) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٢٥.
(١٢) أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ١٩٤.
(١٣) تاريخ بغداد - الخطيب البغدادى ٣/٤٣١.
(١٤) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٣/٢٩٦.

إليهم واستمع إلى آرائهم وتحليلهم لأحكام الشريعة، ثم أعمل عقله وفكره وبنى لنفسه آراء خاصة فى الفقه.

فهو لم يترك مجال الفقه والتشريع دون أن يدلى بدلوه فى مضماره، فألف «**كتاب العبادة**[١٥]» تناول فيه كل ما يتصل بالعبادة من أحكام. كما ألف «**كتاب**[١٦] **رمضان**» تناول فيه فضائل الشهر الكريم ثم أعقبه بكتاب آخر أكثر توضيحا، ألفه على هيئة أسئلة والإجابة عليها سماه، «**سؤال**[١٧] **وجواب رمضان**». تناول فيه أحكام الصيام وفوائده.

وليس هذا فحسب بل إن الصولى ضمن كتابه «أدب الكتاب» فصولا قيمة عن بعض الأمور الفقهية، تحدث فيها عن **الأموال والجزية والخراج والزكاة وأحكام الأرض**، وغير ذلك من المسائل الهامة التى تتصل بالفقه والشرع. لكل ذلك وصف الصولى «**بالفقيه**»[١٨].

وثقافة الصولى الفقهية لا تنتهى عند حد معرفته بعلوم الفقه ونبوغه فيها، بل إنه كان أيضا يعرف فقهاء عصره، ويعرف مذاهبهم وآراءهم فى كل ما يتصل بالدين وأحكام الشريعة، فنراه يؤرخ لبعضهم ويذكر نبذا عن حياتهم.

فيقول أن «**ابن المغلس** المتوفى سنة ٣٢٤هـ كان فقيها على مذهب داود[١٩]» ويقول أن **أبا سعيد الاصطخرى** المتوفى سنة ٣٢٨هـ كان رأسا فى حفظ مذهب الشافعى[٢٠] كما يذكر العديد من القضاة ويؤرخ لهم من أمثال **القاضى عمر بن**

---

(١٥) الفهرست ص ١٥١، وفيات الأعيان ٤٧٧/٣، هدية العارفين ٣٨/٢.

(١٦) الفهرست ص ١٥١، هدية العارفين ٣٨/٢.

(١٧) هدية العارفين ٣٨/٢.

(١٨) تاريخ بغداد - الخطيب البغدادى ٤٣١/٣.

(١٩) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٨٣.

(٢٠) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٤٠.

محمد قاضى القضاة، وأبى النصر يوسف بن عمر قاضى بغداد، وأحمد بن اسحاق الخرقى[٢١] قاضى مصر والشامات والحرمين وغيرهم.

واكتسب الصولى ثقافته اللغوية من اطلاعه على ينابيع الشعر العربى، فقد عاصر الصولى فحول الشعراء المحدثين من أمثال البحترى وابن الرومى، وابن المعتز، وسمع أشعارهم وحفظها ورواها.

ولم تقف ثقافته على عصره فقط. بل رجع بها إلى العصور السابقة حيث تعمق فى شعر الجاهليين ودرس لغاتهم ولهجاتهم. وعرف صورهم وتشبيهاتهم. وانعكس كل ذلك على نفسه وعلى كتاباته. فنجد للصولى معجما ضخما يجمع فيه العديد من ألفاظ اللغة التى يتناولها، مبينا اختلافها بين القبائل حسب لهجاتها. فكثيرا ما يتحدث عن لغة تميم ولغة قيس[٢٢].

ولقد ذكر القفطى[٢٣] أن الصولى فى شرحه لدواوين الشعراء تناول الغريب من لغاتها فحلله وفسره.

وخير دليل على ثقافة الصولى اللغوية ومعرفته لأسرار اللغة وألفاظها ما حدث فى إحدى الندوات الأدبية واللغوية من نقاش بين الخليفة الراضى بالله وبين الصولى حول كلمة وردت فى قصيدة[٢٤] فقال الراضى عنها: إن الطبرى يقول هذا فى تاريخه.. فقال الصولى: الطبرى ليس فى الغريب مثله فى غيره، واستشهد على صحة كلامه بالأصمعى وأبى عبيدة وابن الأعرابى وأبى عمر الشيبانى.. ثم لم يرض الراضى حتى سأل القاضى عن هذا فقال: رواه الطبرى على خطأ، والصولى كثير السماع، فمن هذا لا يحكى إلا صوابا.

---

(٢١) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٢١٢.

(٢٢) أدب الكتاب للصولى ص ١٧٨ (التاريخ) وص ١٤٣ (العنوان).

(٢٣) أنباه الرواة - للقفطى ٣/٢٣٣.

(٢٤) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٣٩ - ٤١.

أما ثقافته النحوية والصرفية.. فقد اكتسبها من اتصاله بأساتذة كبار فى النحو والصرف من أمثال ثعلب والمبرد وغيرهما، وتدوينه لآراء النحويين ومناقشاتهم.

ولقد درس الصولى كل ما دار فى العصر حول قواعد النحو وأصوله وموضوعاته وعرف رأى العلماء فى مشكلاته، واختلافهم فى الآراء واتفاقهم، وكونه نشأ وعاش فى موطن النحو واللغة وتنقل بين مدن العراق المختلفة، فإنه قد ألم بكل ما تختلف فيه المدرسة البصرية عن الكوفية، وهو لم يكن سلبيا يأخذ الأمور على علاتها، بل كان له رأيه الخاص الذى يؤيد هذه المدرسة أو تلك، فهو من أتباع المدرسة البغدادية التى كانت وسطا بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة.

وهو لإلمامه بعلم النحو ومدارسه، قام بإعراب بعض دواوين الشعراء، وذكر بعض ما اختلف فيه مدارس النحو المختلفة، حتى لقد وضعه القفطى ضمن أنباه نحاته[٢٥].

ولم يكن النحو فقط هو الذى جال فيه الصولى، بل أنه أولى علم الصرف كثيرا من عنايته، فنراه يضمن كتابه «أدب الكتاب» العديد من التحليلات اللغوية مبينا اشتقاقاتها وأوزانها، بل أنه ضمنه بعض الفصول الصرفية لمساعدة كتابه وطلاب المعرفة على الوصول إلى كنوز اللغة العربية ومعرفة ألفاظها.

وليس هذا فحسب، بل أن للصولى استقلالا فكريا فى تفسير الظواهر اللغوية مستهديا فى ذلك بروح اللغة العربية الأصيلة. وقد دعاه تعمقه فى علوم اللغة المختلفة إلى أن يؤلف كتابا فى «**ما اتفق لفظه واختلف معناه**[٢٦]» وأن يشرح بعض دواوين الشعراء المحدثين، وأيضا «**ديوان الحماسة**[٢٧]» الذى ألفه أبو تمام.

---

(٢٥) أنباه الرواة - للقفطى ٢٣٣/٣.

(٢٦) هدية العارفين ٣٨/٢.

(٢٧) كشف الظنون ٦٩٢، هدية العارفين ٣٨/٢.

ولقد كان الصولى شاعرا مجيدا، قدم لنا قصائد رائعة ومقطعات كثيرة معظمها فى المديح والغزل اعترف بشاعريته ومقدرته الفنية أدباء عصره[٢٨].

كما كان عالما بالشعر، ذواقة له، عارفا غثة وسمينه، فاهما لأغراضه ومراميه، وما غمض من معانيه، عارفا بقائليه وطبقاتهم ومذاهبهم وأخيلتهم وصورهم. وقد دفعه هذا الاهتمام بالشعر إلى جمع دواوين عدد كبير من الشعراء المحدثين.

وتحدثنا المصادر الأدبية القديمة، عن مدى ثقافته وعلمة وحفظه ومعرفته بالشعر قديمه وحديثه، كما تبين لنا سعة إطلاعه وسرعة بديهته، بل أن الصولى نفسه يحدثنا عرضا عن ثقافته فى مجال الشعر وروايته وأغراضه فيقول[٢٩]:

«أنشدنا المبرد يوما أبياتا، ولم يسم شاعرها، وقال لا أعرف فى وصف أصحاب المعارف أحسن منها ومن أبياتها:

......

لبنى نُهَيْك طاعةٌ لَوْ أنَّها ... رُجِمَتْ بركز مَتَالعٍ لم تَكْلَمِ
قومٌ إذَا غَمَزُوا قَنَاةَ عَدُوِّهم ... حطموا جوانبها بيأس محطِّمِ

....

فكتبوها، ولم أكتبها فقال لى: لِمَ لا تكتبها؟ فقلت: أنا أحفظ القصيدة فقال لى: لمن هى؟ فقلت: لأشجع السلمى، فقال: فيمن؟ فقلت: فى إبراهيم وعثمان ابنى نُهَيك.. قال فأنشدينها. فأشدته:

لمن المنازل مثل ظهر الأرقم ... قَدُمَتْ وعهد أنيسها لم يقدمِ

فضحك وقال: «حسبُك أنت مفروغٌ منك».

فهذه شهادة، وأى شهادة، شهادة من المبرد إمام البصرة فى العربية والنحو..

---

(٢٨) معجم الشعراء المرزبانى ص ٤٦٥

(٢٩) الأوراق – قسم اخبار الشعراء للصولى ص ٨٤

وأيضا فلقد سأل عبد الله بن المعتز أبا بكر الصولى فقال[٣٠]: من أين أخذ أشجع:

وليس بأوسعهم فى الغنى ولكن معروفه أوسع

فقال: من قول موسى شهوات لعبد الله بن جعفر بن أبى طالب عليه السلام:

ولم يك أوسع الفتيان مالاً ولكن كان أرحبهم ذراعا

فقال عبد الله: أصبت، هكذا هو..

وهناك مئات من الطرائف والأخبار التى تشهد بمدى حفظ الصولى وثقافته فى الشعر، امتلأت بها كتبه وكتب غيره من الأدباء والمؤرخين له.

ومعرفة الشعر وتذوقه تقتضى الحكم عليه وتقييمه ونقده. ومن هنا وجدت للصولى آراء وأحكام نقدية رفيعة. ولاشك أن الصولى اكتسب أصولها من دراسته لقوانين النقد الموضوعة وأحكام النقاد القدامى والمعاصرين.

ففى تقويم الشعر ونقده جال الصولى فى مجالات عصره متبعا نفس الأصول والقواعد التى اتبعها النقاد فيه - غير أن ثقافته الخاصة وذوقه المتحضر وحسه المرهف أبت إلا أن يكون له آراء خاصة فى الشعر وأحكام على الشعراء. نرى أثرها فى تعليقاته وتحليله لعناصر الجمال والذوق فى الشعر، وفى الحكم على الشعراء من حيث التوفيق فى معانيهم وألفاظهم. نجد من هذه الآراء والأحكام نماذج رائعة فى كتابيه «أخبار أبى تمام وأخبار البحترى».

حقيقة لم يضع الصولى كتابا فى النقد يبرز آراءه النقدية، ولكن من تحليله لشعر الشعراء ومعانيهم، ومقارناته بين أغراض الشعر القديم والحديث، وحديثه عن

---

(٣٠) الأوراق - قسم أخبار الشعراء للصولى ص ٨٣

السرقات، وتوثيقه للشعر وإرجاعه إلى أصحابه الحقيقيين، والحكم بين الشاعرين المتخاصمين المتنافسين، وإثبات أحقية أحدهما فى المعنى. وتأليف المختارات. من كل ذلك وغيره نستطيع أن نلمس الصولى الناقد الذواقة ،ونحس مدى ثقافته النقدية العريضة فيبرز لنا الصولى كأحد أئمة النقد الأدبى فى عصره.

ولقد عرف فيه ذلك معاصروه وتلاميذه، وعرفوا مقدرته الفنية وصدق أحكامه ودقتها فأخذوا منه ونقلوا عنه، من هؤلاء تلميذه **المرزبانى** فقد أكثر من الرواية عنه، واستشهد بآرائه فى نقد الشعر، حتى أنه قلما يوجد شاعر فى موشحه – تناوله المرزبانى بالنقد والتحليل – إلا وقد استعان بآراء الصولى فيه.

وأيضا ضمن **الأصفهانى** أغانيه العديد من آراء الصولى فى الشعر والشعراء، ونقل عنه أخبارهم ومكانتهم ومرتبتهم.

بل أن كثرة المختارات الشعرية التى قام الصولى بعملها لبعض الشعراء المحدثين وتجميعها وإخضاعها لعناصر الجودة هى من صميم النقد الأدبى. ذلك أن كان يحكم ذوقه وعلمه فى إنتقاء الأشعار وتمييزها وترجيح الأجمل والأجود.

وفى **مجال التأريخ**، اطلع الصولى على تاريخ العرب القديم، وعرف قبائلهم وبطونها وأفخاذها، ومواطنها. ودرس أيامهم وطبائعهم وعاداتهم، كما فهم تاريخ الشعوب والحضارات المحيطة بهم وعرف مبعث الرسول وارهاصاته. ثم مغازيه وأخباره مع أصحابه. كما اطلع على التاريخ الإسلامى وفتوحاته، وأيام الخلفاء ومآثرهم وأحوال الدولة فى عهودهم.

وفى كتابه «**أدب الكتاب**» نجد ما يدل على ثقافته الواسعة فى مجال التاريخ.

ولقد حبب إليه هذا الاطلاع أن يشارك فى هذا المضمار مشاركة فعالة، فألف فى

التاريخ مجموعة من الكتب أهمها وأعظمها أثرا «كتاب الأوراق[٣١]» جمع فيه أخبار بنى العباس من الخلفاء والأمراء وأحداث دولتهم.. ولقد وصلنا من هذا الكتاب الجزء الذى يؤرخ للدولة العباسية من سنة ٣٢٢هـ إلى سنة ٣٣٣هـ. وأيضا أخبار أولاد الخلفاء وأشعارهم.

كما ألف أيضا **«كتاب الوزراء»[٣٢] «وكتاب أخبار القرامطة»[٣٣] «وكتاب وقعة الجمل»[٣٤]**.

ولقد برزت ثقافة الصولى الرائعة فيما قام به من جمع لأخبار العديد من الأدباء والشعراء والكتاب وغيرهم، والترجمة لهم ولأحوالهم وتسجيل إنتاجهم الفنى، وكل ما كان يدور فى مجالسهم، حتى لقد كان جمع الأخبار وروايتها أحد التخصصات البارزة فى ثقافة الصولى.

وثقف الصولى - بالإضافة إلى كل ما ثقف -الموسيقى والغناء ومعرفة الألحان وإيقاعاتها. وقد استمد معرفته لهذه الفنون من حضوره حفلات الغناء والسمر التى كانت تقام فى قصور الخلفاء ومن اتصالاته بالمغنين والملحنين[٣٥] ومعرفة ألحانهم، ومدى إجادتهم لفنهم، وطريقتهم فى التلحين والغناء

وقد اشتهر الصولى بأنه كان يعرف الغناء ويجيده، يعرف أضربه وفنونه ومقاماته. يعرف مراتب المغنين والمغنيات.

---

(٣١) الفهرست لابن النديم ص ١٥١، معجم الأدباء لياقوت ١٠٩/١٩، وفيات الأعيان ٤٧٩/٣، كشف الظنون ٢٠١، هدية العارفين ٣٨/٢، الكامل فى التاريخ ٣٢٤/٦.

(٣٢) الفهرست ووفيات الأعيان ٤٧٩/٣، كشف الظنون ١٤٦٩، هدية العارفين ٣٨/٢ الكامل فى التاريخ ٣٢٤/٦

(٣٣) وفيات الأعيان ٤٧٩/٣، كشف الظنون ٢٧، الكامل فى التاريخ ٣٢٤/٦، هدية العارفين ٣٨/٢.

(٣٤) الأعلام لخير الدين الزركلى ٤/٨، وذكره الدكتور يوسف العشى فى كتابه الخطيب البغدادى ص ١٠٩.

(٣٥) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٤٦.

وليس أدل على ثقافة الصولى فى الموسيقى والغناء من تأليفه كتابا عن «اسحق الموصلى[٣٦]» أكبر المغنين فى العصر جمع فيه أخباره ومؤلفاته.

وبالإضافة إلى كل ذلك، جال الصولى بين العلوم الرياضية التى تعتمد على الذكاء الفطرى والذهن المتقد.. فدرس علم الشطرنج دراسة نظرية وعملية، وفهم خططه ورسم قواعده.. وتجلت عبقريته فى هذا الفن فى تأليفه «كتاب الشطرنج»[٣٧].

كما ذكر ابن تغرى بردى أن الصولى نبغ فى «علم الهندسة»[٣٨] وإن هذا العلم انتهى إليه وأنه شارك فى وضع دعائمه وأصوله.

ولم تنته ثقافة الصولى عند هذه العلوم، بل أنه اطلع أيضا على ما ألف فى علم الكواكب والنجوم، وما كتب عن الكسوفات والخسوفات، وما أتت به الروايات والتنبؤات. وكان يربط دائما بين ما أطلع عليه ودرسه، وبين الأحداث المحيطة به:

فحين قتل المتقى لله سنة ٣٣٣هـ نراه يربط بين مقتله، وما جاءت به الرواية من ناحية، وما حدث من كسوفات فى الكواكب من ناحية أخرى. يقول[٣٩].

«وما أعجب ما اتفق له من صحة الأخبار فيه. جاءت الرواية: أن عمر الحادى والعشرين من الخلفاء أقل من ثلثى عمر الذى كان قبله وأكثر من نصفه. فكان كذلك.

وذكر بليناس فى كتابه الذى ذكر فيه الكسوفات - وهو كتاب قديم قد ألف فى قديم الدهر «أمر ملك بابل» فقال. وأنا أحكى لفظه من كتابه، ومن طلب هذا

(٣٦) وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٧٧/٣.

(٣٧) الفهرست لابن النديم ص ١٥١، كشف الظنون ص ١٤٣٠، هدية العارفين ٣٨/٢.

(٣٨) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٢٩٦/٣.

(٣٩) أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ٢٨٣.

الكتاب وجد ما ذكرته فيه على ما شرحته إن شاء الله: قال بليناس: «انظر إلى سر غامض فى الكسوفات: إذا كانت الشمس فى الميزان، ووقع كسوف القمر وهو فى الحمل، وزحل فى السرطان، والمريخ فى الجدى.. هلك ملك بابل».

فاتفق هذا الكسوف على هذه الصفة بعينها، فكان بين الكسوف وبين هلاك المتقى لله أسبوع».

كما ألم الصولى ببعض ما يسمى اليوم حسب التعريف الحديث «**بعلم النفس**» وكان إلمامه بهذا العلم ناتجا عن إطلاعه على كتب جالينوس الطبية، وتطبيق ما جاء فى هذه الكتب - بمايتصل بهذا العلم - على المحيطين به من الخلفاء والوزراء والأمراء، ومعرفة أحوالهم النفسية والمرضية.

من ذلك أن الصولى كان يعلل اضطراب رأى الراضى وكثرة ضجره وسوء حالته النفسية وفساد مزاجه.. بكثرة علله وأمراضه.. ثم نراه يَعِد بأن يفرد بابا يوضح فيه كيف أن «**مزاج الروح تابع لمزاج البدن**»[٤٠] حسب ما جاء فى قول جالينوس.

وإذا انتقلنا إلى ثقافة الصولى الديوانية - تلك الثقافة التى تتصل إتصالا مباشرا بعمله فى قصور الخلفاء، وكتابته لهم وقراءته عليهم - وجدنا أنها الثقافة الرفيعة التى جعلته فى الذروة، وأكسبته شهرة واسعة بلغت الآفاق. وقد تمثلت هذه الثقافة ووضحت فى كتابه «**أدب الكتاب**»[٤١] ذلك الكتاب الذى ألفه الصولى ليكون نبراسا وهاديا لمن يريدون أن يسلكوا طريق الكتابة ويتعيشوا من لعاب أقلامهم فى دواوين الحكومة وقصور الخلفاء والوزراء والأمراء والولاة.

---

(٤٠) أخبار الراضى بالله للصولى ص١٤٧.

(٤١) الفهرست ص ١٥١، وفيات الأعيان ٤٧٧/٣، الكامل فى التاريخ ٣٢٤/٦، كشف الظنون ٤٨، هدية العارفين ٣٩/٢.

جمع الصولى فى كتابه هذا خلاصة فكره وتجاربه وثقافته، تلك الثقافة التى اكتسبها طيلة نصف قرن أو أكثر، عاشها فى رحاب الخلفاء وانخراطه فى سلكهم وعمله فى دواوينهم، وكتابته الرسائل لهم وإليهم. فجاء هذا الكتاب خير دليل على ثقافته الديوانية الواسعة التى قدمته على كتاب عصره.. حتى لقد ارتبط اسم الصولى بكتابه «أدب الكتّاب» كما ارتبط «أدب الكتّاب» بالصولى الكاتب.

ولقد كان لتأليف الصولى هذا الكتاب أكبر الأثر فى نفوس معاصريه، خصوصا الوزراء والأدباء وغيرهم، فكُلٌّ أثنى عليه حتى لقد كان وزير الراضى «الفضل بن جعفر بن الفرات» يعرضه على كل من يدخل عليه، ويعرف أنه يفهم فى الأدب ويقول[٤٢] «لقد سرنى أنه بقى فى الزمان من يحسن أن يؤلف مثل هذا».

ولم يجعل الصولى هذه الثقافة الديوانية حكرا.. بل نشرها حتى تكون مساهمته فى مجالات المعرفة وفنونها شاملة واسعة، خصوصا لمن يؤهلون أنفسهم للعمل الرسمى.

ولاشك أن الذى ساعد على تغذية ثقافة الصولى وتدعيمها واستمرار جريانها ونضوجها وتمشيها مع تطورات العصر وظروفه هى مكتبته الضخمة الفخمة، التى زخرت بمواد عديدة من الثقافات والعلوم والآداب والفنون ودواوين الشعراء.

فكانت مكتبته هذه حصيلة علمه وخبرته وأحد الروافد الهامة لثقافته، لأنه كان يسجل ويدون كل ما سمعته أذنه ورأته عينه، يرجع إليها فيجد فيها ردا على كل ما يعن، له وتسجيلا لكل ما شاء حفظه... كما كانت هذه المكتبة مقصد كل طلاب العلم والأدب والثقافة فى عصره.

وكان الصولى يهتم بهذه المكتبة إهتماما كبيرا، ويجلد كتبها بأفخر الجلود، ويميز

---

(٤٢) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٩٠.

بين موادها بألوان جلودها.. وبذلك نجد أن الصولى وضع أصلا من أصول فن المكتبات الذى انتشر حديثا حيث جُعلت الألوان وسيلة لتمييز كتب الأدب عن كتب التاريخ عن كتب الفن عن كتب السياسة وغير ذلك.

يقول أبو بكر بن شاذان[٤٣]: «رأيت للصولى بيتا عظيما مملوءا بالكتب وهى مصفوفة وجلودها مختلفة الألوان، كل صنف من الكتب لون، فصنف أحمر، وصنف أخضر، وصنف أصفر وغير ذلك».

ولقد كانت مكتبة الصولى هذه مبعث فخرٍ له.. لما تحتويه من مواد متنوعة وثقافات متعددة وكتب فى مختلف الفنون والعلوم.. بل إنها صارت حديث المحبين له والساخرين منه على السواء، مما دعا أحدهم أن يقول[٤٤]:

إنما الصولى شَيْخٌ أعلم الناس خزانه
إن تسل عن مشكلات طالبا منه إبانه
قال ياغلمان هاتوا رزمة العلم فلانه

هذه هى ثقافة الصولى – وهى كما نرى ثقافة موسوعية متنوعة، مكنته من أن يكون من أوسع أهل عصره معرفة وأغزرهم علما.

وقد ساعده على ذلك أن الله سبحانه وتعالى منحه ذاكرة لاقطة، وحافظة أمينة وقدرة على الإستيعاب والتعبير، يشهد بذلك القدماء والمحدثون على السواء، من أجل ذلك جاءت آثاره وتصانيفه مرآة تعكس ثقافته التى كانت فى معظمها سماعية.

ونستطيع أن نلخص منابع ثقافة الصولى فى أنها: إنما تتركز أساسا فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وشعر القدماء والمحدثين، وتاريخ الأقدمين ومعرفة آراء اللغويين والنقاد والأدباء فى المشاكل التى كانت تطرح للبحث.

---

(٤٣) أنباه الرواة القفطى ٢٣٥/٣، تاريخ بغداد ٤٣١/٣.

(٤٤) نفس المصدر السابق.

أما العوامل التى آثرت فى ثقافته فهى:

أولا: البيئة التى نشأ فيها سواء أكانت بيئة أدبية أو اجتماعية أو سياسية.

ثانيا: الثقافة المعاصرة، فمن الثابت الآن أنه تأثر بكل الثقافات المعاصرة والقديمة.

ثالثا: طبيعة الحكم فى الدولة. وكان ذلك سببا جوهريا فى اعتكافه على الدرس والتحليل ليبتعد عن جو المكائد والدسائس والمؤامرات.

الفصل الثامن

روايته ومصادرها

حفظ الشعر العربى معارف العرب وأقوالهم، وأيامهم وفضائلهم فمن سعى لمعرفة شىء من ذلك، تحتم عليه أن ينظر أولا فى أشعارهم.

عرف علماء وأدباء عصر الصولى هذه الحقيقة، فنرى **الجاحظ** (ت سنة ٢٥٥هـ) يقول[١]: «فكل أمة تعتمد على إستبقاء مآثرها، وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب، وشكل من الأشكال، وكانت العرب فى جاهليتها تحتال فى تخليدها بأن تعتمد فى ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى، وكان ذلك هو ديوانها». ويقول ابن قتيبة (ت سنة ٢٧٦هـ) عن الشعر[٢]:

«الشعر معدن علم العرب، وسفر حكمتها، وديوان أخبارها، ومستودع أيامها والسور المضروب حول مآثرها، والخندق المحجوز على مفاخرها، والشاهد العدل يوم النفار، والحجة القاطعة عند الخصام».

ومن هنا كانت أهمية الشعر، وكان الاهتمام بحفظه وروايته.. وهى أهمية ترشدنا إلى حقيقة واضحة: أن من يهتم برواية شعر العرب يجب عليه أن يعرف أخبارهم، وأن من يسعى وراء معرفة أخبار العرب يجب عليه أن ينظر فى أشعارهم.

وهكذا ارتبط البحث عن الشعر العربى والسعى وراء الأخبار برباط واحد لا انفصام فيه، فهما هدفان الطريق إليهما واحد، فإذا ما سار فيه عالم واع أدرك الهدفين معا.

---

(١) الحيوان ٧١/١.

(٢) عيون الأخبار ١٨٥/٢.

وعى الصولى هذه الحقيقة وعرفها وأدرك مغزاها، اعترف بذلك المؤرخون له جميعا فقالوا[٣]: «كان عالما بفنون الآداب والأخبار، جيد الحفظ واسع الرواية».

ولقد كان لاجتماع هذين الأمرين - حفظه للشعر وأغراضه ومراميه، ومعرفته بأخبار رواته وقائليه، أثر كبير وواضح فى ثقافته وعلمه، وتذوقه للشعر، دفعاه إلى العناية بهما وروايتهما، فوجد أمامه تراثا ضخما وأخبارا لا حصر لها. فكان أن ألّف العديد من أخبار الشعراء، وروى عنهم وعن غيرهم وجمع دواوين الفحول منهم.

اجتمعت عوامل متعددة فى بيئة الصولى لكى تجعل من الرجل راوية للشعر والأخبار:

أولا: تناقل الروايات والأخبار وكثرة الرواة فى عصره.

ثانيا: تطور الأحداث السياسية والحروب والفتن والثورات.. وكلها مادة خصبة فى مجال الرواية.

ثالثا: تداول الشعر وكثرته على مر العصور وتناقله جيلا عن جيل.

رابعا: شغف بالرواية والمعرفة.

فإذا عرفنا أن كل ما فى بيئته كان يدعو إلى البحث والنظر والشغف بالأخبار ورواية الأشعار. وأن مدينته - بغداد - كانت قبلة العلماء والأدباء والرواة والإخباريين. وأن التيارات التى حوله كانت تجذبه جذبا إلى الاطلاع والمعرفة. أيقنا أن كل هذه العوامل دفعت الصولى إلى تقصى الأخبار والأشعار ومعرفة أصلها ومصادرها وحفظها وروايتها.

---

(٣) ابن الأثير - الكامل فى التاريخ ٣٢٤/٦، ابن كثير - البداية والنهاية ٢١٩/١١، ابن حجر العسقلانى - لسان الميزان ٤٢٧/٥.

فبرز الصولى - فى عصره - راوية إخباريا، شهد بذلك كل المؤرخين وأجمع عليه كل مترجميه.

عنى الصولى برواية الشعر منذ عصوره الأولى.. حتى عصره، فقد روى الكثير من أبياته ومقطعاته، وشرح معانيها ومضامينها، وأهتم أساسا بالأبيات التى أثير حولها الخلاف سواء من حيث المعانى أو التشبيهات، أو فصاحة الألفاظ ودلالاتها، فنجد فى المصادر الأدبية القديمة - وفى كتبه - كثيرا من رواياته ونظراته الثاقبة فى الشعر ومعانيه والشعراء وطبقاتهم.

وقائمة الشعراء الذين روى لهم الصولى يتجلى فيها عدة حقائق:

١ - أن القسط الأكبر من عناية الرجل كان موجها إلى الشعراء المحدثين، خاصة شعراء عصره الذين عاش معهم وتردد على حلقاتهم، وعاصرهم وعرف أخبارهم. مثل البحترى وابن الرومى وابن المعتز. ومن سبقهم مثل بشار وأبى نواس. ومسلم بن الوليد وابراهيم بن العباس ودعبل الخزاعى، والعباس بن الأحنف، وأبى تمام وابن أبى عيينة وغيرهم.

٢ - لم يهتم الصولى كثيرا بشعراء بنى أمية، فلم يبرز منهم عنده سوى الفرزدق، أما جرير والأخطل، فلم يرو لهما سوى أبيات قليلة فى مناسبات مختلفة.

٣ - إنصب إهتمامه بالشعر الجاهلى على الفحول مثل امرىء القيس وطرفة وزهير وعنترة والنابغة وغيرهم، فقد روى لهم أبياتا فى مناسبات معينة، ووازن بين معنى ومعنى، وتشبيه وتشبيه، ولفظ ولفظ.

ولم تقتصر رواية الصولى على شعر المشهورين بل أيضا روى لشعراء مغمورين مثل حمدان بن أبان، وأحمد بن عمرو، وأبى سلمة، وأحمد بن يوسف وأبنائه.

ويمكن القول أن الصولى لم يترك شاعرا من الشعراء السابقين أو المعاصرين

إلا وروى له. وإذا كان الصولى قد اهتم كثيرا بالشعراء المحدثين، فإن ذلك كان إهتماما بالتجديد من ناحية، وإهتماما بالجودة الفنية، وما استحدثه هؤلاء الشعراء فى فن الشعر ومعانيه وتشبيهاته وألفاظه، هذا إلى جانب سهولة توثيق شعرهم، والوصول إلى مصادره الحقيقية، للتأكد من صدق الرواية وصحة نسبته إليهم وسهولة الإتصال برواة عاصروهم وسمعوا منهم.

والأشعار التى رواها الصولى للشعراء يتضح فيها: أن أكثرها أبيات مفردة، بيت أو بيتان أو ثلاثة.

وهذه ظاهرة غلبت كثيرا على معظم مؤلفات الأدب، فكانوا يستشهدون بالبيت أو البيتين على معنى معين أو ظاهرة لغوية أو نحوية أو تشبيه بليغ أو غير ذلك.. من مثل رواية الصولى عن يحيى بن البحترى أنه قال: رأيت أبى يذاكر جماعة من شعراء الشام بمعان من الشعر فمرّ فيها قلة نوم العاشق، وما قيل فى ذلك فأنشدوا إنشادات فيها،فقال لهم أبى: فرغ من هذا كاتب العراق إبراهيم بن العباس فقال(٤):

أَحْسبُ النومَ حكاكاَ إذْ رَأى منْكَ جَفَاكاَ
مِنِّيَ الصبرُ ومنكَ الـ هجرُ فأبلُغْ بِى مَدَاكاَ
كَذَبَتْ هَمَّةُ عَينٍ طَمِعَتْ فى أَنْ تَراكاَ

ورواية الصولى للأشعار لا تقتصر على البيت أو البيتين أو الثلاثة.. بل قد تطول أحيانا لتصبح مقطوعات، وقد تصل إلى قصائد، وخاصة حينما يتكلم عن شاعر ويروى أخباره، وقد يروى الصولى القصيدة كلها إذا كانت جيدة، أو لم يعرفها الناس من قبل.

---

(٤) معجم الأدباء ١٩١/١، إلى المرتضى ٤٨٣/١.

وليس هذا فحسب، بل لقد جمع الصولى وروى دواوين العديد من الشعراء المحدثين[٥].

وهناك أسباب متعددة حدت بالصولى إلى العناية بالأبيات القليلة التى رواها للشعراء على اختلاف عصورهم وطبقاتهم ومذاهبهم منها:

١ - الإستشهاد بها فى ميادين النقد، لإظهار معنى إستحدثه الشاعر، أو معنى أخذه الشاعر من غيره، أو لإبراز تفوق شاعر على شاعر فى الوصف أو التشبيه، أو تحليل معنى معين أو ظاهرة لغوية.

٢ - اتصال هذه الأشعار ببعض الأحداث أو الموضوعات أو الأخبار التى يعنى بها ويتحدث عنها، فكانت روايته لهذه الأبيات مؤيدة لها ومتممة لوقائعها، وموضحة لأحداثها.

٣ - إعجابه الخاص ببعض المعانى التى وردت فى أبيات شاعر منهم، فكان يحفظها ويرويها فى المجالس والمناسبات، ويستشهد بها لإظهار هنات الشعراء أو سرقاتهم لمعانى غيرهم.

٤ - إعجابه ببعض الشعراء الظرفاء المقلين.. فكان يروى الشعر للتعريف بشاعر جديد مغمور فكأنه برواية أشعاره يعطيه الفرصة للظهور على مسرح الحياة.

٥ - استشهاده بهذه الأشعار فى الدفاع عن فكرة أو رأى، أو توضيح مقصد شاعر لم يفهمه النقاد.

٦ - الموازنة بين أبيات لشاعرين حول معنى واحد، تناولاه ليبين أيهما أجاد لفظا ومعنى وأيهما اختل.

---

(٥) راجع مؤلفاته (دواوين الشعراء).

منهج الصولى فى الرواية

ويستطيع الباحث أن يحدد منهج الصولى فى الرواية فى العناصر الآتية:

١ - أن روايته لابد أن تتصل بأسانيد أناس معروفين، مشهود لهم بالصدق والأمانة الأدبية، أما من وجدهم غير ذلك، فإنه يرفض روايتهم حتى ولو كانت صحيحة فكان يحرص على ذكر سلسلة إسناده كاملة، لأنه يعلم تماما أن درجة الثقة فى روايته إنما تتوقف - إلى جانب صحتها - على معرفة أسماء رواته. إلا أنه كان أحيانا يهمل السند بقصد التخفيف والتسهيل على القارئين. غير أن ذلك لم يحدث إلا فى كتابه التعليمى «أدب الكتاب» الذى توخى فيه توصيل مادته الأدبية إلى أذهان قارئيه بغير عناء أو تطويل.

٢ - أنه لا يأخذ عن الصحفى - الذى يأخذ العلم من الصحف لا عن أساتذة علماء. وهو نفسه يحدثنا عن ذلك فيقول: إنه رفض الأخبار التى نسبها ابن أبى طاهر إلى المأمون وأحمد بن يوسف، رفضها لأن راويها - فى رأيه - غير ثقة، بل أنه جرح ابن أبى طاهر ووصفه بأنه «صحفى، حاطب ليل، يشترط فى كتبه اختيار الشعر الجيد ويأتى بالردىء، ويزعم أنه يقلل فيحسن، ويكثر فيسىء، ثم يحكى الكذب، ويخطىء فى التاريخ وفى نسب الشعر[٦]».

٣ - إن الصولى يرفض الروايات التى تخالف الحقيقة، أو المشكوك فى صحتها، أو التى لا يصدقها العقل. من ذلك ما رواه بشار عن الأخطل فقال: «إنه لم يكن مثل جرير والفرزدق، ولكنهما كانا من مضر، فكرهت ربيعة ألا يكون منها مثلهما،

---

(٦) الأوراق - أخبار الشعراء للصولى ص ٢١٠.

فتعصبت له ورفعت منه، ولقد كان يجتمع هو وجماعة من قومه على شرابهم، فيقول هذا بيتين ويقول هو الأكثر، ويختار الأخطل حتى تجتمع قصيدة فيبعث بها إلى جرير... ».

فلم يقبل الصولى كلام بشار ورفضه ، لأنه ليس من المعقول أن يكون شعر الأخطل هو شعر شعراء قبيلته كلها، جمعه من أفرادها، فنراه يعلق على هذا الخبر بقوله: «ولا أدرى ما هذا القول..»[٧].

ومن الجدير بالذكر أن روايات الصولى، قد خلت تماما من الخرافات.. فلم يتناول الصولى إلا المتعارف عليه والمفهوم والملموس من الأخبار والروايات.

٤ - أن الصولى دائما يستقصى ما يرويه من أخبار ويحققها ويمحص المعلومات التى وردت فيها، ويقارن بينها وبين الروايات الأخرى التى تناولتها ليتأكد من صحتها ولا يذكر إلا ما صح من شعر الشاعر أو كلامه[٨]. فنراه فى كثير من الأحيان يروى الخبر الواحد بأكثر من سلسلة إسناد، تختلف كل منها عن الأخرى، بينها الخبر واحد.

٥ - أنه لا يروى إلا الجديد الذى لا يعرفه الناس، حتى يكون لأخباره صفة الجدة والتشويق، فنراه يذكر من شعر الشعراء ما لا يعرفه الناس[٩].. كما يرفض دائما أن يؤلف فيما ألف فيه من قبل، أو تناوله غيره.. فهو حين شرع فى عمل أخبار جرير، علم أن هناك من يقوم بهذا العمل، فأعرض عنه ولم يكمله. كذلك حين ألف أخبار الفرزدق لم يأت بشيء مما جاء فى النقائض، أو ذكره غيره، إلا ما اتصل بنسبة أو أزواجه فقط.

---

(٧) الموشح للمرزبانى ص ٢٢١، وانظر أخبار أبى تمام للصولى ص ١٠٤.
(٨) أخبار الشعراء للصولى ص ٢٣٦.
(٩) أخبار أبى تمام للصولى ص ١٠.

٦ - أنه لا يروى ما سهل عليه طلبه[١٠] وقرب منه وجوده، وتأكد من صدقه ووصلت به الأمانة الأدبية أن لا يدعى علم ما يجهله، بل كثيرا ما يذكر صراحة عدم معرفته بخبر ما ويقول «ولا أدرى كيف صحته[١١]».

٧ - أنه لا يروى إلا ما وجده مكتوبا بخط يثق به، فلا يروى إلا ما وجد بخط الشاعر نفسه أو بخط أهله، أو على لسانهم، ولا يعتد إلا برواية أقرب المعاصرين إليه من أصدقاء أو أقرباء.

٨ - إن الصولى يتحرى الدقة فى روايته للأقوال بألفاظها، فإن لم يستطع أن ينقل الألفاظ حرفيا قال: «وما حكيت من ألفاظه التى مرت، وما أحكيه من كلامه بعد، فهو كما أحكيه أو شبهه أو مقارب له، إذ كنت لا أقدر على أن أحفظ لفظه على حروفه، وأنا أحفظ معناه»[١٢].

٩ - أنه فى روايته لشعر الشعراء يظهر الشعر المنحول، ويخرجه من إنتاج الشاعر وذلك ما فعله بشعر أبى نواس[١٣] وغيره من الشعراء.

١٠ - إنه يروى أخباره كما هى دون تغيير أو زيادة أو نقصان.

أما إذا ذكر رأيه أو أضاف كلامه.. نص على ذلك صراحة، فقال: «قال أبو بكر» أو «قال الصولى» ويذكر رأيه.. من ذلك ما رواه المرزبانى عن الصولى، أنه قيل للجاحظ: «مثلك فى عقلك وعلمك بالأدب - ينشد قول الفزارى ويفسره على أنه أراد اللحن فى الإعراب، وإنما أراد وصفها بالظُّرف والفطنة، وأنها تُورِّى عما قصدت له، وتتنكب التصريح به... فقال: فكيف بما سارت به الركبان؟ فيضيف الصولى

---

(١٠) أخبار الشعراء للصولى ص ١٤٣.

(١١) أدب الكتاب للصولى ص ٤٦.

(١٢) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٨.

(١٣) الفهرست لابن النديم ص ٢٢٨.

رأيه فيقول: «فهو فى كتابه على خطئه»[١٤].

١١ – أن الصولى كان أمينا فى نقل الرواية، ولم يتبع هواه، ولم ينصر الخطأ.. بل لقد كان يعيب على العلماء ذلك ويقول[١٥]: «نعوذ بالله من إتباع الهوى ونصر الخطأ، والكلام فى العلم بالمَحْل واللجاج والعصبية». لذلك فإن جمهرة العلماء والأدباء والمؤرخين يوثقون الصولى ويعتبرونه من أصدق الرواة الاخباريين».

وهذا ما جعل أبا الفرج الأصفهانى يروى عنه ما يقرب من ثلاثمائة خبر فى أغانيه. وكذلك المرتضى فى أماليه، فقد روى عنه العديد من الآراء والأخبار والمجالس والتحليلات اللفظية.

وأيضا لقد نقل عنه الحصرى القيروانى الكثير من المجالس والآراء والروايات فى كتابه زهر الآداب وفى ذيله.

أما المرزبانى، فقد رصع موشحه بروايات الصولى وآرائه فى الشعر والشعراء، وأكثر من الرواية والنقل عنه كثرة مفرطة، حتى لكأن الموشح من عمل الصولى نفسه.

مصادر روايته

أخذ الصولى الشعر القديم عن شيوخه وأساتذته.. وأخذ الشعر المحدث من أفواه ناظميه من معاصريه.. ومن الرواة الثقات.

ورواة الصولى فى مجموعهم علماء فى اللغة والأدب والشعر والأخبار والحديث

(١٤) أمالى المرتضى ١/١٥.

(١٥) أخبار الشعراء للصولى ص ٢٣٦.

والفقه بل هم أعلام العصر على الإطلاق: نستطيع أن نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

١ - أبا العباس محمد بن يزيد الأزدى المعروف بالمبرد، المتوفى سنة ٢٨٥هـ.أحد أعلام عصره وإمام النحو واللغة.

٢ - وأبا العباس أحمد بن يحيى الشيبانى المعروف بثعلب المتوفى سنة ٢٩١هـ. إمام الكوفيين فى النحو واللغة.

٣ - وأبا العباس أحمد بن محمد ثوابة بن يونس[١٦] الكاتب المشهور المتوفى سنة ٢٧٣هـ.

٤ - وأبا أحمد يحيى بن على بن أبى منصور المعروف بابن المنجم[١٧] المتوفى سنة ٣٠٠هـ «الأديب الشاعر المطبوع الذى كان أشعر أهل زمانه وأحسنهم أدبا، وأكثرهم إفتنانا فى علوم العرب والعجم والذى كان نديما للمعتضد ثم المكتفى من بعده.

٥ - وأبا مالك عون بن محمد الكندى[١٨].. الذى روى عنه الصولى المئات من الأخبار وقال: «ما رأيت أعلم بشعر أبى تمام منه[١٩]».

٦ - وأبا العيناء محمد بن القاسم بن خلاد[٢٠] المتوفى سنة ٢٨٣هـ، صاحب النوادر والشعر والأدب والذى كان من أحفظ الناس وأفصحهم لسانا وأسرعهم جوابا، وأحضرهم نادرة.

---

(١٦) ترجمته فى معجم الأدباء ٣٦/٢، الفهرست ص ١٣٠.

(١٧) ترجمته فى معجم الأدباء ٢٨٧/٧، الفهرست ص ١٤٣، نزهة الألبا ٣٠٢.

(١٨) ترجمته فى معجم الأدباء ٩٦/٦.

(١٩) أخبار أبى تمام للصولى ص ٣١.

(٢٠) ترجمته فى الفهرست ص ١٢٥، تاريخ بغداد ١٧٠/٣، معجم الأدباء ٦١/٧، شذرات الذهب ١٨٠/٢.

٧ - وأبا على الحسين بن فهم البغدادى[٢١] المتوفى سنة ٢٨٩هـ أحد أئمة الحديث الذى روى الطبقات عن محمد بن سعد.

٨ - وأبا عبدالله الحسين بن على المعروف[٢٢] بالجعل المتوفى سنة ٣٦٩هـ، أحد شيوخ المعتزلة، وصاحب التصانيف الكثيرة على مذاهبهم.

٩ - وأبا الحسن على بن إسماعيل النوبختى[٢٣] المتوفى سنة ٣٢٤هـ. الذى كان حسن الأدب والشعر وتتلمذ على ثعلب.

١٠ - ومحمد بن زكريا الغلابى[٢٤] أحد رواة السير والأحداث وكان مشهودا له بالصدق وله عدد من الكتب منها كتاب مقتل الحسين بن على، وكتاب وقعة صفين وكتاب الجمل.

١١ - ومحمد بن اسحاق النحوى المعروف بابن الوشاء[٢٥] (المتوفى فى أوائل القرن الثالث) الذى كان من أهل الأدب، حسن التصانيف مليح الأخبار.

١٢ - ومحمد بن يونس بن موسى المعروف بالكديمى[٢٦] المتوفى سنة ٢٨٦هـ، الذى كان حافظا للحديث، وسافر إلى الحجاز واليمن من أجل جمعه وروايته ثم عاد إلى بغداد وسكن وحدث بها.

١٣ - والحسن بن عليل المعروف بالعنزى[٢٧] المتوفى سنة ٢٩٠هـ صاحب الأخبار والأدب والمشهود له بين معاصريه بالصدق والثقة.

---

(٢١) ترجمته فى تاريخ بغداد ٩٢/٨، شذرات الذهب ٢٠١/٢.

(٢٢) ترجمته فى تاريخ بغداد ٧٣/٨.

(٢٣) ترجمته فى تاريخ بغداد ٣٤٧/١١.

(٢٤) ترجمته فى الفهرست ص ١٠٨.

(٢٥) ترجمته فى تاريخ بغداد ٧٣/٨.

(٢٦) ترجمته فى تاريخ بغداد ٤٣٥/٣، شذرات الذهب ١٩٤/٢.

(٢٧) ترجمته فى تاريخ بغداد ٣٩٨/٧.

١٤ - وأبا الفياض سوار بن أبي شراعة[٢٨] المحدث وصاحب الأخبار والآداب، الذى قدم بغداد وحدث بها عن العباس بن الفرج الرياشى.

١٥ - وأبا الغوث يحيى بن أبي عبادة الوليد بن البحترى[٢٩] الشاعر.. والذى روى شعر أبيه وكان مقيما بالشام ثم قدم بغداد بعد ذلك. وقد روى عنه الصولى معظم أخبار وأشعار أبيه.

١٦ - وأحمد بن سعيد الدمشقى المتوفى[٣٠] سنة ٣٠٦هـ مؤدب أولاد المعتز والذى اختص بتأديب وتثقيف عبد الله بن المعتز.

١٧ - وأحمد بن محمد بن الفرات الكاتب[٣١] المتوفى سنة ٢٩١هـ. أكتب أهل زمانه، وأضبطهم للعلوم والأدب، وهو الذى مدحه البحترى كثيرا.

١٨ - وعبد الله بن الحسين بن سعد القطربلى معاصر الصولى وصديق البحترى، الذى كان مصدرا رئيسيا من مصادر الصولى فى التأريخ للبحترى.

١٩ - وأحمد بن يزيد المهلبى[٣٢] الأديب الشاعر الراوية.

٢٠ - وعبد الله بن المعتز[٣٣] المتوفى سنة ٢٩٦هـ الأمير الأديب الشاعر الناقد، خليفة يوم وليلة والذى أكثر الصولى من الرواية عنه.

٢١ - وعلى بن العباس النوبختى[٣٤] المتوفى سنة ٣٢٩هـ أحد مشايخ الكتاب

---

(٢٨) ترجمته فى تاريخ بغداد ٢١٢/٩.

(٢٩) ترجمته فى تاريخ بغداد ٢٢٨/١٤، ومعجم الشعراء ٥٠٢.

(٣٠) ترجمته فى معجم الأدباء ٤٦/٣ - ٤٩.

(٣١) ترجمته فى ابن خلكان ١٠٠/٣، وتحفة الأمراء للصابى ص ٨.

(٣٢) ترجمته فى معجم الأدباء ١٥٢/٥.

(٣٣) ترجمته فى الفهرست ١٦٨، تاريخ بغداد ٩٥/١٠، الأغانى ١٤٠/٩، المنتظم ٨٤/٦، الأوراق فى أخبار أولاد الخلفاء ص ١٠٧.

(٣٤) ترجمته فى معجم الأدباء ٢٦٧/١٣، معجم الشعراء ٢٩٥.

وأهل الأدب، وقد نقل الصولى عنه أخبارا كثيرة عن البحترى.

٢٢ - وإبراهيم بن عبد الله الكجى[٣٥] المتوفى سنة ٢٩٢هـ.. الذى كان من أهل الفضل والعلم، وقد نزل بغداد وحدث بها، وروى الحديث عنه خلق كثير. وغيرهم وغيرهم.

وليس هذا فحسب بل لقد عاصر الصولى مجموعة كبيرة من الأدباء والمحدثين والفقهاء، اتصل بهم وعرف كنوزهم، وروى عنهم وذكر العديد منهم فى كتبه.

---

(٣٥) ترجمته فى الفهرست ص ٣٢٤، تاريخ بغداد ١٢٠/٦، المنتظم ٥٠/٦.

الفصل التاسع

ولوعه وحذقه فى فن الشطرنج

اشتهر أبو بكر الصولى – فيما اشتهر به – بإجادته وحذقه فى فن الشطرنج، ذلك الفنى الأرستقراطى الذى أولع به الخلفاء والوزراء والأمراء والقواد وعلية القوم فى عصره.

فقد تفنن الصولى فيه، وعكف على دراسة أصوله وقواعده وخططه، وطريقة ممارسته حتى بلغ الذروة، فصار ألعب أهل زمانه به، وأنبغهم على الإطلاق دون منازع فلقب الشطرنجى[1].

وقد نسب إليه بعض المترجمين «إنه هو الذى وضع أصول وقواعد هذا الفن[2] ولكن هذا ليس بصحيح، وإنما يذكر الصولى ويضرب به المثل لأنه أجاد اللعب به وبلغ الغاية، فكانوا يقولون لمن يبالغون فى حسن لعبه «فلان يلعب بالشطرنج مثل الصولى[3]».

تذكر المصادر العربية القديمة بعض الأخبار الطريفة التى تصور حذق الصولى وبراعته وإحكام خططه، وطريقته فى مزاولته هذا الفن وتحريك آلاته. وأن ذلك كان سببا فى رفع شأنه لدى الخلفاء. فوصل الصولى عن طريق هذا الفن إلى درجة «النديم الأول» ورائد هذا الفن فى عصره، وصار قريبا من الخليفة المكتفى بالله، قريبا من قلبه لا يطيق فراقه.

(١) وفيات الأعيان ٤٧٧/٣، روضات الجنات ٦١٠.

(٢) معجم الأدباء ١١٠/١٩

(٣) وفيات الأعيان ٤٧٧/٣

ويحكى المسعودى عن كيفية وصول الصولى إلى هذه المرتبة فيقول[٤]:

«إن الصولى فى بدء دخوله على المكتفى - وقد كان ذُكر له تخرُّجه فى اللعب بالشطرنج - وكان الماوردى اللاّعب متقدما عنده، متمكنا من قلبه، معجبا به للعبه، فلما لعبا جميعا بحضرة المكتفى، حمل المكتفى حسن رأيه فى الماوردى، وتقدم الحرمة فى الألفة على نصرته وتشجيعه وتنبيهه، حتى أدهش ذلك الصولى فى أول وهلة، فلما اتصل اللعب بينهما، وجمع له الصولى متانته، وقصد قصده غلبه غلبا لا يكاد يُردَ عليه شيئا، وتبين حسن لعب الصولى للمكتفى فعدل - عن هواه، ونصرة الماردى وقال له: «عاد ماء وِرْدك بُولا».

وتقول رواية أخرى[٥] عن سبب إتصال الصولى بالمكتفى بالله وانقطاعه إليه «أن رجلا يعرف بمحمد بن أحمد الماوردى كان ينزع إلى المكتفى بالرقة، وكان ألعب الناس بالشطرنج، فلما قدم عليه بغداد وهو خليفة، قال: يا أمير المؤمنين أنا اعلم الناس بهذه الصناعة، فأقطعنى ما كان للرازى الشطرنجى، فغاظ ذلك المكتفى وندب له الصولى فلم ير معه الماوردى شيئا، فقال له المكتفى: «صار ماء وردك بولا». قال الصولى: فأقبل المكتفى علىّ ورتبنى فى الجلساء، فجئت يوما فحجبت عنه، واتصل بى أن خصمى شمت بى، فكتبت قصيدة للمكتفى أقول فيها:

قد سَاَء ظَنُّ النَّاس بِى وتنكرُوا ... لمّاَ رأونى دُون غَيْرى أُحجبُ

إنْ كَانَ غلبته تقّرب أمرَهُ ... دُونِى فـإنِى عَنْ قَلِيل أغْلِبُ

فضحك وأمر لى بمائتى دينار، واندرجت فى خدمته.

ومن هذه الأخبار أيضا التى تحكى مدى حذق الصولى وبراعته فى الشطرنج... ومكانته فى نفوس الخلفاء «أن الإمام الراضى بالله أتى فى بعض متنزهاته بستانا

(٤) مروج الذهب ٥٢٠/٢، معجم الأدباء ١١٠/١٩، إرشاد الأديب ١٣٦/٧

(٥) زهر الأدب وثمر الألباب لأبى اسحق الحصرى جـ ٤ ص ١٩٥ ضبط وشرح الدكتور زكى مبارك.

مؤنقا، وزهرا رائعا، فقال لمن حضره ممن كان فى ندمائه: هل رأيتم منظرا أحسن من هذا؟ فكل أثنى، وذهب فيه إلى مدحه ووصف محاسنه، وأنها لا يفى بها شىء من زهرات الدنيا فقال الراضى: «لعب الصولى بالشطرنج أحسن من هذا ومن كل ما تصفون[٦]».

وقد بلغ من علم الصولى بأصول هذا الفن وقواعده، ومقدرته الفنية على مزاولته، أن وضع كتابا فى كيفية أداء هذه اللعبة والتمتع بها وإتقانها، هو «كتاب الشطرنج[٧]» مساهمة منه فى نشر هذه اللعبة - التى كانت أداة النديم الأولى - وخدمة لطلاب الترفيه والمعرفة، نظرا لما تعتمد عليه من إتقاد للذهن والقدرة على التحكم والتخطيط والتصرف والصبر.

وقد ذكر ابن النديم[٨] أن لهذا الكتاب نسختين أو طبعتين، ولعل الصولى ألف النسخة الأولى من كتاب الشطرنج فى فترة متقدمة، فجاءت صغيرة الحجم غير مستوفاة فعرفت هكذا، ثم رأى أن يستوفى هذا الكتاب - وكان قد توصل إلى أفكار جديدة وخطط حديثة فى مجال الشطرنج فوضع كتابا آخر، أضاف فيه إلى كتابه الأول فصولا، جديدة ومعلومات أكثر وأشياء لم يذكرها فى كتابه الأول حتى يكون عمله كاملا، وافيا لمحبى هذا الفن وطالبيه. فعرف الكتاب الثانى بحجم أكبر وفصول أكثر وهذا ما جعل ابن النديم ينفرد بذكر أن الصولى وضع كتابين فى فن الشطرنج.

---

(٦) ارشاد الأديب - ياقوت الرومى ١٣٦/٧، وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٧٩/٣، مروج الذهب ٥٢٠/٢.

(٧) كشف الظنون ص ١٤٣٠، هدية العارفين ٣٨/٢.

(٨) الفهرست ص ١٥١.

الفصل العاشر

منادماته

دعت الحياة الاجتماعية فى المجتمع العباسى بما فيه من لهو وصخب وسمر إلى أستحداث ألوان جديدة من الإستمتاع بالحياة تتسم بالترف واللهو.

وكان الخلفاء والوزراء والأمراء وعلية القوم، يضمون إلى مجالسهم – إلى جانب العلماء والأدباء والشعراء – بعض الندماء. أولئك الذين يـدخلون البهجة عـلى قلوبهم، ويشرحون صدورهم ويخففون عنهم أعباء الحياة، بما يملكون من أدوات السمر والفكاهة والطرب، بالإضافة إلى ما يجمعون من علم ودين وأدب. فحياة المجتمع العباسى المتحضر، والرفاهية التى عمت أرجاءه، استحدثت مجالسة الندماء بقصد الترويح عن النفس والتسلية والتفنن فى تمضية الوقت بشتى الوسائل ومختلف الفنون.

ولقد كانت المنادمة باب السلوك إلى الملوك، وسلم الوصـول إلى الحظوة – عندهم، فكان أعلى ما يرجوه صاحب العلم والأدب والفضل والكياسة أن يصبح نديما للملك أو مربيا لابن ملك.

وكان الخلفاء والوزراء والأمراء يدققون فى إختيار ندمائهم وجلسائهم عمـلا بالحكمة العربية التى تقول(١).

«إذا وُليت فانظر مَنْ كاتبُك، فـإنما يُعـرف مقدارُك من بُعـدٍ عنك بكـاتبك،

---

(١) أدب النديم: كشاجم ص ٣.

واستعقل حاجبكَ فإنه يَقْضِي عليك الوفودُ قبل الوصولِ إليكَ بحاجِبِك، واستظرف نديمَك، فإنما يَزِنُك الداخلُ إليكَ بمثقالِ من يراهُ مَعَكْ.

وقد تواضع القوم على شروط معينة يجب أن تتوافر فى النديم، ورسموا فضائله وأخلاقه، وحددوا مؤهلاته وصفاته ، وما ينبغى أن يتحلى به من خصال، حتى يكون صالحا لمجالسة ومنادمة الخلفاء والوزراء وغيرهم.

فالنديم - بأوسع معانى هذه الكلمة عندهم - أديب، والأديب - فى مفهوم القوم - هو الذى يجمع بين مختلف العلوم[٢] فيكون: عالما وفقيها وكاتبا وشاعرا، ملما بأنواع الثقافات السابقة والمعاصرة، ملما بالعديد من العلوم، كالفلك والنجوم والطرد والقنص ولعب الصوالج والنرد والشطرنج والموسيقى والغناء..

ولا تقف ثقافته ومعلوماته عند هذه الثقافات الأدبية والعلمية والذهنية فحسب بل لابد وأن تتوافر فيه، وتجتمع له ألوان أخرى من الشمائل الخلقية مثل دماثة الخلق ولين الطباع والصبر، يوفق بينهم بلباقة وحسن تصرف، وأن يكون لديه الإستعداد الكامل على التكيف حسب ما تقتضيه الظروف والأوضاع، والمرونة على التشكل والتلون مع ميول مجالسيه من خلفاء أو وزراء أو أمراء.. ولابد للنديم أن يكون متقد الذكاء.. لمّاحا سريع الخاطر، يستشف الأفكار ويكتم الأسرار، يتخلص من المآزق.. ويتصرف وقت الحرج.

«وليس أحد من أصحاب الملوك وخلطائهم أولى باستجماع محاسن الأخلاق وأفاضل الآداب وطرائف الملح وغرائب النتف.. من النديم، حتى أنه ليحتاج أن يكون فيه أشياء متضادة، فيكون فيه: مع شرف الملوك تواضع العبيد، ومع عفاف النساك مجون الفتاك، ومع وقار الشيوخ مزاح الأحداث... وأن يجتمع له من قوة

---

(٢) قول ابن قتيبة فى العقد الفريد لابن عبد ربه ٢٦٥/١.

الخاطر ما يفهم به ضمير الرئيس الذى ينادمه على حسب ما يبلوه من أخلاقه، ويعلم من معانى لحظه وإشارته ما يغنيه عن تكلف عبارته...[٣]».

ومما يرفع من قدر النديم ومنزلته «ومما يزيده فى المحل تقدما، وعند ملكه أو رئيسه تعظيما وتمكنا أن يكون: عالما بكل ما يتنافس فيه الملوك، ويغالون فيه من الرقيق الثمين، والجوهر النفيس، والآلات المحكمة وأنواع الطيب والفرش، والخيل والسلاح، وسائر ما يهدى مثله إلى الملوك فى مجالس لـذاتهم، وتعرض عليهم فى أوقات نشاطهم[٤].

وقالوا أيضا أن النديم لا يستحق هذا الاسم «حتى يكون له جمال ومروءة»:
أما جماله: فنظافة ثوبه وطيب رائحته وفصاحة لسانه.
وأما مروءته: فكثرة حيائه فى انبساط إلى جميل، ووقار مجلسه مع طلاقة وجهه فى غَير سخف ولايستكمل المروءة حتى يسلو عن اللذة[٥]».

ولاشك أن رأس مال النديم وعماده هو «فن المحادثة» ولباقته فيها، وقدرته على جذب انتباه من حوله، فيكون مطلعا على حيثيات موضوعه، مستوعبا لعناصره وأغراضه، ومضمونه، فاهما لمعانيه وما يحيط به، فـطريقة حـديثه وحسن تعبيـره وبلاغته فى القول، وبراعته فى السرد والتحليل ومقدرته على إدارة المناقشة والإقناع فيها. هى التى تحدد مكانته ووضعه ونظرة الجميع إليه «وأحلى لحديث النديم وأحسن لموقعه أن يتنكب منه الطوال، ذوات المعانى القلقة، والألفاظ الوحشية»[٦].

ومن أكبر أسلحة النديم وأكمل صفـاته - فى عصـر الصولى - إجـادة فن الشطرنج فالشطرنج هو الفن الترفيهى الذى كان يعجب به الخلفاء، ويسلب لُبَّهم،

(٣) أدب النديم كشاجم ص ٧.
(٤) أدب النديم كشاجم ص ١١.
(٥) أدب النديم كشاجم ص ١٤.
(٦) أدب النديم كشاجم ص ٢٢.

ويقضون معظم أوقاتهم فى مزاولته، وليس لأحد فى نفوسهم من الحظوة والتقدير من ذلك الذى يجيد هذا الفن، ويزاوله بحذق وبراعة.. حتى ولو هزمهم فيه، حتى لقد عرف أن الشطرنج لعبة الملوك.

ولاعب الشطرنج لابد وأن يؤديه بمهارة، ويزاوله بفن وتفكير عميق، بصرف النظر عن مكانة من يلاعبهم «وليس حق نفسه عليه إذا كان عالى الطبقة أن يبخسها حظها، ولايحطها عن درجته، توهما أن تغابيه للرئيس ألطف لمنزلته عنده، وأعطف بقلبه عليه[٧] «لأن فن الشطرنج إنما يقوم أساسا على الصراع من أجل الكسب، كما يقوم على التكافؤ والعدل والندية.. فلا يحترم سوى اللاعب الماهر القوى. فهو بمثابة قائد فى ساحة حرب يقود معركة، فيوجه عساكره وأفياله ليحمى ملكه ووزيره وحدود منطقته.. معتمدا على خطته وخبرته وقوة أفكاره وحسن توجيهه، حتى يكتب له الفوز وتنتهى المباراة لصالحه.

هذا هوالنديم فى رأى القدماء - وهذه هى مؤهلاته وصفاته وخصائصه، لذلك كان للنديم مرتبة كبرى ومكانة مرموقة فى مجالس الخلفاء وبين جلسائهم، وكان النديم يعرف ذلك. وليس أدل على معرفة النديم لقدر نفسه وحظوته ومنزلته فى نفوس الخلفاء. ووزرائهم من ذلك الفخر الذى فاخر به أحد الندماء كاتبا فقال:

«أنا للنعمة وأنت للخدمة، أنا للحظوة وأنت للمهنة، تقوم وأنا جالس، وأنت تحتشم، وأنا مؤانس، تدأب لراحتى، وتشقى لسعادتى، فأنا شريك وأنت معين، كما أنك تابع وأنا قرين[٨].

ولعل من جميل المصادفات حقا أن يورد الصولى قصيدة «أبان ابن عبدالحميد[٩]»

---

(٧) أدب النديم كشاجم ص ٣٨.

(٨) أدب النديم كشاجم ص ٣.

(٩) الأوراق - قسم أخبار الشعراء، ترجمة أبان بن عبد الحميد ص ٣.

تلك التي جمع فيها صفات النديم -حسب مفهومه لشرائط القوم- وتقدم بها إلى الوزير الفضل بن يحيى البرمكي يبغي التقرب منه ليكون له نديما وجليسا. وفيها يتحدث عن نفسه وعن مقوماته وعن خصاله وصفاته وما يمتاز به، فكانت هذه القصيدة جملة ما تعارف عليه الناس وتواضعوا، فيما يجب أن يتحلى به النديم من خصائص وخصال..

ولعل هذه القصيدة أحد الأسباب التي جعلت البرامكة يقربونه ويتخذونه شاعرا ونديما.. فنظم لهم الكثير.. ومدحهم وعمل لهم كليلة ودمنة.. وغير ذلك من الأشعار التي مجدتهم: يقول أبان عن نفسه:

أنا من بغية الأمير وكنزٌ ... من كنوز الأمير ذو أرباح..
كاتبٌ حاسبٌ خطيبٌ بليغٌ ... ناصحٌ زائدٌ عَلى النُّصّاَحِ.
شاعر مُفْلِق أخف من الـ ... ـريشة مما يكون تحت الجناحِ
ثم أروى عن ابن هرمة للـ ... ـناس يشعر محبَّر الإيضاحِ
ثم أروى من ابن سيرين للـ ... ـعلم بقول منّور الإفصاحِ
ثم أروى من ابن سيرين للشعـ ... ـر وقول النسيب والأمداحِ
لى فى النحو فطنة ونفاذ ... لى فيه قلادة بوشاحِ
إن رمى بى الأمير أصلحه اللـ ... ـه رماحا صدمت حد الرماحِ
ما أنا واهنٌ ولا مستكين ... لسوى أمر سيدى ذى السماحِ
لستُ بالضخم يا أمير ولا الـ ... ـفدم[١٠] ولا بالمجحدر[١١] الدحداحِ
لحيةٌ سبطةٌ[١٢] ووجه جميلٌ ... واتّقاد كشعلة المصباحِ

(١٠) الفدم: العيئ الكلام فى ثقل ورخاوة وقلة فهم.

(١١) المجحدر: القصير.

(١٢) السبط: طويل غير جعد.

وظريف الحديث من كل لون — وبصير بحاليات ملاحِ
كم وكم قد خبأت عندى حديثا — هو عند الملوك كالتفاحِ
فبمثلى تخلو الملوك وتلهو — وتناجى فى المشكل الفداحِ
أيمنُ الناس طائراً يوم صيْد — فى غدوّ خرجت أم فى رواحِ
أبصرُ الناس بالجوارحِ والخيـ — ـل وبالخُرَّدِ(١٣) الحسانِ الملاحِ
كُلُّ هذا جمعت والحمد لـ — ـلَّهِ على أنني ظريف المزاحِ
لست بالنَّاسك المشعّر ثو — بيه ولا الماجن الخليع الوقاحِ
إن دعانى الأمير عاين منى — شَمَّريًا(١٤) كالجلجل الصياحِ

فإذا اتضح الآن مفهوم القوم للنديم. ومتطلباتهم وشروطهم فيه.. وإذا كانت هذه هى شرائطهم التى وضعوها -كما ذكرها كشاجم فى كتابه، وكما أوردها أبان فى منظومته - لمن يصلح أن يكون نديما..

فهل توافرت هذه الشروط والمتطلبات والصفات فى أبى بكر الصولى؟

إن الجواب ليس عندى وحدى.

إنه أيضا بين ثنايا كتب الأدب والتراجم.

إنه عند خلفاء بنى العباس ووزرائهم وأمرائهم.

إنه موجود بين ثنايا كتب الصولى نفسه، وفى أخباره ورواياته ونقداته.. فكلها تشهد بصفات الصولى ومؤهلاته.. وكلها تشهد بغزارة علمه ومعرفته وثقافته الموسوعية، بل أن التاريخ ليشهد أن خلفاء بنى العباس عرفوه فقدموه وقدروه واتخذوه نديما وكاتبا ومعلما وجليسا طيلة خمسين سنة، توارثه المكتفى بالله عن المعتضد بالله، ثم توارثه المقتدر بالله عن المكتفى بالله، ثم أسلمه إلى ابنه الراضى.. فكان له معلما ومرشدا ومثقفا ثم نديما وجليسا وناصحا أمينا.

---

(١٣) الخرد: مفرد خريد وخرود أى البكر التى لم تمسس.

(١٤) شمرى: ماض فى الأمور مجرب.

فإذا كان ذلك كذلك - فإننا لانبالغ إذا قلنا إن شرائطهم ومتطلباتهم فى النديم كانت جميعا متوفرة بعمق وتركيز وفاعلية فى أبى بكر الصولى.

فكان يجمع بين فنون متنوعة وعلوم شتى يجمع بينها فى قوة واقتدار، وإعتماد على النفس وأعمال للعقل، وإطلاع دائب على كل ما سجلته القـريحة العـربية وأخرجته العقول:

فكان الصولى من أعلم الناس بقديم السير، وما جرى عليه أمر الدول، عالما بعلوم الأوائل، وقصص الملوك، وأخبار قريش وأمر النبى عليه السلام، ومبعثـه ومغازيه، عارفا بأهله وأصحابه.

ومن أعلم الناس بأخبار العرب وأنسابها، وأيام الجاهلية وأخبار الإسلام وأمر الخلفاء ووزرائهم وسائر عمالهم وتباعهم، والخوارج والأحداث فى أيامهم.

عالما بالفقه الذى لابد للناس منه، والحديث الذى يدور دين الإسلام عليـه، عارفا لأهله وطرقه ورجاله والقوىّ الثقة فيهم، والضعيف المتهم منهم.

مطلعا على علم الملوك من الأشعار التى يغنى فيها، ونسبتها إلى قائليها. والسبب الذى له قيلت، حافظا لكل ما يحتاج الملوك إليه، ويسألون عنه مما تقع أعينهم عليه، ويخدمون فى الأوقات به.

قادرًا على الإتيان بالنوادر التى تدخر للملوك واختراع النوادر التى تشتق فى مجال الحديث. متقدمًا فى العلم بشعر المحدثين وأوائلهم، قادرًا على أن يقول مثله، عالمًا بألفاظه ومعانيه. وتمييز نادره ووسطه وما كان دُونًا منه.

متقدمًا فى علوم اللغة والأدب.. والرسائل والمكاتبات ومعرفة استراقات الشعراء، وأخذ بعضهم من بعض، والمحسن منهم فى ذلك والمسيء. متحدثًا بارعًا.. وخطيبًا مفوها وشاعرًا ملهمًا ومؤرخًا سجل كل أحداث الدولة وأحوالها.

عارفًا بفنون الغناء والطرب.. ودرجات المغنين ومراتبهم ومدى إجادتهم وخبيرًا بألحانهم وموسيقاهم ومقاماتها.. ويجيد فن الغناء..

مطلعًا على علم الكواكب وأحوال النجوم، ومساراتها وأبراجها وكسوفاتها[١٥] عالمًا بأحوال النفس البشرية ومزاجها وعلاقة النفس بالبدن.

وأخيرا وليس آخرا - كان أبرز لاعبى عصره فى فن الشطرنج[١٦] حتى لقد ضرب به المثل فى المهارة والبراعة والحذق.

لكل هذه المقومات والصفات - وغيرها - أحبه الخلفاء وقدروه واتخذوا منه سميرًا ونديمًا، وجعلوا له نوبات فى قصورهم يزين مجالسهم وينير لياليهم.

ولقد ذكرت المصادر الأدبية القديمة أن الصولى نادم المكتفى بالله (٢٨٩-٢٩٥هـ). ثم المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ) ثم الراضى بالله (٣٢٢-٣٢٩هـ) فقط..

غير أن البحث قد دل على أن الصولى اتصل أيضا بالخليفة المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ) قبلهم وجالسه ونادمه، وكان له دَلٌّ عليه، ومدحه بالعديد من القصائد. قال المسعودى[١٧]: «أخبرنى أبو بكر محمد بن يحيى الصولى النديم الشطرنجى بمدينة السلام قال: كان لى وِعْدٌ على المعتضد، فما ظفرت به حتى عملت قصيدة ذكرت فيها بدرا[١٨] أولها:

(١٥) ذكر أنه اطلع على كتاب بليناس فى الكواكب والنجوم والكسوفات - أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص٢٨٣.

(١٦) مروج الذهب للمسعودى ٥٢٠/٢، ارشاد الأريب لياقوت الرومى ١٣٦/٧، وفيات الأعيان ٤٧٩/٣، الفلاكه والمفلوكين للدلجى ص ١٠٣.

(١٧) مروج الذهب ٢٧٨/٤.

(١٨) بدر: هو بدر بن خير، وكان حرا من موالى المتوكل، وكان فى خدمة ناشىء غلام الموفق، ثم اتصل بالمعتضد وقرب من قلبه، وخف بين يديه فى أيام الموفق. وكانت الشعراء تقرن مدح بدر بمدح المعتضد، ثم قتل بدر هذا فى عهد المكتفى بالله (راجع مروج الذهب ٢٧٥/٤، الأغانى ٦٧/١، تاريخ الطبرى ٣١٧/٧.

أيها الهاجر مَزْحًا لا مجدْ   أَجَزَاءُ الود أَنْ يُلقى بِصدْ؟

قال الصولى: فضحك وأمر بما وعدنى به.

ولقد أجمعت المصادر على أن الصولى كان نديما فريدا، لا مثيل له فى عصره لطيف المعشر جمع الظرافة والدماثة ولين الخلق، وكان حسن العلم بآداب مخالطة الخلفاء ومجالستهم، يملك كل المزايا التى أحبها الخلفاء فى ندمائهم، يملك ذاكرة قوية تعينه على الإتيان بالغزير من الأخبار والطرائف التى تلذها الأسماع، حافظًا لأشعار القدماء والمحدثين، قادرًا على روايتها بما يلائم الحوادث الطارئة والمناسبات المتجددة فى مجالس الخلفاء.

ونستطيع أن نجد أمثلة كثيرة على ذلك - فيما رواه الصولى عن مجالسه مع المكتفى. وكيف كان يستعين بذاكرته فى رواية الأشعار، وسرد الأخبار بما تتفق مع المناسبات يقول[١٩]:

«سمعت المكتفى بالله يقول لمتوج بن محمود بن مروان بن يحيى بن مروان بن أبى حفصة: يقول جدك مروان[٢٠] الأصغر لعنه الله:

وحَكَّم فيهـا حَـاكِمَـيْنِ أبُـوكُمُ   هُمَا خَلَعَاهُ خَلْعَ ذِى النَّعْلِ للَّنِعْلِ

فقال: وما علىَّ من وِزْرِهم.. قال: أنت على مذهبهم، وما أحسن ما قال البحترى فى أبيك: أنشده ياصولى.. فقلت: إن هذا يشكونى وما أحب كلامه، وسيدنا أحفظ للأبيات منى.. فقال: أنشده وَزِدْ فى صوتِكْ فأنشدتُ:

يا عَجَبا مِنْ حِلْمِكَ الَعَازبِ   وعَقْلِكَ الْمُسْتَهْـلِكَ الـذَّاهِبِ
وَمِنْ وصيف وَهْـوَ مُسْتَقْـدَمٌ   يَبْصقُ فى شَعْر إِسْتِكَ الشائِبِ

(١٩) أخبار البحترى للصولى ص١٧٩.

(٢٠) هو مروان بن أبى الجنوب شاعر عباسى نادم المتوكل وكان يتقرب إليه بذم على بن أبىطالب.

إنْ اكْسَدَتْ سُوقُك أو أَخْلَقَتْ بضاعَةٌ من شِعْـرِك الخَائِبِ
أَنْشأْتَ كي تُنْفِقَهَا مُـزْرِيًا عَـلَى عليٍّ بن أبي طـالبِ
قَـدْ آنَ أَنْ يَبْرُدَ مَعْنَـاكُمُ لَـوْلاَ لُجَاجُ الْقَـدر الْغَـالِبِ

فقال المكتفى: قد بَرَدَ معناهم، والحمدلله الذى جعل ذلك فى أوانى».

وكثيرا ما طلب المكتفى من الصولى أن يذكر له ما قاله الشعراء فى وصف ألوان الطعام التى تقدم فى مجالس الخليفة. قال الصولى[٢١]: كنا يوما نأكل بين يدى المكتفى فوضعت بين أيدينا قطائف رفعت من بين يديه فى نهاية النضارة ورقة الخبز وإحكام العمل، فقال: هل وصفت الشعراء هذا؟ فقال له يحيى بن على: نعم، قال أحمد ابن يحيى فيها:

قطائفُ قد حُشِيتْ باللّوزِ والسكر الماذِىِّ حَشْوَ الموزِ
تسبحُ فى آذىٍّ دهن الجوزِ سُرِرْت لما وقعت فى حَوْزِى
سُرُورِ عباسٍ بقربِ فَوْزِ

قال الصولى: وأنشدته لابن الرومى قوله:

«وأتت قطائف بعد ذاك لطائف»

فقال: هذا يقتضى ابتداء، فأنشدنى الشعر من أوله فأنشدته لابن الرومى..... (القصيدة).....

فاستحسن المكتفى بالله الأبيات وأومأ إلى أن أكتبها له ، فكتبتُها له.

ويصور لنا الصولى أيضا العديد من مجالس الراضى بالله، وما كان يدور فيها من مناقشات أدبية وعلمية وتاريخية. يقول الصولى عما دار فى أحد هذه المجالس[٢٢]

(٢١) مروج الذهب المسعودى ٢٨٧/٤.
(٢٢) زهر الآداب وثمر الألباب لأبى اسحق الحصرى ١٩٥/٤ ضبط وشرح الدكتور زكى مبارك.

جرى ذكر المكتفى بحضرة الراضى، فأطنبت وأكثرت الثناء عليه فقال لى: ياصولى كنت أنشدتنى لجرير:

أُسلِّيك عَنْ زيدٍ لتَسْلُو وقَدْ جَرَى بِعَيْنيك مِنْ زَيْدٍ قَذًى لَيْسَ يَبْرَعُ

فقلت: يا أمير المؤمنين، من شكر القليل، كان للكثير أشد شكرا وأعظم ذكرا، قال: فأين أنا لك من المكتفى، فأنشدته للطائى:

كَمْ مِنْ وساع الجُود عندى والنَّدَى لما جَرَتْ جَدْوى وكان عَطُوفا
أَحْسَنْتُما صَفَدِى ولكِنْ كنتَ لى مثل الربيع حَيا وكَانَ خَرِيفا
وَكِلَا كمَا اقْتَعَدَ العُلَا فَرَكِبْتُهاَ فى الذِّرْوَةِ العلْياَ وجاء رَدِيفا
إنْ غَاضَ ماءُ المُزْن فضت وإنْ قَسْتْ كبدُ الزمان علىّ كُنْتَ رءوفا

وقد سجل لنا الصولى العديد من المجالس والأخبار عن علاقته ومنادمته للراضى فى كتابه «أخبار الراضى بالله والمتقى لله».

وكان الصولى مقبول القول مهيب الجانب عند الخلفاء، استحوذ على ثقتهم وتقديرهم، وكان ملازما لهم فى معظم أوقاتهم فى غدوهم ورواحهم، ومكوثهم وسفرهم، يشيع فى مجالسهم الأنس والظرف بعذب حديثه ورقيق شمائله، وحضور بديهته وسرعة خاطره.

وفى ذلك يحدثنا الصولى عن بعض أسفاره مع المكتفى بالله فى سفينة، وكيف داعبها الموج ومادار فى نفوس من حولهم. وأن هذا الموقف ذكره بشعر للبحترى يناسب وضعهم ومأزقهم... يقول(٢٣):

«انحدرنا مع المكتفى بالله فى آخر سَفْرَةٍ سافرها للصيد من الموضع المعروف بُحِنّه إلى تكريت، فى حَرَّاقة، فكانت تجنح كثيرا، فيشتد فَزَعُ من معه من الجلساء لذلك، وكنت أشدهم فزعا... وكان فى الحراقة سواى من الجلساء يحيى بن على

(٢٣) أخبار البحترى للصولى ص١٨٠.

المنجم، ومتوج بن محمود بن مروان والقاسم المعروف بابن حَبَابة، وكان يضحك لفزعنا ويقول: لقد قسم الله لكم حظا من الشجاعة جزيلا، فقلت له: إن البحترى يقول شعرا يصف فيه مثل حالنا، ويمدح به أحمد بن دينار بن عبد الله. وقد غزا الروم فى مراكب.. أوله:

أَلَمْ تر تَغْلِيسَ الرَّبيعِ المبكِّرِ وَمَا حَاكَ من وَشْىِ الرِّيَاضِ المَنَشَّرِ

فقال لى: أنشدنى الموضع الذى ذكر هذا فيه منها - وكان جيد العلم بالأشعار، حافظا للأخبار - فأنشدته:

غَدَوْتَ عَلَى الميمُونِ صُبْحًا وإنَّمَا غَدَا المَرْكَبُ المَيمُونُ تَحْتَ المُظفَّرِ

....

فاستجاد المكتفى هذا الشعر.

ولكم أشاع الصولى فى مجالس الخلفاء البهجة والفن والطرب، فقد كان رخيم الصوت عذب النبرات يحسن الغناء... وكثيرا ما ارتجل[٢٤] الأشعار مازحا مادحا واصفا[٢٥] ومتغزلا، فيزيد سامعيه أنسا وبهجة وامتاعا.

ومن ذلك - وفى إحدى منادماته للخلفاء، أنشد أحد الوزراء بيتا للبحترى وجعل يردده ويستحسنه وهو:

وكأنَّ فى جسمىِ الَّذىِ فى نَاظِرَيْـكِ من السَّقَمْ

فقال الصولى[٢٦]: «فجذبتُ الدواة وعملت بحضرته»:

أحببتُ من أجله مَنْ كان يُشْبِهُهُ وكلُّ شىءٍ من المعشوقِ مَعْشُوقُ
حتى حكيتُ بجسمِى ما بِمُقْلَتِهِ كَأَنَّ سُقْمى مِنْ عَيْنَيْهِ مَسْرُوقُ

(٢٤) مروج الذهب المسعودى ٤٩٨/٢.

(٢٥) وصف الزبيدية ورغيف الند بحضرة الراضى.

(٢٦) أخبار البحترى للصولى ص ١٧٨، تاريخ بغداد ٤٢٩/٣، نزهة الالبا للانبارى ص ٣٤٤، المنتظم لابن الجوزى ٣٦٠/٦، البداية والنهاية فى التاريخ ٢١٩/١١.

فاستحسن الحاضرون منه ذلك وأعجبوا بسرعة خاطره وذكائه وشاعريته.

كل ذلك جعل الخلفاء والأمراء والوزراء يستظرفونه ويأنسون حديثه، ينجذبون إليه ويجذبونه إليهم، فينادمونه ويسعدون بمجلسه، لما يجدون فى جعبته من متع لا حد لها، وقلما ذهب رجل برضاء الخلفاء أو الملوك إلا إذا كان صاحب مزايا، وينفرد بمواهب وخصال وكفاءات تسرهم وتنفعهم وتضفى البهجة على قلوبهم.

ومن المؤكد أن الصولى كان يتفوق على أنداده بغزارة علمه، وبلاغة قوله، وعذب حديثه.. كل ذلك جعله فى المكانة العليا وفى الصف الأول، وأحد المقربين من الخلفاء الذين يجلسون عن يمينهم، تسمع كلمتهم ويؤخذ رأيهم ويديرون دفة الحديث فى المجالس والندوات.. فى جميع المجالات.

هذا هو الصولى..

وهذه هى حياته..

الباب الثالث

أدب الرجل

الفصل الأول: الأدب الإنشائى.

الفصل الثانى: الأدب الوصفى.

الفصل الثالث: الأدب التعليمى.

أدب الصولى

هناك ثلاثة روافد تجرى جميعا لتصب فى مجرى الأدب عند الصولى:

الأول: الأدب الإنشائى:

بفرعيه.. الشعر والنثر الفنى.

الثانى: الأدب الوصفى:

بشقيه.. تاريخ الأدب والنقد الأدبى.

الثالث: الأدب التعليمى.

الفصل الأول

الأدب الإنشائي

أولا: الشعر

شعر الصولى صورة لنفسه، نرى فيها ما تأثر به فى حياته المديدة، وما أحس به من الحنين واللوعة، والسعادة والتعاسة. الرضا والحسرة، ظهر كل ذلك واضحا فى شعره. فقد دفعته الأحاسيس النفسية إلى أن يعبر عن أعماق نفسه فى جميع حالاتها، كما دفعته حياته الخاصة فى رحاب الخلفاء، وما كان يتنسمه من عبير الحياة الرغدة فى قصورهم إلى وصف المناظر الطبيعية، والوقوف على ضفاف الأنهار، وأن ينطلق لسانه بتصويرها مبينا أثرها فى نفسه.

المهم أن نعرف أن الصولى فى أدبه الإنشائى مدح ورثى، وتغزل ووصف، وفاخر وصور مشاعره إزاء الناس والحياة، كما كتب الرسائل الشعرية.

وهذه هى أغراض الشعر عنده:

١ - المديح

أكبر الموضوعات التى جال فيها الصولى بشعره وأهمها: فن المديح، ذلك الفن الذى يصل الشعراء العباسيين بالشعراء الأقدمين، أولئك الذين ارتفعوا بهذا الفن إلى ذروته، ثم ترسم العباسيون خطاهم فتتبعوهم فيه.

ومعروف أن الشعراء القدامى اتخذوا من المديح أداة لتربية الخلق والحث على

مكارم الأخلاق، فكان الشاعر يمدح ممدوحيه بالكرم والشجاعة والاعتداد والإباء وغير ذلك من المثل العليا التى لم تكن ترجع إلى الفرد وحده، بل تعود على الجماعة أو القبيلة كلها.

ولما جاء الإسلام صبغ هذه المثل الخلقية العربية بصبغة روحية، فاخترعت المعانى الإسلامية التى تتحدث عن الإيمان والعدل والتقوى، فأضاف الشعراء الإسلاميون هذه الصفات إلى مدائحهم للخلفاء والوزراء.

ولقد اتصلت المديحة العباسية بالمديحة الإسلامية، فالشعراء مضوا يتمسكون فى مدائحهم بتصوير المثل الخلقية العربية وما أشاعه فيها الإسلام من مثالية روحية فأكثروا من مديح الخلفاء بالعدل والتقوى.

وقد اختلفت القصيدة العباسية عن القصيدة القديمة من حيث الموضوعات، وإن كانت تسير على نهجها، فهى تبدأ بمقدمة غزلية طللية، ولكن قد يضيف إليها الشاعر العباسى بعض تحليلات لخواطره إزاء الحب، كما يضع فيها تصويرا لمطامحه وآماله فى الحياة وقد يضيف إلى ثناياها بعض الحكم ووصف الطبيعة وبعض العناصر الدينية. فقصيدة المديح العباسية لم تكن مديحا خالصا، بل كانت تحمل فى فاتحتها كثيرا من أحاسيس الشاعر وخلجات صدره، كما كانت تحمل وصف الرياض والربيع والقصور، ومقدمات مدائح أبى تمام يتجلى فيها هذا الجانب، وأيضا فإنه قدم لقصيدته فى فتح عمورية بحديث طويل عن القوة والعقل، وهاجم المنجمين وخرافاتهم وزعمهم الإطلاع على الغيب. وقد اشتهر البحترى أيضا بوضع المقدمات التى تصف الرياض والربيع، كما تصف قصور الخلفاء.

كل ذلك كان تجديدا بلا شك من الشعراء العباسيين، اختلفوا فيه عن الشعراء السابقين ومنهجهم فى التعبير، وفى وصف الرحلة وتحمل المشاق وغير ذلك مما تطالعنا به قصائدهم ومدائحهم. فإذا كانت هذه هى مقومات المديحة العباسية بوجهها

الجديد - كما نراها عند أبي تمام والبحترى وغيرهما - فهل سار الصولى على نهجها وتتبع خطى شعراء عصره؟. أم اتبع طريقا آخر ومنهجا مغايرا فاستحدث أشياء أضافها إلى مدائحه؟.

الواقع أن الصولى وقد عاش فى العصر العباسى، ونهل مما نهل منه العباسيون شعراء وأدباء، جاراهم فيما جروا فيه، إلا أنه اختلف فى منهجه وفى مديحه بعض الشيء، فأضاف أشياء لم تكن موجودة عند نظرائه، واختط لنفسه - فى مدائحه - منهجا يكاد يعرف به ربما حدده له وضعه الأدبى والاجتماعى والدينى وصلته بالخلفاء والأمراء والوزراء.

وإذا نظرنا فى مدائح الصولى وجدناه يقدم لها أحيانا بمقدمات تختلف عن مقدمات معاصريه، فنراه فى مطالع مدائحه، يبدل المقدمة الطللية أو الغزلية أو غيرها من المقدمات التى اصطنعها الشعراء الآخرون بوضع مقدمة أخرى تبين استبشار الناس وفرحتهم بحلول خليفة جديد - أو أمير أو وزير - يأملون فيه أن يرجع هيبة الدولة وأمجاد الإسلام، على نحو قوله فى فاتحة ضاديته للراضى[١].

أصبح المُلْك عاليًا بأبى العـ ـباس أَعْلَى الملوكِ بعد انخفاضِ
واستفاضَ السرورُ فى سائرِ الـ ـناس بمَلْكٍ المهذَّبِ الفيّاضِ

فهو مستبشر مسرور لعلو الملك ثانية بحلول الخليفة الراضى، الذى سيعيد المهابة إلى الخلافة بعد الضعف الذى أصابها من قبل. ويقول أن السرور عم جميع المسلمين بتولى الخلافة رجل همام سيعيد للدولة مجدها وهيبتها بقوة عزيمته.

ويقول فى مديحته السينية: أن الدهر قد ضحك بعد أن ظل عابسا مدة طويلة، وأن السعد سيكون حليفا له وللمسلمين بعد أن لازمهم النحس طويلا ، وستلبس الأيام ثوب النعيم بعد أن لبست طويلا أثواب الشقاء، لأن الله سبحانه وتعالى قد

(١) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٠.

اختار للخلافة رجلا قويا سيعيد لها هيبتها وجلالها بعد أن كانت كالربع الواهي الضعيف البناء يقول[٢]:

ضحك الدهرُ بعد طول عُبُوس   طالعا بالسعودِ لا بالنُّحُوس
وأتتنا الأيامُ معتذرات   لابسات نعيمها بعدَ بُوسِ
رضى الراضى الالهُ لملك   أوضَحَ النَّهجِ منه بَعْد الدروسِ
أنِس اللهُ بالخليفةِ مُلْكا   مُوحشِ الرَّبْع واَهنِ التأسيسِ

ويمدح الراضى بأنه نسيم الحياة الذى أنعش الدهر وأضحكه.. ويشبه أيامه اللذيذة وسعادة الناس فيها بسعادة المحبين بالوصال وسعادة العروسين فى ليلة الزفاف، وهما صورتان جديدتان برع الصولى فى رسمهما. يقول[٣]:

يا نسيمَ الحياةِ أضحكتَ دَهْراً   كَانَ لولاك دائم التَّعْبيسِ
إن أيَّامك اللِّذاذَ كوصل الـ   ـحِبِّ طيباً ونومة التَّعريسِ

وليس معنى ذلك أن جميع فواتح قصائده تسير على هذا المنوال، فالصولى يجارى أيضا تيار عصره، ويحاكى الشعراء المعاصرين التقليديين، فيبدأ أحيانا بعض مدائحه بمقدمات غزلية مأثورة له فيها لفتات نادرة، وصور رائعة، من مثل قوله فى مديحته الدالية للراضى[٤]:

مُتَيَّمٌ متلِفُه تَلَدُّدُهْ   بَانَ لبَيْنِ الهَوَى تَجلُّدُهْ
طال عليه مَدىَ الصُّدُودِ فَمَا   يُبْصره من ضنَاهُ عُوَّدُهْ
قَدْ كتب الحبُّ بالسقامِ لهُ   نَظَّمه بمن أتَى يُفنِّدُهْ

على أن مقدمات مدائح الصولى لا تسير على وتيرة واحدة أو تنحصر فى مجال واحد، فنراه أحيانا يخالف منهجه السابق، فيجعل افتتاحيات قصائده شكوى

---

(٢) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٢١ وانظر ص ٢٧٠ مديحته لتوزون.
(٣) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٢١.
(٤) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١١١. وانظر ص ٧٩، ١١٦، ٢٧٣.

لهمومه وأحزانه وتنفيسا عن تباريحه وأسقامه على نحو قوله فى مقدمة ميميته[٥] لابن مقلة وزير الراضى:

أنا من بينِ ذَا الورىَ مظلومُ ... وإذا مـا خَصَّمْتُهمْ مَخْصُـومُ
تَتَخطّـانِى الحـظوظُ فـآسى ... ومكـانى من علمهـم معـلومُ
كَمْ تُرى فى الزمانِ مثلِى حتى ... لم يَرُمْنِى الوزيرُ فيمَنْ يَرُومُ

وقد يخالف الصولى ما تواضع عليه الشعراء، فلا يقدم لمدائحه بمقدمات، بل يتناول موضوعه مباشرة كما فعل فى مديحته النونية التى هنأ بها البريدى وزير المتقى بتولية زمام الحكم، حيث افتتحها بالمديح مباشرة فقال[٦]:

هنيئـا للوزيـر قضـاء دَيْنِ ... به أَضْحَى الزمانُ قَرِير عَيْنْ
وَعـوْدُ وزارةٍ سِيقَتْ إليـهِ ... كعودة قُرْبِ حبّ بَعْدَ بَيْنِ

وإذا كان الصولى لا يقدم أحيانا لمدائحه للوزراء والأمراء، فإنه قلما يمدح الخلفاء بقصائد دون أن يقدم لها بمقدمات غزلية.أو استبشارية أو غيرها.. فلم نعثر إلا على مديحة واحدة للراضى وهى مديحته الزائية، حيث بدأها الصولى بالدعاء والمديح للخليفة دون أن يقدم لها، حيث قال[٧]:

بارك الله للأمير أبى العبـ ... ـاس خير الملوك فى النيروزِ
وأراه أولَاده الغُـرّ أجـدا ... راً بمُلْكٍ نـامٍ وعزٍّ عـزَيـزِ

وأيضا مديحته الرائية فى المتقى ووزيره البريدى بمناسبة زواج ابن المتقى من ابنة الوزير، حيث قال[٨]:

---

(٥) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٩١.
(٦) أخبار المتقى لله للصولى ص ٢٢٠ – وانظر ص ٢٧٠ مديحته لتوزون.
(٧) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٣١.
(٨) أخبار المتقى بالله للصولى ص ٢٠٢.

قُلْ لِخَيْرِ الكفاةِ أحمدَ أعْلَى الـ ـخَلْقِ جودًا وأعظمُ الناسِ قَدْراَ
والـذى يعشقُ المكـارمَ والـ ـمجدَ ويشرى بالمالِ حمدًاَ وشكراَ
ما رأى الناسُ بالوزيرِ البريـ ـدى كَذَا اليوم حسنًا وفَخْراَ

غير أن الصولى فى معظم الأحيان يقدم لقصائده بمقدمات غزلية - قد تطول أو تقصر حسب انفعاله وحالته النفسية، فقد تكون بيتا واحدا كما فى داليته للخليفة المعتضد[٩]، وقد تصل إلى العشرين بيتا كما فى مقدمة بائيته[١٠] فى مدح الوزير ابن الفرات. وعموما فمقدماته الغزلية تتراوح بين الأربعة والخمسة أبيات، أما مقدماته الاستبشارية فهى دائما متوقفة على تولى الخلافة أو الوزارة أو الإمارة.

وإذا تركنا مقدمات مدائح الصولى إلى مدائحه نفسها: وجدناه يجسم المثالية الخلقية تجسيما قويا فى ممدوحيه، فهو حين يمدح الخلفاء أو الوزراء أو الأمراء - لا ينفصل عن منهج السابقين والمعاصرين حيث يتمثل المعانى العربية المتوارثة، كالشجاعة والكرم والوفاء والإباء وغير ذلك مما يتصل بالأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة[١١].

فنراه يمدح الخليفة الراضى بالشجاعة، وأن قواده وجنوده يستمدون منه القوة والمقدرة القتالية وأنه سيف على الخارجين عليه، العاصين لأوامره، وهو المقتدر، المطفىء لنار طغيانهم. يقول[١٢]:

جيوشُهُ حَـوْلَه كـما حَدَقَتْ بـالبدر بـدر التَّمام أسعُـدُهُ
سيفٌ على من عَصَاك متقدٌ تُطْفىِ به طغيـانَهُ وَتَغْمِـدُهُ

(٩) مروج الذهب للمسعودى ٢٧٨/٤ (راجع ملحق الشعر ص ٩).
(١٠) أخبار الراضى للصولى ص ٤٧ (راجع ملحق الشعر ص ٤).
(١١) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١١١.
(١٢) أخبار الراضى بالله للصولى ص١١١.

ويمدح قائده – ابن ياقوت – بالشجاعة والبأس، وأنه قبلة الحرب، المؤيد بنصر الله فيقول[١٣]:

يـا إمامَ الهُـدى اسْتَمِعْ لِـوَلِيٍّ سَـائِـر فى مَـدِيحِكُم ركَّـاضِ
يَفْضُلُ الناسَ فى الشجاعةِ والبأسِ كفضـل الـدِّيْسِ لابن مخَـاض
قبلةُ الحَـرْبِ حين تجتنب الحـر بُ وتَرْدى خيولها فى العراضِ
باذلَ الرأى سالك شَعْبَ عزمٍ ما المصاعيبُ فيـهِ كالأحَفْـاَضِ

ويمدح الصولى الأمير توزون بالإقدام والفتك والجرأة يوم احتدام الوغا والتقاء الأقران فيقول[١٤]:

عُرِفْتَ بإقـدامٍ وفتكٍ وجُـرأةٍ فَمَا أَحَدٌ فى كُلِّ ذلك يُنْكِرُكْ
إذا إلتقَتْ الأقرانُ واحتدمَ الوغاَ فسيفُكَ بالنَّصرِ القريبِ يبشرُكْ
وإنْ جَرّ يومًا عسكرًا ذُو تَجَمُّعٍ فسيفُكَ فَردًا فى قتالك عَسْكَرُكْ

ويتحدث عن شجاعته فى المعارك التى خاضها، وانتصر فيها على أعدائه، وقهرهم قهرا، ففروا أمام جحافله كالشياه المذعورة، فمن لحق بهم صرعهم، ومن تخطاه الموت منهم أُسر وعاش ذليلا.. يقول[١٥]:

فى كلِّ يومٍ للأعَادِى وقعـةٌ مُنـه تُبيـدهم وسيفُ فنـاءِ
فتـراهُمْ لمـاً رأوه مُـقْبـلاً كالشاءِ ينفرُ من أسودِ ظِراءِ
صَرْعَى وقَتْلىَ والذى فاتَ الرَّدى منهم حليفُ الذل فى الاسراءِ
نَثَرَتْ سُيُوفك بالفضـاء أكفَّهُمْ فكـأنهم فيـه حَصَى البـطحاءِ
وعطفتَ خيلَكَ خاطفًا أرواحهم من غير إمهالٍ ولا إبطاءِ

---

(١٣) اخبار الراضى بالله ص ١١١.

(١٤) أخبار المتقى لله للصولى ص ٢٧٣.

(١٥) أخبار المتقى لله للصولى ص٢٧٠.

ويساير الصولى تيار الشعر المتوارث فيمدح الراضى بأكبر الصفات والمعانى التى كان يفاخر بها العرب وهى صفة الكرم حيث يقول[١٦]:

أموالُه نَحْوَنا مُوَجَّهةٌ   بَنائلٍ لاتَحُثُّ وُردُه
يُعْلَى لنا الحالُ والمحَلُّ به   فلا سؤالٌ له نُرَدِّدُهُ

ويبالغ فى مديح الراضى بالكرم، فيصفه بأنه النبع الصافى الذى منه يرتوى الناس، وأن جوده شمل كل من حوله، وأن بشره زائد العطاء، ويربط بين كرمه وسخائه وصورة البرق الذى يلمع فى السماء دليلا على انهمار الغيث. ويقول إن هذا العطاءُ والسخاء يأتى تكرما دون سؤال إنسان أو تذكير من أحد، فالعطاء يجرى من يديه إلى الناس خالصا كما تجرى المياه من منابعها صافية. يقول[١٧]:

يَرِدُ الناسُ منه أغدارَ جُودٍ   طيِّب الوِرْدِ مُتْرعِ الأحواضِ
بشرُهُ زائدُ العطاءِ كما البَرْ   قُ دليلُ الغيوثِ بالايماضِ
جَاَءَ عَفْوا بلا سُؤَال وَلاَ وعـ   ـد ولامذكر به مُتَقَاضى
صافيًا من تَكَدُّرِ المطَلْ يَجْرِى   جرى ماءٍ صافٍ عَلَى رِضْرَاضِ

كما يمدح أبا عبد الله البريدى - وزير المتقى - بأنه يهين المال بالأفضال جودا، وإن مكانته ومرتبته فى هذا الشأن لا تتطاول إليها الأعناق. يقول[١٨]:

يَهِينُ المالَ بالافضالِ جُودًا   ومرقَى الجُودِ صَعْبٌ غير هَيْنِ
سَيَقْضِيهِ الزمانُ بطُولِ عَمْرٍ   وَتَمْلِيكِ الرِّياسةِ كُلَّ دَيْنِ

ويضيف الصولى إلى هذين المعنيين المتوارثين - الشجاعة والكرم - معانى أخرى، فنراه يمدح ممدوحيه بصفات أخرى تتصل بالناس وصلة الحكام بهم..

---

(١٦) أخبار الراضى بالله ص١١١.

(١٧) أخبار الراضى بالله ص١٠.

(١٨) أخبار المتقى لله للصولى ص٢٢٠.

فيمدح الراضى تارة بأنه المفرج للكروب، وخير من يلوذ به الناس ويحتمون، الوفى بالوعد السَّمْح.. ويمدحه تارة أخرى بأنه المحسن الذى اكتسب حب الناس، وطاعتهم له، وتقديرهم لمكانته وفضله حتى لم يعد هناك إنسان يبغضه أو يسخط عليه، لسماحة وجهه وعفوه. فيقول[١٩]:

أحسنتَ حتَّى مَاتَرَىَ مُتَسخِّطاً   يشكُو الزمانَ ولاتَرَىَ لك مُبْغَضَا
كَمْ مُبْغضٍ حُطَّتْ إليك ركابُهَ   نَالَ الغنِيَ عجلاً فأغْنَىَ المبْغضَا

ويضيف الصولى إلى مدائحه بالأخلاق الكريمة والخصال الحميدة وغيرها.. معانى أخرى بعضها يتصل بالصفات الشخصية.

فيمدح الراضى بالذكاء ورقة الطبع فيقول[٢٠]:

رقيق حواشى الذهن هُذِّب طبعُه   ومُحِّصَ فى قُرْبِ المَدَىَ أَيَّماَ مَحْصِ

وأنه لا يخونه الفهم، ولا يسىء التقدير[٢١]:

أَرَى ذكيًّا ذَكَتْ خَوَاطِرُهُ   فلَمْ يَخُنْ فهمه مُتَلَدُهُ

ويمدح الأمير توزون بالدهاء والذكاء، وأنه لا تفوت عليه فائتة، أو تخفى عليه خافية، لأنه يملك زمام الأمور سياسيا وحربيا، يقول[٢٢]:

وَهَلْ تَجِدُ الأعداء عندكَ غِرَّةً   وأبيَضُكَ الموتُ المُرَجَّى وأسْمَرُكْ
وما نَصَرَ الله امرءًا أنت حَرْبُه   وأنَّى لَهُ بالنَّصْرِ والله يُنَصرُكْ

ويتحدث عن حنكته وسيطرته على الأمور ويمدحه بالعقل وصواب الرأى والنجدة وأن الله يعينه على تدبير الأمور لأنه محيى الدولة فيقول[٢٣]:

(١٩) أخبار الراضى بالله للصولى ص١٢٤.

(٢٠) أخبار الراضى للصولى ص٢٧.

(٢١) أخبار الراضى للصولى ص١١١.

(٢٢) أخبار المتقى لله للصولى ص٢٧٣.

(٢٣) أخبار المتقى لله للصولى ص٢٧٣.

طُبِعْتَ عَلَى عقلٍ وَجُودٍ ونَجْدَةٍ   فما تستطيعُ الحادثاتُ تُغَيِّرُكْ
تُدَبِّرُ فى تربِ السنينِ أُمورَنَا   برأىٍ مُصيب وإلا لَه يُدَبِّرُكْ
رأيتُكَ للسُّلْطَانِ مُحيىَ دولةٍ   فهذاً اسمُك الأولى بوَصْفِكَ يُشْهِرُكْ

ويمدح الراضى بأنه البدر الذى أضاء دجى الظلماء، والذى لم يأت خليفة مثله، ولن يستطيع أن يصل إلى مرتبته إنسان. فيقول(٢٤):

بَدْرٌ يُضِىءِ دُجَى الظَّلَامِ ولَمْ يَزَلْ   لِسَوَاد ماتَجنِى الخُطُوبُ مبيضاَ
بكرُ الزمانِ فَلَيسَ يُنتج مثلَهُ   أبداً ولايُلْفَى به متمخضا
من شام عِزّك ذَلَّ دون مَنَالِهِ   أوْ رامَ مارفَّعْتَ منه تَخَفَّضا

كما يمدح ممدوحيه ببعض الصفات التى تتناسب مع مكانتهم الرسمية تلك التى تتصل بالحكم والسياسة وأمور الدولة. نحو مديحه للراضى بسداد الرأى، والتمسك بالوفاء وحسن تدبير أمور الرعية وتوجيه سياسة الوزراء والحجاب بما فيه صالح الشعب. يقول(٢٥):

يَسُلُّ رأيًا كالسَّيفِ وِقفتُهُ   ويحتوِى سَيْفَهُ وَيغمِدُهُ
تَمَسُّكاً فيه بالوفاءِ ومَاَ   تَقْصُرُ عَمَّا يُرِيدُهُ يدُهُ
يَسُوسُهُم بالسَّدَادِ حَاجِبُه   وَهوَ بآرائِهِ يُسَدِّدُهُ

ويمدحه أيضا بأنه القادر على الوصول إلى أهدافه، الألُوف، العيَّاف النهوض بالخطوب إذا ما واجهته المحن(٢٦):

ويمدح الوزير ابن مقلة بالاستقلال بالرأى، وأنه أعلم الزمان الذى لا تخفى عليه خافية، وأنه ذو عزم ويقين، وخير ناصح وأمين فيقول(٢٧) فى مديحته الضادية للراضى:

---

(٢٤) أخبار الراضى بالله للصولى ص١٢٤.

(٢٥) أخبار الراضى بالله للصولى ص١١٣.

(٢٦) أخبار الراضى بالله للصولى ص٧٩.

(٢٧) أخبار الراضى بالله للصولى ص١٠ وانظر ص٢١.

أَيَّدَ اللهُ مُلكَه بَوزِيرٍ ... مستقلٍ برأيِهِ نَهَّاضِ

عالمٌ بالزَّمانِ قد راضَ منهُ ... جامحاً آبياً على الرواضِ

لم يطفْ اليقينُ من ظنّه الـ ... ـشَّكُ ولا حَالَ دونه باعتراضِ

ضَربٌ فى لهى وليِّك ماضٍ ... وسهادٌ على عَدُوِّكَ قاضى

ناصحٌ لم يَخضْ ضحاضح غشٍ ... فى الزَّمَانِ الماضى مع الخُوّاضِ

كما يمدحه بأنه العارف بأحوال الزمان وظروف العصر، الذى له من سداد الرأى وقوة الشكيمة ومضاء العزيمة ما يحصد أعداءه ويقطع أوصالهم، ويمدحه أيضا بأنه الحاذق الماهر، العارف بمكر الأعادى، القادر على رد كيدهم إلى نحورهم[٢٨].

ويمدح الصولى «محمد بن يحيى شيرزاد» كاتب توزون بأنه صائب الآراء وزين الكتابة، ويشير إلى أن آراءه نافذة سديدة تصل إلى أهدافها وتؤدى غرضها تماما، كما تصل السهام إلى أحشاء الأعداء ويصور آراءه، وكأنها حبال تُرمى فتتعلق بها الناس، كناية عن مقدرته على تصريف أمور الناس فالكل له طائعون وبأمره يأتمرون. يقول فى ثنايا مديحته لتوزون[٢٩]:

أَحْيَا محمد بن يحيى دولةً ... بصحيح عَزْم صائبِ الآراءِ

زينُ الكتَابةِ وابنُ من ذَلَّتْ لَهَ ... وعليه قدْمًا كتبه الخُلفاءِ

مِنْ بَعْدِ ما ظَنَّ الأعادىِ أَنَّهُ ... سيكونُ مَنْ ناواه ذا استِعْلاءِ

فرماهُمُ منْ رأيه بنوافذٍ ... تُهْدَى بلا هادٍ إلى الاحشاءِ

ورمَى حبائل رَأيِهِ شَرَكاً لهم ... فَهوُوا لِحُمْتَتِهِ هُوىّ دِلَاءِ

ويقول لتوزون فى قصيدة أخرى[٣٠] إن آراء ابن يحيى أكسبتك المال وأرواح

---

(٢٨) أخبار الراضى بالله للصولى ص٢١.

(٢٩) أخبار المتقى لله للصولى ص٢٧٠.

(٣٠) انظر أخبار المتقى لله للصولى ص٢٧٣.

الأعداء، ففى قدومه إليك السعد، وفى تدبيره الأمور لك النجاح والرفعة، فهو رجل ذو رأى وعقل، وعلم بتدبير الأمور مقدر للأحداث، يعرف كيف يمدك بالنصح والإرشاد.

والصولى يجعل من مدائحه سجلا تاريخيا، يتحدث فيها عن عائلة ممدوحيه وأنسابهم، آبائهم وأجدادهم. فحين يمدح الخلفاء يشير دائما إلى انتسابهم للبيت النبوى الشريف الذى يعلو على كل البيوتات بالشرف والعز والمجد والنبوة. ويجعل من هذا النسب وسيلة لرفعة الخلفاء والتفاف قلوب الناس حولهم من مثل قوله عن الراضى(٣١):

طَابِ أصلاً وبابنهٍ طَابَ فرعًا   غَرَسَ الملكُ منه خير غَرِيسِ
قَدْ أمرَ الزمان طوعًا عَلَيْه   فَسَخَا بَعْدَ نَفْرةٍ وشمُوسِ
فتَرَى الناسَ خَاضِعِينَ إليهِ   من قيامٍ بأمْرهِ وجلُوسِ

وقوله فى مديحه أخرى(٣٢):

عَالِى المَحلِّ بنى له آباؤهُ   شرفاً أَبَتْ أَرْكَانه أَنْ ينقضاَ

ويشير الصولى فى مديحته للمتقى لله إلى بنى العباس وفضلهم على الخلافة والإسلام، وأنهم ملكوا الجبلين اللذين قام بهما الإسلام: النبوة والخلافة وأنه لولا وجودهم وقيامهم بأمر الدين لضعف نور الحق. يقول(٣٣):

ولَوْلَا بنُو العباس عم مُحَمَّدٍ   لأصبح نُوُر الحقِّ فيه خُمُولُ
لكم جَبَلا الله اللذان اصطفاهما   يقومان بالإسلام حين يميلُ
نُبُوته ثم الخلافَةُ بعْدَهَا   ومالها حتى اللقاءِ حَوِيلُ

---

(٣١) أخبار الراضى بالله للصولى ص٢١.

(٣٢) أخبار الراضى بالله للصولى ص١٢٤ وانظر ص١٠، ٢٧.

(٣٣) أخبار المتقى لله للصولى ص ١٨٨.

كما يمدح آباء ممدوحيه وأجدادهم بأهم الصفات والخصال التى برزوا فيها.. فحين مدح الراضى بالله أشار إلى عدل أبيه المقتدر، ومدحه بأنه العادل - الذى أحيا عدله البرية حتى أن الناس سموه بالفاروق. يقول[٣٤] :

إِلَى ابنِ الّذى أحيا البريَّةَ عَدْلُهُ   فَشُبِّهَ بالفاروقِ منهُم أَبى حَفْصِ

وحين مدح ابن مقلة وزيره، مدح آباءه بالشرف والمجد ووصفهم بأنهم نجوم الورى الساطعة دوما، وأن المجد موقوف عليهم، والناس لهم عارفون ولعزيمتهم مقدرون لأنهم يملكون زمام السياسة والكتابة. وأن قلمهم يجمع بين البيان والحسن، وأن كتابتهم كالرقوم الموشاة، تحوى أكمل المعانى وأجملها. يقول[٣٥] :

أنتم يا بنى عَلِيٍّ نجومٌ   للورى فى الضياء ليسَتْ تغيمُ

خيمت فيكُمُ محاسنِ .خطٍّ   لَاَحَ منها للناس دُرٌّ عظيمُ

قلمٌ جامع بيانا وحُسْنًا   ما حَوىَ فيه مثلكم إقليمُ

تتباهى به القراطيس حُسْناً   مثل وشيٍ تروق منه الرقُومُ

وكلامٌ كأنه زهرُ الرو   ض بدت للنجومِ منه نجومُ

قد أَحَاطَتْ به عُيُونُ المعانيِ   وأَضَاءَتْ فى جَانِبَيْهِ الظُّلُومُ

وحين مدح أبا عبد الله البريدى وزير المتقى - مدح آله بأنهم صانوا الوزارة بعد هتك وضعف، بآرائهم المستنيرة، وحكمتهم وحنكتهم، وأنهم جمعوا بين الزعامة فى الكتابة والزعامة فى السياسة، وأن أقلامهم تصدر الأحكام القاطعة فى الأعادى، فلابد من نفاذها، كما ينفذ فيهم السيف أو الرمح الردينى.. وُيثنى عليهم ثناء عظيما، ويذكرهم بالثواب الذى ينتظرهم على ما قدموه للخليفة وللدولة. وأنه سيكون ثواب الصديقين والشهداء والأبرار... يقول[٣٦] :

---

(٣٤) أخبار الراضى للصولى ص ٢٧.

(٣٥) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٩١.

(٣٦) أخبار المتقى لله للصولى ص ٢٢٠.

ثَوَابُكُم عَلَى إصْلَاحِ مُلْكٍ   ثَوَابَ شُهودِ أُحْدٍ أو حُنَيْنِ

والصولى فى مدائحه يضيف إلى كل العناصر السابقة التى تناولها فى مديحه للخلفاء والوزراء والأمراء عناصر أخرى تتصل بأبرز سمات الممدوح.

ولقد كان من أبرز سمات الراضى بالله.. العلم والأدب. لذلك ركز الصولى على هذا العنصر فى مديحه له - تركيزا شديدا . فمدحه بأنه أجل الناس علما، وأن علمه هذا هو الذى أحيا سنن الدين بعد أن عفت، كما مدحه بأنه خطيب مفوه، يؤم الناس، ويفعل ما كان يفعله النبى وخلفاؤه الراشدون. يقول(٣٧) :

أَجَلُّ النّاسِ آراءً وعِلْماً   مقالٌ ليس يُقْرَنُ بالأُفُوكِ
وما أحيَاهُ من سُنَن تَعَفَّتْ   فدَارَ صلاحُها دَوْرَ الدُّمُوكِ
رَكُوبٌ للمَنَابِرِ سَارَ قَصْدًا   إِلَيْهاَ وهى حَائِرَةُ السُّلُوكِ
فذكَّرَنَاَ مقالٌ منهُ فَصَلٌ   مَقَالَ المصطفى بِجِرَى تَبُوكِ

ويمدحه بأنه نهل من جنان العلم الأنيقة، ورياضه حتى كمل فيه الفضل والفضائل منذ كان صغيرا، وأصبح بالعلم خير خليفة تولى إمرة المؤمنين.

ومعروف أن الصولى كان معلما للراضى ثم نديما وجليسا، وأن علاقته به دامت أعواما طويلة، لذلك نجد الصولى قد خص الخليفة الراضى - دون غيره - بمعظم مدائحه، خاصة وأن الظروف لم تتح له أن يتصل بالخليفة المتقى لله، لرفضه الجلوس مع الندماء أو اتخاذ جلساء من العلماء لذلك لم نجد للمتقى أثرا فى شعر الصولى، فلم يمدحه إلا بمديحه واحدة لامية(٣٨) - عند توليه الخلافة - وهى مديحة محدودة المعانى، وتكاد تنحصر فى المعانى الدينية وتقتصر عليها، بعدها تحول الصولى إلى من بيده السلطة الفعلية وهو الأمير توزون - أمير الأمراء - الذى هيمن على الدولة

---

(٣٧) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٧٩ - وانظر ص ١٠، ٢٧، ٣١، ١٥١.

(٣٨) أخبار المتقى لله للصولى ص ١٨٨.

وأمسك بزمام السلطة طيلة حكم المتقى لله وبعده. بل أن توزون هو الذى حكم على المتقى بالسمل والقتل وأنهى فترة خلافته وعين خليفته.

فلا عجب أن نجد الصولى فى أخريات حياته، يتصل بتوزون ويمدحه بمدائح عصماء، ويمجده ويعظمه بأبيات لم يُقل مثلها لخليفة أو وزير أو أمير من قبل. من مثل قوله(٣٩):

أَنتَ المعظمُ فى الزَّمانِ وَمَنْ لَهُ ... ذَلَّتْ رقابُ السَّادَةِ العظماءِ
أَبَتْ الأمارةُ أن تُزَوَّجَ غيرَهُ ... مِنْ بعدما خُطِبَت أَشَد إباءِ
فرقيتَ فى دَرَجِ المَعَالِى صَاعدًا ... تَعْلُو على العظماءِ والكُبَراءِ

وأهم عنصر يضيفه الصولى إلى مدائحه فى الخلفاء - بالاضافة إلى العناصر السابقة - العنصر المتصل بالدين حيث يضمن مدائحه للخلفاء معانى تضفى عليهم صفات التقديس.

فنراه يمدح الخليفة الراضى بالمعانى الدينية ويصفه بأنه الإمام الذى اختاره الله لينقذ الدين وأنه حاز كل المكرمات، وحاز بها الكمال والمجد وحب الناس.

كما يمدحه بأنه حجة الله، وأنه قبلة الدين التى يتجه إليها الناس فى صلاتهم وحياتهم، وأن طاعته واجبة وجوب طاعة الله، ومن عصاه فله الموت والهلاك فى الدنيا وثقل العذاب فى الآخرة. يقول(٤٠):

يَا إِمَامًا إليه حُلَّت عُرَا الفَخْـ ... ـرِ وفُلَّتْ مَعَاقِد الأغْراضِ
حَازَ بالمكرماتِ كَامِلَ مجدٍ ... علق الناس فيه بالأبْعَاضِ
حُجَّةُ الله أَنْتَ يا قِبْلَةَ الـ ... ـدين فليست تُرَدّ بالأدحَاضِ
آذَنَ السيفُ مَنْ عَصَاكَ من الـ ... ـناسِ بهلك واشك وانقراضِ

(٣٩) أخبار المتقى لله للصولى ص ٢٧٠.
(٤٠) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٠.

ويثقل من العذاب ووزر ينقض الظهر أيما إنقاض

ويقول أيضا أن الله أوحده فى فضائله، وأوجده من بدء الوجود يحميه ويكفله برعايته، وينحس أعداءه، ويلهمه السداد والتوفيق، ويصل الصولى إلى قمة مديحه الدينى، فيبالغ مبالغة شديدة حين يقول فى مديحته الدالية للراضى: لو جاز للبشر أن يعبدوا غير الله، لعبدوا الخليفة ومجدوه وسبحوا بحمده: يقول[٤١]:

أوحده الله فى فضائله فهو من بدء الكمال أوجده
كفاية الله تستطيف به تنحس أعداءه وتسعده
لو جاز أن يعبد العباد سوى الـ خالق كنا للبر نعبده

ويمدحه أيضا بأن كل ما فى الوجود من محاسن مرجعه إليه فهو مالك الدهر، والكل له مطيع، فطاعته من طاعة الله. يقول[٤٢]:

محاسن هذا الخلق منك إبتداؤها ويجذبها ذو كلفة منك كاللص
فلا زلت للدهر المملك مالكاً يطيعك فيما تشتهيه ولا يعصى

ويقول إن الله اصطفاه وعزز به دينه الذى ارتضاه للناس فهو بأمر الله وعونه فى محل أمين، ومكانة مرموقة، محاط برعايته وحمايته.. يقول[٤٣]:

رضى الراضى الإله لملك عزز الدين أيما تعزيز
فهو بالله فى محل أمان تحت حرز من القضاء حريز

وأنه الخليفة المعتلى بفخره، والذى يهتدى بنور هديه الناس، وأنه إمام المسلمين وعصمة أمرهم ودينهم[٤٤]:

---

(٤١) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١١١.
(٤٢) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٢٧.
(٤٣) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٣١.
(٤٤) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٢٤.

بِعُلُوّ فَخْرِكَ فِى المَفَاخِرِ يُعْتلى   وبنُورِ هَدْيِكَ فِى الدِّيَانةِ يُسْتَضَا

ويمدح الراضى بأنه كل الورى وسيد الناس والجميع عبيد له يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه كبيرهم وصغيرهم أعلاهم وأدناهم، ففى حياته حياة الناس، وفى بقائه الفوز لهم والغنى والسداد، ومن لا يؤمن بطاعته وحبه فلن تنفع له صلاة. يقول[٤٥]:

فـأسْلَم اللهُ إمـامَ الهُـدَى   فما عطاءُ الدَّهر بالنَّحْسِ
كلُّ الوَرَى أنتَ وكلٌّ يُرَى   عَبْدَكَ من عالٍ ومن نِكْسِ
بقـاؤك الفوز لنـا والغنَى   نُصَبحُ فيه مثل ما نُمْسِى
مَنْ لَا يرى حُبَّك فَرْضًا فَمَا   أَدَّى فُرُوضَ الله فى الخَمْسِ

ويمدح الصولى الخليفة المتقى لله بأنه الدين والدنيا جمعهما الله فى شخصه، فليس لإنسان أن يعصيه، لأن الله اصطفاه بالجلال ووقاه من كل سوء، فهو عماد الدين الذى به يقوم، وأن الإسلام سيرتفع به ويزداد عزة وقوة، ومن أطاعه فقد أطاع الله وأصبح العز فى الدنيا حليفا له، وأن من خالفه فقد خالف الله، وعاش ذليلا كافرا.

ويصف الصولى الخليفة بأنه نور الهداية الذى أضاءت به الدنيا وأشرق على الوجود، حينما اختاره الله خليفة للمسلمين، يرعى حقوقهم ويحافظ على دينهم الحنيف الذى هو عصمة أمرهم يقول فى لاميته وهى القصيدة الوحيدة التى مدح بها المتقى لله عند توليه الخلافة[٤٦]:

هو الدينُ والدنيا فليسَ لطالبٍ   ولا رَاغبٍ عَـمَّا لَدَيْـه مُميلُ
سمى خليل الله لا زلت مقبلا   عَلَيْكَ بِنُعْمَى ذِى الجَلَالِ قَبُولُ
وَقَاك الذى سَماك مُتَّقِيًا له   فأنتَ عِمادُ الدِّين ليسَ يَزُول
أُدِيلَ بكَ الإسلامُ فازدادَ عِزَّةً   فأَنتَ من الدهر الغشومِ تُديلُ

(٤٥) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٧٢.

(٤٦) أخبار المتقى لله للصولى ص ١٨٨.

مطيعك أَنىَّ حَلَّ فالعزَّ جَارُهُ   وعاصيكَ لَوْنَالَ النجومَ ذَلَيل
مَدَدتَ على الإسلام أكتافَ نعمةٍ   لأعطافِها ظِلٌّ عليه ظليلُ
أَضَاءَتْ بكَ الدنيا فأشرَقَ نُورهُا   وأَنْتَ الذى يذكى سَناَهُ أُفُولُ

والصولى يشير دائما فى مدائحه للخلفاء العباسيين إلى فكرة الخلافة، وأنهم أحق الناس بها لصلة الدم والعصب، وأن الله ارتضاهم وفضلهم على العالمين، واختارهم للخلافة واختارها لهم.

من ذلك قوله أن الله اختار الراضى خليفة له على الأرض، وهو كفء لذلك وراض وأن الخلافة أتته طوعا ولم يطلبها أو يسعى إليها، وهو الأحق بها، المعان بقوة الله على أمورها. يقول(٤٧):

بمحمد رَضِيَ الإلَهُ خليفةً   فى الأرض فهو بذاكَ رَاضٍ مُرْتَضىَ
جاءته طَوْعًا لم يُسَيِّرِ لفظَهُ   فيها ولا أَضْحَى لها متعرِّضاَ
فهو الحقيقُ بها المعانُ بُقّوةٍ   فيها بحُكْم فاصلٍ لَنْ يُدْحَضا

ويقول أيضا أن الخلافة خطرت نحوه طائعة باجماع من الناس فالكل عقد عليه العزم لإرجاع مجد الاسلام حتى الزمان قد استلذ وفرح وترنم وجلّى سواده القديم ببياض الأمل(٤٨):

خطَرَتْ نَحْوه الخلافةُ طَوْعًا   باتفاقٍ من الوَرَى وتَرَاضٍ
واصْطِفَاق من الأكف دراكاً   واجتماع موفٍ وعزم مفاضٍ
واستلذَ الزمانُ إذْ أسفر الملـ   ـك وجَلَّى سوادَه ببياضٍ

وفى مديحته اللامية للخليفة المتقى لله يخاطبه قائلا: إن الخلافة أتتك قدرا مقدرا

---

(٤٧) أخبار الراضى للصولى ص ١٢٤.

(٤٨) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٠.

من العلى القدير الحافظ الوكيل، وأنه حباك بها وصانها لك، وأنه كفيل بإتمام نعمته عليك، ولو حِدْت عنها فإنه سيقودها إليك، فليس هناك كفء لها غيرك، فهو الذى اصطفاك لها واصطفاها لك[٤٩]:

أتتك إختيارًا لا إحتلابًا خلافةٌ لكَ اللهُ فيها حافظ وَوَكيلُ
حَبَاكَ بها مَنْ صَانَها لك أنَّهُ باتمام نُعْمَاهُ عَلَيكَ كَفِيلُ
ولَوْ حِدْت عنها قَادَها بزِمَامِها إليكَ اصطفاءُ اللهِ وَهِيَ نَزِيلُ

ويسجل الصولى فى مدائحه للخليفة كل الأحداث التى حدثت فى عهده من انتصار فى الحروب أو اخماد للفتن أو قضاء على المؤامرات. فنراه يسجل إخماد فتنة مرداواج الذى حاول أن يناهض الخلافة، غير أن بحكم قضى عليه وأحبط مؤامرته..

ويقول للخليفة الراضى: لا تَخْشَ أعداءك من أمثال مرداواج، فهم جميعا يقتلون بقدرة الله، لأن الله يؤيدك بنصره فلا تخشاهم، ويستعير صورتين من التاريخ يربط بها بين أحداث العصر وأحداث الماضى، فيربط بين جحافل جيوش المسلمين التى دخلت فارس فأطفأت نار المجوس وبين جحافل جيش الراضى التى قضت على مرداواج، ويربط بين سرعة انهيار ملك بلقيس وبين سرعة القضاء على هذا الخارج فيقول: إن رياح أيامك الغر الميامين قصفته فأخمدت نار الفتنة التى أشعلها، كما أخمد الفاتحون المسلمون نار المجوس، فانهار العرش الذى بناه لنفسه، وسلب منه سريعا، بل أسرع مما سلب العرش من يدى الملكة بلقيس.. يقول[٥٠]:

مَرْدَوَاجُ بسيفِ حظِّكَ مَقْتُو ل فأهْونْ بذَاكَ من مَرْمُوسِ
قَصَفَتْهُ رياحُ أيَّامِكَ الغـ ـرِّ فأخمَدْنَ منهُ نَارَ المَجُوسِ
ثُلَّ عَرْشُ اللعينِ أسْرَعُ مما سُلِبَ العرشُ مِنْ يدى بِلْقِيسِ

(٤٩) أخبار المتقى لله ص ١٨٨.

(٥٠) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٢١.

ويمدح بجكم أيضا فى مديحته الزائية للراضى، ويشير إلى فتنة مرداوج التى أخمدها، وكيف أن بجكم أباده فيقول[٥١]:

حتف الله مَـرْدَاوِجَ بحـدّ منهُ فى أنفس الورى مَرْكُوزِ
كَمْ عَدُوٍّ أَبَادَهُ غـير مَقْبو نٍ بمِرْدَى الرَّدَى ولا مَجْنُوزِ

وإذا كان الصولى لم يذكر اسم بجكم صراحة فى هذه الأبيات، لأن نجمة لم يكن قد سطع بعد، فإنه ذكره كثيرا بعد ذلك حسب موقفه وموقعه من الأحداث، خاصة بعد أن تولى إمرة الأمراء. يمدحه الصولى فى ثنايا مديحته للراضى فيقول[٥٢]:

وَيَفُلُّ غَرْبَ جموعهم لك حاسمٌ من جيشِ رأيكَ كالسِّهامِ المنتَضَى
وُيـذيقُهم جُرَعَ المنـايـا بجكمُ وكذاكَ عادةُ بجكم فيما مَضَى
سيفُ الخـلافة والمبـيرُ عَدُوَّهـا بسديدِ عَزْمٍ صائب إنْ أَعْرَضَا
أَنْحَى عليهمْ بالسيوفِ فَخِلْتَهُمْ لتناثُرِ الأَعْضَاءِ حَصْبَاءِ الفَضَـا

ويمدحه أيضا فى مديحته للمتقى بالله فيقول[٥٣]:

لَقَدْ شَدَّ أزرَ الدِّينِ مولاك بجكمُ بِـهِ يتسـامَى مُلْكُكُم ويَـطُولُ
هُوَ الحتف مَصْبُوباً على كل نَاكِثٍ يَظَلُّ به أَيدِى الشَّقَاءِ نُحُولُ
فَـمَا لكُمُ فى المنعمـينَ مُعَـانِـدُ ولَيْس لهُ فى النَّاصِحِينَ عديلُ

وخصيصة بارزة فى مدائح الصولى وهى أنه دائما ينتقل من المجال الغيرى - المديح - إلى المجال الذاتى، فيتحدث عن نفسه وعن أحواله فى جميع مراحلها.

فهو فى كثير من مدائحه للخلفاء يذكر أنه السباق إلى مديحهم، وأنه تقدم كل

---

(٥١) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٣١.

(٥٢) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٢٤.

(٥٣) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٨٨.

الناس بالرغم مما عاناه من كيد الكائدين وبغضهم. وأنه اختار لهذه المدائح أشعارا لم يقل مثلها ولا امتدح بمثلها خليفة من قبل. وتقدم بها إلى الخليفة فى قصيدة عصماء تناسب جلالته ومكانته. يقول(٥٤):

وتقدمتُ فى مديحى لـه النا سَ على الرَّغْم من ذَوِى الاَبغاضِ
وافترعتُ الابكارَ من عزة الشِّعْـ ـرِ فَذَلَّلْتُ صعبَها بافتضاضِ

ويقول أيضا(٥٥):

لِى سَبْقُ المديحِ فيكَ على النآ سِ وفخرُ بالسَّبقْ فى التَّأْسِيسِ

ويقول أن الشعر كثير ، يطلق فى أناس وممدوحين مختلفين، ولكن شعرى وقف على مديح أمير المؤمنين مقصور عليه لأنه أولى به وأقدر على تقييمه.

يُطْلَقُ الشِّعرُ فى أناسٍ وشِعْرِى وَقْفُ مَدْح عَلَى الاِّمَامِ حَبِيسِ

وأيضا يتحدث الصولى عن غبطته وسعادته لأن الخليفة اختاره ليكون له جليسا ونديما، ويبين مدى سعادته لأنه يستمتع بعذب حديثه المستفاض، ويقول أنه بلغ غايته ومناه، وبشره الناس بالغنى بعد الفقر، والعز بعد الذل، وأصبح ينام قرير العين مرتاح البال منذ جلس إلى الخليفة: يقول(٥٦):

وَتَشَرَّفْتُ بالجلوسِ لَدَيْهِ بحديث يلتذه مستفاضِ
وبلغتُ المُنَى وبشَّرَنِى الـ ـنَّاسُ بثوب من الغِنَى فَضْفَاضِ
وتبدلت بالتذلل عِزًّا آذَنَ الهَّمُ عندهَ بانفضاضِ
واطمأن الفراشُ بَعْدَ أن جَا نَبَ جنبىِ تجنب النهاضِ

ومعروف أن الصولى كان متصلا بالراضى منذ صغره وقبل أن يتولى الخلافة،

---

(٥٤) أخبار الراضى بالله للصولى ص١٠.

(٥٥) أخبار الراضى بالله للصولى ص٢١.

(٥٦) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٠ وانظر ص٢١،١٢.

فنراه فى مدائحه يؤكد له دائما - دون غيره من الممدوحين - حبه وولاءه وصدق نصحه، ويقول أن نصحى لك وصدق ودى قديم وسيظل ولائى قائما ولن يشوبه أبدا زور أو رياء أو تدليس، بل سأبقى على العهد لك وفيا، مهما طال الزمن أو اشتعل منى الرأس شيبا. يقول(٥٧):

يـاحُلِيّ الـزَّمانِ يـازينـةَ الأر ... ض ورأسَ الملوك وابن الرؤوسِ
إنِ نُصحى وصدق وُدِّى قديمٌ ... لم أُشُبْهُ بالـزورِ والتـدليسِ
قَبْلَ أن يأكلَ الزمانُ شبابِى ... خالساً غُـرتِّى بشَعْرٍ خليسِ

ويقول إنه يقدم مدائحه خالصة لوجه الله، فهو لا يريد عليها جزاء ولا شكورا، لأن الخليفة قد غمره بالفضل والخير(٥٨).

لَسْتُ ممن يُريدُ بالمدحِ حَالاً ... يَبْسُطُ الجاه منه بَعْدَ انقباضِ
قَدْ تَرَوّيتُ من نوالِ إمامٍ ... لستُ ماعشتُ فيه بِالْمُعْتَاضِ

وكثيرا ما يجد الصولى فى مدائحه للخلفاء والأمراء والوزراء مجالا كبيرا للشكوى، ومتنفسا عما بنفسه من أسقام وأحزان، وما يقاسيه من مكائد ووشايات، أو فقر وحرمان. فهو يضمن مدائحه شكواه من العانتين الحاقدين الذين لا يدخرون وسعا فى ثلبه وانتقاصه حتى صار لا ينام الليل وتكحلت عيناه بالسهاد والأرق، لأنهم يحسدون صلته بالخليفة، ولكنه يصرح أن كل شىء يهون، لأن الله قد عوضه بقربه من الخليفة الذى يحس به ويقدره. يقول(٥٩):

زارتنى أُسـودُ حقـدٍ عَليكمُ ... لَمْ تُغَيَّبْ بغـابـةٍ وغيـاضِ
وفَـرَانِى الـزمـانُ منـه بنـاب ... بعدكم مرهف الشَّبَا عَضَّاضِ
وانتحى آكلاً للحمى ورضّ الـ ... ـعظم منىِّ بكلكلٍ رضَّاضِ

(٥٧) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٢١.

(٥٨) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٠.

(٥٩) أخبار الراضى للصولى ص ١٠، وانظر ص ١١٦،٢٧.

واكتحلتُ السهادَ والحذر الـ ـدائم خوفًا بمرودٍ مَضَّاضِ
من حسُودٍ منافس لى عليكمْ لبحارِ اغْتَيابِكُمْ خَوَّاضِ
مُبْغضٍ لى لما أُسَرُّ فيكمْ من مديح على الأذى حَضَّاضِ
فأرانِى الالهُ ماكُنْتُ أرْجُو ه وُعوِّضْتُ أحسنَ الاعتياضِ

والصولى – فى مجال حديثه عن نفسه وشكواه – لا يشكو حساده وعذاله والكائدين والواشين فحسب، بل يشكو أيضا شيخوخته ومرضه وضعف قوته، كما يشكو كبر سنه بعد أن ناهز السبعين وأصبح لايهنأ بالحياة أو النوم... بل هو منتظر يومه الموعود وقدره المكتوب... يقول[٦٠] للراضى:

صَرَّحْتُ بالشكوى إليك تأنسًا بندى يَدَيْكَ إذا غريبٌ عَرَضَا
من بَعْد ماغالَ المشيبُ شبيتى ونَضَا لِبَاسَ تَجَمُّلِى فيأ نضَا
وأَحَارنى مرضًا وأوهَنَ قُوَّتى فَغَدْوتُ منه وقد صَححتُ مُمَرَّضَا
وإذا دَنَتْ سبعونَ من متأَمِّلَ دَانَى وَلَمْ يَرَ فى الَّلذَاذة مركضاَ
وَجَفَاهُ نومُ كان يألَفُ جفنَهُ قَدِماً وأَضْحَى للحتوفِ مُعَرَّضَا

ويتذكر حياته الرغدة السابقة وشبابه الفائت الذى لن يعود فيبكى:

أبكى كساءً كان أوثَقَ عُدَّتى إن اَخْصَرَ البَرْدُ العظَامَ ونَقَّضاَ
ومخدةً قَدْ كَانَ يألَفُ لِينَها خَدِّى فأضحى الجسم منها مُمَرَّضاَ
ونفيسَ فرشٍ كالرياضِ نُقُوشهُ ما كان مِنْ دُونِ الرياشِ مُرَحَّضاَ
ومجمَّعاً قد كنتُ أجمع آلةً فيه وكَانَ من البلاءِ مُفَضَّضاَ
والصُّغْرَ أبكى كالنضارِ وشَمْعَة زَانتْ يَدُ الماشىِ بها والمقْبَضاَ

غير أن هذه الشكوى وهذا البكاء – فى شعره – يصلان أحيانا إلى حد الاستجداء والذل فيظهر فى شعره جانب الضعف الانسانى، حيث يرتفع نحيبه

(٦٠) أخبار الراضى للصولى ص ١٢٤.

وخوفه من المصير والمستقبل والفقر ولعل هذه الظاهرة الواضحة كانت سببا فى أن بعض الباحثين[٦١] وصموه وعابوه.

والحقيقة أن هذه سمة بارزة فى شعره ، فهو دائم الاستجداء سواء من الخلفاء أو الوزراء إن تلميحا وإن تصريحا، من مثل قوله للخليفة الراضى[٦٢] مشيرا إلى مابينه وبين دهره من صراع وحروب عوان، فيشكو ذل الحاجة ومر السؤال استجداء للجود وطمعا فى العطاء.

إنّ بَيْنِى وبين دَهْرِى حربًا   جَاَوزتْ حربَ دَاحِسٍ والبَسُوسِ
أنَا مِنْهُ لغيرِ هجرٍ ووصلٍ   واقفٌ بين لوعةٍ ورسيسِ
فاعتبر ما شكاه عبدك منه   ثم داو الخُنَاق بالتَّنفِيسِ
هو فى مخلب الزمانِ فريسٌ   فَأْرحمِ الآنَ نَفْسَ هذاَ الفريسِ
واسقِهِ من سُلافِ جُودِك بَذْلاً   فاقَ طيبا سُلافَةَ الخندريسِ

وقد يرتفع استجداء الصولى لكى يصل إلى درجة التصريح.. فيقول[٦٣]:

لَا والَّذى أَنْتَ منه نعمةٌ ملأتْ   عُرْضَ البلاد وَحلَّت حبوة النُّوَبِ
مَا فِى عَبيدِك إنْ فَتَّشْتَ أَمْرَهُمُ   أَقَلُّ منىٍّ فى رِزْقِى وفِى نُشُبِى

هذه هى مدائح الصولى - للخلفاء والوزراء والأمراء - بكل عناصرها وخصائصها وهى تشتمل على عناصر بعضها جديد من عنده، وبعضها موروث، ولكنه فى العناصر الموروثة استعار صورا جديدة، فظهرت فى أزهى حلة وأبهى زينة: أما العناصر التى استحدثها الصولى فى مدائحه فهى:

١ - أنه أضاف إلى المقدمات الغزلية مقدمات أخرى تحمل الأمل والاستبشار بحلول خليفة أو وزير أو أمير جديد قوى، يستطيع أن يزيح الغمة عن كاهل الأمة،

(٦١) محمد كرد على - كنوز الأجداد ص ١٤٤.
(٦٢) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٢١. وانظر ص ١٠، ٧٩، ١٢٤.
(٦٣) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٥١. وانظر ص ٩١، ٢٠٢.

ويعيد للدولة هيبتها وجلالها وقوتها، ومجدها. كما أنه أضاف أيضا مقدمات بث فيها شكواه وهمه وأحزانه وما يكابده من أسقام غير أنه لم يجعل ذلك منهجا مضطردا فى كل قصائده بل نجده فى كثير من الأحيان يخرج عن القاعدة المتبعة عند الشعراء والمتوارثة عبر الأجيال فيحذف المقدمة الغزلية أو غيرها فيبدأ قصائده بالمديح مباشرة.

٢ - أنه أضاف إلى مديحه بالمعانى الدنيوية للخليفة الراضى - مديحا بالعلم والأدب وسعة الإطلاع والثقافة، وكبر العقل واتقاد الذكاء ورقة الطبع وبشاشة الوجه وأيضا مديحا بالإحسان وحب الناس وغير ذلك.

٣ - أن مديح الصولى بالمعانى الدينية لم يكن وقفا على المديح بالتقوى والعدل وطاعة الله، بل كان يتعدى ذلك إلى مديحه بأنه الخليفة المختار، الذى فضله الله، وأيده بنصره لينقذ دينه، وأنه عماد الدين وعزة الإسلام، المهتدى بنوره... كما يمدحه بأنه المحيى لسنن الدين. الخطيب المفوه، الذى يؤم المسلمين ويفعل مثلما فعل النبى وخلفاؤه الراشدون. وأنه ينتسب إلى أشرف البيوتات وأعلاها وهو البيت النبوى الشريف، كما مدح آباءه وأجداده الذين توارثوا الشرف. وأن الخلافة حق فيهم، جاءتهم بقدر من الله، وهم أحق الناس بها لصلة الدم والعصب.. ويربط الصولى بين طاعة الله وطاعة الخليفة وأن من يخالفه خارج على الدين، ويستحق الموت والهلاك فى الحياة الدنيا، والعذاب فى الآخرة.

٤ - أن الصولى يضمن هذه المدائح حديثا عن نفسه وعن خواطره وما منى به النفس. ويذكر الصلة بينه وبين الخليفة، وأنه السباق إلى مديحه بمدائح لم يقل مثلها. كما يذكرأنه كان يتشرف بالجلوس فى رحابه، وأن الخليفة كان يفسح له أقرب مكان وأنه نَعِمَ ببره وعطاياه... كما كان الصولى يضمن هذه المدائح شكواه من الحاسدين والواشين وشكواه من الزمن، ومن الشيخوخة ومن الفقر وذل الحاجة، والخوف من المصير والمستقبل.

وقد أضاف الصولى إلى هذه العناصر، عناصر أخرى تدوولت؟ من قبل، وهى ذكر حوادث عصر الخليفة كانتصار فى حرب، أو إخماد فتنة أو القضاء على مؤامرة وغير ذلك.. وفى ثنايا مدائح الصولى للخلفاء - مدح أيضا قوادهم وأمراء أمرائهم ووصفهم بالجرأة والشجاعة والفتك والبأس والإقدام ورباطة الجأش وأضاف إلى ذلك كله مديحا لهم بأنهم مخمدو الفتن وقبلة الحرب وسيوف الخلافة، وسادة الأمراء إلى غير ذلك من الصفات التى يجب أن تتوافر فى رجال الحرب.. كما مدح معاونيهم وكتابهم الذين يدبرون أمورهم.

ومدح الصولى أيضا الوزراء واختار لهم الصفات المناسبة لمرتبتهم، فمدحهم بالحكمة والحنكة، وصواب الرأى، ومضاء العزم، وحسن التصرف فى إدارة أمور الدولة وتدبير سياستها، وتقديم النصح، والقدرة على إخماد الفتن وإنهاء الاضطرابات. كما مدحهم بأصل حرفتهم - بالكتابة وتنميقها، وحسن الخط، وهو فى جميع الأحوال لا ينسى ماضيهم وماضى أسرهم، فدائما يشير إلى توارث الشرف والمجد والكتابة.

ويمكن القول: إن المديحة الصولية كانت مديحة رسمية أو شبه رسمية، كانت مقيدة بظروف تختلف عما عند الشعراء الآخرين الذين يتكسبون من عرض بضاعتهم على الخليفة فينالون بره وعطاءه ثم يرحلون، لكن مدائح الصولى كانت أشبه بوثائق تاريخية وتعاليم دينية يسجل فيها كل ما يتصل بالخليفة وعلاقته بالمسلمين من حيث وجوب الطاعة له والإيمان به والتأييد والسمو به ورفعه فوق مصاف العباد، وأيضا ما يتصل بالدولة من أحوال وسياسة وحروب وأحداث. وقد دفع الصولى إلى نظم مثل تلك المدائح... - وبكل هذه العناصر - اتصاله ببلاط الخلافة وبالوزراء والأمراء.

وتبرز عواطف الصولى الدينية بروزا واضحا فى مدائحه للخليفة، بل أنه ليمكن

القول: أنه خير من مثل هذه العواطف الدينية تمثيلا حقيقيا صادقا، فهذه العواطف لم توجد بنفس العمق والمعانى عند نظرائه ومعاصريه، ذلك لأنه لم يكن شاعرا محترفا يبغى أجرا، بقدر ما كان يريد أن يظهر ولاءه وحبه لممدوحيه.

ويستطيع الباحث أن يقول: إن مدائح الصولى الدينية بعمقها ومضمونها كانت إرهاصا بظهور هذه المدائح الدينية بصورتها الضخمة بعدئذ عند شعراء الدولة الفاطمية. وأيضا فإن شكواه من الزمن ومن الوشاة والحاقدين، كانت ينبوعا استقى منه كل الشعراء الذين أتوا بعد الصولى، خاصة عند المتنبى، الذى أخذ من معانى الصولى الكثير، خصوصا مما يتصل بشكوى الزمن والحديث عن شعره.

٢ - الغــزل

وللصولى رصيد ضخم فى فن الغزل، عبر فيه عن العواطف الإنسانية، وأحاسيس الناس وخلجات نفوسهم وخفقات قلوبهم ،فصور حالاتهم النفسية فى جميع هدآتها وسكناتها.

وهو غزل عفيف، يذوب رقة وعذوبة، يصور دخائل النفس البشرية، وما يعتمل فيها من حنين ولوعة وشوق ولهفة، ويسمو بالنفس وبالعاطفة، فى أسلوب يختلف حسب طاقته المشحونة وعواطفه المكمونة، وقد لونه الصولى بألوان زاهية من المعانى الطريفة الشريفة، مسجلا هذا الغزل إما فى مقدمات مدائحه، أو فى مقطعات صغيرة وأحيانا فى قصائد كاملة.

وغزل الصولى فى مقدمات قصائده مرتبط بعدة عوامل:

أولا: بوزن القصيدة وقافيتها.

ثانيا: بمعانيها ومناسبتها.

ثالثا: بحالته النفسية وطاقته المشحونة وعاطفته الجياشة وما يريد إبرازه من معان قوية فى ممدوحيه.

فهو تارة يتغزل فى أوزان طويلة ضخمة وألفاظ جزلة فخمة على نحو تلك المقدمة التى افتتح بها مديحته لابى الوفاء توزون، والتى يتحدث فيها عما يصنعه الهوى بالاحباب.. وكيف أن الحب قدر مقدور يتجرعه الإنسان. يقول[٦٤]:

عَذَلْتُ امرءًا فى عِشْقِهِ ليس يَعْذُرُكْ ... أَمَا عَاشَ أَنْ يَنْهَاكَ عنْهُ ويزجُرُكْ

مَتَى لَمْ تُحط خُبْرًا بما صَنَعَ الْهَوَى ... بِمَنْ فَارق الأَحْبَابَ فالدمْعُ يُخْبِرُكْ

أَمَا لَوْ بَلَوْتَ الحُبَّ واقْتَادَكَ الهوى ... إلى هَجْرِ محبوبٍ لَقَلَّ تَصَبُّرُكْ

شَرِبتُ كُؤُوس الحُبَّ صِرْفاً ودُونَ ما ... شَرِبتُ من المزُوجِ مالاَ يُسكِرُكْ

وتارة أخرى يستخدم الصولى الأوزان السهلة والألفاظ العذبة الرقيقة. فنراه يتحدث عن الهجران وكيف يحيل صبح المحب إلى ليل مظلم، يهيم فيه، لا يعرف نهاره من ليله، أو صبحه من مسائه.. ثم يذكر أيام الوصال وحلاوتها.. وكيف كانت كلها ربيعا ورياضا، وزهورا، وورودًا متفتحة للحياة وللحب وللأمل. يقول[٦٥] فى مقدمة مديحته للراضى:

أرى الهجرانَ منك يُحيلُ صُبْحى ... وما أَذْنَبْتُ - ليلاً ذَا حُلُوكِ

ودهر الوَصْلِ يحكى لى ربيعًا ... يُشَــابِهُ نَبْتُــهُ خَــلَى الملُوكِ

ريــاضٌ نُمرجِ الالحــاظَ فيها ... مُنَــوَّرَةُ الأَعَــالَى والسُّمُــوكِ

بهارٌ قَدْ حكَى العُشَّاق لَوْناً ... عَلَى قُضُبٍ حكْتُهُم فى النُّهوكِ

وَوَرْد مثلُ خدٍّ منـكْ راضٍ ... جِوَارَ فمٍ تَبَسَّمَ عن مُسوُكِ

ويضحك أُقْحُوَانٌ فيـه يحكى ... لَنا ثَغْرًا تكشَّفَت عنه فُوكِ

---

(٦٤) أخبار المتقى لله للصولى ص٢٧٣.

(٦٥) أخبار الراضى بالله للصولى ص٧٩.

تـطلّع بَيْنَ ذَاكَ وبـين هَـذا شَقَائِقُ مثلُ أَعْرَافِ الدُّيُـوكِ
مَــدَاهِنِ فِى عقيقٍ نَـظَّمْتهــاَ يَـدَاَ خَرْقَـاءَ واهِيـةِ السُّلُوكِ

والمقدمة الغزلية عنده تخضع لعاطفته وطاقته المشحونة، فقد تطول طولا مفرطا فتصل إلى العشرين بيتا. على نحو مقدمة قصيدته البائية إلى ابن الفرات - التى كان الراضى بالله يعجب بها كثيرا ويقول عنها «إنها أحسن تشبيب سمعه قط(٦٦)» وطالما طلب إلى الصولى أن ينشده إياها.

والحقيقة أن الصولى بلغ فى هذا التشبيب القمة، ومس شغاف القلوب، لما حوته هذه المقدمة من معان رقيقة عذبة، تعبر عن العواطف الإنسانية الجياشة، وتحرك المشاعر وتوحى بأصدق المعانى، وتخاطب وجدان الناس وتهيج عليهم ذكرياتهم.. يقول فيها(٦٧):

سَيِّدِى أنتَ إِنَّنِى بك صَبُّ بينَ أَيْدِى الهُمُومِ والشوقُ نهبُ
وشَفِيعِى إليــكَ أنىِّ مُحِبٌّ وقــديمــاَ أُحِبَّ من لاَيُحِـبُّ
بعثَ الحبُّ لى سقامًا فأعِدَى بِى حُزْناً مـداوماً مـا يَغِبُّ
ليسَ لى نيةٌ أُسَلِّى بها النَّفْـ ـسَ لما قد رَأَى ولاَ لى قَلْبُ
ضَاعَ صَبْرِى وأَخْلَفَتْنِى ظُنُونٌ كاذباتٌ يَلَذُّها من يصْبو(٦٨)
غَيْرَ أَنِّى أَرَحْتُ من قَوْلِ لاَحٍ هو هَمٌّ على الفُؤادِ وكَـرْبُ
عَذَلَ العاذلـونَ فيكِ وقَـالُوا ما عَلَى من أحَبَّ مثلك عَتْبُ

ويتغزل الصولى فى المحبوبة فيصف خدها المورد الأملس، وفمها العذب، وجبينها المتلألئ المضىء الذى يظهر تحت شعرها وكأنه هلال لامع فى كبد السماء وقد

---

(٦٦) أخبار الراضى بالله للصولى ص٢٧.

(٦٧) أخبار الراضى بالله للصولى ص٢٧ وما بعدها.

(٦٨) فى الأصل: (يصب) ولعل الأصوب ما أوردت.

انزاحت عنه السحب ويصف أيضا جفونها الناعسة وحديثها العذب وقوامها الرشيق الغض الذى يتمايل كغصن البان.. ثم يتحدث عن حرمانه فيقول إن الحسن فى جميعك، وكل شيء فيك جميل، ولكن حظى قليل: يقول(٦٩):

لك خَدٌّ مُوَرَّدُ اللَّونْ سَهْلٌ وفَمٌ طيب المجاجة عَذْبُ
وجبينٌ تَلألأ الحسنُ فِيهِ كهلالٍ تكشَّفَتْ عنه حُجْبُ
وجفونٌ مفتراتٌ مِراضٌ وحَديثُ المؤنثِ اللَّفْظ رَطْبُ
وقوامٌ للرِّيحِ فيه احتكارٌ يَتَثَنَّى تَثَنِّى الغُصْنِ شَطْبُ
أَخْصَبَ الحسنُ فى جميعِكَ إلا أَنَّ حَظِّى من كُلِّ ذلك جَدْبُ
لَهْفَ نَفْسِى عليك لو أنصف الحـ ـبُّ لَذَلَّ الغداَة لِى مِنك صَعْبُ

ويصف حاله بعد أن كابَد الظلم والصد والهجر والحرمان.. وكيف أن المعاناة والمكابدة أثرت على جميعه حتى شعره.. فقد اشتعل شيبا من التفكير. فيقول(٧٠):

ظَلَمْتِنِى كَظُلْمِك السِّنّ حَتَّى شَابَ رأسى ودعوة الشَّيْبِ سَبُّ
سَلَبَتْنِى ثَوْبَ الشبابِ الثلاثو نَ وللشَّيبْ بَعْد ذلكِ سلْبُ
وأَحَالَتْ دُهْمًا على الرأسِ شُهبًا لَيْسَ يجرْى بِخَيْلِهِ اللَّهو شُهْبُ

ويختم الصولى هذه المقدمة الغزلية بتصوير ألم الفراق وطول البعاد، مؤكدا أن الذكرى باقية دائما فى القلب. مطبوعة فى الذاكرة، ماثلة أمام الطرف، تحرك المشاعر وتلهب الخواطر، ولن تنمحى مهما طال الزمن. فيقول(٧١):

إن يكن سَارَ عامدًا لدمشقٍ وطَوَانِى كما طَوَى الشَّمْسَ غَرْبُ
فَهُو لِلقَلْبِ حيثَ ما مَالَ ذكرٌ وهو لِلطرفِ حيثُ مادَار نُصْبُ

---

(٦٩) أخبار الراضى بالله للصولى ص٢٧.
(٧٠) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٢٧.
(٧١) أخبار الراضى بالله ص ٢٧.

وكأنه يردد معنى الشاعر القائل:

إنْ كُنْت لَست مَعى فالذِّكرُ منكَ مَعى ... يَرَاكَ قَلْبى وإنْ غُيِّبتَ عَنْ بَصَرى

ونلاحظ أن تشبيب الصولى فى هذه المقدمة مرتبط بعضه ببعض، كل بيت متصل بسابقه ولاحقه، وكل معنى كذلك مما يدل على خياله الخصيب، وعاطفته الجياشة وشعوره الفياض المتغلغل فى أعماقه بما يعانيه المحبون من صد وهجران وما يكابدونه من لوعة وحرمان. فكأنه يصور عواطفهم من خلال نفسه، ولقد صور فأبدع وأجمل وحرك عواطف مكمونه ولواعج محبوسة.

– وقد تقصر المقدمة الغزلية عند الصولى فتكون أربعة أبيات أو ثلاثة. وقد لا تتعدى البيت الواحد، على نحو مقدمته للخليفة المعتضد، التى افتتحها بقوله:

أيُّهَا الهاجرُ مزحًا لا مُجِدْ ... أَجَزَاءُ الود أَنْ يُلْقَى بصَدْ؟

ثم ينتقل إلى المديح مباشرة.

ولاشك أن الصولى فى تشبيهه وغزله، فى افتتاحيات قصائده، كان يهدف – إلى جانب التعبير عن ذاته وعن عواطفه – إلى مسايرة القدماء، والتمسك بعمود الشعر التقليدى السائد فى عصره، من أن القصائد العربية التى ينظمها فحول الشعراء إنما تفتتح بالمقدمات الغزلية، حيث يصف فيها الشاعر خواطره تجاه الحب، ويحلل هذه الخواطر واصفا الصد والهجران واللهفة والحرمان وألم الفراق ولوعة الحب، وسهاد الليل، وضنى الجسد إلى غير ذلك.

فالصولى فى ذلك يسير فى نفس التيار السائد والمتوارث، ويتبع قواعد النظم التى وضعها الأدباء والنقاد، وإلتزم بها من القديم فحول الشعراء.

والصولى لم يقف فقط عند مقدمات مدائحه ليصور الحب وتباريحه وأشجانه، بل كان أحيانا يخلو بنفسه ليكتب غزلا رقيقا – فى مقطوعات – يحمل أسمى آيات الحب وأروع صوره. وكأنه كان يتمنى أن تكون له محبوبة، أو أن يعيش قصة حب

تخلدها الأجيال، ولكنه كان يحكى حب الناس ويسجل قصصهم ويترجم مشاعرهم ويعيش تجاربهم ويحس بأحاسيسهم وانفعالاتهم فيحولها غزلا رقيقا، فينتشي وتنتعش نفسه، وينعش من حوله.. من هذا الغزل مقطّعات طريفة تعكس مشاعره على نحو قوله[٧٢] :

غَشيتَنْى من الهموم غَوَاشِ ... لعـذولٍ يلومُ فيـكَ وَوَاشِ
لَوْ يُلاقُوَا الذى لقيتُ من الوَجْـ ... ـدِ لشَوْقٍ بين الجوانحِ ناشِ
نَمَّ بالسِّر عندهُمْ دمعُ عَينْى ... إنَّ سِرَّ المحبِّ بالدمعِ فَاشى
مَنْ عـذِيـرى لـظالمٍ أنـاَ منـهُ ... فى زمـان الوصـالِ للهَجْـرِ خَـاشى
أَخَذَ القدَّ من قضيبٍ رطيبٍ ... وحكَى أَعْيُنَ الظباءِ العطاشِ

ومن المقطعات الغزلية التى صاغها الصولى فى أوزان سهلة وبألفاظ تسيل رقة وعذوبة تلك المقطوعة التى صور فيها لوعة الحب وأنين الصد، وما يكابده العاشق فى ليله ونهاره من الأرق، والشجن حتى لقد ذابت نفسه من ضنى جسده. يقول[٧٣] :

إذا شكـوتُ هـواه قـال: مـا صَـدَقـاَ ... وشـاهـدُ الـدَّمْـع فى خَـدَّىّ قَـدْ نَـطقَـا
ونَـارُ قَـلْبـى فى الأحـشـاءِ مـلهِـبـةٌ ... لَـوْلَا تشـاغلهـا بـالجسم لاحْتَـرَقـاَ
يـاراقـد العـيْنِ لا تـدرى بِمـالِقيَتْ ... عـينٌ تُكَـابـدُ فيـكَ الـدّمـعَ والأرقَـاَ
يَكَـادُ شَخْصِى يخفى من ضَنَى جَسدَى ... كَـأَنَّ سُقْمى من عينيـكَ قَـدْ سُـرِقـهاَ

ومنها أيضا هذه المقطوعة التى يتغزل بها الصولى فى المحبوبة ويصفها بمليحة الدلال، ويطلب منها الترفق به بعد أن نطق سقمه بما يخفيه، وجفاه النوم وأرّقه السهد.. يقول[٧٤] :

---

(٧٢) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٥٢.

(٧٣) تاريخ بغداد ٤٣٠/٣.

(٧٤) اخبار الراضى بالله للصولى ص ٤٥.

يا مليحَ الدَّلَالِ رفْقًا بصَبٍّ يَشْتَكى منكَ جَفْوةً وَمَلَالَا
نَطَقَ السُّقْم بالذى كان يُخْفِى فسلِ الجِسْمَ إن أَرَدْتَ سُؤالَا
قَدْأَتَاه فى النَّومِ منكَ خَيَالٌ فرآهُ كما اشْتَهَيْتَ خَيَالَا
يَتحامَاهُ للضَّنَى أَلْسُنُ العَذْ لِ فأَضْحَى لا يعرِفُ العُذَّالَا

ويتحدث الصولى عن ليالى الصدود، ليالى العذاب المظلمة فى مقطوعة أخرى فيقول: إن الإنسان هواه لمن يحبه ويهواه، لا يتبدل ولا يتزعزع، مهما تعذب وسكب الدمع.. يقول(٧٥):

لَيَالى صُدُودِى لَيْسَتْ تُضِى وعُمْرُ تَجَنِّيك مَا يَنقْضِى
ومِا تألفُ النَّفْسَ يامُنْيَتِى سوِىَ ما تُحبُّ وما ترتَضَى
تَغَّاضَبْت عينى بُغنج اللَّحَا ظِ دُمُوعًا فأعْطَتْك ما تَقْتَضى

ولا شك أن للصولى قصائد فى الغزل، والدليل على ذلك: تلك القصيدة التى أوردها له البغدادى(٧٦)، غير أننا لم نعثر على قصائد كاملة سواها. ولقد نظمها الصولى فى لغة سهلة خفيفة، يصور فيها الوجد والحرمان وتعب المحب وأرقه بعد أن خانه الصبر وجف نبع الحب. يقول فيها(٧٧):

شكَىَ إليكَ مَا وَجَدْ من خَانَهُ فيكَ الجَلَدْ
لهْفانُ إنْ شئت اشْتَكى ظمآنُ إن شِئْتَ وَرَدْ
صبِ إذاَ رَامَ الكَرَى نَبَّهَهُ لَذْعُ الكَمَدْ
يا أيُّهاَ الظَّبْىُ الذِى تَصْرَعُ عَيْنَاهُ الأسدْ
أَماَ لأَسْرَاكَ فدًى أَمَا لقتلاكَ قَوَدْ؟
مَاذَا عَلَى من جَارَ فى أَحْكَامِهِ لَوْ اقْتَصَدْ

(٧٥) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٦٨.
(٧٦) تاريخ بغداد ٣/ ٤٣٠.
(٧٧) تاريخ بغداد ٣/ ٤٣٠، المنتظم لابن الجوزى ٦/ ٣٦٠.

مـاضـره لـو أنّـهُ أنْجَـزَ ما كـانَ وعَـدْ
هَـانَ عَلَيْـه سَهَـرِى فى حُبِّـه لمـاً رقـدْ
واهـاً لِغِـرٍّ غَـرَّه أنَـاً وَصَلْنَـاهُ وُصَـدْ
بِـمُـقْـلتَيْـه حَـوَرٌ وَقَـدُّهُ فِـيـهِ غَيَـدْ

وأهم ما يتميز به غزل الصولى أنه غزل فى المجهول.. فى المطلق، وهو دائما يلجأ فيه إلى التلميح دون التصريح، ولا يذكر فيه أسماء، ولا يتحدث عن المتعة، بل يصور المعاناة والحرمان، ويصدر عن عاطفة جياشة منفعلة، أقصى مناها الوفاء والرضاء. وخير مثل لذلك قوله(٧٨):

لا أُسَمِّيك خيفةً بل أُعدِّى عَنْكَ طَرْفًا دموعه فيك سَكْبُ
وَعَـدَدْتَ الهوى عَلَىَّ ذُنُـوباً إنْ يكُنْ ذَا فُحْشُن وَجْهِك ذَنْبُ
أَيُمُـرّ الزمـانُ صفحـاً علينـاً لم يُنَلْ طائلٌ ولم يُقْضَ نَحَبُ

وهو غزل يدل على السمو بالعواطف الإنسانية، ويبتعد عن الفحش والجنس، ونرى فيه التمسك بالطهر والعفاف، والخوف من الإساءة إلى المحبوبة أو سمعتها... من مثل قوله(٧٩):

أُسُرُّكِ يامنـاى ولا أُسُوك وأنْفِى بالهَوَى عَرَضَ الشُكُوكِ
وأُحْمِيك الذى تخشين منهُ كَمَا يحميكِ منْ عَارٍ أُخُوكِ

كما أنه غزل كله من النوع المألوف.. فلم يتغزل الصولى اطلاقا بالمذكر، ولم نجد عنده أى نزعات شاذة أو حديث عن الغلمان...

وإذا كان هذا هو غزل الصولى وهذه هى عواطفه مفتوحة أمامنا.. فهل معنى ذلك أن الصولى عاش تجربة عاطفية أو كانت له علاقات نسائية؟ وهل كان هذا الشعر تصويرا لهذا الحب وتنفيسا لتصاريفه؟.

---

(٧٨) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٢٧.
(٧٩) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٧٩.

في الحقيقة.. لم تحدثنا المصادر القديمة، ولم يتحدث هو عن شيء من هذا بل أن الصولى كان يرفض أن يلبى نداء الحب، أو الانسياق وراء إنسانة قد تلعب به وبقلبه. وكان يصرح أنه يحب الخليفة فهو أولى بهذا الحب، ويقدم له المدائح التى بها هام وشغل قلبه، وليس بالنساء الفاتنات.. يقول(٨٠):

بِذِى هَاَم قُلْبٌ لا بخَرِيدَةٍ بِهاَ يميسُ بها غُصْنٌ رَطِيب عَلَى دِعْص
صليبةُ عَزْمِ القَلْبِ، كالصَّخْرِ قَلْبُهاَ عَلَى أنَّه يكْتَنُّ فى جسدٍ رَخْص

ومن المرجح أن الصولى كان يتغزل مجاراة وتصنعا، حتى لا يفوته فن من الفنون دون أن يشارك فيه، فكان يقدم لمدائحه بمقدمات غزلية مجاراة للشعراء الكبار، حتى يثبت وجوده بينهم ولا يحيد عما تواضعوا عليه.

ولقد كان الصولى يصنع هذا الغزل صناعة، ويجهد نفسه فيه، وهو نفسه يعترف بذلك فيقول(٨١): «إنَّ تَشْبِيبى هذا جهدت نفسى فيه»، كما يصنع أحيانا بعض الأبيات فى الغزل ليبارى بها أبيات شاعر آخر وينافسه فى جمال المعنى ورقة الأسلوب وروعة التصوير. تحدث الصولى عن ذلك فقال(٨٢):

«أنشدنا بعض الوزراء - يوما - بيتا للبحترى، وجعل يردده ويستحسنه وهو:

وكأن فى جسمى الذى فى ناظريك من السُّقْمِ

فاستحسن ذلك.

فجذبت الدواة وعملت بحضرته:

أَحْبَبْتُ منْ أَجْلهِ مَنْ كَاَن يُشْبهُهُ وكُلُ شَىْء من المَعْشُوقِ مَعْشُوقُ
حَتَّى حكيتُ بجسمِى مابِمُقْلَتهِ كأنَّ سُقْمى من عينيكِ مَسرُوقُ

(٨٠) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٢٧.
(٨١) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٤٧.
(٨٢) تاريخ بغداد ٣/٤٣٠، نزهة الالبا ص ٣٤٤، المنتظم ٦/٣٦٠، البداية والنهاية ١١/٢١٩.

وكثيرا ما كان الراضى يكلفه بنظم أبيات فى الغزل[٨٣] حول معنى من المعانى التى أعجبته، فيلبى طلبه، ويصنع له ما يريد خاصة إبَّان الفترة التى كان يدربه فيها على قرض الشعر. كل ذلك يؤيد أن الصولى كان يصنع هذا الغزل صناعة ويصدره عن ثقافته بعواطف الآخرين وتجاربهم.

وخلاصة القول: أن غزل الصولى كان ساميا عفيفا، وهو غزل فى المجهول والمطلق، ابتعد فيه عن الفحش والمعانى الصريحة والغزل الشاذ، وصور فيه المعاناة والتباريح والأشجان، وأسمى درجات الحرمان، صبه فى ألفاظ رقيقة مرة وجزلة مرة أخرى حسب معانيه.. وجعله مقدمات لمدائحه للخلفاء والوزراء والأمراء.. وأيضا مقطعات نظمها تصويرا لمشاعر وأحاسيس الناس ونوازعهم.. فصور العواطف الإنسانية أجمل تصوير.

٣ - الوصـــف

ومن الأغراض التى جال الصولى فيها بشعره: الوصف.

فقد جارى الصولى شعراء عصره وأدلى بدلوه معهم، فوصف بعض الأشياء وصفا جميلا عبر فيه عن نفس حساسة شاعرة مصورة، وكأنها آلة تصوير تسجل كل ما يتراءى أمام عدساتها من صور وكائنات.

ففى وصف الطبيعة نجد الصولى يختار الألفاظ الموحية الرقيقة التى تلائم مناظرها الجميلة ويختار التشبيهات التى تعبر عن إشراقها وبهائها، من ذلك وصف النهر. فقد وصفه وصفا جميلا دقيقا، مصورا كيف تتماوج، مياهه وكأنها أحشاء له ترتعد، وأن الريح حين يداعب هذه المياه، فكأنه ينسج دروعا تتراكم بعضها فوق

(٨٣) راجع أخبار الراضى بالله للصولى ص ٤٥

بعض، وكأن مياهه فضة سالت لترسم أجمل الرسوم. وأن حافاته حين تصطدم بها المياه وكأنها تتنفس بعنف تنفس الإنسان المغتاظ.. وأن النهر يمتد على مدى البصر بلا تعريج أو عقبات. يقول(٨٤):

بنهـــرٍ تـرعــدُ أَحشـاؤُه ... إِذَا عـلاه دارجُ النسمِ
ويقشعرُّ الجلدُ من مائـه ... كأنما يـرعدُ من جُـرْمِ
ينسجُ الريحُ دروعًا بِـهِ ... يَنْـظِمُها فيـهِ بلَا نـظم
تَنَفَّسَتْ بـالماءِ حـافـاتـهُ ... تَنَفُّسَ المغتاظِ عن كظمِ
وامتد للأعين فى طولـه ... من غير تعريجٍ ولا وصمِ
كـأنَّهُ فى حسنِ تقـويمِـهِ ... غلوةُ رامٍ قاصدِ السّهمِ

ويصف الصولى زهرة النيلوفر وصفا جميلا، يصفها وقد احتضنتها الطبيعة الغناء. فيتحدث عن عبقها الذى يحاكى المسك، وشكلها الجميل الذى يدعو إلى التأمل ويروق الناظر، ويربط بين منظرها الذى يريح النفس ومنظر الراهب المتعبد، ويشبهها وقد شمخت على أغصانها الخضراء بأنها كالكاسات التى تركب ذهبية.

ويقرن الصولى هذا الوصف الجميل للزهرة بوصف ظبى داجن أعجب به، يرتع فى خيرات الطبيعة التى غذتها أهاضيب السماء.. ويربط بين جمال عينيه، وجمال عينى المحبوبة وحسن مقلدها.. يقول(٨٥):

ونيلُوفرٍ يَحْكى لَنَاَ المسك طِيبُهُ ... تَرَاهُ على اللَّذات أفضل مسعدِ
قَدْ إجتن خَوْفَ الحَادِثَاتِ بجنةٍ ... تـروقُ كَثَوْبِ الـرَّاهِب المُتَعَبِّدِ
تـركبُ كالكـاساتِ فى ذهبيـةٍ ... عَلى قُضُبٍ مخضرةٍ كالزبـرجدِ
أَطَافَ بِهِ أحوى المدامع شَادِنٌ ... حَكَى طَرْفَ مَنْ أَهْوَىَ وحسن المقلدِ
كَما أخذ الظَّمآن بالفم كأسَهُ ... ولم يَسْتَغْن فى أخذِهِ الكأس باليدِ

---

(٨٤) أخبار الشعراء للصولى ص ٨٥.

(٨٥) زهر الآداب ٢١٢/٢

ويصف الصولى الهلال الذى يلتقى به دائما أول كل شهر.. وكيف أنه يبدو فى كبد السماء، ناحل الجسم ينبعث نوره من وراء الأفق، وكأنه نصف سوار من الماس، تلألأ بعد أن جلاه الفجر فبدا فى ثوب وردى واضح مزق ثياب الليل الدكناء... يقول[٨٦]:

كَانَ وَعْدِى أَوَّل الشَّهْرِ بمَا هَانَ مَوْلِدْ
فمضىَ غيرُ ليالٍ عَادَ فيهَا البدرُ أرمدْ
ناحِلُ الجِسْم له نورٌ عن الأفقِ مُقَيّدْ
شبهـا نصفُ سـوارٍ من نضـارٍ يتـوقـدْ
قَدْ جَلاَهُ الفجرُ للناظرِ فى ثوبٍ مُـوَرّدْ
وكـأنّ الـزهــرَ من أَنْجُمِـهِ دُرٌّ مُبَــددْ
طَالَما مَزّقَ يومًا مِنْ ثيابِ اللَّيْلِ أَسْوَدْ

ولقد كان الصولى يعجب كثيرا بمدينة الزبيدية - التى طالما وفد إليها مع الراضى - فنراه يصفها ويتحدث عن جمالها وما تحتويه من طبيعة غناء - يصف محاسنها وأريج عبيرها وياسمينها الفواح ورياحينها المعبقة وكأنها المسك.. وجداولها وأشجارها ونارنجها ونخيلها وطلعها.. ثم يتذكر زمانه الماضى ويستعذب ذكرى الليالى الجميلة التى قضاها فى رحابها. يقول[٨٧]:

بـالـزبيـديـةِ المشهـورة الحُسْـ ـنِ وحَـوْزِ اللَّذَاذَةِ المَـاحُـوزِ
وصُنُوف من الجواهرِ تَبْدُو كُلَ يومٍ من كنزِهَا المَكْنُوزِ
يَاسَمِين حَكَى قُرَاضَةَ تِبْرٍ فَتقُوا طيبَةُ بمَرْ مَاحُـوزِ
وبها من خَمَاحمٍ هاَمَ رنْجٌ مُشْرفَاتِ الطُّلَى على سينيزِ
ومياهٍ يشكو الجدَاول أَبْسًا لم تُمَزِّقْهُ حادثاتُ النـزوزِ

---

(٨٦) معجم الشعراء للمرزبانى ص ٤٦٥.

(٨٧) أخبار الشعراء للصولى ص ٨٥.

كَمْ زمانٍ مَضىَ بها مُسْتَلِذٍ لَيْلُناَ فيه مثلُ لَيْلِ الحزيزِ

وقد تفنن الشعراء فى وصف مجالس الأنس والطرب، فوصفوا الخمر والقيان والغناء والثياب وما يرتبط بالحياة المتحضرة من أشياء.

وقد وصف الصولى أيضا الغناء وصفا معبرا... وصفه بأنه رقيق بل أرق من دمعة الصب المحب التى تنحدر على خده فى رقة ويسر، وأرق من شكوى المتيم الهائم المهجور. وهو غناء عذب له قيمته وتأثيره، يشغل الفهم والحس، العقل والوجدان، ينجذب إليه الانسان بكل إحساسه وشعوره، بظاهره وضميره، لأنه يحرك المشاعر ويصافح المسامع، فإذا هى تتذوقه وتحس به فتنتعش وتنتشى، وهو ليس خافتا ضعيفا ولا نشاذا شنيعا.. بل إن الأذن لتجتنى من نبراته وألحانه المتعة واللذة، تسمعه الأذن فتُسَرُّ بِهِ، وكأنها عين تنظر إلى وجوه الحسان. يقول[٨٨]:

وغناءٌ أَرقّ من دمعةِ الصَّـ ـب وشَكْوَى المُتيّمِ المَهْجُورِ
يَشْغَلُ الفَهْمَ عَنْ تظنٍ وفهمٍ فَهو يُصفى بظاهرٍ وضميرٍ
صَافَحَ السمعَ بالذى يشتهيهِ فأَذَاقَ النفوسَ طَعْم السرورِ
ليسَ بالصَّائلِ الضعيفِ إذَا ما راضى نعمًا ولا الشَّنيعِ الجَهِيرِ
يَجْتَنِي السمعُ منهُ أَحْسَن مما تَجْتَنِى العينُ من وُجُوهِ البدورِ

ويرتبط بمجالس الأنس والطرب.. مجالس المأكل والمشرب، وقد دأب شعراء العصر على وصف ما يقدم إليهم من ألوان الطعام والحلوى... من ذلك رغيف النَّد الذى وصفه الصولى وقد انتهشه الحاضرون فى إحدى الولائم، ولم يكن له نصيب منه. وصف الصولى كيف هجم عليه الحاضرون يقطعون أوصاله، ويلتهمون أطرافه وكأنهم ذئاب خاطفة لفرائسهم، وهى تهتز وتزمجر فى نهم وجوع، حتى صار الرغيف

---

(٨٨) ذيل زهر الآداب ٢٦٣/٣.

بين أيديهم وكأنه ترس... ويصف الصولى حاله ويبكى حظه أنه لم يحصل منه على شيء... يقول[٨٩]:

ورغيفُ النَّدِّ الذى غَصَبُو نِيه، وأكرِمْ بذَاكَ من مَجْنُوزِ
غَلَبَتْنِى عَلَيْهِ أَيدِى نِهَابٍ نَهَرَتْهُ بحَظِّهَا المَنْهُوزِ
سبقتنى إليه سبقَ ذئابٍ خاطفاتٍ بهِزَّةٍ وأَزِيزِ
لهف نفسى عليه مُلْقَى كَتُرْسٍ وافرِ الحَرْفِ مُشْرِفِ التَّعْزِيزِ
فَدُمُوعِى من التأسفِ تجرِى جَرْىَ وَفْرَاءِ وافياتِ الخُرُوزِ

ويرتبط بهذه المجالس أيضا وصف الثياب المزركشة.. وهى من الأوصاف التى نشأت بفعل الحضارة فنرى الصولى يصف أحد الثياب الدبيقية الحريرية. الذى برعت فيه صانعاته براعة العناكب فى نسج بيوتها، فجاء جميلا منفذا لرغباتهن وطوعا لمغزلهن؛ ويصفه الصولى بأنه دقيق الحواشى جميل الصنع، رقيق النسج، شغلت به الهمم والعقول. وتأنى صناعه فى صنعه وتمهلوا حتى صنع أنيقا رائعا.

ويصفه وقد ارتداه صاحبه فيقول أنه يتهفهف على جسمه وتتجاذبه أنسام الهواء وهو لجماله يبهر العيون، حتى لتكل عن النظر إليه كما تكل عن رؤية أشعة الشمس. يقول[٩٠]:

أَيْنَ الدُّبَيْقِىُّ الَّذِى مَدَّت بِهِ أَيدى النِّساءِ فَجَاءَ طوع المَغْزَلِ
غَمضت حَوَاشِيهِ لدقةِ نسجِهِ مِنْ غَيْرِ تضليعٍ وغير تَسَلْسُلِ
الثَّوْبِ قَدْ يَحْكِى بدقَّةِ نَسْجِهِ نسج العناكبِ، بالمَكَانِ المُهْمَلِ
شُغِلَتْ بِهِ هِمَمُ المُلوكِ وأَمْهلَتْ صُنَّاعُهُ فيهِ وَلَم تستَعْجِلِ

وكون الصولى كاتبا، ومدح وزراء كانوا كتابا، فقد تعرض فى مديحه لهؤلاء الكتاب الوزراء لوصف وتمجيد أداة حرفته وحرفتهم.. وهو القلم.

---

(٨٩) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٣١ .
(٩٠) أخبار أبى تمام للصولى ص ١٩٢ .

ولقد أكثر الصولى من وصف القلم والحديث عنه وعن مكانته: فتارة يصفه بأنه أقوى من السيف مكانة، وأنه إذا خاطب السيف بأمر جاءه طائعا مرتعد الفرائص يلبى كل ما يخطه.. وأنه الناظر فى كل شىء بلا عيون، والسامع لكل الأسرار بلا آذان، يسجل خواطر العاشق الحيران، كما يسجل الفَنَاء على الأعادى. ويصف هذا القلم بالفصاحة حتى ليعجز عن مجاراته – فى البلاغة – فصحاء الورى. ويصفه بأنه سيف الحق على الأعداء الذى لا يظلم أحدا... يقول[٩١]:

فى يـدِكَ الأَعْـلَى محـلى بـِهِ   تُواصلُ الضربُ مَعَ الـطَّعْنِ
إن نَبّـه السيفَ لأمـرٍ لَـهُ   جَـاءَ إليـهِ مُـرْعَـدَ المَتنِ
ينـظرُ ما يهـوى بلَا نـاظرٍ   ويسمـعُ السِّـر بـلَا أُذُنِ
يَذْرِى دموعَ العـاشِقِ المُبْتَلَى   بطَعْن مَنْ يَهْواهُ فى الـطَّعْنِ
فيَضْحَـكُ المُلْكُ بكـاءً لـهُ   لَمْ يَـكُ من غمٍ وَلَا حزنِ
تَـرَى لَدَيْـهِ فُصَحَاء الـوَرَى   إِذَا امْتَطَى القُرْطَاسَ كاللكنِ[٩٢]
سَيْـفُ عَـلَى الأعْـداءِ لَـكِنّـهُ   لَمْ يـغْـتِـمْـضُـهُ ظُـلْم الجـفـنِ

وتارة ثانية يصف الصولى القلم بأنه الخطيب المفوه الذى يتفادى أعداءه وينفذ فيهم بالعقل والفكر، الرقيق الدقيق، ناحل الجسم المذهب اللون، الذى ينطق بلفظ ماسكه ومحركه ويعبر عن خواطره ويصدر أوامره.. ويقول أيضا[٩٣] إن هذا القلم يتحكم فى مصائر الناس، فقد ينفعهم بأن يسجل لهم الهبات والعطايا وقد يجلب لهم الدمار والموت الزؤام.. وإذا خط فأنه يرسم الوشى وينثر الكلمات العذبة – التى هى الدر – على الورق.

وإذا كان الصولى وصف القلم كثيرا، وتحدث عن مكانته وشكله وقيمته فإنه

---

(٩١) أدب الكتاب للصولى ص ٨٢
(٩٢) اللكن: الذى لا يفصح بالعربية.
(٩٣) أدب الكتاب للصولى ص ٧٨.

وصف الخط أيضا.. وصفه بأنه كنقش الدنانير، وأن حروفه لجمالها وتناسقها تضيء بالمعانى حتى ليراها الكليل، ويقرأها ضعيف البصر. يقول[٩٤]:

اذَا مَا تَحَلّل قُـرْطَـاسَـهُ وَسَـاوَمَـهُ الـقلمُ الأرقشُ
تَضَمّـنَ من خَـطِّهِ حُـلّةً كنَقْشِ الدَّنَانيرِ بل أنْقَشُ
حُرُوفٌ تُعيدُ لِعَيْنِ الكَليلِ نشـاطاً ويقـرأها الأخفشُ

وفى مجال الوصف، تحدث الصولى كثيرا عن المعارك الحربية، تلك التى كانت تقع بين العناصر المؤيدة للخلافة والمناوئة لها أو بين قواد الدولة وأعدائهم فى الداخل والخارج... فنجد الصولى ينظم الأشعار الحماسية، يصف فيها المعارك وكيف تسير، ويتحدث عن مقدرة القادة والأمراء على قهر الأقران والأبطال من خصومهم.. ويصف أعداءهم وهم صرعى وجرحى وأسرى، وكيف قهروا بقوة السلاح وقوة العزيمة، وانعطاف الخيول وبسالة الرجال.. يصف كل ذلك فى ألفاظ جزلة قوية تتناسب مع الحرب والمعارك، وتفوح بالجو الذى تصوره.. يقول للأمير توزون[٩٥]:

فى كُلِّ يومٍ للأعَادِى وَقْعَةٌ منـهُ تُبيـدُهُم وسيفٌ فَنَـاءِ
فتـراهُم لَمّـا رأوْهُ مـقبـلاً كالشَّاء ينفرُ من أُسُودِ ضراءِ
صَرْعَى وقَتْلَى والذى فاتَ الرَّدَى مِنْهُم حليفُ الذُّلِّ فى الاسَرَاء
أعييتَ حِيلَتَهُمْ وفُتَّ مـداهُم من غـير اتعابٍ وَلاَ إعْيـاَءِ
نَثَرَتْ سيوفُك بالفضاء أكُفَّهُمُ فكـأنّهُمْ فيه حَصَى البَـطْحَاءِ
وعطفتَ خيلَكَ خَاطِفاً أرْوَاحَهُمْ من غيرِ إمْهَالٍ وَلاَ إبْـطَاءِ
يلهُو بأبطالِ الرِّجالِ شَجَاعَةً لَهْـوَ المُلاَعِبِ فَـازَ بـالأهـواءِ

ويصف الصولى الأمير توزون وهو وسط جنوده وصفا جميلا يشيد ببطولته

---

(٩٤) أدب الكتاب للصولى ص ٥٠.

(٩٥) أخبار المتقى لله للصولى ص ٢٧٠.

وشجاعته.. فيصوره أسدا دامى الأظافر من كثرة ما فتك وصرع من فرائسه ويصفه بأنه بدر متلألىء فى سماء المعارك، وجنوده من حوله وكأنهم كواكب تستمد منه القوة والعزيمة.

وفى حومة الوغى وهول المعركة - يصف أعداءه بعدة أوصاف.. فتارة يصفهم بأنهم نعام هائمة فى البيداء لا تدرى أين المفر أو المستقر، أو كيف المصير. وتارة يصفهم وكأنهم أسراب القطا وقد أَضَرَّ بهَا الصدى فسقطت من شدة العطش وتارة ثالثة يصفهم وكأنهم نساء ذليلات أسيرات يطلبن العطف والرحمة. يقول[٩٦]:

سَلْ بالامير وسيفِهِ منْ رَامَهُ   أَوْ هَاَجُة فى حَوْمَةَ الهَيْجاءِ
ضِرْغَامُهُ دامى الأظافـرِ كُلَّما   عَرَتِ النوائبُ من دمِ الأعداءِ
فكأنه فى سرجِهِ يومَ الْوَغَا   بَـدْرٌ تَلألأَ فى سُعُـودِ سَمَاءِ
وكـأنمـا قـوادُهُ مِنْ حَـولـهِ   مُسْتلئِمـين كـواكبَ الجَـوْزاءِ
شَرَدَ الأَعَادِى خوفُهُ فكأَنَّهُمْ   خِـرَقُ النَّعامِ بقفـرةٍ بيـداءِ
أو كُدرسِرْبٍ قَطَا أضرَّ بهَا الصَّدَى   فتسَاقَطَتْ عَطَشَاً إلى الأَحشَاءِ
عَطَفَ الرِّجالِ إليهم فتعطَّفُوا   لـلأَسْرِ والاذْلَالِ فِعْـلَ نِسَاءِ

وهكذا كان الصولى وصافا بارعا، يصدر عن إحساس عميق وحس مرهف بكل ما يصف. فهو حين تناول وصف عناصر الطبيعة، اختار الصور الملائمة والألفاظ ذات الإيحاءات الجميلة التى تلائم المنظر الجميل وتضفى عليه السحر والروعة واختيار من التشبيهات ما يعبر عن بهائها ورونقها.

وحين وصف الغناء اختار الألفاظ والصور التى تناسب هذا الفن وتعبر عن أنغامه وألحانه وعذب سماعه.

---

(٩٦) أخبار المتقى لله للصولى ص ٢٧٠.

وحين وصف الثوب تناول كل ما يتصل بالثياب من حيث الشكل والغزل والنسج فى ألفاظ تلائم موضوعه وتوضحه.

وحين وصف القلم كان يدرك مكانته ومكانة الكتاب الوزراء، وكيف أنه وسيلتهم فى الكتابة والتوقيع فوصفه بأوصاف تتفق مع كل ذلك. وكأن هذا القلم - لا الوزير - هو الذى يتحكم فى مصائر الناس، فَبِهِ تخط الأوامر والصكوك للولاة وللقادة وللجند.

وحين وصف الحرب، وصفها وصفا بارعا وجسم معاركها، وقد تبدل أسلوبه فاستحالة الرقة والعذوبة واللين.. خشونة وعنفا وفتكا ودما، واستبدل - بالألفاظ ذات الايحاءات الجميلة ألفاظا تثير معانى الروع والفزع والقتل والدماء.

وهكذا كان الصولى يؤلف بين ألفاظه وصوره وأغراضه، فى نسق خاص يزيد من قوتها وتأثيرها ويبرز قسماتها.

٤ - الفخــر

أما الفخر، فللصولى فيه قطع متوهجة، وهو فخر هادىء لا يصدر عن عصبية ولا جنسية وإنما يصور شعورا فياضا بالخلق الكريم، والشيم الرفيعة، والإحساس بالمكانة الأدبية والدينية والاجتماعية. فهو لا يفاخر بنسبه وحسبه - وهو ابن ملوك وأمراء - بل يفاخر بأشياء أخرى أعمق وأقوى، وأدعى للفخر وأصوله.

ففى مديحته البائية للراضى بالله، نراه يفاخر بمساندة أهله وقومه للدعوة العباسية، ومحاربتهم فى صفوف العباسيين حتى كتب الله لهم النصر على الأمويين فى معارك طاحنة. دونت أخبارها فى سجلات التاريخ. يقول[٩٧]:

(٩٧) أخبار الراضى بالله للصولى ص١٥١.

وإنّا نُقَباء شاعَ نصرُهُمُ ... نُلْقى أعاديكُمُ فى الحربِ بالْحَربِ
ويومُ مروانَ(٩٨) أُفْرِدْنَا بَمْشهَدِهِ ... والفَخْرُ فيهِ بنصر السادةِ النُّجْبِ
مقالةٌ تُورِدُ الاخْبارُ صحَّتَهَا ... مَوْجُودَةٌ فى رواياتٍ وفى كتبِ

ويفخر الصولى أيضا بمجالسته للخلفاء واتصاله بالأمراء والوزراء، والقادة وغيرهم يفخر بذلك مخاطبا منافسيه(٩٩):

أَيْنَ مَنْ جَالَسَ الخلائفَ قَبْلى ... وافرُ حين تُسْتَخَفُّ الحُلُومُ
طَائِرِى ساكنٌ وفكرِى عزوفٌ ... عَن فضولِ المُنى ولَحْظِى سَلِيمُ
وكَلَامِى قدرُ الكفايةِ إلَّا ... شرحُ عِلْمْ وجانبى مُسْتَقِيمُ

ويفخر الصولى كذلك بطهارته وارتفاعه بنفسه عن الدنايا. ويرى أن العلم كفيل بأن يهذب النفوس ويطهرها. ويرتفع بها عن الأغراض الدنيئة وأن صلته بالخلفاء ومجالستهم تحتم عليه أن يبتعد عن كل ما يشوب المرء، ويسىء إلى سمعته وشرفه. يقول(١٠٠):

أَتُرَانى أَخْلَلْتُ بالعلم حَتَّى ... شَدَّ مِنِّى التَّحليلُ والتَّحْرِيمُ
لَوْرَمَى بى الزمانُ عزًّا تليدًا ... لِم يُرضِنى الذكاءُ والتعليمُ
أَتظُنُّ النِّدام تَرْضَى بهذَا ... لَا ومُحْيِى العظامَ وَهِى رَمِيمُ

ومن تتمة هذا الفخر عنده، كثرة حديثه عن شعره، وفخره بمقدرته الفنية على نظم الروائع وسيطرته على قوافيه لأوزانه، حتى لقد عجز عن مجاراته شعراء عصره. يقول للخليفة الراضى(١٠١):

لَكَ عبدٌ كساكَ فاخر مدحٍ ... رائِقٍ لُبْسُهُ لباسَ الخَزُوزِ

---

(٩٨) مروان: هو آخر خلفاء بنى أمية الذى شهد سقوط الدولة الاموية.

(٩٩) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٩١.

(١٠٠-١٠١) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٣١.

مِنِ قوافٍ عَلَى سِوَاه صِعَاب   سُبِّق الجرىْ ظاهراتِ البُرُوزِ
خَطَرت نَحْوك القوافِى بِمَدْحٍ   غـيرَ مُسْتَهْجنٍ وَلاَ مكْـرُوزِ
بَيْنَ صَادٍ وبينَ ضادٍ وَسِين   ثم زاىٍ مبينـةِ التَّبـرْيـزِ
سائلُ الطَّبع مُشْرِقُ اللَّفْظِ سَهْلٌ   مـاتُغَشِّيـه ظلمـةُ التكْـزِيـزِ
فـائضُ مـاؤهُ يَجِيىء مطِيعًـا   غـيرَ مُسْتَجلبٍ ولاَ مَنْحُـوزِ
مَنْ يَرُمْ نَسْجَ مثله تَخْتَطِفْهُ   لامعـاتٌ مِنْ ذلكَ التَّطْرِيـزِ
يَرْجِعُ الشِّعْرُ عَنْهُ حين يُسَامِيـ   ـهِ بـأنفٍ مُجَـدَّعٍ محَـزُوزِ

ويقول للراضى[١٠٢]: إنه يحوك من القصائد ما يتناسب مع جلالته ومكانته ... وهى قصائد ليست عادية بل أنها منمقة مزخرفة موشاة بزخارف المعانى والألفاظ، حتى لتفضل الثياب المطرزة الموشاة باللآلىء والذهب..

أَحُوكُ منَ القصائِدِ وَشْىَ مَدْحٍ   تُفَضِّلُهُ عَلَى الوَشْىِ المَحُوكِ

ويقول للراضى أيضا[١٠٣]: إن مدائحى لم يقل مثلها، ولا تفضلها أية مدائح أخرى، من حيث صدق تعبيرها وقوة بيانها. فالنابغة فى أعمق عواطفه وانفعالاته، وخشيته من النعمان، لم تزد مدائحه فيه، عن مدائحى فيك.. وليس هذا فحسب، بل أن جريرا فى أوج تأثره وحنينه لم ينظم مثلها وهو يتذكر ربعه القديم المأنوس.

مِدَحٌ لَمْ يَزِدْ عَلَيْهَا زيادٌ   وَهْو خَاشٍ رَدَى أَبِى قابوسِ
لاَ وَلاَ حَاكَ مثلهن جريرٌ   عندَ إيحاشِ رَبْعِهِ المأنوسِ

فهو يشير هنا إلى مبلغ الصدق العاطفى وقوة التعبير الواضحة فى شعر الشاعرين ظهرا عند النابغة فى مدائحه واعتذاراته للنعمان. وظهرا عند جرير فى حنينه للأيام الخوالى وموطن الأهل والأحبة بين أحضان ربعه القديم.

---

(١٠٢) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٧٩.

(١٠٣) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٢١.

والصولى لا يفخر بمقدرته الشعرية ولا بقدرته على التعبير والنظم وإتيان الجديد، واستخدام القوافى الصعبة عليهم فحسب، بل أنه يتعرض لغيره من الشعراء المادحين ويلمزهم لمزا.

فبينما هو سائل الطبع مشرق اللفظ سهل، لا يعيبه جمود ولا ركاكة، يراهم دخلاء على الشعر، مقلدين للشعراء السابقين، مقتبسين معانيهم بل وألفاظهم وصورهم، وأنهم محرمو الطبع، وشعرهم ليس عن موهبة أو ثقافة. يقول(١٠٤) :

جزتُ فيهِ ميدانَ قومٍ أراهُمْ شُعَـــراءً بـالحَظِّ والتَّجْـوِيــزِ
يستميـزُون لفظَ غيـرهِم فيــ ـه غـــلابـاً كغـــارة التَّكْليــزِ
بقـــوافٍ مـــدوسـةٍ ومعـــانٍ مُخْلِقَـــاتٍ ومنـــطقٍ مَـــرْمُـــوزِ
حُرِمُوا الطبعَ صاغرين فسارُوا من طـريق إليْه غـيرَ مُجُوزِ

وتزداد حدة الفخر عنده فنراه يحكم الراضى - وهو شاعر عليم بفن الشعر وقائليه، قادر على تمييزه وتقييمه، ومعرفة غثه من سمينه، نراه يحكمه بينه وبين من نظموا الشعر وأنشدوه، يحكمه بين مدائحه، ومدائح الآخرين، بل ويطلب أن تكون له منحهم وجوائزهم، فهم مقلدون له تابعون لمعانيه، سارقون لها. وليست لديهم موهبة ولا شاعرية. يقول(١٠٥) :

أَنْتَ أَدْرَى بالشعرِ مِنْ قَائِليهِ فاقْضِ فيهِ بالحَزْمِ والتَّعْجِيزِ
وكـذَا العلمُ بالمحَـرِكِ والسَّا كن فى نَحْـوِهِمْ وبـالمهمُـــوزِ
لَيْسَ إلاّ الذى يضمُّهُم المجـ ـلِسُ لـــلانتحـــالِ والتَّمْييــزِ
فأَجِزْنِى بقدرِ علمك بـالأشـ ـعارِ يـاخَـيْرَ منعمٍ ومجيـزِ

هذا هو فخر الصولى.. فخر بمناصرة أهله للدعوة العباسية، وفخر بمجالسة

---

(١٠٤) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٣١.

(١٠٥) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٣١.

الخلفاء وبمكانته لديهم، وفخر بالعلم والثقافة والدين، وسمو بالنفس عن الدنايا. ثم فخر بمقدرته الشعرية والأدبية.

فالصولى يجعل من هذه العناصر نواة يدور حولها فى هذا الفخر. وبذلك اختلف عن غيره من الشعراء الذين كانوا يفخرون بعصبيتهم وشجاعتهم وقبائلهم على نحو مانرى عند الشعراء القدامى والمحدثين.

ولقد اتبعه المتنبى فى الفخر بشعره.. وفى طلب الجزاء والعطايا لنفسه على مدائح الآخرين لأنهم فى الحقيقة تابعون له سارقون لأخيلته وصوره ومعانيه، فنراه ينتهج نهج الصولى ويتناول فكرته.. فيقول لسيف الدولة:

أَجِزْنِى إِذَا أُنشدت شعرًا فَإِنَّمَا ... بِشِعْرِى أتاكَ المادحونُ مُـرَدَّداَ
ودَعْ كلَّ صوتٍ غير صَوْتِى فإنَّنِى ... أنا الصائحُ المحكىِ والآخرُ الصَّدَى

وإذا كان الفخر عادة يرتبط بالغرور والخيلاء، فإن حدته تخف عند – الصولى ، لأن الخلفاء يعرفونه ويجلون قدره قبل غيرهم.. ومن هنا كان فخره غير مبالغ فيه، بل مجليا لبعض النواحى الغامضة والخافية فى حياته، قبل أن يكون زهوا وغرورا.

٥ – الرثـاء

وفن الرثاء من الفنون التى تنافس الشعراء فيها، واستحدثوا فيه كثيراً من المعانى فتناولوا مشكلة الحياة والموت، وصوروا الحزن والأسى، وأحاسيسها تصويرا بديعا على نحو ما يلقانا عند كثير من الشعراء المحدثين مثل أبى العتاهية والبحترى وغيرهما.

ولاشك أن معانى الرثاء قد تنوعت وتطورت عند العباسيين نتيجة لحضارتهم وقدرتهم على تحليل خواطرهم وأشجانهم، فاستطاع بعض الشعراء، أن يخترعوا

كثيرا من المعانى الدقيقة والأخيلة الطريفة، فلاءموا فى مراثيهم بين من يرثون وبين المعانى التى يصوغونها فيهم.

وإذا نظرنا إلى مرثية الصولى فى هارون بن المقتدر – وهى المرثية الوحيدة التى وصلت إلينا من شعر الصولى – نجده قد واءم بين معانى الرثاء والقيم الروحية، وصفات هارون ونسبته إلى البيت النبوى الشريف، كما واءم بين موضوع القصيدة وبين ألفاظه وأوزانه وصوره وأخيلته.

ففى فاتحتها يقدم الصولى للخليفة الراضى أخلص العزاء، ويقول له تعز عن أخ كريم مخلص، دائم الولاء والوفاء، ويربط بين موت هارون وموت النبى عليه السلام فيقول: «إن الموت نهاية المطاف وهو حق على كل إنسان حتى على الأنبياء والمرسلين، فلابد للروح أن تعود إلى بارئها. فإذا كان هارون قد مات اليوم.. فإن نبى الهدى قد سبقه، وهو حبيب الله المؤيد بالوحى والتنزيل والروح القدس، فالموت نهاية كل إنسان مهما كانت مكانته الدينية أو الدنيوية.. يقول[١٠٦]:

تَعَزَّ ياخيرَ الوْرَىَ عن أخٍ   لَـمْ يَشُبِ الاخلاصَ باللَّبْسِ
تَعَـزَّ عنـه بنبىِّ الـهُـدَى   مُحَمَّـدٍ أُدْخلَ فى الـرَّمْسِ
وهو حَبِيبُ الله فى أرضِهِ   مُؤَيَّـدًا بالـوَحْىْ والقُـدسِ

ويقول[١٠٧]: إن موته كان قضاء الله، ولا راد لقضاء الله، وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كُنْ فيكون.. فإن الدهر اختاره تنفيذا لإرادة الذات العلية فاختطفه الموت فجأة دون ما إنذار أو تذكير:

قَدْ أَنْذَرَ الدَّهْرُ تَصارِيفَه   بـأَلْسُنٍ ناطقـةٍ خُـرْسِ
يُخْبِرنا عن مَوْتِهِ كَـوْنُهُ   بغَـيْرِ إذْكارٍ ولاِحَـدْسِ

(١٠٦) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٧٢.

(١٠٧) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٧٢.

ويشير الصولى إلى الصلة القوية بين هارون والخليفة الراضى، فيقول أنه كان أخا كريما يجمعهما الود والمحبة والألفة، وسميرا له وملازما فى مجالس العلم والأدب، ويصفهما بأنهما كانا كنفس واحدة تربطهما صلة الدم والانتساب إلى الفرع الذكى الذى يتصل بسيد المرسلين خاتم النبيين، ثم يصف هارون بأنه كان فى السؤدد ذا همة عالية ونفس أبية وعلى خلق عظيم.. يقول(١٠٨):

كَاَن نسيبًا لإمامِ الـهُدىَ ... بـالـوُدِّ والأُلْفَـةِ والأُنْسِ
ونسبةُ الجسمِ شتاتٌ إذَا ... لم تتـألفْ نسبةُ النَّفْسِ
وكاَن فَرْعاَ ذاكيًا غُصْنُهُ ... مهذبًا من خَبْرِ ما غَرْسِ
وكـاَنَ فِى السُّؤدد ذَاهِمّةٍ ... وكاَنَ فى النُّعْمَة ذا غَمْسِ

ويتلهف الصولى على هارون تلميذه وأخى الخليفة، يتلهف عليه قائلا، إن اللهفة واللوعة عليه لقليلة.. وهل يعود الزمان بما وَلَّى، وهل ترجع الحياة بما سلبت؟..

يتلهف عليه ويذكر خصاله الحميدة، وأخلاقه الكريمة، ويربط بين موته الآن وموت آبائه الأقدمين، الصديقين والأبرار ويصفهم بأنهم شُموس الورى ونور الحق المبين، وأسود الحرب فى المعارك الضارية ضد أعدائهم.. يقول(١٠٩):

لَهْـفـى عَـلَيْـهِ وقـليـلٌ لـهُ ... لَـهْفى وهَـلْ يَـرجْـعُ لى أَمْسى
لَهْـفى عـلى مَـنْتَخَـبٍ حـلمـهُ ... أَرْجَـحُ من رَضْـوَى ومن قُـدْسِ
وأَيْنَ الأُولَى كانوا شُمُـوس الوَرَى ... لُيُـوثَ حَـرْبٍ غـيرَ مـا شُـمْسِ

ويطلب من الخليفة الصبر على الخطوب والشدائد، لأن الدهر دائما يفترس الإنسان نتيجة لأحزانه وأسقامه، يقول له اصبر، فهذا قضاء الله، ولا رادَّ لقضائه،

---

(١٠٨) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٧٢.

(١٠٩) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٧٣.

وهذه هى الحياة الدنيا.. ويربط الصولى بين رثاء هارون ومديح الراضى، فيقول له اسلم لأمتك يامن فوق الملوك جميعا من العرب والعجم... يقول(١١٠):

فإفْرِسْ له صبرًا يزيلُ الأذَى فالدهْرُ للانسَانِ ذو فَرْسِ
يَنْعمُ منهُ جِسْمُهَ تارةً ثم تَرَاهُ جَاسِىَ الجَسِّ
فلم تزل فَوْقَ الملوك الأولىَ من عَرَبٍ سادُوا وَمِنْ فُرْسِ

ويضمن الصولى مرثيته الوحيدة لهارون - بعض زهدياته، التى تجلى بوضوح نفسيته، وعميق تأثره بالدين، فنراه يقول.. إن الحياة فانية ولا يبقى غير وجه الله، وأن الأيام من المحال أن تدوم على حال، فهى دائما متقلبة إن هى أعطت للإنسان السعادة يوما، سلبته إياها أياما، وإن هى منّت عليه بساعة صفو وهناء، أعقبتها بساعات كدر وعناء، تعقب الفرح بالحزن، والعرس بالمأتم ويتبدل فيها حال المرء من سعادة إلى شقاء، كما يعقب النور الظلام.. يقول(١١١):

حوادِثُ الايّام شَقَّاقَةٌ تُقَرِّبُ المأْتَمِ بالعُرسِ
يَعْتَقِبُ المرءُ بها حالهُ بِوَطْئِهِ الحَزْن إلى الوَعْسِ
مَنْ عَزَّ بالدُّنيا هَفَا قَلْبُهُ وعَادَ منْهُ النُّورُ ذا طَمْسِ
وَزَالَ فى تَلْوِينهَا عَقْلُهُ وغَالهُ طيفٌ من اللَّقْسِ

وبعد هذه المقدمة التى أفاض فيها الصولى، يضع النتيجة: وهى أن الموت آتٍ لا محالة، إن لم يكن فجأة فنتيجة لمعاناة أمراض وأسقام، ولا راد ولا عاصم منه، فكل نفس ذائقة الموت.. فيقول(١١٢):

مَنِيَّةٌ إنْ لَمْ تُفَاجِ الفَتَى كانَتْ لَهُ بالسُّقْمِ ذاتُ مَسِّ

ثم يقول: إن الخلق جميعا مصيرهم إلى فناء مهما بلغت أعمارهم، وأن أولهم مثل

(١١٠-١١١) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٧٣.

(١١٢) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٧٣.

آخرهم كلٌّ منتظر قضاء الله وقدره، حتى يأذن الله بشيء كان مفعولا حينئذ ينتقلون إلى عالم الغيب والشهادة، ينتظرون حسابهم على ما قدمت أيديهم، وما فعلوا من خير أو ارتكبوا من إثم، حين يبعثهم الله ليروا أعمالهم.. يقول(١١٣):

فـالخَـلْقُ مـن وارِدٍ رفْـهٍ إلى الـ ـسَمَـوْتِ وذى عَشْـرٍ وذى خَمسِ
أوَّلُـهُـمْ مـنـتـظِرٌ آخـرًا فَهُوَ علَيه الدَّهْر ذو حَبْسِ
حتَّى يَجيئُوا وَكِفَاتٌ لَـهُمْ ولايَـرَى للقومِ من حِسِّ
وَبَعْثُهُمْ منْ بعـد ذا كُلّه لـخَـابِلِ الجِنَّـةِ والإِنْسِ
تخشـعُ أَصـواتُهُمْ خِيفَـةً فَلَا تُنَاجَى بِسوَى الهَمْسْ
داعى المنايا خاطبٌ كُفوهُ كخطْبِة المُعْتامِ لِلعـرْسِ
يَسْمُو إلى الانفُسِ فى قُدْرةٍ مُنَكِّبًا عن ساقطٍ جَلسِ

ويرتبط الرثاء عند الصولى - بالإضافة إلى الزهد - بعناصر أخرى مثل التأمل فى الحياة فنرى الصولى يتحدث عن الدهر وما اكتسبه منه ويضمن مرثيته بعض تأملاته ونظراته فى الحياة، فيخرج لنا هذه الصور الجميلة، والرؤى الجديدة، فيتحدث عن الأيام، وكيف تلعب بالإنسان، قد ترضع بالإنعام شخصا عزيزا فى قومه، ثم سرعان ما تقلب له وجهها، فيفطم بالشقاء والبؤس والتعاسة، وإنها دائما تتبع نِعَمَها بضررها، وتعقب الصحة بالمرض، والإنسان دائما تعب فيها، لايستريح إلا بالموت حيث الراحة الأبدية، لأنه يخدع نفسه بالأمانى الرطاب، وهو لا يدرى أن الموت من فوقه محلق.. يقول(١١٤):

تَلْعَبُ بالمرءِ الليالى كَمَا قَدْ تَلْعَبُ الأقْلَامُ بِالنِّقْصِ
تُرْضِعُ بالانعامِ ذَا عِزةٍ يُفْطَم بالبُؤسِ وبالتَّعْسِ
تُتْبِعُ نُعْمَاهَا بَبأْسَائِها ويعقب الصِّحَّة بالنُّكْسِ

(١١٣) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٧٣.
(١١٤) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٧٤.

فَـالحُـرُّ فيها أبـدًا حـائِـرٌ مِنْ سَوْمِهاَ الغَالى على مَكْسِ
يتعب فيهـا ابـدًا جِسْمُـهُ وإنمـا الـرَّاحـةُ كـالخَلْسِ
يخـدع فيهـا بـالمُنَى نَفْسَـهُ وَوَافِـدُ المـوتِ بـهِ مُـرْسى
يَنْسَى الذى يأتى به صُرُوفُهاَ والأَمِـلُ الغَرَّارِ قَـدْ يُنسى
تُلْبِسُـهُ فى طَـمَـعٍ غَفْـلَة بـالمـطْعَمِ الملْذُوذِ واللُّبْسِ

ومن الملاحظ أن الصولى ضمن هذه التأملات صورا بارعة زاهدة، تدعو إلى رفض الحياة والتحرر من شهواتها وقيودها الزائفة، ومناظرها الخلابة، حتى لا يكون المرء عبدا لها، فتغريه مطامع المأكل والملبس والمشرب. ونحس فى هذه الأبيات تصويرا لأدق الأحاسيس واستنباطا لخبيئات المعانى. ونرى الصولى يجسم الصور فيها تجسيما واضحا، فالفكر عنده يلتحم بشعوره، وتلتحم عاطفته بخياله الشعرى.

ويختتم الصولى مرثيته السينية للراضى - فى أخيه هارون - بالدعاء له بطول البقاء، فهو كل الورى، وكل الآمال معقودة عليه، وفى بقائه الفوز للأمة والمهابة للدين..

ويربط بين موت هارون وحياة الراضى بصورة جميلة فيقول: إن كان البدر قد كسف وغاب، فقد لاحت بالسعد والأمل والإشراق غُرَّةُ الشمس.. يقول(١١٥):

فـاسْلَمَ الله أمـام الهُـدَى فما عَطَاءُ الدَّهْرِ بالنَّحْسِ
كُلُّ الوَرَى أنْتَ وكلٌّ يُرَى عَبْدَكَ منْ عَال ومنْ نِكْسِ
بقـاؤك الفوزُ لَنـاَ والغِنَى نصبحُ فيه مثْلَ ما نُمْسى
إن غَيَّبَ البَدْر كُسُوفُ فَقَدْ لاَحَتْ بسعدٍ غُرَّةُ الشَّمْسِ

ولقد كانت مرثية الصولى هذه لهارون بن المقتدر - مثلا حيا وصورة رائعة لفن

---

(١١٥) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٧٢.

الرثاء عنده. نستطيع أن نستخلص بعض عناصرها الأساسية، فنراه يبدأها بتقديم خالص العزاء للخليفة على مصابه الفادح فى أخيه، ويربط بين موته - وهو من البيت النبوى الكريم - وموت النبى عليه السلام وبين فلسفة الموت، وأنه نهاية كل حى حتى النبيين والصديقين والأبرار، لأنه قدر الله ولا عاصم منه.

ويصف هارون بالخصال الحميدة والكرم والمحبة والود والولاء والطاعة لأخيه الراضى. كما يذكر صلة الرحم ونسبتهما معا إلى الفرع الطاهر من الأسرة النبوية وأفرادها الأطهار. ويضيف الصولى إلى فن الرثاء عناصر أخرى تخدمه وتتصل به اتصالا مباشرا كالزهد والتأمل فى الحياة فنراه فى مجال العنصر الأول - الزهد - يدعو إلى التعفف ورفض ملذات الحياة وشهواتها والتحرر من قيودها الزائفة وأنها فانية ولا تدوم على حال.

وفى مجال العنصر الثانى - يذكر تأملاتِه فى الحياة وما خبره من الدهر، وأن الأيام تلعب بالإنسان تضحكه ساعة ثم تقلب له وجهها ساعات، وأنها تعب كلها،ولا راحة من تعبها إلا بالموت حيث الراحة الأبدية.

ونراه يتلهف على هارون تلهفا شديدا، ويذكر أن الموت قد أتى على عجل، وبدون مقدمات أو تمهيد أو نتيجة لمرض، وهذا أصعب ما فيه، لأنه يفرق بين الأحبة والأهل والأصدقاء فهو قدر مقدور، ثم يطلب من الخليفة الصبر على المكروه ويدعو له بطول البقاء والنصر والتأييد، ويقول له إذا كان قد غاب بدر، فلا زالت الشمس ساطعة.

ولاشك أن عناصر هذه المرثية - كما رأيناها - قد تدوولت وتناولها شعراء سابقون ولكن معانى الصولى وعناصره كانت من التركيز والقوة، ما تنم عن صدق الرثاء وقوته - خاصة وقد كان هارون تلميذا له - فحينما رثاه الصولى، فكأنما كان يرثى ابنا له عزيزا عليه، فجاء رثاؤه صادقا معبرا حيا، وجاءت ألفاظه مناسبة

لموضوعها، وقد اختار الصولى لقافيتها حرف السين الذى يتناسب مع جرس الحزن، وكأنها ناقوس يدق لكى يفيق الناس من غفلتهم وجاءت عناصرُها متصلة يكمل بعضها بعضا.

ولقد نظم الصولى مرثيته هذه فى سنة ٣٢٤ هـ أربع وعشرين وثلاثمائة للهجرة – أى بعد أن ناهز السبعين، فكان كلامه عن الأيام والدهر كلام مجرب، عركته الحياة، وصقلته التجارب وأرضعته العبر، وكلامه عن الزهد كلام امرئ زاهد فعلا فيها، بعد أن ذاق خيرها وقاسى شرها، وعرف نهاية مطاف كل كائن حى، فمصيره التراب لا محالة، لا فرق بين غنى وفقير، أو أمير وحقير، فكان فى زهده معبرا.

وكان فى تلهفه على هارون ورثائه، كأنه يتلهف على أيامه الضياع، ويرثى نفسه التى أثقلتها السنون، يرثى شبابه الذى ولى، وعمره الذى نفذ، وينتظر يومه الذى قدر عليه وكتب له. المهم أن الصولى نظم هذه المرثية الزهدية التأملية وهو شيخ هرم.. وفرق بين أن ينظم شاعر فى الثلاثين أو فى الأربعين فى الرثاء والزهد وأن ينظم شيخ قارب السبعين فيه.. فالأول فى مقتبل العمر طامع فى المزيد منه، أما الثانى فمودع للحياة حانق عليها عارف خباياها وأسرارها، وأنها فانية خادعة لا نفع فيها إلا العمل الصالح والسيرة الحسنة.

ونلاحظ أن الصولى ربط بين موضوع الرثاء وعناصره برباط واحد، فجاءت مرثيته منسجمة متكاملة يتصل كل عنصر فيها بالآخر.

ولقد جعل الصولى مرثيته كلها مواساة ولهفة وشجنا ولوعة، ثم زهدا فى الحياة ومظاهرها وتأملا فى الأيام، نظمها للراضى وحده، وأنشدها له وحده. منفردا.. وكان يرثى بها هارون تلميذه – ويبكى فيه رجلا عالما ينتمى إلى الأسرة النبوية الشريفة.. يرثى شخصا عزيزا عليه تجمعه به وبالخليفة أواصر العلم والأدب وروابط المودة والحب..

كل ذلك طبع رثاء الصولى بطابع الصدق العاطفى، فكانت مرثيته معبرة عن أدق مشاعر الحزن، مصورة لأجل المعانى الإنسانية.

٦ - الرسائل الشعرية

ومن الطرائف التى تناولها الصولى فى شعره، الرسائل الشعرية، فكان يتبادل الرسائل مع الخليفة الراضى فى المناسبات المختلفة، ولقد كان الراضى شاعرا، تتلمذ على يدى الصولى وتعلم منه نظم الشعر وقوله - فى تلك المناظرات التى كانت تقام بينهما، ويحاول الراضى فيها مجاراته والتعلم منه وتقليده. فكان الراضى يكتب إلى الصولى الرسائل الشعرية، فى بعض المناسبات مثل الاستفسار عن صحته أو السؤال عن تغيبه، فيبعث الصولى رده على هذه الرسائل الشعرية برسائل مماثلة من نفس الوزن والقافية.

يقول الصولى أنه مرض يوما - وكان الراضى لايزال أميرا - فتأخر عن الذهاب إليه، فكتب الراضى رقعة يقول فيها [١١٦]:

يـا عليلاً جعـل السَّا ... عَـةَ إذْ غَابَ شُهُـورَا
ولَقَـدْ كَـانَ بـهِ الـ ... ـدَّهْرُ إذْ جَاءَ قَصِيـرَا
لـعُـلُوم لا أرَىَ الـ ... ـدَّهْرَ لَهُ فيهَـا نظيـرَا
صَــرَفَ الله الأذى ... عَنْـكَ ولَقَّـاك سُرُورَا

فكتبت الجواب [١١٧]:

يـا أميـرًا مَـارَأيْنـا ... مْـثلَه فَـضْـلاً أَمِيـرَا
يا أبَا العبَّاسِ يا شَمْـ ... ـساً وَيا بَـدْرًا مُنيرَا
....

(١١٦) أخبار الراضى بالله ص ٦٠،٦١.

(١١٧) انظر ملحق الشعر (حرف الراء) ص١٥.

وكتب الصولى إلى الراضى يوما رقعة يعتذر فيها عن الحضور نتيجة لعلة طارئة ألمت به فكتب الراضى إليه يقول[(١١٨)]:

وصلَتْ رُقْعَـةُ فـأَوْصَلَتْ الـوحـ ـشَـةَ لمّا أَتَتْ بشَكْـوىَ الأَنِيسِ
بُـدِّلَ القُـرْبُ بـالبعـادِ فبُـدْلـ ـتُ بيـومِ السُّرَورِيَـوْمَ عُبُوسِ

فكتب الصولى الجواب فقال على نفس الوزن والقافية[(١١٩)]:

وصلَتْ رُقْعَةُ الأَمير الرَّئِيسِ غُرَّة الدَّهْرِ والخَطِيرِ الفيِّسِ
فأَزَالتْ ماكنتُ أَشكوُ وأَهْدتْ لِى نَعِيماً واذهَبَتْ كلَّ بُوسِ
....

وموضوع الرسائل الشعرية أحد الأغراض التى استحدثتها العقلية العباسية المتطورة فى الشعر العربى، فلم تحدثنا المصادر الأدبية القديمة عن وجود هذا الفن عند الشعراء القدامى، بل لعل هذا النوع من الفن وجد وانتشر فى العصر العباسى. فقد رأينا نماذج منه عند بشاربن برد زعيم المحدثين وأول المجددين حيث قدم لنا بعض الرسائل الشعرية العاطفية التى كان يكتبها تفكها واستعراضا لفنه ومقدرته الشعرية على تطويع أغراض الشعر تبعا لميوله وأغراضه واحتياجاته، وإثباتا أنه استحدث أساليب جديدة غير التى ورثها عن الأقدمين. من ذلك قوله:

من المشهـورِ بـالحبِّ إلى قـاسيـة القَلْبِ
سلامُ الله ذى العرشِ عـلى وَجْهِكِ يـا حُبّى
فـأمـا بعـدُ فيـا قُـرّ ةَ عـينى ومُـنَى قَلْبـى
ويا نَفْسىِ التى تَسْكُـ ـنُ بينَ الجَنْبِ والجَنْبِ
....

أما الجديد فيما بين الصولى والراضى من رسائل، أن هذه الرسائل المتبادلة

(١١٨) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٥٨.

(١١٩) انظر ملحق الشعر (قافية السين) ص ٢٨.

كانت تكتب لتكمل إحداها الأخرى، تكتب بنفس الوزن والقافية، ويظهر فيها رد الثانية على الأولى.

ولعل هذا الفن - فن المراسلات - كان مرتبطا بفن النقائض الشعرية التى وجدت وشاعت وبلغت ذروة فنيتها فى العصر الأموى عند جرير والفرزدق والأخطل حيث كان الشاعر يبعث بنقيضته[١٢٠] إلى الشاعر الآخر فى مكانه وميدانه، ثم تتلى هذه النقيضة على مجتمع من الناس بوجود الشاعر فيعرف محتواها، ثم ينظم نقيضة أخرى ليرد على النقيضة المرسلة إليه، يكتبها بنفس الوزن والقافية ويضمنها الرد على العناصر الأساسية التى وردت فى نقيضة الشاعر الآخر.

ولكن هذه النقائض المتبادلة كانت ترتبط أساسا بفن الهجاء عند الشعراء الأمويين.. أما أن يكتب شاعر قصيدة أو أبيات، ثم يرد عليها شاعر آخر برسالة أو بقصيدة بنفس الوزن والقافية مثلما وجدنا عند الصولى والراضى، فهذا لم يكن موجودا عند كثير من الشعراء.

ولعل الطريف فى هذه الرسائل التى تبادلها الراضى والصولى معا، أنها كانت تنظم فى لغة سهلة وأوزان خفيفة، وبمعان طريفة، ولم يكن المقصود منها إظهار براعة أوشاعرية بقدر ما كانت لَفْتَةً كريمة تربط بين التلميذ وأستاذه أو بين الأستاذ وتلميذه، تلك اللفتة كانت تظهر مدى الترابط الذى يربط كليهما برباط العلم والأدب والمعرفة والثقافة العامة. وأيضا برباط المودة والمحبة والإخلاص والوفاء... فإذا غاب الأستاذ سأل عنه التلميذ، إعترافاً بفضله ومكانته وتقديرا لعلمه وأدبه..

وكان من الممكن أن تكون هذه الرسائل نثرية كما يفعل الآخرون - ولعل ذلك كان أسهل وأقدر على التعبير - ولكن كان المقصود بها إلى جانب الطرافة

---

(١٢٠) التطور والتجديد فى الشعر الاموى - فن النقائض - للدكتور شوقى ضيف ص ٢٠١ وما بعدها.

والتسلية.. محاولة التجديد وتنشيط الذهن على النظم وأيضا تغيير العرف المتبع فى كتابة الرسائل، كما كان المقصود بها تمرين العقل وتدريب الخاطر وتغذية الملكة الشعرية مما سيترتب عليه بعد ذلك أن تتحول هذه الرسائل إلى مناظرات شعرية طريفة، تكتب فى نفس الموضوع ونفس المعنى وبنفس القافية والوزن.. فهذه الرسائل ستتطور عندهما فيما بعد لتصير مناظرات شعرية على نحو ما سنتناوله فى الأدب التعليمى.

٧ - الحكمة

ومن أبرز خصائص الصولى على الاطلاق - خصيصة نثر الحكمة بين ثنايا شعره.. فهو دائما ينتقل من المجال الذاتى حيث يتحدث عن نفسه وعاطفته، إلى المجال الغيرى حيث يمدح الخلفاء والوزراء والقواد.. ثم ينتقل إلى مجال ثالث هو المجال الإنسانى فيتحدث عن الحكمة.

فالصولى رجل عركته الحياة وعرفته، وله معها جولات وجولات، عرف خباياها وأسرارها، وذاق حلوها ومرها، وكانت له فيها ذكريات طالما رددها فى أعماقه هزت نفسه وكيانه، ذكريات تحوى الأفراح والأتراح. كل ذلك طبع شعره بمسحة معينة، فكان بين الحين والحين ينثر حكمته، يطعم بها قصائده، فيحكى ما خبره من الدهر والأيام، مصورا تجاربه الانسانية وما استقاه منها خلال عمره المديد.

فمن حكمه التى ضمنها شعره، واستقاها من الزمن، تلك التى ينصح بها المرء فيقول:

خذ ما صفا لك من الزمان، وما شاء لك حظك من السعادة، فإن هذا الصفاء لن يدوم ولحظات السعادة قصيرة والزمان عادة يجور، وسرعان ما يعقب الصفاءَ الكدرُ فاستفد من صفوك قبل أن يأتيك الكدر، واصبر على ما بلاك به الزمان، إذا ولت

منك النعم، فالزمان الذى أقرضك وأعطاك، لابد وأن يسترد ما أقرض، ولابد أن تلقى ما كتبته لك المقادير، وقدر عليك.. فكل شىء خلق بقدر ولن تستطيع أن تغير منه شيئا.. يقول(١٢١):

خُذْ مِنْ زمانِكَ ما صَفَا لَكَ قَلَّماَ ... يُغْنِيكَ غُمُّكَ بالتكدُّرِ إذْ مَضَى(١٢٢)

واصبرْ عَلَى غَرَقٍ بنُعْمَى نِلْتَها ... إن الزمانَ لمُقْتَضٍ ما أقْرضَا

فهويتَ فى لُجٍّ علاكَ عُبَابُهُ ... لابُدَّ أن تلقى الذى لك قُيِّضاَ

إن قمتَ فيه لم تَطُلْهُ لِغُزْرِهِ ... ورأيت تَحْتَ الرِّجْلِ منه مُدْحَضاَ

وَتَسَرَّعَتْ منهُ إليكَ حِجَارَةٌ ... تَذَرُ الصحيحَ منَ العظامِ مُرَضَّضا

والإنسان إذا لم ينل كل ما يشتهيه فى دنياه، وإذا لم يتحقق له كل ما يرجوه وما يتمناه فهذا أيضا قَدَرٌ من عند الله، فيجب أن يقنع به ويخضع له، ويرضى بما آتاه - مهما كان قليلا - لأن هذا هو ما قسم الله له به. يقول(١٢٣):

إذَا لَمْ يكُنْ كُلُّ الذى يَشْتَهى الفَتَى ... ففى الرَّأْىِ أَنْ يَرْضَى ويَقْنَعَ بالشِّقْصِ

ولستُ كمن يُمْضى على الظَّنِّ حُكْمَهُ ... ويجعلُ إسنادَ الرِّجَالِ إلى حَصِّ

ولابد للإنسان من أن يتعلم من الحياة، حتى لا تخدعه الحياة، لأن من يتعامل مع الأيام بلا خبرة سابقة أو معرفة بأحوالها وصروفها، تصرعه الحياة حتى لقد تفقده كل شىء، فتتحول مكاسبه إلى خسائر، فلابد وأن يقنع بما قسم الله له مهما كان قليلا.. يقول(١٢٤):

مَنْ تَاجَرَ الدَّهْرَ بلا صَرْفِهِ ... فَصَارَ مِنْ ربحٍ إلىَ وَكْسِ

فأسلم الكلَّ فَلاَ بأْسَ أَنْ ... يُرْزَأَ فى السُّدْسِ وفى الخُمْسِ

---

(١٢١) أخبار الراضى للصولى ص ١٢٤.

(١٢٢) فى الأصل (مضا) بالألف ولعل الصحيح ما أوردت.

(١٢٣) أخبار الراضى للصولى ص ٢٧.

(١٢٤) أخبار الراضى للصولى ص ٧٤.

وينصح الصولى المرء فيقول، لا تطلق لنفسك العنان ولا تشقها فى السعى من أجل طلب المال أو الجاه، فالكسب أو الجاه ليس بالسعى والجرى فقط، ولكنه قدر أيضا من عند الرزاق، فقد يرزق من لم يسع وراء المال مالاً وفيرا، وقد يحرم منه من انفق جهده وعمره فى سبيله، فالله وحده هو المسير للكون، هو الوهاب، مالك الملك، يؤتى الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، يعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير إنه على كل شيء قدير.. يقول(١٢٥):

اَفْضِلْ عنانَك لا تَجْمَحْ به طلبًا   فَلَا وَعَيْشكَ ما الأرزاقُ بالطَّلَبِ

قَدْ يُرزَقُ المرء لم تتعب رواحِلُهُ   ويحرمُ الرزقُ من لم يُؤتَ من تَعَبِ

ويختم الصولى نصائحه بحكمة خبرها من الأيام فيقول:

أقولُ قَوْلَ امرىء صَحَّتْ قريحَتُهُ   ما زالَ فى الدَّهْرِ ذَا كدح وذَا دَأَبِ

سُبْحَانَ من جَعَلَ الآدابَ فى عُصَبٍ   حَظًّا وَصَيَّرهَا غَيْظاً على عُصَبِ

وتتعلق بحكم الصولى أيضا: ما خبره من الحياة، فنراه يصور لنا الحاسد فى صورة فريدة جعل يأكله الهم والغم، ولا يؤثر حسده وحقده على غيره، مثلما لا يؤثر فى الكواكب نباح الكلب... يقول(١٢٦):

ما عَسَى حاسِدٌ يقول إذا ما   خَطَبَ الناسُ بالحوادثِ خَطْبُ

فكفـاه أغـرٌّ منهم وسيـمٌ   صَدْرُه فى العطاء والبأْسِ رَحْبُ

غيـر هَمٍّ يَبُثـهُّ منـه بعيـدٍ   مثل ما ينبحُ الكواكبَ كلبُ

هذه هى أغراض الشعر عند الصولى.

وهو إذا كان قد مدح ورثى وتغزل وفاخر ووصف وكتب الرسائل الشعرية وتحدث عن نفسه، ونثر الحكمة بين ثنايا شعره... فإنه لم يكن فى حاجة إلى أغراض الشعر الأخرى كالهجاء، يتناوله قط.

---

(١٢٥) أخبار الراضى للصولى ص ١٥١.

(١٢٦) أخبار أبى تمام للصولى ص ٤٧.

وكان مذهبه فى شعره عموما لا ينقطع عن الشعر المتداول الموروث، بل أن شعره يقوم على الموازنة الدقيقة بين عناصر الشعر العربى التقليدية وعناصره التجديدية التى اخترعت نتيجة للحضارة والثقافة المعاصرة. وهذه الطريقة كانت أشبه بمنهج عام، نهجه معظم الشعراء المحدثين حيث طوروا شعرهم تطويرًا يربط بين الماضى والحاضر، فوصلوا أول الشعر بعصرهم، وصلوا بين ماضى الشعر القديم المتوارث وحاضر الشعر المتطور المحدث.

خصائصه الفنية فى الشعر

تآزرت عوامل كثيرة لكى ينهض الصولى بشعره ويصل به إلى مستوى كبار الشعراء العباسيين.

أول هذه العوامل: ثقافة عربية أصيلة بفروع الأدب المختلفة، وخاصة بالشعر الموروث من عصره إلى عصر الجاهليين، بحيث يخيل إلى من يقرأه - فى كتبه وأشعاره وآرائه وأخباره ورواياته - أن كل ما حصل عليه العرب من فنون الأدب وخصائصها وسماتها قد استوعبه وثقفه فتحول إلى نفسه.

وثانيها : ثقافة أجنبية عاصرها وعاش فى رحابها وتغذى منها وتأثر بها، ثقفها عن الأجناس الأخرى التى انصهرت فى البوتقة العربية.

وثالثها: اطلاع واسع على مختلف العلوم الدينية والدنيوية وأغراضها، ونهل من نبعها الفياض، مما كان له أثره الواضح والفعال فى كثرة مؤلفاته وتنوع مجالات معرفته.

ورابعها: تفرغ كامل للعلم وللأدب، دون ما حاجة إلى امتهان مهنة، أو تصنيع صناعة، فكان وجوده فى قصور الخلفاء وحرصه على خدمتهم، سببا فى النهل من

العلوم فاتسعت ثقافته، بل لعله امتهن الثقافة والعلم والأدب، ولكن لا ليبيعه بل ليبين مواطن الجمال فيه.

كل هذه العوامل وغيرها انعكست على شعره، وساعدته فى النهوض بفنه الشعرى، نهضة واسعة ظهرت فى مجاراته لتيار عصره السائد فى فن الشعر من حيث استخدام فنون البديع من جناس وطباق ومشاكلة وتصويرات مختلفة.

وقد عنى الصولى أشد العناية بأساليبه وأفكاره ومعانيه، واستطاع أن ينفذ بها جميعا إلى أسلوب ناصع جزل يتصل برونق الشعر القديم وقوته وصياغته وتراكيبه.

كما أنه مضى يوائم فى دقه وبراعه بين فنون البديع من جهة، وبين معانيه وأفكاره من جهة أخرى تمده فى ذلك ثقافة موسوعية عريضة.

لون الصولى شعره بألوان زاهية متنوعة من المحسنات البديعية من جناس وطباق ومقابلة وغير ذلك .. فمن الجناس قوله فى مدح الوزير أبى الوفاء:

عَضَّدَ الإلهُ أَبَا الوفاءِ بِنصرِهِ   عَضْدَ الخلافة سَيِّدَ الأُمَراءِ
قَدْ وَاصَل النَّصْرَ المتابعَ سَيْفُهُ   كوِصَالِ حب كارهٍ لجفاءِ
سَلْ بالأميرِ وسَيَفْهِ من رامَهُ   أَوْ هاجَهُ فى حَوْمةِ الْهَيْجَاءِ
وأَتَى الأميرُ بعزةٍ ومهابةٍ   يَخْتَال بين غنِىً وبين غَنَاءِ

حيث جانس الصولى فى البيت الأول بين (عَضّد وعضُد) والأولى بمعنى أَيَّد ونصر والثانية بمعنى سند الخلافة وعمادها وحاميها الذى لا يقهر. وهو جناس غير تام.

وفى البيت الثانى جناس بين (وَاصَل ووصَال) والأولى بمعنى استمر أو تابع، والثانية بمعنى لقاء الأحبة، وهو جناس غير تام حيث اختلف فى ترتيب الحروف.

وفى البيت الثالث جناس بين (هاجه والهيجاء) وهاجه بمعنى أثاره، والهيجاء هى الحرب وهو جناس غير تام حيث اختلف فى عدد الحروف وشكلها.

وفى البيت الرابع نرى جناسا بين (غِنَى و غَنَاء) وهو جناس غير تام أيضا حيث اختلف الشكل.

وقوله فى الغزل:

مُتَيَّمٌ مُتْلِفُهُ تَلَدُّدُهُ   بَانَ لبَيْنِ الْهَوَى تَجَلُّدُهُ
قَدْ إرْتَدَتْ بالجَمَالِ جُمْلَتُهُ   كَمَا إرْتَدَى بالنَّدَى مُحَمَّدُهُ

حيث جانس الصولى بين (بَانَ وبَيْن) وأيضا نرى فى البيت الثانى جناسا بين (الجَمَال والجُمْلة) وبين (ارتَدى والندَى) وهو فى الجميع جناس غير تام.

وقوله أيضا:

يا مُذِيقى غُصَّةَ الكَمَدِ   مُشْعِلاً للنَّارِ فى كبِدِى
حين أَزْمَعْت الرحيلَ ضحىً   أَزْمَعَتْ رُوحى عن الجسدِ

فنرى جناسا بين (أَزْمَعْتَ وأَزْمَعَت) والأولى بمعنى نويت وابتدأت والثانية بمعنى انفصلت.. وقوله فى المديح:

مَلَكْتَ فَمَلَّكْتَ المُنَى كل راغبٍ   فموردُك الاحسانُ والحقُّ مصدرُكْ
إلى أَنْ وَفَى بالوعدِ منك أبو الوفا   فكُلّ أمير بالصغار يُؤَمِّرُكْ

حيث جانس فى البيت الأول بين (مَلَكْتَ و مَلَّكْتَ) والأولى بمعنى صرت مالكا أى تملكت، والثانية بمعنى وهبت وأنلت.

وجانس فى البيت الثانى بين (وفى وأبو الوفا) والأولى من الوفاء والثانية اسم الوزير وغير ذلك من الأمثلة كثير.

أما الطباق.. فقد أكثر منه الصولى كثرة مفرطة، حتى أنه لقلما يخلو بيت فى قصائده منه فنراه فى قوله:

ضَحِكَتْ بِهِ الأَيَّامُ بَعْدَ قُطُوبِهَا   وَجَلا الضِّياءُ به دُجَى الظَّلْمَاءِ

فَصِلوُا السُّرُورَ قَضَاءَ مَا عَايَنْتُمُوا   بالأمْسِ مِنْ هَمٍّ وَمِنْ بُرَحَاءِ

فنرى طباقا فى البيت الأول بين (ضحكت وقطوبها) وبين (الضياء والظلماء) وهما من طباق الإيجاب، فالضحك يناقضه القطوب والعبوس، والضياء يناقضه الظلمة.

وفى البيت الثانى نرى طباقا بين (السرور والهم) فالسرور يناقضه الهم والحزن. وهو من طباق الإيجاب أيضا.

وفى قوله فى وصف القلم:

مُشْفٍ على الرأى نَظَّارٌ عواقبه   إذَا تَشابه وَجْهُ الرَّأْىِ واحْتَجَبَا
فى كَفِّهِ صارمٌ لانَتْ مَضَاربُهُ   يَسُوسُناَ رَغَبًا إن شَاءَ أو رَهَبَا
السيفُ والرمحُ خَدّامٌ له أبداً   لا يَبْلُغَانِ له جِـدًا ولا لَعِبَا
يَرْمِى فَيُرضِيهماَ عن كل مُجْتَرِمٍ   وَيَعْصِيانِ على ذِى النصح إنْ غَضِبَا

والطباق فى البيت الأول بين (نظار واحتجبا) أى بين الرؤية والاحتجاب، وفى البيت الثانى بين (صارم ولانت) وبين (رغبا ورهبا) فالصرامة يناقضها الليونة. والرغبة يناقضها الرهبة.

وفى البيت الثالث طباق بين (الجد واللعب). وفى البيت الرابع نرى طباقا بين (يرضيها ويعصيان) فالرضا يناقضه العصيان.

وفى قوله أيضا:

قُلْ لخيرِ النَّاسِ كُلِهِمِ   لا أُحَاشِى فيه منْ أَحَدِ
الـذّى يَرْضَى الإلَـهُ به   مُـذْهِبًا لِلغىِّ بـالـرَّشَـدِ
نَـوْبَتىِ قَدْ ذَلّ جَـانِبُهَا   بيعَ منْهاَ النَّومُ بالسهُّـدِ

فنرى طباقا فى البيت الثانى بين (الغى والرشد) أى بين الغواية والرشاد. وفى البيت الثالث بين (النوم والسهد).

وفى قوله:

كَمْ عَسيرٍ عَادَ لى من حُسْنِ نُعْمَاكَ يَسِيرَا
قَدْ يُرَى العبْدُ وَإِنْ قَلَّ بمَوْلَاه كَثِيرَا

ففى البيت الأول طباق بين (عسير ويسير). وفى البيت الثانى طباقان بين (العبد ومولاه) وبين (قل وكثير).

وفى قوله:

كَيْفَ التَّوَرُّطُ فى ظَلَامِ ضَلَالَةٍ والصُّبْحُ فى سُبْل الهَدايةِ قَدْ أَضَا
سَتَرَى القيامَ به قُعُودًا عاجلًا فَزِعًا ويَرْجِعُ ساكناً مَنْ حَرَّضاَ

ففى البيت الأول طباقان بين (ظلام وأضا) وأيضا بين (الضلال والهداية) أما فى البيت الثانى فالطباق بين (القيام والقعود) وبين (فزعا وساكنا) أى بين الفزع والاضطراب والهدوء والسكون.

ومن أجمل ما جاء فى شعر الصولى من الطباق قوله فى مديحته للراضى:

عَجَبى لَهُ كَيْف أوجَبَ ذَنْبًا لم يكُنْ عن تَسلُّفٍ واقْتِرَاضِ
ظالمٌ مُنصفٌ، سريعٌ بطئٌ سَابِقٌ ركضُهُ بغير إرتكاضِ
فَتَسوَّدْتُ بالبياضِ وَعُذْ تُ به عن وِصَالِ بيضٍ بِضَاضِ

فنرى طباقا فى البيت الثانى بين (ظالم ومنصف) وأيضا بين (سريع وبطىء) فالظلم يناقضه الإنصاف.. والسريع يناقضه البطىء.

وفى البيت الثالث نرى طباقا بين (تسودت والبياض) أى بين السواد والبياض.

ومن المحسنات البديعية التى أكثر الصولى من استخدامها **المقابلة** من مثل قوله:

فالعيشُ إن كان هذا عَنْ خَبِيٍّ رِضاَ والموتُ إنْ كَانَ كُلُّ المَوْتِ عَنْ غَضَبِ

فنرى مقابلة بين (العيش والموت) وبين (الرضا والغضب). بل أن الشطر الأول يقابله الشطر الثانى.

وقوله :

وَثِقْتُ بِإِدْبارِ النُّحُوسِ عَنِ الْوَرَى   وإقبال سعد حين صار يُدَبِّرُكْ

حيث إن إدبار النحوس يقابله إقبال السعد.

وقوله :

فَهو كالشَّهْدِ للنَّصيحِ المُّوالِي   وكَسَيْفٍ عَلَى العِدَا مَهْزُوزِ

فيقابل بين حلاوة الشهد التى يتعاطاها قابل النصيحة الموالى له، وبين مرارة الموت التى سينالها أعداؤه بسيفه البتار.

وقوله :

واجِدٌ بالعلومِ وَجْدَ مُحِبّ   رَاعَهُ مَنْ يحب بالاعراضِ
نِعَمٌ للولىّ منــهُ حَبَــاه   وَمنَايَا على العَدُوّ مواضى

فيقابل بين النعم التى ستنتظر الموالى، وبين المنايا التى سينالها العدو.

وقوله :

مِدَحٌ مُلِّكَتْ رقَابَ المعانى   عُطِّلَتْ من حليهنَّ الرُّسُومُ
فهَوُ زَيْنٌ لمرتجِيكُم وَعزٌّ   ونجُومٌ عَلَى عِدَاكُمْ رجُومُ
ولآلٍ لكم يُضيِىء سَنَاهَا   وَنُحُوسٌ لِشَانِئِيكُمْ حُسُومُ

فنرى فى البيت الثانى مقابلة بين الزين والعز للمرتجين... والنجوم الرجوم على الأعداء. وفى البيت الثالث مقابلة بين اللآلىء التى يضىء سناها على المحبين... والنحوس الحاسمة على الحاقدين الكارهين.

المزج بين المحسنات البديعية:

والصولى كثيرا ما يحاكى أبا تمام فى المزج بين المحسنات البديعية مزجا واسعا، معتمدا على ذكائه ومقدرته الفنية. ولاشك أن إعجاب الصولى بأبى تمام وإطلاعه على شعره ودراسته له كان له آثار كبيرة على شعره، فتأثر به أيما تأثر، فنرى أثر أبى تمام واضحا فى شعره وخاصة فى المزج بين المحسنات. على أن هذا الأثر لا يحجب شخصية الصولى أو يطغى على فنيته، وإنما هو تأثر بالمنهج والطريق. فمن أمثلة المزج بين المحسنات عند الصولى قوله:

يَا حُلَّى الزمانِ يا زينةَ الأر ... ض ورَأْسَ الملوكِ وابن الرُّؤُوسِ
إنّ نُصْحى وصِدْقَ وُدِّى قَدِيمٌ ... لم أُشْبْهُ بالزورِ والتَّدْليسِ
قَبْلَ أن يأكلَ الزمانُ شبابِى ... خَالِسًا غُرَّتِى بشَعْرٍ خَلِيسِ

فنرى فى البيت الأول جمال التقسيم إلى فقرات: ياحلى الزمان.. يازينة الأرض.. مستخدما أسلوب النداء.. كما نرى فيه جناسا جميلا بين (رأس الملوك) أى أعلاهم مكانة وأكبرهم منزلة، (وابن الرؤوس) أى ابن السادة الأشراف من أقرباء النبى الكريم.

ونرى فى البيت الثانى طباقا واضحا بين (صدق الود والزور) فالصدق يناقضه الغش والخداع. ونرى فى البيت الثالث سحر الاستعارة، فيجعل من الزمان وحش مفترس سيأكل شبابه كما نجد جناسا بين (خالس وخليس).

وقوله أيضا:

فاعْتَبِر ما شَكَاهُ عَبْدُك مِنْهُ ... ثُمَّ دَاوِ الخَناقَ بالتَّنْفِيسِ
هُوَ فى مخْلبِ الزمانِ فريسٌ ... فارحمْ الآنَ نَفَسَ هذا الفريسِ
وَأسْقِهِ من سلافِ جُودك بَذْلاً ... فَاقَ طيباً سُلَافَةِ الخَنْدَرِيسِ

فنرى فى البيت الأول طباقا واضحا بين (الخناق والتنفيس).

ونرى فى البيت الثانى (استعارة) حيث جعل من الزمان وحشا كاسرا له مخالب تنبش فى فرائسه فتفتك بها، وجعل من نفسه هذه الفريسة، ويطلب لنفسه الرحمة وسرعة الإنقاذ خشية فتك هذا الوحش المفترس.

ونجد فى البيت الثالث (جناسا) بين (سلاف جودك وسلافة الخندريس) والأولى بمعنى جزيل عطاياك والثانية بمعنى الخمر المعتقة.

ويقول الصولى فى مديح وزير الراضى:

أيَّـد الله ملكـه بـوزيـرٍ عَالمٍ بالزَّمانِ طبٍّ رئيسِ
ظمىء المُلْكُ قبله فَسَقَـاهُ رِيَّه مِنْ زلالِ نصحٍ مَسُوسِ

فنرى الصولى يُكَنىِّ عن ضعف الخلافة بظمئها. فالملك كان متعطشا قبل أن يجيىء الوزير فرواه وسقاه من آرائه السديدة ونصحه وسياسته ما أطفأ ظمأه وروى غله.

ويقول أيضا عن وزراء المتقى لله من أبناء محمد بن على:

لَقَدَ صانُوا الوزارَةَ بعد هَتْكٍ وَزَانُـوها وكـانت غَـيْرَ زَيْنِ
بِـرأى مُـسْتَـنـيرٍ للمُـوَالى وصعْبٍ للمُعَادى غَـيْرَ لَـيْنِ
وأقْـلام تُحَكَّمُ فى الأَعَـادَى كحُكْمِ السَّيْفِ والرُّمحِ الرُّدَيْنِى

فنرى فى البيت الأول طباقا بين (صان وهتك) والهتك كناية عن الضعف والمهانة، كما نرى طباقا بين (زانوها وغير زين) وهو طباق سلب.

وفى البيت الثانى نجد طباقا بين (المُوَالى والمُعَادِى) وأيضا بين (صعب ولين).

وفى البيت الثالث - جعل الأقلام تحكم فيهم - كناية عن كتابتها لآراء الوزراء السديدة وحيثيات أحكامهم. والأوامر التى يخطونها بها. ويشبه هذه الأحكام

والأوامر بأنها قاطعة كحد السيف نافذة كطعنة الرمح تفصل بين الحق والباطل. واستعار لمضاء العزم وسداد الحكم حدة السيف ونفاذ الرمح الرديني الذى ينفذ فيصيب من الهدف مقتله.

وهكذا كان يمزج الصولى بين المحسنات البديعية فى توافق وذوق رائعين، وكأنها مواد الفنان الرسام المصور البارع، الذى يلون بها شعره، فإذا به يظهر واضح الرؤية عميق الأثر.

التصوير:

وتكثر الصور والأخيلة فى شعر الصولى وكان يستعين بمخيلة بارعة استطاع بها أن يلتقط صورا عدة، تبرز فيها المعالم والقسمات: يقول فى تصويره لمعركة:

فى كُلِّ يومٍ للأعَادِى وقعةٌ	منُه تُبيدُهم وسيفُ فَنَاءِ
فتَراهُمْ لَمَّا رأوْه مُقْبِلاً	كالشَّاءِ يَنْفر من أُسُودِ ضراءِ
صَرْعَى وقَتْلَى والذى فَاتَ الرَّدَى	مِنْهُمْ حليفَ الذل فى الأَسَرَاءِ
نَثَرَتْ سُيوفُكَ بالفضاءِ أكُفَّهُمْ	فكأَنَّهُمْ فيه حَصَى البطحاءِ
وَعَطَفْتَ خَيْلَكَ خاطفاً أرواحَهُم	منْ غَيْرِ إمْهَالٍ ولا إِبْطَاءِ
تَلْهُو بأَبطالِ الرِّجالِ شَجَاعَةً	لَهْوَ المُلَاعِبِ فازَ بالأَهْوَاءِ

صور الصولى أعداء الخلافة فى صورة شياه مذعورة فزعة حين رأت الأسود الضوارى وصور أبطالهم وهم قتلى وصرعى... أما الذين جبنوا عن مواصلة القتال وأسروا فصورهم وهم أذلاء.

كما صور أكف الأعداء وقد بترت ونثرت على أرض المعركة. وكأنها حصى البطحاء - أى الأعشاب الشوكية التى تنبت فى أرض الصحراء.

وصور أيضا انعطاف الفرسان بخيولهم وإطاحتهم برؤوس الأعداء - فى سرعة - وكأنهم يحصدون أرواحهم ويخطفونها خطفا.

ثم صوره يلهو بأبطال أعدائه كما يلهو الملاعب المنتصر بخصمه، الذى تمكن منه وأصبح لا يملك لنفسه حولا ولا قوة. دليلا على انتصاره على الأعداء ودحرهم والنيل منهم.

ومن تصوير الصولى أيضا - نرى تلك الصورة التى قدمها لنا للأمير أبى الوفاء توزون الذى تولى الإمارة فى عهد المتقى لله يقول فيها:

أَبَتْ الإمَارَةُ أَنْ تُزَوَّجَ غِيْرَهُ   مِنْ بَعْدِ مَا خُطِبَتْ أَشَدَّ إبَاءِ

فصور الإمارة فى صورة عروس مخطوبة، ولكنها تأبى أن تتزوج غير حبيبها، لأنها أحبته وهامت به، وتعلقت بهواه، وهى من فرط حبها لحبيبها رفضت من خُطبت له، وأبت إلا أن تتزوجه هو لأنه كفء لها وجدير بها، كفيل بإسعادها.

ويقدم لنا الصولى صورة ثالثة لحفل زواج ابنة الوزير البريدى من عبد الواحد أبِى منصور بن المتقى لله. وكيف كانت الدنانير والدراهم تتساقط على الناس فيقول:

أَمْطَرَتْنَا السماءُ فيه بيُمنٍ   وَسَماحٍ منهُ لُجَيْنًا وتِبْراَ
فالدنانيرُ هاوياتُ تُحَاكي   أنجماً فى السْماءِ تَنْقَضُّ زُهْراَ
وَتَليها دَرَاهمُ مُشْبهاتُ   أَبْرُدًا تَمْلأُ الأماكن نَثْراَ

فصور السماء تمطر... ولكنها لا تمطر ماء.. بل تمطر يمنا ورخاء وسماحة من الوزير... وليس هذا فحسب بل تمطر أيضا ذهبا وفضة.

وصور الدنانير وهى تهوى على الناس من عل وكأنها أنجم من السماء تتساقط لامعة مضيئة كالشهب.

وهى صورة رائعة حيث جعل الوزير فى علوه كالسماء... وجعل كرمه وفيضه كالمطر ينهمر على الناس حاملا اليمن والسعد السماحة والسرور.. وجل الدنانير والدراهم تتساقط من علياته مضيئة لامعة تبعث النور لأعينهم والأمل لقلوبهم، والثراء لجيوبهم.

ولقد قدم لنا الصولى ألبوما من الصور الفنية لنفسه، وسجلا جمع فيه صور حياته ومراحلها حتى أخرياتها، فصور لنا كيف كان يعيش عيشة رغدة يلبس أفخر الثياب وأدفأها فى ليالى الشتاء، وكيف كان ينام على وسائد ناعمة لينة تنم عن الثراء والعز والفخامة التى كان يحياها، ويمتلك أنفس الفرش وأزهاها وأجملها نقوشا، ويعيش فى قصر يحوى كل معداته وأثاثه ومؤلفاته يضاء بالشموع ويزان بأجمل ألوان الزينة وأفخمها... يقول:

أَبْكى كساء كان أوثقَ عُدَّتىِ ... إن أَخْصَرَ البردُ العظام ونَقَّضاَ
ومَخَدَّةً قَدْ كـان يأْلفُ لينهـا ... خَدِّى، فأضْحَى الجِسْمُ منْهَا مُمْرِضَاَ
ونفيسَ فرشٍ كالرياضِ نقوشُهُ ... ما كانَ مِنْ دُونِ الرِّياشِ مُرَحَّضَاَ
ومُجَمَّعًـا قَدْ كنتُ أجمـعُ آلةً ... فيه وكانَ من البـلاء مُفَضَّضَاَ
والصُّغْر أَبْكى كالنُّضَارِ وشمعةً ... زَانَتْ يدُ الماشىِ بهَا والمقْبضَاَ

ولكن ضاع كل ذلك... وتبدل حاله إلى حال.. وصار مصيره إلى زوال، ولم يبق له من كل ذلك سوى الذكرى والشكوى والبكاء والحنين إلى العز الفانى القديم... فيقدم لنا صورة أخرى... صورة قاتمة لأخريات حياته، وقد غال المشيب شبيبته، وبليت ملابسه الأنيقة الجميلة، وأحاره المرض وأوهن قوته، وأهلك عزيمته، فصار عليل الجسد سقيم البنيان، وها هو قد ناهز السبعين، فوصل إلى سنين العذاب، حيث لا لذة فى الحياة ولا راحة بل خوف من المصير وسهد وألم وأرق، وانتظار للحتوف والقضاء. يقول للراضى:

صَـرّحتُ بـالشكْـوىَ إليـكَ تـأنسًـا ... بنَـدَى يـديْـك إذَا غـريبٌ عـرَّضَـا
مِنْ بَعْـدِ مـاغـالَ المشيبُ شبيتى ... ونَضَـا لِبَـاسُ تَجَمُّلى فِيمـاَ نَضَـا
وأَحَـاَرنى مَـرَضـا وأوهَنَ قُـوَّتى ... فغَـدَوْتُ منـه وقَـدْ صَححتُ مُمَـرَّضَـا
وإذَاَ دَنَـتْ سَبْعُـونَ من مـتـأمـلٍ ... دَانَى وَلَمْ يَـرَ فى اللَّذاذَة مَـرْكَضَـا
وجَفَـاهَ نَـوْمٌ كـانَ يـألَفُ جَـفْنَـهَ ... قِـدْمـاَ وأَضْحَى للحُتُـوفِ مُعَـرَّضَـاَ

ولاشك - أن هذه الصورة الرائعة التى عبر فيها الصولى عن نفسه وحالته وصور فيها جزءا من ماضيه وحاضره، تبرز لنا ماكان يعانيه الرجل فى هرمه وقد أصبح وحيدا من الأهل والولد، وليس له صاحب ولا شفيع، ولا وسيلة عيش سوى الخليفة، ومن هنا وجد عنده ما يشبه الاستجداء فى طلب العطاء من أجل العيش ودرءًا للحرمان.

التجسيم :

وإذا كان الصولى قد نجح فى تقديم بعض الصور الشعرية، فإن له مقدرة أيضا على تجسيم وتجسيد معانيه، وهو تجسيم رائع صنعته أفكار فنان بارع.. يقول فى القيان:

وغِـنَـاءٌ أَرَقُّ مـن دمـعـةِ الـصـ ... ـبِ وَشْكَـوى المُتَيّـم المـهجـورِ
يَشْغَلُ الفهْمَ عن تَظَنٍّ وفهْمٍ ... فَهْـوَ يُصْغِى بظَاهِـرٍ وضمير
صَافَح السمعَ بالَّذى يَشْتَهِيهِ ... فأذاقَ النُّفوسَ طعمَ السرورِ
لَيْسَ بالصَّائِلِ الضَّعيفِ إذَا مَاَ ... رَاضَى نعمًا ولا الشَّنِيعِ الجَّهِيرِ
يَجْتَنى السَّمْعُ منه أَحْسَنَ مماً ... نَجْتَنىِ العَيْنُ من وجوه البدورِ

فيجسم الغناء ويجعله سائلا ينساب إلى الأسماع كما تنساب دمعة الحبيب المتيم المهجور حين تنحدر فى سلاسة وسهولة ورقة على خديه.

ويقول إن هذا الغناء يحرك العاطفة - بمعانيه ونبراته وألحانه - فإذا السامع

لا يسمعه بأذنه فقط بل بها وبقلبه، بظاهره وباطنه، بسمعه وبشعوره.

ويجسم الأنغام التى تنبعث من هذا الغناء فيجعلها أيادى تمتد إلى السامع لتصافحه، بل أنها تقدم إليه ما يشتهيه من ألحان شهية يسمعها بأذنه فيحس بحلاوتها على لسانه، فهى أغان تذيق النفوس حلاوة الصوت فتشيع السرور فى الجسم والروح معا.

وهو غناء رقيق عذب – له قيمته ووزنه – فليس بالخافت الضعيف الذى لا يستطيع المرء أن يحس به ويعيش معه ويؤثر فى وجدانه، ولا هو مما تنفر منه النفس لنشازه وعلوه وحشرجته. وهو غناء لا يسمع فقط، ولكن يمكّن الإنسان من أن يحصل على اللذة الفنية فيقطف ثمار روعته، ويجنى من فاكهتها مثلما تجتنى العين من جمال وجوه الحسان البدور.

وهذا التجسيم بلاشك رائع جميل، حيث جعل من الغناء كائنا حيا، يحس به الإنسان ويلامسه ويصافحه ويجتنى ثماره.

وروعة الصولى فى تجسيمه لمعانيه، لم يمنعه من زخرفة شعره وزركشته بالمحسنات البديعية فنراه وقد رصع هذه الصورة المجسمة بألوان من الطباق البديع.

فنرى فى البيت الثانى طباقا بين (تظن وفهم) فالظن والتخمين يناقضه الفهم والترجيح وأيضا بين (ظاهر وضمير) فالظاهر يناقضه الباطن.

ونرى فى البيت الرابع طباقين بين (الصائل والشنيع) وبين (الضعيف والجهير).

ومن تجسيمات الصولى الرائعة – تلك التى تبرز لنا فى وصفه للنهر وكأنه كائن حى ترتعد احشاؤه نتيجة للمسات أيادى النسيم، فإذا ماؤه من فرط برودته وثلوجته يجعل المرء يقشعر ويرتعد وكأنه ارتكب جرما فظيعا يخشى افتضاحه.

ويجسم الصولى حركة الريح للمياه فيقول: إن الريح يحرك المياه بقوة فإذا هى تتماوج وتعلو فتصير دروعا متراكمة بعضها فوق بعض بلا نظام وكأنها أكوام.. هذه الدروع يتقى بها النهر ضربات الريح.

ويوضح الصولى معالم صورته المجسمة فيجعل من حافات النهر كائنات حية تتنفس هذا الماء وتزفره، تتنفسه بملء رئتيها ثم ترجعه، كما يتنفس المغتاظ فى شهيقه وزفيره، وكأنه ينفث آلامه التى كظمها وكبتها فى حناياه.. يقول الصولى:

بنهـرٍ تـرْعُـدُ أحشـاؤه إذَا عَـلَاهُ دارج النِّسَمِ
وَيقَشِعرّ الجلدُ من مائِـهِ كأنما يَـرْعُدَ من جُـرْمِ
وَينْسِجُ الريحُ دروعًا بِهِ يُنَظِّمُهاَ فيـهِ بِلَا نَـاظِمِ
تنفَّسَتْ بـالماء حَـافَـاتـهُ تنفُّس المغتاظِ عن كَظْمِ

ونرى تجسيما آخرا رائعا للصولى - يجسم فيه آراء أبى الوفاء توزون وزير المتقى لله فيقول:

فَـرَماهُمْ مَنْ رأيِـهِ بنَوَافِـذٍ تُهْدَى بِلَا هَادٍ إلى الأَحْشَاءِ
وَرَمَى حَبَائِلَ رأيِهِ شَرَكاً لَهُمْ فَهَـوَوْا لحِمْئَتِهِ هُـوِىَّ دِلَاءِ

جسم الصولى رأى الأمير فحوَّله إلى سهام نافذة قاتلة تعرف طريقها جيدا إلى أحشاء معارضيه دون ما حاجة إلى من يوجهها أو يعدِّها.

وجسم رأيه أيضا،فجعله حبائل متينة، حين يرمى بها الأمير إلى معارضى سياسته فإذا هم خاضعون لها، يتعلقون بها وكأنهم دلاء لا تملك لنفسها شيئا سوى أن تخضع لحركة القابض على أطراف الحبال المحرك لها.. فتهوى وترتفع تبعا لرأيه ومشيئته.

وهما صورتان رائعتان أراد الصولى بهما أن يبرز قوة الوزير الأمير، وعزيمته ومضاء رأيه وقدرته على تسيير كل شىء تبعا لارادته ونزولا على رغبته.. فيرمى برأيه فيتحول إلى سهم نافذ موجه يعرف طريقه جيدا فيصل إلى هدفه بلا إرشاد أو هداية وليس منه إتقاء.

ويدلى برأيه السديد فيتعلق به كل الناس - تعلق الدلاء فى الحبال المتينة حيث يحركها هو كيفما شاء وطبقا لخطته وإرادته.

فجسم من الآراء سهاما موجهة.. وحبالا متينة وهذا دليل على قوة أبى الوفاء وعزيمته.

الاقتباس من ألفاظ القرآن ومن السنة ومن معانيها:

ولقد كان الصولى مثقفا ثقافة واسعة، وشعره دليل على اتساع هذه الثقافة وتنوعها، وأنه نهل كثيرا من علوم القرآن ومن السنة، وأيضا من التاريخ والفلسفة وتأثره بالقرآن الكريم والسنة، وبالتاريخ والفلسفة لا يقف عند حد اقتباس بعض الألفاظ أو المصطلحات، بل يتعدى ذلك إلى المعانى، وينعكس عليها.

فكان من أبرز خصائصه الفنية أيضا الاقتباس من القرآن الكريم ومن السنة مما يضفى على شعره هذه المسحة الدينية المحببة.. من مثل قوله:

وما نَصَرَ اللهُ امرءًا أَنْتَ حربُهُ ... وأَنَّى لهُ بالنَّصْرِ واللهِ يَنْصُرُكْ

تَخَيَّرَكَ البَّارِى أَمِيرًا مُظَفَّرًا ... تَبَـارَك فى تَدْبيـرِه مُتَخَيِّـرُكْ

فنجد أنه اقتبس (نصر الله) من قوله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾[١٢٧] وقوله: ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله﴾[١٢٨]. وقوله: ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾[١٢٩] واقتبس أيضا كلمة (البارى) وهى من أسماء الله وردت فى قوله تعالى: ﴿هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى﴾ [الحشر آية ٢٤].

وكلمة تبارك أيضا من كلمات القرآن وقد وردت فى قوله تعالى: ﴿تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير﴾[١٣٠] وقوله تعالى: ﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾[١٣١] وقوله تعالى: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾[١٣٢].

وقوله فى وزير الراضى:

كَيْدُه وافِدٌ عليهم بيومٍ ... قَمْطَرِيرٍ بما يَشُقُّ عَبوسِ

---

(١٢٧) النصر ١.

(١٢٨) التوبة ٤٠.

(١٢٩) آل عمران من الآية ١٦٠.

(١٣٠) الملك (١،٢).

(١٣١) الفرقان (١).

(١٣٢) المؤمنين ١٤.

وكلمة (قمطرير) من ألفاظ القرآن. ووردت فى قوله تعالى: ﴿إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا﴾[١٣٣].

وقوله للراضى:

ضَاَق شكُر العبيدِ عَنْ بِرٍّ مَوْلى مثل ضِيقِ الغُفْرانِ عن إبْليسِ

والغفران وإبليس من ألفاظ القرآن، والصورة نفسها مستوحاه من معانى القرآن فى قوله تعالى:

﴿وإذْ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس، أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾[١٣٤]. وقوله أيضا:

لِيَهْنيكَ يا خَيْرَ البريةِ ناصحٌ له خَطَرٌ فى العالمين جَليلُ

(وخير البرية) من ألفاظ القرآن من قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾[١٣٥]. وقوله أيضا:

وعطاياك إنها فيضُ بَحْرٍ إن شيطانَ منعهم لرجيمُ

وقوله:

وَنيَام عنهم كَنْومةِ أهلِ الـ ـكهفِ لولاَ وَصِيدُهم والرقيمُ

وقصة أهل الكهف من قصص القرآن.. والصورة مستوحاه من قوله تعالى: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آيتنا عجبا﴾[١٣٦] وقوله تعالى: ﴿وتحسبهم أيقاظا وهم رقود، ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال، وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لَوَلَّيْت منهم فراراً وَلَمُلِئْتَ منهم رُعبا﴾[١٣٧].

وقوله عن منع حاشية المتقى له:

طَبْعُهُمْ ظـاهُـر القســاوة فَظٌّ لَيْسَ فيهم من البَّـلاءِ رحيمُ

---

(١٣٣) الانسان آية ١٠.

(١٣٤) البقرة آية ٣٤.

(١٣٥) البينة آية ٧.

(١٣٦) الكهف آية ٩.

(١٣٧) الكهف آية ١٨.

فأُسيم الكُرُوب فى مَسَرحِ القَلـ ـبِ وَمْرعَى الحجابِ مَرْعَى وخيمُ
لهـا مَشْربٌ عليـه من الظمـ ـأ وَوِرْدِ الاخماسِ إلا الحميمُ
لا تكُـرُوا عَلَىّ فيهم مَـلَامـاً فَعذاب الحجابِ عِنـدى أليمُ
وكـذَا جَاء فى التـلاوة نصًـا لَيْسَ بعد الحجابِ إلا الجحيمُ

فالكلمات: «فظ والبلاء ورحيم ووخيم والحميم وأليم والجحيم» كلها من ألفاظ القرآن الكريم ووردت كثيرا فيه.

أما اقتباس الصولى من السنة الشريفة فنجد لها مثلا فى قوله:
أطْنَابُ بأسِكَ يَوْمَ حربكَ عُلِّقَتْ لِعُلُوِّهـا بكـواكبِ الـعَـوَّاءِ
فَضَلتْ كفَضْلِ بنى النبىِّ وَصِهْرِهِ فى نُبْلِ قَدْرِهُمْ بنِى الطُّلَقَاءِ

مشيرا إلى قصة النبى صلى الله عليه وسلم مع المشركين حين وقعوا فى قبضته بعد فتح مكة فسألهم النبى: ماذا تظنون إنى فاعل بكم، قالوا : خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم فقال النبى ﷺ: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

وفى قوله أيضا:
إليك ترامَتْ بِى الأماَنى همَّةٌ عَلَى لُحُق الأقْرَابِ ضَامِرَةٍ حُصِّ
إلى ابن الذَّى أحْيَاَ البريّةَ عدلُهُ فشُبِّه بالفاروقِ منهم أبى حَفْصِ

فهو يشير إلى تسمية الرسول صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب «بالفاروق».

ومن خصائصه الفنية أيضا الاستشهاد بالمواقف التاريخية... فنراه يستشهد باليوم الفصل الذى زالت فيه دولة الأمويين وقامت على أنقاضها دولة العباسيين يقول مفاخرا:
وَيَوْمَ مروانَ أُفْـرِدْنَا بمشهَـدِهِ والفخرُ فيه بِنَصْرِ السادَة النُّجُبِ

ونراه أيضا يقارن بين واقعه وحربه مع الزمن، وبين وقعة من التاريخ القديم، قامت بين قبيلتين كبيرتين فى الجاهلية واستمرت مدة طويلة وعرفت فى كتب الأيام

باسم «حرب داحس والغبراء» أو «حرب البسوس». يقول:

إنّ بينِى وبينَ دَهْرِى حـربًا　　جاوزَتْ حَرْبَ دَاحِسٍ والبسوسِ

فهو يشير إلى ضراوة الصراع القائم بينه وبين الزمن، وطول مدة هذا الصراع.. ويقول لوزير المتقى:

ثَوَابُكُمْ على إصلاح مُلْكٍ　　ثواب شُهُودِ أُحْدٍ أَوْحُنَيْنِ

فنراه يشير إلى غزوتى أُحُد وحُنين اللتين كانتا لهما أثر كبير فى الحياة الإسلامية. وورد ذكرهما فى القرآن الكريم، ويربط الصولى بين ثواب الوزير على إصلاح حال الدولة والخلافة وبين ثواب أبطال الإسلام الذين شهدوا غزوتى أحد وحنين اللتين اختبر الله فيهما المسلمين.

ويقول أيضا فى مديح الراضى بالله:

أَجَلُّ الناسِ آراءً وعلماً　　مَقَالٌ لَيْسَ يُقْرَنُ بالأُفُوكِ
فَذَكَّرنـاَ مقالٌ منـه فَصْلٌ　　مقالَ المصطفى بِجِرَى تَبُوكِ

فربط بين مقال الراضى فى أمر من الأمور ومقال النبى عليه السلام فى واقعة تبوك.

وخصيصة فنية أخرى فى شعر الصولى وهى تضمينه لأسماء الشعراء المشهورين من القدماء والمحدثين، فطالما أورد أسماءهم مبينا منزلتهم تارة، وصدق تعبيرهم تارة أخرى. بل أنه كان أحيانا يستشهد بمعانيهم ووجهة نظرهم فى بعض المواقف التى يتناولها بشعره.

فمثلا يقول فى إحدى قصائده مستشهدا بمعنى من معانى بَشَّار فى موقف عاطفى، ويربط بين موقف بشار مع محبوبته، وموقفه هو مع الراضى:

ظُلِمَ الحبيب فأَظْلَم البيتُ الذى　　أَمَّت مَـطَايَاهُ بـه ذات الأَضاَ

وقَدْ قال بشّـارْ وكان مُسَـدَّدًا يَحْوِى المَعَانى إن رَمَى أو أَنْبضَا
قـد ذقت ألفته وذقت فِـرَاقَهُ فَوَجَدْتُ ذَا عسلًا وذَا جَمْرَ الغَضَا

ويقول أيضا فى مجال فخره بمدائحه وتفضيله لها على كل المدائح التى قدمها الشعراء إلى ممدوحيهم، بل أنها تفضل مدائح «النابغة الذبيانى» التى قدمها إلى «النعمان بن المنذر» بل وتفضل أيضا شعر جرير وهو يحن إلى مساكن الأحبة وديار الأهل.

مدحٌ لم يزد عليها «زيادٌ» وهو خَاشٍ ردى «ابى قَابُوس»
لا ولاحَاكَ مِثْلَهُنّ «جريرٌ» عند إيحاش رَبْعِهِ المأنوسِ

ويظهر فى شعر الصولى أثر ثقافته الواسعة واطلاعه على جميع المجالات الفكرية والإسلامية واللغوية حتى العقائد والنحل التى ماجت فى عصره وقبل عصره، فنجد فى شعره بعض الإشارات والمصطلحات التى تتصل ببعض مذاهب الشيعة، تلك التى تمجد الأئمة وتنزههم وترفعهم فوق مصاف البشر.

من هذه الإشارات قول الصولى فى مديح الخليفة الراضى:
أَوْحَــدُهُ الله فى فضـائِلِهِ فَهُو مِنْ بَدْءِ الكمال أَوْجَدَهُ

ويقول له إيضا:
محاسِنُ هذَا الخَلْقِ منْكَ ابتدَاؤُها وَيَجْذِبُهَا ذُو كلْفَةٍ منك كالّلص

فالصولى يشير هنا إلى عقيدة الشيعة عن فكرة النور الإلهى(١٣٨) الذى خلقه الله قبل الوجود والذى تسلسل حتى انقسم نصفين فى عبد الله وأبى طالب، فقال الله تعالى: «كن ياهذا محمدا وياهذا كن عليا» وإن هذا النور تسلسل حتى وصل إلى الأئمة. ويقول فى قصيدة أخرى:

---

(١٣٨) فى أدب مصر الفاطمية - دكتور محمد كامل حسين - عقائد الشيعة ص ٣ وما بعدها.

طَابَ أصلاً وبابنه طَابَ فَرعًا   غرس الملكَ منه خير مَاَغرِيس
قدْ أمرَ الزمانُ طوعًا عليهِ   فَسَخَا بعد نَفْرَةٍ وشموسٍ
فَتَرَى الناسَ خَاضِعِين إليهِ   من قيامٍ بأمـرِهِ وجُلوسٍ

فهو يشير إلى أصل الخليفة واتصاله ببيت النبوة الكريم، مركزا على أن الإمامة عند الشيعة تنتقل من الأباء إلى الأبناء.. وهذه العقيدة أصل من أصولهم.

ويشير أيضا إلى وجوب طاعة الناس لإمامهم وخضوعهم لأوامره، وما يشرعه لهم من أحكام لأن الدين لا يستقيم إلا بطاعته وتنفيذ ما يرتضيه وما يأمر به وينص عليه.

ويقول الصولى أيضا:

مَنْ لا يَرَى حُبَّك فَرْضًا فما   أَدَّى فُرُوض الله فى الخَمْسِ

فهو يشير أيضا إلى آراء الشيعة التي تقول أن فرائض الإسلام لا تقبل إلا باتباع الإمام وطاعته وحبه.. ويقول للراضى:

يَا إمامًا إليه حُلَّت عُرى الفخـ   ـر وُفلَّتْ معاقد الاغـراضِ
حُجَّـةُ الله أتت يـاقِبْلَةَ الـ   ـدينِ فليس تُرَدّ بالادِّحَاضِ

فنرى الصولى يخاطبه بقوله: يا إماما، والإمام من مصطلحات الشيعة، وهو فى رأيهم حجة الله على عباده وهاديهم إلى الطريق القويم، فوجب على كل مؤمن أن يتبع هذا الإمام.

بل أن الشيعة الإمامية يرون أن ولاية الإمام إحدى أركان الدين ودعائمه وفلسفتهم كلها تدور حول تمجيد الإمام أكثر من أى شىء آخر.

ويصفه الصولى أيضا بأنه (حجة الله) وهذه صفة من صفات أئمة الشيعة، ومعنى من معانيهم الباطنية.

ويمدح الراضى بقوله:

بِـمـحـمَّـدٍ رَضِـىَ الالـهُ خـليـفـةً　　فى الأرض فهـو بـذَاك راضٍ مُـرْتَضَى
فُهَـو الحَقِيقُ بِهَـا الـمُعَـان بـقَـوَّةٍ　　فيهـا بحكمٍ فـاصـلٍ لن يُدْحَضَـا

وهذه المعانى تتصل بما عند الشيعة أيضا، فهو يشير إلى آرائهم التى تقول: إن الله تعالى اختار عليًّا ليخلف النبى وليكون وصيًّا من بعده، واتخذوا لهذه الوصاية أدلة من القرآن والأحاديث، ويشير أيضا إلى آرائهم فى أحقية الخلافة، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم، أسند الوصاية والخلافة إلى علىّ بن أبى طالب، فيروون أحاديث تفيد أن الرسول – عند غديرخُمْ وبعد حجة الوداع – قال: «مَنْ كُنْتُ مولاه فعلىّ مولاه، اللهم والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عَادَاه، وأنصرْ من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار»، فأحقية الخلافة هذه من أفكار الشيعة، بل إنهم يعتبرون هذا الحديث وغيره بيعة صريحة من النبى عليه السلام لعلى بن أبى طالب.

ولقد أُتُّهم الصولى – ربما بسبب ذلك – بالتَّشيّع، غير أنه لا يوجد دليل كاف على تشيعه.. بل أنه كان يذكر ويؤرخ ثورات الشيعة وتألبهم على الدولة دون إظهار أى تعاطف أو ميل لهم، ولم يتحدث إطلاقا عن مذهبهم بما يفيد التأييد أو المدح، كما أنه صرح أكثر من مرة أنه كان يجلس فى المساجد لإلقاء الدروس الدينية، ومن الطبيعى أنه كان يدرس مذهب الدولة السنى.

ولقد ذكرت لنا بعض المصادر[١٣٩] ما ينفى عنه هذا الزعم – ذكرت أنه روى خبرا فى حق علىّ بن أبى طالب فتألب عليه الشيعة يطلبون دمه.

وإذا كان الصولى قد استخدم بعض ألفاظ ومصطلحات الشيعة، فإنه

---

(١٣٩) الفهرست لابن النديم ص ١٥١، وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٨١/٣.

إنما استخدمها مغالاة منه فى التفخيم وقوة المديح لرفع قدر الخليفة، وتطويرا للصفات والمعانى الدينية المتداولة وقتئذ.

وهو لم يكن يجهل أن الخلافة العباسية سُنِّية، بل وتناهض العلويين وتضربهم بعنف، ولكنه لم يجد ما يمنع من استيحاء واقتباس بعض هذه المعانى والصفات الممجدة للأئمة والمنزهة لشأنهم أملا فى كثرة العطاء والبر.

وخلاصة القول: أن الصولى كان على مذهب خلفائه وأولياء نعمته - المذهب السنى - وإذا كان قد أورد بعض مصطلحات الشيعة وآرائهم، إنما كان يرمى إلى تمجيد الخليفة مثلما كان الشيعة يمجدون أئمتهم. ومعروف مدى التطاحن والتصارع الكبير الذى ظل قائما بين العلويين والعباسيين. فليس من المعقول أن يكون الصولى شيعيا ويقربه الخلفاء ويجعلونه مربيا ومعلما ثم نديما وجليسا لهم، وتكون له عندهم مثل هذه الحظوة.

على أن هذه المعانى والمصطلحات الشيعية التى وجدت فى شعر الصولى ستكثر فيما بعد كثرة مفرطة عند شعراء الدولة الفاطمية، بل إنها ستتطور تطورا واسعا عند تميم بن المعز والمؤيد فى الدين وابن هانىء الأندلسى.

وإذا كان الصولى قد ضمن شعره بعض ألفاظ ومصطلحات وأفكار الشيعة فإنه ضمنه، أيضا بعض ألفاظ المناطقة.. من مثل قوله:

رآكَ أَحَقَّ النـاس بـالامْـرةِ الـتـى ... يُمَـازِجُ فيهـا جَـوْهَـرُ المُلْكِ جَـوْهَـرِكْ

والجوهر من ألفاظ المناطقة.. وقوله أيضا:

لَيْس لى ِفى الوصُول ِ وقت إخْتِصَاص ٍ ... وكَـذَا فِى العُـمُـوم ِ مَـالِى عُـمُـومُ

والخصوص والعموم من ألفاظ المناطقة أيضا.

الخصائص اللغوية فى شعر الصولى

أما عن الخصائص اللغوية فى شعر الصولى، فطالما تحدث عنها الصولى فى ثنايا شعره، وأفاض فى ذلك، وأهم هذه الخصائص:

١ - استحداث القوافى، والتأنى فى وضعها، واستشهد الصولى على ذلك بقصائده الزائية والسينية والصادية والضادية.. وفى ذلك يقول للراضى:

لك عبد كساك فاخر مدح　　　رائق لبسه لبَاسَ الخزوزِ
من قوافٍ على سواه صعاب　　　سُبّق الجرى ظاهرات البروزِ
خطرت نحوك القوافى بمدح　　　غير مستهجن ولا مكروزِ
بين صادٍ وبين ضادٍ وسينٍ　　　ثم زاى مبينـة التبـريـزِ

ويقول أيضا له:

خُذّها إليك قوافيا قد لُبِّستْ　　　رقْماً أَبَى تحسينُه أن يُرفْضَا

٢ - انتقاء الألفاظ المحببة إلى القلوب لجزالتها وفخامتها حينا، ورقتها وسهولتها حينا آخرا، حتى لقد أتت هذه الألفاظ عذبة لا تمج السمع بخشونتها.. بل هى مألوفة مشرقة.. وفى ذلك يقول:

لفـظاً أليفـا للقلوبِ محببًـا　　　لَـمْ يُلْفِ وَقْرًا فى المسامعِ مبغَضَا

ويقول أيضا إن شعره، «مشرق اللفظ سهل»...

٣ - العناية بنظم الشعر، والاتكاء على النفس فيه.. فهو شعر متقن مصقول، منظوم بجهد واتقان.. حتى يتناسب مع جلال الخليفة ويتفوق على جميع الأشعار التى تقدم إليه.. بقوته.. وفى ذلك يقول:

من شعر مقصورِ المَدَى متكلِّفٍ　　　إنْ رامَ نهجًا فى طريقٍ أُدْحضَا

بل إنه شعر مرسل بالطبع والسليقة والموهبة - لأنه فنان بطبعه - فإذا كان يتكئ على نفسه.. وله المقدرة على التجديد فى المعانى واختيار أجود الألفاظ وأنصعها وأمتن القوافى.. فإنه أيضا يرسل الشعر إرسالا ويخرجه مخرج نَفَسهِ، لأنه موهوب فسيح الذرع، وهو شعر لا تتطاول إليه أبصار الشعراء الآخرين لأنها أقصر من أن تصل إلى مثله... وفى ذلك يقول:

بل مرسلاً طبعًا فسيحًا ذرعُهُ قَدْ شَفَّ ذَا الباعِ القصيرِ وأرمضاَ

ويقول أيضا:

سائل الطبعِ مِشرقُ اللَّفْظِ سَهلٌ ما تُغَشِّيه ظلمةُ التَّكْرِيزِ

فائضٌ ماؤه يجيىءُ مُطِيعًا غير مُسْتَجْلَبٍ وَلاَ مَنْحُوزِ

وأيضا فإن الذى يسمع هذا الشعر لتتصاعد أنفاسه أسفا وحسرة على نفسه وعلى منزلته المتواضعة بالنسبة لهذا الفن الشعرى.

وإذَا أَمَالَ إليه سَمْعًا صَاعَدَتْ أَنْفَاسُهُ أسفًا عليهِ وأبغَضَا

٤ - وهو شعر جزل قوى يعجز عن مجاراته أو الإتيان بمثله - فى لفظه ومعناه - شعراء العصر فيرجعون وقد غمرتهم الحسرة.

يرجعُ الشِّعْرُ عنه حينَ يُسَامِيـ ـهِ بأنفٍ مجدَّعٍ محزوزِ

من يَرُمْ نَسْجَ مثلِهِ تَخْتَطِفْهُ لامعاتٌ من ذلك التَّطْرِيزِ

ويقول أيضا:

ومدائحٍ سبقَتْ إليكَ بأَسْرِهَا يَأْتِيكَ قَائِلُهَا بهَا مُتَعَرِّضَا

٥ - وليس هذا فحسب بل أن شعر الصولى يتميز بفصاحة الكلمات وقوتها وعدم تنافر حروفها فهو يدقق فى كل لفظة من ألفاظه لكى تطيق حمل تجربته ومعانيه. ولنقرأ أبياته فى مدح الأمير توزون لنعرف كيف وفق الصولى فى اختيار الألفاظ الجزلة المعبرة... يقول:

أطنابُ بأسِكَ يومَ حربِكَ عُلِّقَتْ　　لعُلُوِّهــا بكــواكبِ العَــوَّاءِ
فَرَقِيتَ فى دَرَجِ المَعَالِى صَاعِدًا　　تَعْلُو عـلى العُظَماءِ والكُبَـراءِ

٦ - وشعر الصولى فى أكثره واضح، سهل قلما نجد فيه لفظة نابية.. من مثل قوله فى الزهد:

يَابَابَنَـا والدهـرُ فى نقضِهِ　　واقفًـا يُسـرع فى ركضـهِ
يلهُو وأيدِى الموت أُخَّاذَة　　من طولِهِ طورًا ومن عَرضِهِ

وقوله فى الغزل:

ليالى صدودى لَيْسَتْ تُضِى　　وعُمرُ تَجنِّيك ما ينقضى
وما تألفُ النفسُ يا منيتى　　سِوَى ما تحبُّ وما ترتضى

٧ - مواءمته بين ألفاظه ومعانيه وأوزانه.. بحيث تتناسب جميعا مع الأغراض التى يتناولها والمعانى التى يريد إبرازها.. فحين يتغزل يختار الألفاظ العذبة الرقيقة التى تعبر عن الحب والشجن واللوعة والحرمان من مثل قوله:

يا راقدَ العينِ لا تدرى بما لَقِيَتْ　　عينُ تكابد فيك الدمع والأَرَقَا
ونَارُ قلبى فى الأحشاءِ ملهبةُ　　لَوْلَا تشاعلها بالجسم لا حْترَقَا

وحين يرثى يختار الألفاظ الحزينة التى توضح الأسى والحزن والتلهف على الفقيد من مثل قوله..

لهفى عـليـه وقليـل لـه　　لهفى، وهل يرجع لى أمسى
لهفى عـلى منتخبٍ حلمُـهُ　　أَرْجَحُ من رضوىَ ومن قُدْسِ

وحين يفاخر يختار الألفاظ الضخمة التى تعبر فى قوة عن مكانته وعلمه.. من مثل قوله:

أَيْنَ مَنْ جَالسَ الخَلائِفَ قَبْلِى　　وافـرُ حـين تُسْتَخَفّ الحُلُومُ
طائرِى ساكنُ وفكرِى عزوفُ　　عن فُضُولِ المُنى ولحظى سليمُ

وكـلامِى قدرُ الكفـايـةِ إلّا   شرحُ علمٍ وجانبى مستقيمُ

٨ – البعد عن الغموض والتعقيدات اللفظية والمعنوية، وعدم مخالفة القياس أو الجنوح نحو الشاذ والغريب أو التقعر فى اللغة، إلا ماقصد إلى ذلك بغية إذلال منافسيه وتحديه لهم.

٩ – والصولى يميل إلى استخدام صيغ المبالغة – خاصة فى مدائحه – فنراه تارة يستخدم صيغة (فَعَّال).. من مثل قوله للراضى:

زأرتنى أسـودُ حقـدٍ عليكم   لم تُغَيَّبْ بغـابـةٍ وغيـاضِ
وفـرانى الزمـان منـه بنـابٍ   بعدكم مرهفِ الشَّبا عَضَّاضِ
وانتحى آكلًا لِلَحْمِى ورض الـ   ـعَظْمَ منِّى بكلكلٍ رَضَّـاضِ
واكتحلتُ السهادَ والحذرَ الـ   ـدائمَ خوفا بمـرود مَضَّاضِ
من حسودٍ منافسٍ لى عليكم   لبحـارِ إغتيـابكُمْ خَـوَّاضِ
مبغض لى لِمـاَ أُسِرُّ فيكمُ   من مديحٍ على الأذى حَضَّاضِ

فنراه يأتى من هذه الصيغة بألفاظ منها (عَضّاض ورَضّاض ومَضّاض وخَوّاض، وحَضّاض). ويقول أيضا:

حلفت بغرةِ الراضى فإنى   أراه حقيقة فوقَ الملوكِ
بأَخَّاذٍ لما يرجى أُلُـوفٍ   وعَيَّافٍ لما يخشى تروكِ

فنراه يستخدم من صيغة فَعَّال أيضا (أَخَّاذ وعَيَّاف). وتارة أخرى يستخدم صيغة فَعُول.. نحو قوله عن الراضى:

عَبُوسٍ فى انتهاك الملك فَظٍّ   وطَلْقٍ فى مذاهبِهِ ضَحُـوكِ
نَهُوضٍ بالخُطُوب إذا أعْتَرتْهُ   فَرَاهَا، هَبَّـةِ السَّيفِ البَتُوكِ
ركُوبٍ للمنابِرِ سَارَ قَصْـدًا   إِلَيْهَا وهى سائـرةُ السُّلُوكِ

فنراه يستخدم الألفاظ (عَبُوس وضَحُوك ونَهُوض وبَتُوك ورَكُوب) وكلها على وزن فَعُول.. والأمثلة على ذلك كثيرة فى شعره.

١٠ - كما كان الصولى يتفنن فى ادخال كثير من الألفاظ الفارسية ضمن قصائده. فنجد فى زائيته للراضى الكثير من الألفاظ الفارسية، وماذاك إلا استعادة للغة أجداده الفرس وإبرازا لمقدرته الفنية على مزج اللغات، خاصة وقد نظمها فى عيد النيروز وكأنه يواءم بين موضوع القصيدة وألفاظها ومعانيها ومناسبتها. يقول للراضى:

لهم فى الهلالِ هَرْ مُزُروزٍ ولنا الدهر فيك هَرْمُزُروزِ

وأهم الجوانب الفنية فى شعر الصولى «جانب الصياغة». فالصولى يتمسك تمسكا شديدا بالصياغة العربية الجزلة التى استقاها من عكوفه على ينابيع الشعر العربى القديم، وهى صياغة تختلف عن صياغة معظم الشعراء المحدثين، وتبتعد عن الإسفاف واللغة البسيطة اليومية.. فالصولى يسير على النهج القديم الذى وضع أصوله الشعراء الأوائل.

نهل الصولى من ينابيع الشعر القديم حتى الثمالة فتحولت إليه بكل ما فيها من فن ومن عذوبة وجمال، وغدت له سليقة العرب الخلص، وهى سليقة اخضعها الصولى لذوق العصر الذى عاشه وطبعها بطبعه واخضعها للتجديد، فإذا هى مرنة واسعة قادرة على تحمل التطور الحضارى والمعانى الدينية وطرائف الفكر الحديث.

فنرى كل بيت من أشعاره يستقل بمعناه على الطريقة العربية القديمة، والافكار مستقلة لا تختلط، ولكل فكرة مغزاها ومرماها، وكل معنى يلقى عليه من الضوء ما يجعله يبرز فى جلاء ووضوح.

ولابد أن نعرف أن الصولى الشاعر الأديب اللغوى الناقد، سيطر على لغته ولم يحتفظ لها بأروع ما فى أساليبها القديمة من أنغام وألحان ومعان وأفكار فقط، بل أنه

مرنها تمرينا واسعا لتكون قادرة على حمل معانيه الدينية الضخمة وأيضا أحداث العصر.

ولقد سلك الصولى فى شعره مسلكين:

- مسلك ناصع جزل رصين ضخم البناء، كما فى المديح الدينى والفخر والرثاء.
- ومسلك خفيف عذب رشيق، يعكس ترف العباسيين وثقافتهم وذوقهم، كما فى الغزل والرسائل الشعرية والوصف..

وقد وضح هذان المسلكان فى:

١ - الأوزان.. فنراه يوائم بين أغراضه وأوزانه.. فالمديح يلائمه الأوزان الطويلة والقوافى المتينة حتى تناسب المعانى الضخمة التى يريد إبرازها، والغزل يحتاج إلى الأوزان الخفيفة القصيرة.

٢ - الألفاظ.. فنراه يختار لكل غرض ألفاظه.. فإذا كان قد اختار للمديح والفخر الألفاظ الضخمة الرنانة، فإنه اختار للغزل الألفاظ العذبة الرشيقة الرقيقة.

وعموما فكل قصائد الصولى - بمعانيها وألفاظها وأوزانها - تحمل روح عصره وثقافته وذوقه، وتصور جوانبه المختلفة ومجالاته المتعددة.

وخلاصه القول: إن شعر الصولى - بكل خصائصه وسماته ومميزاته - انعكاس لمشاعر الصولى نحو خلفائه وامرائه ووزرائه ومجتمعه وعصره، وتعبير عن خوالج نفسه وعن شعوره إزاء الحياة والإنسانية، وأن أثر البيئة الثقافية والاجتماعية والسياسية ظاهر فى هذا الشعر وأن شخصيته تبرز فى جلاء ووضوح بين ثنايا أبياته وحول موضوعاته.

ومن شعر الصولى نستطيع أن نلمس عكوفه على كتب الأدب وقراءتها بشغف

ونهم، واستيعابه كل ما فيها، وحفظه الجيد منها منثورا ومنظوما، كما نحس ذوقه وسعة علمه ودقة اختياره، ونعرف منه أيضا أنه كان متملكا ناحية اللغة يتصرف فيها تصرف العليم بأسرارها الخبير بدقائقها، المطبوع على التكلم بها. كما نلمح أثر الشعر الجاهلى والإسلامى وشعر المحدثين فى شعره، وأنه كانت لديه الملكة الخلاقة القادرة على الإبداع والتفنن ولقد غذت هذه الملكة دراسته واطلاعه، غذتها غذاء كاملا دسما لا من دواوين الشعراء فحسب ، بل من أمهات كتب الأدب وأخبار العرب وقبائلهم وسير شجعانهم وأبطالهم، وحكمهم وأمثالهم.

ولاشك أنه أفاد كثيرا من وجوده فى قصور الخلفاء وعكوفه على مدارستهم ومحاورتهم وما كان يدور فى مجالسهم من مناقشات ومناظرات، كل ذلك صقل ذوقه، ونَمَّى موهبته وأطلعه على الكثير من الأخبار والأسرار، كما أن أحداث عصره كانت لها دورا كبيرا فى إنتاجه وفنه، فقد انفعل بالحوادث الجسام التى عاصرها وسجل ذلك كله فى شعره، فجاءت أشعاره - فى الخلفاء والوزراء والأمراء - صدى لهذه الحوادث وانعكاس لصورة المجتمع حوله.

ثانيا: النثر الفنى

كتب الصولى فى النثر الكثير[١٤٠]، وصرح بذلك أكثر من مرة، وفى مناسبات جمة، فقال[١٤١]: «وأما النثر فقد قضيتُ الحَقَّ فيه» فقد ألف الصولى عدة رسائل أدبية بعضها فى الشعراء، وبعضها فى مكانة بعض المشهورين وأفاضل عصره، وبعضها فى الأدب، إلى جانب بعض الرسائل الاخوانية.

وألف أيضا بعض الكتب الأدبية فى فروع الأدب المتعددة..

(١٤٠) راجع: مؤلفات الصولى.

(١٤١) أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ١١١.

لم يصلنا من هذه الرسائل والكتب - إلا رسالته الأدبية فى فضل أبى تمام وشعره. وهى نموذج فنى جميل لكتابات الصولى النثرية، ودليل على أصالته فى فن النثر، وهى أصالة لا تقل عن تلك الأصالة التى وجدناها له فى فن الشعر.

وهى رسالة أدبية نقدية فنية طويلة، ألفها الصولى لمزاحم بن فاتك، وضمنها دفاعًا عن أبى تمام وشاعريته وشعره، ومذهبه الفنى وتجديده، دفاعا عن معانيه وصوره، دفاعا عن استعاراته وأخيلته، فكان الصولى - فى دفاعه هذا - محاميا بارعا، مالكا بزمام قضيته، حافظا للقوانين والأحكام المتواضع عليها، عارفا ببراءة موكله، مقتنعا بها، قادرا على تبرئته فى ساحة الأدب والنقد أمام سائر الناس.

وقد جعل الصولى رسالته هذه مقدمة لعمل أدبى كبير تضمن جمع أخبار أبى تمام وشعره ثم شرح هذا الشعر.

كما وصلنا أيضا من كتابات الصولى النثرية، رسالته فى فضل أبى نواس وشعره، وهى لازالت مخطوطة ولصيقة لديوانه الذى جمعه الصولى.

أما رسائله الأخوانية، تلك التى كان يتبادلها مع أصدقائه ومعاصريه، فلم نجد منها سوى إشارات عنها أو أقوال عن كتابتها..

وأما رسائله إلى الخلفاء والوزراء، فلم يصلنا منها سوى رسالة واحدة كتبها الصولى إلى الخليفة الراضى وذكرها فى كتابه الأوراق - الجزء الخاص بأخبار الراضى بالله.

أما بقية رسائله الأدبية وكتبه، فإنها للأسف ضاعت، وامتدت إليها - شأن الكثير من مؤلفاته - يد الفناء، فلم يبق منها سوى الاسم والاشارة.

يهمنا من كتابات الصولى ورسائله الأدبية.. أن نرى الوجه الآخر لأدبه الانشائى، وأن نعرف طريقته فى كتابة النثر الفنى، لنتعرف من هذا النثر على

أسلوبه وخصائصه الفنية، وذوقه الأدبى ومنهجه فى التفكير والتعبير، والعرض، والتحليل، كما نرى فيه صورة نفسه وفكره ومستواه العلمى والثقافى، ونوع بيانه، ومكانه بين أدباء عصره.

نثر الصولى فى معظمه نثر مرسل، يطلقه الصولى على سجيته وبلا عناء، دون تكلف أو تصنع، يطلقه الصولى من أجل إبراز فكرته وتوضيح هدفه، فهو يهتم أولا بالفكرة وعناصرها المختلفة.. يهتم أولا بالموضوع الذى يريد عرضه.. ثم يطلق العنان لقريحته وموهبته لينطلق قلمه فى يسر وسهولة مسجلا آراءه وأفكاره فى أسلوب جزل أنيق أساسه الإقناع والإمتاع والإعلام والإفهام.

بهذا الأسلوب الأنيق الرقيق، كتب الصولى معظم كتاباته النثرية.. فى مختلف الأغراض التى شاء له حظه وزمنه وعلمه أن يجول فيها.

ولنسمع ما قاله الصولى لمزاحم فى افتتاحية عمله الفنى(١٤٢):

«أدام الله فى أرغد العيش، وأكمل السرور، وأمَدِ العُمُرِ، وأَرْضَىَ العمل عزّكْ، وحسَّن الزمان الذى قلَّ فيه نظيرُك ببقائِكْ، ووهب لأهل الأدبِ سلامتَكْ، فإنك جاريتنى آخر عهد إلتقائنا فيما أفضنا فيه من العلوم أمرَ أبى تمام حبيب بن أوس الطائى، وعجبتَ من إفتراق آراء الناس فيه، حتى ترى أكثرهم - والمقدَّمَ فى علمِ الشعر وتمييزِ الكلام منهم، والكاملَ منْ أهل النظم والنثر فيهم - يُوَفِّيه حَقَّهُ فى المدح، ويُعطيه موضعه من الرتبة، ثم يكبر بإحسانه فى عينه، ويقوى بإبداعِهِ فى نفسه، حتى يُلحَقُهُ بعضُهم بِـمَنْ يتقدَّمُه، ويُفْرِط بعضٌ فيجعلُه نسيجَ وحدِهِ وسابقًا لا مساوى له.

وترى بعد ذلك قومًا يعيبونه، ويطعنون فى كثير من شعره، ويسندون ذلك إلى

---

(١٤٢) رسالة الصولى إلى مزاحم بن فاتك - أخبار أبى تمام ص ٣.

بعض العلماء، ويقولونه بالتقليد والادعاء، إذ لم يصح فيه دليل، ولا أجابتهم إليه حُجّة.. فعرَّفْتُك أن السبب كما ذكرت، وتضمَّنتُ لك شرح ما وصفْتُ، حتى لا يُعَارِضُك شكّ فيه، ولا يخامرك ريب منه، فرأيت من سرورك بذلك، وارتياحِكَ إليه، وصبابتك به، ما حَدانى على استقصائِهِ لك، والتعجيل به عليك، وإهدائه فى رسالة إليك، تتبعها أخباره كاملة فى جميع فنونه: فى تفضيله، وذِكْرِ مَنْ عَرَفه فقدَّمه وقَرَّظَهَ، والاحتجاج على من جهله فأخرَّه وعابه.. ثم أَرَتْنِى عينُ الرأى بقيةً فى نفسك منه، لم يطلعها لى لسانك - إما كراهةً منك لتعبى، أو إشفاقا من الزيادة فى شُغْلى، مع ما يتقسَّمنَى من جَوْرِ الزمان، وجفاءِ السلطان، وتغيُّر الاخوان. فسألتك إبانته وتكليفى جميع ما تريد منه فعرفتنى أن تكميل ذلك لك، وبلوغى فيه أقصى إرادتك، اتباعى أخباره بعمل شعره كلِّه معرَّبًا مُفَسَّرًا، حتى لا يشذّ منه حرف، ولا يغمض منه معنًى ولا يَنْبُو عنه فَهْمٌ، ولا يمجُّه سمعٌ...».

فى هذه المقدمة التمهيدية التى جعلها الصولى فاتحة رسالته، نرى أن الصولى سهل العبارة جزل الألفاظ، واضح المعنى متخير الكلمات.. وقد سار فيها على الطريقة التى أكثر أدباء العصر من أتباعها، والتزم بالعناصر التى تواضع عليها الأدباء، وضمنها كتابه أدب الكتاب[١٤٣] من حيث: براعة الاستهلال، أو الافتتاح، والمبالغة فى الدعاء والمديح، وإبراز المقاصد التى يريد تقديمها، وتوضيح الفكرة وحسن ترتيب عناصرها التى ستشتمل عليها الرسالة، ثم ترتيب الأفكار وتسلسلها منطقيا.

ونرى الصولى يستخدم الجمل الاعتراضية التى يريد بها توضيح معناه كقوله: «وعجبت من افتراق آراء الناس فيه ترى أكثرهَم - والمقدَّمَ فى علم الشعر وتمييز الكلام منهم، والكامل من أهل النظم والنثر فيهم - يوفيه حقه...».

(١٤٣) أدب الكتاب للصولى ص ١٥٠، ١٦٤.

كما يستخدم فى رسالته الأسلوب المتوازن المتعادل الفقرات أحيانا كقوله: «حتى لا يشذ منه حرف، ولا يغمض منه معنى، ولا ينبو فهم، ولا يمجه سمع...».

ويستخدم الأسلوب المسجع أحيانا أخرى، نحو قوله:

«... مع ما يتقسمنى من جور الزمان، وجفاء السلطان، وتغير الأخوان..»

ونراه يستخدم العبارات القصيرة تارة كقوله:

«فرأيت من سرورك بذلك، وارتياحك إليه، وصبابتك به...».

والعبارات الطويلة تارة أخرى... نحو قوله؛

«... فى تفضيله وذكر من عرفه فقدمه وقرظه، والاحتجاج على من جهله فأخره وعابه....»

كما نراه يستخدم بعض المحسنات البديعية، فنرى طباقا بين «عرفه وجهله» وبين «قدمه وأخره» وبين «قرظه وعابه».

بعد هذه المقدمة التمهيدية، تنقل الصولى بنا بين عناصر موضوعه من عنصر إلى آخر، مستغلا أفكاره وثقافته وذوقه، وإيمانه بالقضية التى يدافع عنها. فيتحدث عن بعض أهل الأدب فى زمانه ومنهجهم فى التفكير واعتقاد البعض منهم أن الشهادة بالعلم لا تكون إلا بالطعن على الناس، والتحقير لأفعالهم. وهم يعتقدون أن فى ذلك وسيلة للرفعة وطريقا للارتفاع.

ثم ينتقل إلى موضوع آخر يتصل بحديثه عن أهل العلم والأدب، فيتحدث عن أستاذين من كبار أساتذته هما محمد بن يزيد الأزدى المعروف بالمبرد (توفى سنة ٢٨٥هـ) وأحمد بن يحيى الشيبانى المعروف بثعلب (توفى سنة ٢٩١هـ) فنراه يعترف بفضلهما وأستاذيتهما ودرجة علمهما ومنهجهما وطريقتهما فى التفكير كما يذكر أمانتهما وأصالتهما وتواضعهما وأنهما لا يدعيان ما لا يعرفانه.

بعد ذلك ينتقل إلى الحديث عن نفسه وعن مؤلفاته وكيف سرقها البعض فبانت فى مواضعها.. ويذكر ألفاظ المحدثين ومعانيهم وأنهم كانوا يتبعون القدماء ويسيرون على نهجهم فى المعانى والألفاظ وإن رَقَّقُوها وتصرفوا فيها بما يتلائم مع العصر، ويعقد العديد من الموازنات بين أغراض الشعر القديمة وأغراضه عند المحدثين ويذكر من الذى أجاد ومن الذى أخفق، ويدافع عن المحدثين قائلا إن أثر الحضارة والمدنية والترف صبغ أساليبهم ومعانيهم فظهرت واضحة رقيقة جميلة فى القول والمعنى.

ثم ينتقل الصولى إلى موضوعه الأساسى، فيذكر المعانى التى عابها النقاد على أبى تمام، ويفندها ويحللها مبينا كذب ادعائهم وتجنيهم، ويستشهد على ذلك بأشعار القدماء والمحدثين، كما يتناول بعض ما عابوه عليه من الألفاظ، مستشهدا بأنها وردت فى أشعار غيره مثبتا إياها.

ثم ينتقل إلى تجديده فيدافع عن هذا التجديد وأن القصور ليس فى شعر أبى تمام ولكنه فى عقول منكريه، ويدافع عما سماه البعض بسرقاته مبينا أن معانيه وإن كانت قد تدوولت من قبل إلا أنه أحسن فيها وأجاد فكان أحق بها من غيره. وهذا ما اصطلح عليه نقاد العصر.

ثم يختم الصولى رسالته إلى مزاحم، بالثناء عليها والفخر بها مبينا أن الناس سوف يتهافتون عليها مثلما تهافتوا على رسالته فى أبى نواس، معتذرا عن طولها زاعما أنه ما أطالها إلا لرغبته فى كثرة الحديث إليه تلذذا وسرورا.

هذا هو منهج الصولى فى رسائله يتكلم عن العصر... وعن نظرة النقاد للأدب ويتكلم عن نفسه وعن علمه ومكانته ومؤلفاته... ويعقد الموازنات الأدبية، ويستشهد بالكثير من الشعر لتأييد وجهة نظره وإثبات رأيه وفكرته.. ثم يدافع عن شاعره.

خصائصه الفنية:

من هذه الرسالة الأدبية وغيرها من كتابات الصولى الأدبية، نستطيع ان نتبين فى وضوح وجلاء خصائصه الفنية.

من أبرز هذه الخصائص.. تأثره بطريقة الفرس فى الكتابة.. فنراه يميل إلى الاسراف فى التبجيل والتعظيم، ووضع هالة من التقدير والاحترام على كل من يكاتبهم أو يخاطبهم - ولا شك أن هذه النزعة تتصل بالعناصر الوراثية عنده والتى انتقلت إليه عن أجداده.. وتظهر هذه النزعة فى كتاباته خصوصا للراضى بالله. من ذلك قوله[١٤٤]:

«أطال الله بقاء أمير المؤمنين، وأدام عزه وتأييده، وكرامته وسعادته وحراسته، وأتم نعمته عليه، وزاد فى إحسانه إليه بفضله عنده، وجميل بلائه لديه، وجزيل قسمه له...».

وقوله[١٤٥]:

«أمير المؤمنين، أدام الله دولته وأطال فى الملك مدته...».

كما ظهرت هذه النزعة واضحة فى رسالته إلى مزاحم بن فاتك فى الاكثار من قوله:

«أعزك الله»[١٤٦].. فكان يقول: رأيت - أعزك الله.. أنظر - أعزك الله... وأنت - أعزك الله.. وكأنى - أعزك الله.. إعلم - أعزك الله.. وقد استحسن الناس - أعزك الله...

---

(١٤٤) أدب الكتاب للصولى ص ١٦٤.

(١٤٥) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٧٨.

(١٤٦) أماكن متفرقة من رسالة الصولى إلى مزاحم.

هذه النزعة توارثها جميع الكتاب، جيل بعد جيل، وطبقة بعد طبقة، وكأنها كانت قانونا تواضع عليه الكتاب وتعارفوا.. فهى طريقة متوارثة وإن يكن يظهر فيها شخصية الصولى وعمق عاطفته نحو الخليفة الراضى بالله التلميذ والصديق والنديم والجليس.. فكان للراضى تقدير خاص وتعظيم أكثر ودعاء من الأعماق.

وتظهر فى كتابات الصولى أيضا.. نزعته الدينية وتعمقه فى علوم القرآن والسنة.. فنراه يزين أسلوبه بآيات من القرآن الكريم توضح معناه وتؤيده، وتزيده جمالا على جمال.. وكأنه بهذا التزيين يضفى على كتاباته مسحة دينية ويضيف إليها لمسات من المهابة والتقديس بل أن هذه الخصيصة بارزة جدا فى أسلوب الصولى، فى كل ما كتب. فهو دائما يستعين بآيات من القرآن الكريم ويقتبس كثيرا من ألفاظه ومعانيه.

من ذلك قوله فى مجال حديثه عن ألفاظ القدماء والمحدثين[١٤٧]..

«وألفاظ القدماء وإن تفاضلت فإنها تتشابه،وبعضها آخذ برقاب بعض، فيستدلون بما عرفوه منها على ما أنكروه، ويقوون على صعبها بما ذَلَّلوه، ولم يجدوا فى شعر المحدثين مذ عهد بشار أئمة كأئمتهم، ولا رواة كرواتهم، الذين تجتمع فيهم شرائطهم، ولم يعرفوا ما كان يضبطه ويقوم به، وقَصَّروا فيه فجهلوه فعادوه، كما قال الله جل وعز:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بما لَـمْ يُحَيطوا بِعِلْمِهِ﴾ وكما قيل: «الإنسان عدوٌّ ما جهل، ومن جهل شيئا عاداه»».

وهذه النزعة الدينية – والاستعانة بالآيات القرآنية، لم تمنعه من أن يحسن أسلوبه بالمحسنات البديعية من سجع وطباق.

---

(١٤٧) رسالة الصولى إلى مزاحم ص ١٤.

فضمن هذه المقطوعة «صورة» حيث جعل من الألفاظ كائنات بشرية يتماسك بعضها برقاب بعض، كما ضمنها كثيرا من السجع.. «عرفوه.. أنكروه.. ذللوه..» و«أئمتهم .. رواتهم.. شرائطهم» كما ضمنها بعض الطباق «عرفوه.. أنكره» و«صعب.. ذلول».

والصولى لا يضمن كتاباته آيات من القرآن الكريم فحسب، بل أنه يضيف أيضا بعض الأحاديث، وأقوال الحكماء والبلغاء وآراء العلماء مما يجعل أسلوبه يتألق تألقا شديدا.. من ذلك قوله فى مجال دفاعه عن أبى تمام[(١٤٨)]:

«يجب ألا يُدْفع إحسانُ مُحْسِنٍ، عدُوًّا كان أو صديقا، وأن تؤخذ الفائدة من الرفيع والوضيع، فإنه يروى عن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب أنه قال: الحكمة ضالة المؤمن، فخذ ضالتك ولو من أهل الشرك.. ويروى عن بزرجمهر أنه قال: «أخذتُ من كل شيء أحسن ما فيه، حتى انتهيت إلى الكلب والهرة والخنزير والغراب.. قيل: وما أخذت من الكلب» قال: إلْفَهُ لأهله، وذَبَّه عن حريمه، قيل: فمن الغراب؟ قال: شِدَّةَ حذَرِه.. قيل: فمن الخنزير؟ قال: بُكُورَه فى إرادتِه.. قيل: فمن الهِرَّة؟ قال: حُسْنَ رِفْقها عند المسألة، ولين صياحها».

وأيضا قوله بعد أن أثبت كذب إدعاء من عابوا على أبى تمام، مستشهدا بأشعار فحول الشعراء[(١٤٩)]:

«فهذه أشعار أئمتهم، وما ظننت أن أحدًا يتعلق بقليل الأدب يجهَلُ هذا الذى عابوه على أبى تمام، ولا أنَّ الله عزَّ وجل يحُوجُنى إلى تفسير مثله أبدًا. وقد قالت الحكماء: «لو سكتَ من لا يدرى استراح الناس».. وقالوا: بكثرة «لا أدرى» يقل الخطأ.. وقال بعض الأوائل: لقد حسنت عندى «لا أدرى» حتى أردت أقولها فيما أدرى».

---

(١٤٨) أخبار أبى تمام للصولى ص ١٧٦.

(١٤٩) أخبار أبى تمام للصولى ص ١٢٨.

وهكذا رأينا أن الصولى لا يضيف الآيات القرآنية أو الأحاديث أو الأقوال والحكم جزافا أو حشوا بل أنه يتوخى أن يضعها فى مواضعها وفى مجال تقتضيه المناسبة، فتزيد معانيه وضوحا وتدعم فكرته.

وخصيصة أخرى بارزة فى أسلوب الصولى وهى كثرة الاستطراد.. وهذه الخصيصة تبرز حينها يحلل الصولى المعانى، فنراه يتنقل بين أشعار الشعراء وأفكارهم، ذاكرا معانيهم، ومن أين استقوها ومن السابق إليها، فيخرج بنا لفترة بعيدا عن موضوعه الأصلى - زيادة فى التشويق والامتاع والتثقيف والاقناع - ثم يعود إلى موضوعه الأصلى بسهولة دون عسر ليلتقط خيط الفكرة ويتابع القول فيها.

نرى ذلك مثلا فى مجال دفاعه عن أبى تمام، وأنه لا يضره هجوم مهاجميه، وحقد شانئيه فيقول[١٥٠]:

«وما ضرَّ أبا تمام قول هؤلاء، كما إنه لا يضر البحر أن يقذف فيه حجر، ولا يُنْقِصُ البدرَ، أن يَنْبَحه الكلبُ.. وقد قال الشاعر:

ما يَضُرُّ البَحْر أَمْسَى زاخرًا أن رَمَى فِيهِ غلامٌ بِحَجَرْ

وقال:

ولقد قتلتُكَ بالهجاءِ فلَمْ تَمُتْ إنَّ الكلابَ طويلةُ الأَعْمَارِ

ويذكر الصولى عشرات الشواهد فى نفس المعنى، ويذكر ما أخذه شاعر من شاعر، ويرجع جميع ما قالته الشعراء فى هذا المعنى إلى قول أبى حنش الفزارى، ويتحدث عنه، ثم يذكر أبيات القصيدة التى تضمنت هذا البيت.

- والصولى رجل محنك متزن، دائما يحكم العقل والعلم فيما يقول أو يكتب.

---

(١٥٠) رسالة الصولى إلى مزاحم ص ٤٦.

فنراه ينسق فكرته ويرتب معانيه، ويسلسل عناصره معتمدا على المحسوس والموجود من الأدلة والبراهين، فلا يجعل العاطفة تسكره، أو التأثير والهوى يفقده وعى الحقيقة بل هو يتكلم عن علم وعن وعى وعن يقين مفندا المزاعم، مقدما الأسانيد، مدعما قوله بما يثبت التأييد، فى أسلوب قوى واضح، دون ما تعمد إلى تقعر فى اللغة أو إغراب، حتى لا تضيع الفكرة فى مجاهل الألفاظ.

من هذا الأسلوب القوى المتزن نرى دفاعه عن أبى تمام ونفى تهمة الكفر عنه يقول(١٥١):

«وقد إدَّعى قومٌ عليه الكفر، وجعلوا ذلك سببا للطعن على شعره، وتقبيح حسنه وما ظننتُ أن كفرًا ينقص من شِعْر، ولا أن إيمانا يزيد فيه، وكيف يحقق هذا على مثله حتى يسمع الناس لعنَهُ له، مَنْ لم يشاهده ولم يسمع منه، ولا سمعَ قول من يُوثَقُ به فيه؟ وهذا خلاف ما أمر الله عز وجل، ورسوله عليه الصلاة والسلام به، ومخالف لما عليه جملة المسلمين، لأن الناس على ظاهرهم حتى يأتوا بما يُوجبُ الكُفر عليهم بفعل أو قول، فيرى ذلك أو يسمع منهم، أو يقومُ به بيِّنة عليهم...».

وهنا تبرز قوة الصولى فى أسلوبه، ونسمع صدى صوته فى تحليله للتهمة ونفيها بالحجة والبرهان والقول الفصل، مستخدما فى هذا الدفاع ألفاظًا تتناسب مع الموضوع.. الكفر والطعن والتقبيح والإيمان.. واللعن.. يوثق به.. إلخ. ويستشهد بقانون السماء، وأمر الله فيه، وأمر الرسول فى سنته، ويستخدم عبارات قوية تتصل بالدين والشرع... «وهذا خلاف ما أمر الله ورسوله به» «.. مخالف لما عليه جملة المسلمين» «لأن الناس على ظاهرهم». وكأنه قاض يحكم بدستور الله وشريعته، ثم يصدر حكمه وكأنه أمر فيقول:

«إنه ما ينبغى لجادٍّ ولا مازح، أن يلفظ بلسانه، ولا يعتقد بقلبه ما يغضب الله عز

(١٥١) أخبار أبى تمام ص ١٧٢.

وجل ويُتَابُ من مثله، فكيف يصح الكفر عند هؤلاء على رجل شعره كله يشهد بضدٍّ ما اتهموه به».

وقد زان الصولى أسلوبه هذا بالعديد من الطباقات «فالكفر يناقضه الإيمان» والزيادة يناقضها النقصان «والحسن يناقض القبح».

ونثر الصولى فى مجموعه مرسل، خال من التصنع، وهو يحفل بالفكرة ويوليها عناية شديدة ويميل فى أسلوبه إلى الاحتفاظ بالخصائص العربية الخالصة فيظهر فيه تنويع العبارة وتقطيع الجمل والمزاوجة بين الكلمات والعناية بالمعنى، وتجنب الألفاظ المهجورة أو الوحشية، واستخدام التقديم والتأخير، والمقابلة بين الكلمات والجمل.

ولنقرأ ذلك فيما كتبه عن فائدة كتابه «أدب الكتاب»(١٥٢):

«ليس هذا الكتاب والفوائد فيه معمولا لتابع دون متبوع، ولا خامل دون نبيه، ولا محروم دون محظوظ(١٥٣)، ولا ينبغى لمن رفعته حال، وساعده جد – وهو يؤنس من نفسه تقصيرا فى الأدب – أن يغتر بحظِّه، وإقبال الأيام عليه فى وقت، فإنها دول متقلبة وأحوال متصرفة، وليتلاف ما ضيِّع، ويستدرك ما فرَّط، ولا يتكل على كفائته، مشتغلا بلذاته، ومريحا قلبه وجسمه، مستعيرا فى كل وقت عليهم، ومتكلا على كفائتهم، ينام ويسهرهم، ويفرغ ويشغلهم، فإن هذا الفعل إنما يحسن بالرؤساء إذا أشرفوا، على العلم، واستقلوا بالصناعة، وعرفوا ما يحتاجون إليه من أمر الكتبة وحفظوه، فعند ذلك تشرف عندهم أنفسهم، ويحسن بمن عندهم استقامتهم، ولا يكونوا أُسراء فى أيديهم ولا مضطرين إلى ما عندهم. وقد قال بعض الحكماء:

«كل شىء يمكن أن يستعار إلا اللسان».. وقال: «من خدم السلطان بلا علم واستقلال وتجربة وكمال، كان بمنزلة راكب فيل صعب، أو سابح فى بحر قد جف».

---

(١٥٢) أدب الكتاب للصولى ص ٢٥.

(١٥٣) فى الأصل: ولا محروق دون محفوظ «ولعل الصحيح كما أوردت».

ومع ذلك فإن الأتباع إذا أحسوا من الرؤساء بتفويض إليهم على قلة علم منهم، واضطرار إلى كفائتهم ولم يحس الأتباع منهم حسن مجازاة على جميل إفادتهم، وسوء مكافأة على قبيح أفعالهم، حتى يستوى عندهم محسنهم ومسيئهم، وخائنهم وأمينهم، وكافئهم وعاجزهم، انتقل الأمين عن مُرّ الوفاء إلى حلاوة الخيانة، وازداد الخائن بصيرة فآثر الإضرار، وقصر الكافى عن إتعاب النفس، وكد الانتصاح فقد يرى الأمين صنيعه فيخون، ويرى الخائن جرما فيعف، فيضطرب عند ذلك الحبل وينشر الأمر وتنعكس مساوئ قوم محاسن آخرين.

نجد أن أسلوب الصولى واضح معبر قصد به إلى تنبيه الغافلين للتمسك بالعلم والتزود بالأدب، واستخدم فى ذلك بعض الطباقات التى توضح فكرته وتضفى على أسلوبه عنصر التشويق مثل: «تابع.. ومتبوع» وخامل ونبيه، محروم ومحظوظ ينام ويسهرهم، ويفرغ ويشغلهم، محسنهم ومسيئهم، وخائنهم وأمينهم، وكافئهم وعاجزهم».

كما استخدم فى أسلوبه نوعا من التضاد فى المعانى..«حسن مجازاة على جميل إفادتهم.. وسوء مكافأة على قبيح أفعالهم.. وأيضا بين «مر الوفاء.. وحلاوة الخيانة». وقد أضاف كعادته أيضا بعض أقوال الحكماء، فنصعه، فزاد معناه ووضح غرضه. ونلاحظ أن عنصر السجع قد اختفى تقريبا عنه فى المقطوعات الأخرى.

والصولى يميل كثيرا إلى الأطناب والاكثار من المترادفات، يعينه فى ذلك قاموس ضخم فى اللغة فنراه يصب معانيه فى قوالبها، وينزل ألفاظه فى منازلها، لا تغرب عن غاربة، أو تشرد له شاردة من ذلك ما يتحدث به عن أستاذيه المبرد وثعلب يقول(١٥٤):

ومن جليل من رأيناه ولزمناه، وأكثرنا عنه من بَعُدَ صيته، وشهد بالعلم له، ووقع

(١٥٤) رسالة الصولى إلى مزاحم ص ٧.

الاجماع عليه اثنان: أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدى، وأبو العباس أحمد بن يحيى الشيبانى، رحمهما الله. فما رأيناهما زَعَما قطّ أنهما أعلم الناس بقديم السِّير، وما جرى عليه أمر الدُّوَل، ولا بعلوم الأوائل، ولا قصص الملوك ولا بأخبار قريش، وأمر النبى – صلى الله عليه وسلم – ومبعثه ومغازيه ومعرفة أهله وأصحابه رحمهم الله، وذلك من أجل العلوم.

ولا إدَّعَيَا أنهما أعلمُ الناس بأخبار العرب، وأنسابها، وأيام الجاهلية وأخبار الاسلام.. ولا أنهما يتقدمان فى الفقه الذى لابد للناس منه، والحديث الذى يَدُور دين الاسلام عليه، ومعرفة أهله وطرقه ورجاله، وتاريخهم وأسنانهم، ولا إدعيا التقدم فى علم شعر المحدثين وأوائلهم.

ولا إدعيا التقدم على غيرهما فى علم العروض والقوافى والنسب والرسائل والمكاتبات والبلاغة.. ومعرفة استراقات الشعراء، وأخذ بعضهم من بعض، والمحسن منهم فى ذلك والمسىء.. ولكنهما كانا يتقدمان فى النحو واللغة، ويعلم كل واحد منهما من هذه العلوم طرفا، ولا يقول واحد منهما إنى لا أُغْلَطُ، ولا يحتشم إذا لم يعرف الشىء أن يقول: لا أدرى...

وأسلوب الصولى يصل إلى قرارة النفس مباشرة لحلاوته وطلاوته، وقوة حججه وبراهينه ورجاحة عقله وغزارة علمه، وبلاغته ومقدرته الفنية على توضيح فكرته.

من ذلك ما يتحدث به عن بعض أدباء زمانه، ودرجة تفكيرهم وطريقتهم فى الفهم، واعتقاد البعض منهم أن العلم لا يكون لأحدهم إلا بالطعن على العلماء والتحقير لأفعالهم والتقليل من شأنهم... يقول[١٥٥]:

«رأيت – أكثر المتحلين بالأدب فى زماننا هذا على خلاف ما عهدت عليه القدماء الماضين، والعلماء الأستاذين: يطلب الرجل منهم فنا من فنون الآداب

(١٥٥) رسالة الصولى إلى مزاحم ص ٦.

فيقسم له حظ فيه، وينال درجة منه فلا يَرَى أن اسمَ العالم يتمُّ له، ولا أن الرياسة تنجذبُ إليه، إلا بالطعن على العلماء، والوضع من ماضيهم، والاستحقار لباقيهم، ويكثُرُ ذاك على لسانه حتى يكون أَجَلّ فوائده، وأكثر ما يمُرُّ فى مجلسه، ثم لا يقنع بالعلم الذى جذب أطرافه، وأدَّعى جُمْلَته، واحتَجَز عن المُنَاظر له، والمُبين عن مقدارهِ بالحجة عليه، بقوم أَعَدَّهم لمواثبة من يسأله، والانتهار لمن يطالبه، حتى يدعى من العلوم ما لم يَخْطُرْ له ببال، ولا كدَّ فيه ذِهْنًا، ولا حَمَل إلى أهله قَدَمًا، ولا عُرِفَ له طالبًا، وَيظُن أنه متى لم يعلمْهُ لم يُعَدَّ عالماً، ولم يُحْسَب رئيسًا».

ولقد أكثر الصولى فى هذه المقطوعة – كعادته – من الاطناب وأكثر من المترادفات واستخدام الجمل القصيرة المسجعة وغير المسجعة.

وأكثر ما يميز الصولى فى أسلوبه الأدبى: التحليل.. فهو يحلل أفكاره حتى لا يترك دقيقة من دقائقه إلا ويجليها ويوضحها حتى تظهر أمام ذهن القارئ فى صورة ناصعة.

وفى التحليل يستغل الصولى ذخائره اللغوية ومعانيه وأفكاره، كما يستغل عناصر علم المعانى استغلالا كبيرا حتى يصل بفكريته إلى منتهاها من حيث السطوع والوضوح مدعما قوله بما قاله الشعراء وسجله الأدباء ويبرز تحليل الصولى فى قوله فى مجال العلوم والحكم على الشعر والشعراء، والأدب والأدباء. فيقول(١٥٦):

«ومن العلوم خاص وعام، ومصونٌ ومبذول، فلا ينبغى لمن عرف عامة أن يجهل خاصه، ولا لمن شرع فى مبذوله أن ينكر مصونه، وإنما أجريت هذا لئلا يجسر على الحكم على الشعراء وتمييز ألفاظهم، والحكم بالجيد والردىء لهم، من لم يكن أعلم الناس بالكلام منظومه ومنثوره وأقدر الناس على شىء متى أراده منه، وأحفظهم لأخذ الشعراء، وأعلمهم بمغازيهم ومقصدهم.

(١٥٦) رسالة الصولى إلى مزاحم ص ٣٨.

فأما من لا يحسن أن يعمل بيتا جيدا، ولا يكتب رقعة بليغة، ولا ينال حفظه ما قالتْه الشعراء فى عشرة معانٍ من عشرة آلاف معنى قد قالت فيه، فكيف يَجْسُر على ادعاء هذا؟ وكيف يُسَوِّغُه إياه مَنْ سمعه منه؟

وليت أبا تمام مُنِيَ بعيب مَنْ يَجِلُّ فى علم الشعر قَدْرُهْ، أو يحسُنُ به علمهُ، ولكنه مُنِيَ بمَنْ لا يعرفُ جيدًا ولا يُنكرُ رديئًا إلا بالادِّعاء، وهذا كما قال زياد بن عبيد الله الحارثى:

فَلَو أَنِّى بُليتُ بهـاشمـىٍّ خُـؤُولَتُه بَنُـو عبدِ المـدَانِ
صَبَـرتُ علَى مَقَالتـهِ ولكنْ تَعْالَى فانظرِى بَمْن إبْتَلانى[١٥٧]

وقد سنح لى فى جهل هذه الطبقة، وغفلة مصدقيهم على ادعائهم معرفة ما لا يحسنونَهُ قولِ الشاعر:

مَنْ لَيْسَ يَدْرِى ما يُريـ ـدُ فَكَيفَ يَدْرِى ما نُريدُ؟

والصولى لا يميل إلى السجع كثيرا، ولا يتكلفه، ولكن كان مضطرا إلى اصطناعه فى بعض الأحيان مجاراة لما هو سائد وطاغ على كل كتابات العصر، حيث كان السجع عاما[١٥٨] فى كتابات الكتاب الديوانية وغير الديوانية، كما التزم به الأدباء والمؤلفون.

التزم الصولى السجع فى رسائله الاخوانية والديوانية وشبه الرسمية. أما رسائله الإخوانية أو شبه الرسمية، فخير مثل لها ودليل عليها، تلك الرسالة التى كتبها الصولى إلى الخليفة الراضى بالله. وكان الراضى قد أرسل إليه برسالة يستطلع فيها رأيه - بوصفه أستاذا له ورجل دين وعلم وأدب - فى خطبة الجمعة التى ألقاها فى أحد المساجد.

---

(١٥٧) مقالته: عداوته، صبرت على مقالته: أى لهان علّى ما أَلْقَىَ فانظرى: تعالوا فانظروا.

(١٥٨) الفن ومذاهبه فى النثر - الدكتور شوقى ضيف ص ٤٦، تطور الأساليب النثرية - أنيس المقدسى ص ٢٠٧ - بيروت.

كتب الراضى فى رسالته إلى الصولى يقول[١٥٩]:

«أبقاك الله يامحمد، قد لحظك طرفى وأنا أخطب، وأنت إلى جانب اسحاق قريب منى، غير بعيد عنى، فعرّفْنى على تحرى الصدق، واتباع الحق، كيفما سمعت، وهل تهجن الكلام بزيادة فيه، أو اختل بنقص منه، أو وقع ذلك فى لفظه أو إحالة فى معناه جاريًا فيه على عادتك فى حال الإمرة، غير مقصر عنها للخلافة، إن شاء الله».

فكتب الصولى إليه يقول:

«أمير المؤمنين، أدام الله دولته، واطال فى الملك مدته، أجل خطرًا وقَدْرًا وأسنى مجدًا وفخرًا، وأوسع خاطراً وفكرًا، من أن يبلغ خاطب خطابته، أو يروم بليغ بلاغته. أو يدرك فيها واصف صفته إلا بما تناله طاقته وتبلغه غايته.

ولما وصل إلى عبده سؤاله عن حسن ما وعاه وسمعه، وجليل ما حفظه ولقنه، من كلامه فى خطبته، وتصرفه فى حسنه، عجز عن بلوغ كنهه لسانه، ولم يؤده شرحه وبيانه...».

فى رسالة الصولى إلى الراضى نرى أنها زخرت بالسجع نحو قوله: «دولته.. مدته».. «خطرًا، وقدرًا، وفخرًا.. وخاطرا وفكرا...، خطابته.. وبلاغته... إلخ. وقد جاء هذا السجع فى معظمه مصنوعا، يختلف تماما عما وجدنا فى المقطوعات السابقة. وقد استخدم الصولى – حسب ما ذكر فى كتابه أدب الكتاب[١٦٠] صيغة الغائب احتراما وإجلالا للخليفة، فلم يخاطبه بصيغة المخاطب كما يخاطب سائر الناس بل كان – كما يَنُص كتَابُه ويَحضُّ كُتَّابَه – يرتفع بمنزلة الخليفة، وقد بدأها الصولى بالدعاء والثناء وأكثر فيها من المبالغة.

---

(١٥٩) أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ٧٨.

(١٦٠) أدب الكتاب للصولى ص ١٥٠

وإذا كانت رسائل الصولى الديوانية لم يصلنا منها شيء، فإنه قد وضع لنا الأسس التى تقوم عليها كتابتها إلى الخلفاء والأمراء وذكرلنا عناصرها الأساسية.

كما ذكر كيف تكون مكاتبات الناس إلى الإمام أو إلى ولى العهد فقال[١٦١]:

«فأما مكاتبات الناس إلى الإمام أو إلى ولى العهد أو إلى الوزير، فيكتب: «لعبد الله فلان بن فلان إلى كذا أمير المؤمنين.

سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته..

فإنى أحمد إلى أمير المؤمنين الله الذى لا إله إلا هو، وأسأله إن يُصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد.. أطال الله بقاء أمير المؤمنين، وأدام عزه وتأييده. وكرامته وسعادته وحراسته، وأتم بنعمته عليه، وزاد فى إحسانه إليه بفضله عنده، وجميل بلائه لديه وجزيل قسمه له.. فقد كان كذا.. ويذكر جميع المعانى المحتاج إلى المكاتبة فيها.. حتى يبلغ الدعاء.. فيقول:

أتم الله على أمير المؤمنين نعمه وهناه وكرامته، وألبسه عفوه وعافيته، وأمنه وسلامته، والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته..

ويقول الصولى عن مكاتبة الناس لبعضهم البعض:

«وأما مكاتبة النظراء، فإنها تحتمل كل شيء حسب المودة».

وبعد - فهذه فقرات من كتابات الصولى الأدبية فى النثر.. نستطيع أن نلمس فيها أسلوبه ونرى صورة فكره.. كما نستطيع أن نعرف منها خصائص أسلوبه الفنى.

---

(١٦١) أدب الكتاب للصولى ص ١٦٤

فهو أسلوب يجمع بين الجزالة والإشراق، نشعر فيه بمدى عنايته الفنية، وتأنقه في الألفاظ ويعكس صورة ثقافته وعلمه، وتمكنه من أداة تعبيره.

وهو أسلوب يتسم بالجمال، بل إن الجمال لمن أبرز صفاته وأظهر مميزاته، رائع قوى، بديع الخيال، غير متكلف، تبرز فيه قوة المعاني، وقوة الحجة والبرهان ورجاحة عقله الخصيب، يصل مباشرة إلى قرارة النفس لحلاوته وطلاوته.

ومن أظهر مميزاته الإطناب والتكرار واستعمال المترادفات، واختيار الكلمات الجزلة المناسبة للموضوع، ذات الرنين، وذات المعنى القوى الواضح.

وأسلوب الصولى يظهر فيه الخيال الشعرى، فهو شاعر وأديب، يخاطب وجدان القارئ وعواطفه يخاطب العقل والقلب، و يناجى الفكر والروح، ويزيد من قوة هذا الأسلوب وجماله: سطوع بيانه، وسلامة ذوقه في اختيار كلماته ووضوح ألفاظه.

ولقد ورث الصولى عن أجداده - إلى جانب الشعر - نثر الكلام، فنحن نعرف أن عائلة الصولى كان لها شأن كبير في الكتابة. وكانوا من ألمع كتاب الدولة وعمالها. فكان منهم عمرو بن مسعدة الصولى وإبراهيم بن العباس الصولى، وعبد الله بن العباس الصولى.

كما ورث الصولى أيضا كل ما كتبه الأدباء والكتاب السابقون من أمثال عبد الحميد الكاتب وابن المقفع وسهل بن هارون والجاحظ وأضرابهم، ممن كانوا يتفننون في كتابة الرسائل والكتب الأدبية.

والصولى - وإن كان قد سار على الدرب الذى سار فيه كتاب عصره، ونهج منهجهم، إلا أن أسلوبه يتميز بسمة واضحة: هى عدم التقيد بمنهج ثابت في كتاباته - من حيث الالتزام مثلا بالأسلوب المسجع أو غيره، أى أنه لا يسير على

وتيرة واحدة، بل كيفّ أسلوبه وفقا للحال، ومن ثم ظهر أسلوبه فى رسائله الأدبية يختلف عن أسلوبه فى كتاباته الأدبية أو الديوانية وشبهها. بل إن الصولى اختط لنفسه أسلوبا، صنع أصوله ومنهجه بعد أن نهل من ينابيع الثقافة المتعددة الموجودة فى عصره - فجاء أسلوبه قويا يبرز قوة الصولى نفسه وغزارة علمه، ومقدرته على لغته وتطييعها لتفى بالاغراض التى يود إخراجها إلى عالم الأدب. أسلوب يحمل ثقافته ويعكس أفكاره. استغل فيه كل العناصر التى اشتملت عليها علوم البلاغة من حيث التشبيهات والاستعارات والكنايات، ومن حيث الإطناب والإسهاب والترادف، ومن حيث التقديم والتأخير، ومن حيث السجع والطباق والجناس والأقتباس من القرآن الكريم... إلخ.

ولم يتكلف الصولى سجعا أو بديعا، بل إن هذا السجع كان يأتى طواعية فى معظم كتاباته - إلا ما قصد هو إلى ذلك فى رسائله الرسمية إلى الخلفاء وغيرهم. بل نراه يستخدم الأسلوب المتوازن الذى يسميه الرمانى[١٦٢] «السجع العاطل» والذى يطلق عليه بعض الباحثين[١٦٣] «الأزدواج» - ذلك الأسلوب الذى وضح خاصة فى رسالته إلى مزاحم بن فاتك، والذى يتميز بأن العبارات فيه قصيرة متساوية وأن الفواصل على زنة واحدة.

وقد سار الصولى فى رسائله الإخوانية والرسمية، على الطريقة التى كانت سائدة والتزم بها الكتاب والأدباء، فنراه يفتتحها بالاستهلال والمبالغة فى الدعاء وكثرة التحميدات، وينسقها ويرتبها بحيث تشتمل على مقاصده.. ويراعى ظروفها وأحوالها من حيث الإيجاز أو الأطناب، ويزركشها بمحسناته اللفظية والمعنوية، مع اختيار الألفاظ الحلوة الرنانة، التى تؤثر فى النفس وتحرك المشاعر والوجدان.

---

(١٦٢) صبح الأعشى ٢٧٣/٢.

(١٦٣) الأستاذ أنيس المقدسى: تطور الاساليب النثرية فى الأدب العربى ص ١٤٣.

ولاشك - أن هذه الطريقة فى الكتابة تتصل بالعناصر الوراثية عنده، والتى انتقلت إليه عن أجداده الفرس، الذين أشاعوا فى كتابتهم التأنق فى الألفاظ، وبخاصة فى الرسائل، وإطالة المقدمات والتبجيل فى توجيه الخطاب، والغلو فى الدعاء والمديح، وتأدية المعنى الواحد بألفاظ كثيرة، وجمل مترادفة، والإفراط فى استعمال المحسنات البديعية.

وخلاصة القول: إن أسلوب الصولى قوى معبر واضح جزل، صافى الديباجة رقيق العبارة، لا يحتاج إلى كد الفكر، أو أعمال الخاطر للوصول إلى معناه، وتظهر فيه نزعة الصولى الدينية وتعمقه فى علوم القرآن والسنة، وهو دائما يزينه بآيات من القرآن وبمحصلة ضخمة من روائع المنظوم وبليغ الحكم والأمثال ،يعينه فيه قاموس ضخم من لغته واشتقاقاتها ومترادفاتها، فنراه يطرح معانيه بطرق عدة ويضع ألفاظه فى مكانها، ويصب معانيه فى قوالبها، يلائم بين ألفاظه ومعانيه وموضوعاته، حتى لقد وصف بأنه «عالم بفنون الأدب»[١٦٤] كما وُضِعَ فى طبقةِ الجاحظ وأضرابه[١٦٥].

---

(١٦٤) البداية والنهاية فى التاريخ ٢١٩/١١، الكامل فى التاريخ ٣٢٤/٦، الأنساب ص ٣٥٧، النجوم الزاهرة ٢٩٦/٣.

(١٦٥) وضعه الأستاذ أحمد حسن الزيات فى طبقة الجاحظ وأضرابه - تاريخ الأدب العربى ص ١٢٣ الطبعة الثانية.

الفصل الثانى

الأدب الوصفى

وأدب الصولى الوصفى له شقان كان لهما شأن كبير فى الحياة الأدبية فى عصره:

الشق الأول: تاريخ الأدب.

الشق الثانى: النقد الأدبى.

أولا: تاريخ الأدب

فيما يتصل بالشق الأول «تاريخ الأدب» سجل الصولى أخبار عدد ضخم من الشعراء المحدثين والإسلاميين ودون أشعارهم، اعترف بذلك مؤرخوه جميعا فقالوا[١]: أنه «دون أخبار من تقدم وتأخر من الشعراء» ووصفه ابن العماد بقوله[٢]: «الأديب الاخبارى العلامة».

ولم يجمع الصولى هذه الأخبار والأشعار فقط، بل حفظها حتى أصبح موسوعة علمية شعرية ضخمة، كان من خلالها قادرا على توثيق شعر أى منهم.. قادرا على نسبة الشعر إلى قائليه الحقيقيين مميزا لما تداوله الشعراء من المعانى، محددا السبق لأى منهم.

وصل إلينا من أخبار هؤلاء الشعراء: أخبار أبى تمام، وأخبار البحترى، وأخبار

(١) الأنساب للسمعانى ص ٣٥٣، وتاريخ بغداد ٤٢٧/٣، مرآة الجنان ٣١٩/٢، أنباه الرواه ٢٣٤/٣.
(٢) شذرات الذهب ٣٣٩/٢.

أبي نواس، أخبار أولاد الخلفاء، أخبار أبان بن عبد الحميد اللاحقي وأولاده وأحفاده وأخبار أشجع السلمي وأخيه أحمد بن عمرو، وأخبار يوسف بن القاسم وأولاده وأفراد عائلته.

ولقد ذكرت المصادر القديمة أن الصولى جمع علاوة على أخبار هؤلاء الشعراء: أخبار أبي عمرو بن العلاء وأخبار اسحق بن إبراهيم الموصلي، وأخبار أبيه إبراهيم الموصلي، وأخبار العباس بن الأحنف، وأخبار شعراء مضر وشعراء ربيعة وشعراء اليمن وأخبار الفرزدق، وأخبار القاضي عمر بن محمد، وأخبار ابن هرمه وأخبار السيد الحميري وأخبار سديف.

ولم يقتصر عمل الصولى على جمع أخبار الشعراء والكتاب والأدباء فحسب، بل جمع أيضا دواوين كثير من الشعراء المحدثين. فقد ذكرت المصادر الأدبية: أن الصولى جمع: ديوان أبي تمام، وديوان أبي نُواس وديوان ابن الرومي، وديوان البحتري، وديوان العباس بن الأحنف، وديوان على بن الجهم، وديوان ابن طباطبا، وديوان إبراهيم بن العباس وديوان ابن عيينه وديوان ابن شراعة وديوان ابن المعتز، وديوان مسلم بن الوليد وديوان الصنويري، وديوان دعبل الخزاعي، وديوان ابن هرمه، وديوان أبي الشيص، وديوان المعذل بن غيلان بن المحارب، وديوان القاضي عمر بن محمد. كما جمع أيضا ديوان الخليفة الراضي بالله.

وامتد عمل الصولى إلى جمع إنتاج بعض الشعراء المقلين - وأيضا أشعار أولاد الخلفاء - فدون أخبارهم وما أخرجته قريحتهم، فحفظ إنتاجهم من الزوال والفناء وروى مختارات من أشعارهم كنماذج للتدليل على موهبتهم، واظهار شاعريتهم، وذكر المناسبات التى قيلت فيها هذه الأشعار وما لابسها من نقد وتحليل، وإعجاب وتقدير، وذكر أيضا من اتصلوا بهم من النقاد والشعراء وغيرهم.

اتبع الصولى طريقة واضحة فى رواية أخبار الشعراء ومختاراته من أشعارهم،

فكان جل اهتمامه منصبا على النتاج الفنى لهم - شعرا أو نثرا، كتابة وتوقيعا - وما يتصل بهذا النتاج، وتعريف الناس بهم وبمكانتهم ومقدرتهم وشاعريتهم، وما يتميز به كل منهم.

لذلك يمكن القول: إن طريقة الصولى فى رواية أخبار هؤلاء الشعراء والكتاب وأشعارهم أقرب ما يكون إلى «علم تاريخ الأدب» حسب المفهوم الحديث لدراستنا لهذا العلم.

حقا لم يكتمل هذا العلم عند الصولى، لأنه لم يتحدث عن العوامل والمؤثرات فى حياة الشاعر.. فلم يتحدث عن العوامل التى اختلفت على الشاعر وأثرت فى منحاه الأدبى، واتخاذه مذهبا فنيا يُعرف به بين معاصريه من الأدباء والنقاد.. ولم يتحدث عن الزمان والبيئة المحيطة بالشاعر والكاتب - سواء كانت بيئة ثقافية أو جغرافية، ومدى تأثير ذلك فى إنتاجه الأدبى.

ولم يتحدث عن أثر الثقافة المعاصرة أو السابقة له ودورها فى صقل موهبته ولم يذكر أثر الحكم وسياسة الدولة وظروفها. وتأثير ذلك كله على وجدان الشاعر وعلى إنتاجه.

وإذا كان الصولى لم يتحدث عن العوامل والمؤثرات فى إنتاج الشاعر وشاعريته، إلا أننا نلمح أحيانا بعض الآراء اليسيرة، التى يمكن أن تدخل فى صميم تاريخ الأدب وهى لمحات خاطفة ذكرها الصولى متفرقة دون ماقصد إلى الدخول فى خصائص أو أصول هذا العلم، الذى هو وليد الحضارة الحديثة.

فهى لمحات تنقصها خصائص المنهاج العلمى الذى نعرفه الآن، غير أنها تجلى بوضوح عن بعض الظواهر الفنية فى شعر الشعراء وكتابة الكتاب.

من هذه النظرات الثاقبة، أنه يضع أحيانا للشاعر سمات تحدد منحاه الفنى

وتلقي الضوء على إنتاجه.. فيصف شاعرا بأنه مطبوع[٣]، ويصف آخر بأنه «مليح الألفاظ، دقيق الفطنة»[٤] ويصف ثالثا بأنه «قليل المدح للناس، يتغزل فى شعره، ويذهب مذهب ابن أبى أمية»[٥].

ومن هذه النظرات أيضا - أن الصولى يذكر بيت الشاعر، ثم يذكر من أين أخذ هذا المعنى ممن تناولوه من قبل، ثم يضيف رأيه أحيانا... إن هذا الشاعر تأثر بمعنى شاعر آخر، وأراد أن يتبعه فأفسد المعنى.. أو أجاده..

وأخبار الشعراء التى ألفها الصولى، تعتبر مصدرا قيما لإنتاجهم الفنى وسجلا حافلا لعدد كبير منهم، تساعد الباحثين والأدباء ومتذوقى الفن على معرفة الأسس الفنية فى إنتاج هؤلاء الشعراء فى عصورهم، كما أنها تعتبر مراجع هامة لكثير من النصوص الشعرية ومناسباتها.

والصولى فى تاريخه لأدب الشعراء كان أحيانا يعنى بسرد كثير من أخبار البعض فى حين يوجز فى أخبار البعض الآخر.

ولعل العامل النفسى، وعامل الاعجاب، وقدرة الشاعر وفنيته، وذوقه وشاعريته كل هذه عوامل كانت تؤثر فى منحى التأليف عند الصولى. فمن أعجب به وبشعره، ذكر الكثير عنه وعن أخباره وعن إنتاجه.. ومن كان ذا مقدرة وشاعرية أصيلة أكثر من جمع أخباره ومختارات من شعره.

هذا النوع من التأليف - فى تاريخ الأدب - يمكن أن نتمثله بوضوح فيما ألفه الصولى من أخبار عن الشعراء والأدباء والكتاب ووصلت إلينا.

وخير مثل له على هذا عملان كبيران:

---

(٣) أخبار الشعراء ص ١.

(٤) أخبار الشعراء ص ٢.

(٥) أخبار الشعراء ص ٣.

الأول: يتصل بشعراء مقلين وهو «قسم أخبار الشعراء» الذى هو جزء من كتابه الكبير الأوراق. وهذا العمل يوضح طريقته فى تأليف النماذج الصغيرة للشعراء.

والثانى: يتصل بشعراء كبار وهو «أخبار أبى تمام وأخبار البحترى» كنماذج للأعمال الفنية التى تكاد تكون متكاملة.

١ - أخبار الشعراء:

وقسم أخبار الشعراء جعله الصولى أشبه ما يكون بالتأليف العائلى، تناول فيه أخبار وأشعار ثلاث من العائلات التى شاركت فى الأدب عامة، والشعر والكتابة خاصة:

أولاها: عائلة اللاحقى - حيث تناول: أخبار أبان بن عبد الحميد ومختار شعره وأخبار حمدان بن أبان وشعره، وأخبار أبان بن حمدان وشعره.

ثم أخبار أبى شاكر عبد الله بن عبد الحميد بن لاحق ومختار شعره. وأيضا أخبار إسماعيل بن بشر بن المفضل بن لاحق ومختار شعره.

وثانى هذه العائلات: هى عائلة السلمى.. فدون أخبار أبى الوليد أشجع بن عمرو السلمى ومختار شعره، ثم أخبار أخيه أحمد بن عمرو وشعره.

أما العائلة الثالثة: فهى عائلة ابن صبيح: فدون أخبار أبى القاسم يوسف ابن القاسم بن صبيح ومختار شعره ثم ابنه القاسم بن يوسف بن القاسم وشعره ثم أخيه أحمد بن يوسف ومختار شعره وكتاباته وتوقيعاته. ثم أخبار عبد الله بن أحمد بن يوسف ومختار شعره. ثم أخبار أبى الطيب محمد بن عبد الله بن أحمد بن يوسف وشعره. وأخيرا أخبار أحمد بن أبى سلمة الكاتب، ابن شقيقة أحمد بن يوسف وشعره.

وطريقة الصولى فى تدوين أخبار هؤلاء الشعراء والكتاب، تتمثل فى أنه لم يهتم اهتماما ظاهرًا بما يتصل بشخص الشاعر أو نسبه أو قبيلته، بل أنه يسرد بإيجاز اسم الشاعر أو الكاتب وآبائه وأجداده. ولا يحاول الدخول فى خلافات حول سنة مولده ونشأته - إلا فى القليل النادر - بقصد توضيح خلاف معين نشأ بين أطراف معينة ممن يتناولون حياة الشاعر. فنراه يتحرى ذلك ويقول «القول الفصل» مدعما بآراء من عاصروه وما توصل إليه نتيجة لتمحيصه أخبار الشاعر والتأكد من صحتها، ثم ينتقل مباشرة إلى أخباره الفنية التى تتصل بقول الشعر أو كتابة الرسائل أو غير ذلك.

ففى ترجمته لابان بن عبد الحميد اللاحقى يقول:... «مولى بنى رقاش، من أهل البصرة، قدم بغداد فاتصل بالبرامكة وعمل لهم كليلة ودمنة[٦]».

وقد يروى شيئا عن نسب الشاعر أو قبيلته: كأن يقول عن أشجع السلمى: «شاعر قيس عيلان فى وقته.. من ولد الشريد بن مطرود السلمى، وتزوج أبوه بامرأة من أهل اليمامة، فشخص معها فولد له أشجع[٧]».

ويحقق نسب أحمد بن يوسف لأن فيه خلافا فيقول[٨]: أنه ابن صبيح مولى بنى عجل، وكان صبيح عبدا لبعض بنى عجل، فلما اعتقه تكنى بأبى القاسم. وقيل كان الذى اعتقه بحر بن العلاء العجلى. ثم يقول: «وحدثنى محمد بن سعيد، قال: حدثنى أبو هفان، قال: حدثنى جماعة من الكتاب أن السرى بن بشر العجلى اشترى صبيحا فأعتقه وكان صبيح قبطيا.. وهذا هو الصحيح».

وأحيانا يذكر الصولى ما يتصل بعقيدة الشاعر الدينية.. فيقول عن أبان بن عبد الحميد[٩]:

---

(٦) أخبار الشعراء للصولى ص ١.

(٧) أخبار الشعراء للصولى ص٧٤.

(٨) أخبار الشعراء ص ٢٠٦.

(٩) أخبار الشعراء ص ٢.

أنه كان «حسن التدين متألها... وانه كان يصلى ولوح موضوع بين يديه، فإذا صلى أخذ اللوح فملأه من الشعر، ثم يعود إلى صلاته».

ويقول الصولى عن أشجع: «أنه كان إماميا»[١٠].

ويذكر الصولى أيضا صلة الشاعر بالخلفاء أو الوزراء أو غيرهم، قبل أن يسرد مدائحه فيهم.. فيقول: إن أبان اتصل بهارون الرشيد.. وبالبرامكة.. وبالفضل بن يحيى بن خالد[١١]. «ويقول: إن أحمد بن يوسف وزر للمأمون بعد أحمد بن أبى خالد[١٢].»

وأحيانا يضمن الصولى أخبار الشاعر بعض أحداث عصره وصلته بها ودوره فيها كما فعل عند تناوله أخبار أحمد بن يوسف، فذكر قصة أصحاب الصدقات فقال[١٣]: «جلس أحمد بن يوسف يقرأ الكتب بين يدى المأمون وهو وزير، فمرت قصة أصحاب، الصدقات، فقال المأمون لأحمد «انظر فى أمرهم قد كثر ضجيجهم فقال: قد نظرت فى أمرهم وقررته، ولكنهم أهل تعدّ وظلم، وبالباب منهم جماعة، فقال المأمون: أدخلوهم إلىّ.. فدخلوا، فناظروه، فاتجهت الحجة عليهم، فقال أحمد: هؤلاء ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كيف يرضون بعده، قال الله عز وجل: ﴿ومنهم من يَلْمِزُكَ فى الصدقات فإن أُعْطُوا منها رضوا، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾ فعجب المأمون من حسن انتزاعه وحضور مراده فى وقته، وقال: صدقت يا أحمد وأمر بإخراجهم».

وقد يضطر الصولى إلى توثيق سنة ميلاد الشاعر أو سنة وفاته، ويذكر الدليل على ذلك وأهم مصادره.. فعند إيراده أخبار أحمد بن يوسف، وجد أن هناك خلافا حول سنة وفاته، فنراه يحسم الخلاف بقوله[١٤]: «وكان موته فى شهر رمضان سنة

(١٠) أخبار الشعراء ص ٧٤.
(١١) أخبار الشعراء ص ١.
(١٢) أخبار الشعراء ص ٢٠١.
(١٣) أخبار الشعراء ص ٢٠٨.
(١٤) أخبار الشعراء ص ٢٣٦.

ثلاث عشرة ومائتين، وقد حُكى غير هذا.. وأحكمت هذا فى كتاب الوزراء».. ويحدد هذا أكثر بذكره قصة وفاته وأسبابها.

وأهم ما يعنى به الصولى فى أخباره: ما يتصل بقدرة الشاعر وأهم خصائصه فمثلا نراه يقول أبان بن حمدان: «أبان هذا قليل الشعر جدا، ولا أعرف له إلا غزلا[١٥].

ويصف أحمد بن يوسف «بأنه معرق فى الكتابة والشعر، وأنه لم يل الوزارة أشعر منه[١٦]».

ويذكر الصولى فى تاريخه الأدبى للشعراء - أهم أعمال الشاعر الفنية وما اشتهر به وأهم الأغراض التى تناولها فيقول: إن «أبان عمل كتاب كليلة ودمنه، ثم قلب الكتاب إلى الشعر فى ثلاثة أشهر، وأنه عمل أيضا قصيدة ذات الحلل، ذكر فيها مبتدأ الخلق وأمر الدنيا وأشياء من المنطق وقصيدة الصيام والزكاة..[١٧]».

وقد يذكر الصولى فى ثنايا أخباره: ما عيب على الشاعر، سواء فى شعره، أو فى دينه أو فى خلقه من ذلك مارواه على لسان البحترى عن شعر أشجع.. قال البحترى[١٨]:

«كنت فى مجلس فيه على بن الجهم، فتذاكرنا الشعراء المحدثين، فمر ذكر أشجع فقال فيه علىّ:

«ربما أَخْلَىَ، فلم أدرِ ما قال، وأنفت من سؤاله عن معناه، فانصرفت إلى منزلى، فنظرت فى شعر أشجع فإذا هو ربما مرت له الأبيات مغسولة خالية من المعانى واللفظ، فعلمت أنه أراد ذلك وأن معناه: إن الرامى إذا لم يصب من رشقه كله الغرض بشىء، قيل: أَخْلَى، فجعل ذلك قياسا».

---

(١٥) أخبار الشعراء ص ٦٣.

(١٦) أخبار الشعراء ص ٢٠٦.

(١٧) أخبار الشعراء ص ٢.

(١٨) أخبار الشعراء ص ٨١.

وأيضا ما رواه الصولى حولى صحة دين ابان[١٩].. وكيف أن الناس اتهموه بالكفر، فيروى الصولى بعض هذه الروايات.. ثم يثبت فى النهاية أن أبان صحيح الدين، وأن باطنه خير من ظاهره.

وفى تدوين الصولى لإنتاج الشاعر أو الكاتب - لابد أن يحققه أولا ويوثقه، فما وجده للشاعر دونه وإلا ألحقه بصاحبه الأصلى، ونراه كثيرا ما ينسب الشعر إلى قائله الحقيقى فيقول:[٢٠]

«كان بين أحمد بن يوسف وبين أبى دلف القاسم بن عيسى مودة، وكانا يتهاديان ويتكاتبان ثم ولى أبو دلف الجبل كله، فكتب إليه أحمد بن يوسف:

ما على ذا كنا افترقنا بشيراز ولا هكذا عقدنا الإخاءَ

لم أكن أحسبُ الإمارة يزدا د بها ذو الوفاء إلا صفاءَ

تطعن الناس بالمثقفة والسمر على غدرهم وتنسى الوفاءَ

قال أبو بكر: وهذا هو الصحيح، وقد روى الشعر لأبى العتاهية يقوله للمأمون، وليس بشىء».

والصولى يدخل عامل الذوق والخبرة والإحساس فى نسبة الشعر إلى قائليه فهو يعرف إمكانية كل شاعر وأسلوبه وطريقة تفكيره وتعبيره، فعندما وجد أشعارا نسبها بعض الرواة إلى أحمد بن عمرو أخى أشجع السلمى.. وحققها، وجدها بذوقه أنها لابد وأن تكون لأشجع، فوضعها فى مكانها الصحيح.. ويعلل السبب فى ذلك بأن أشجع «لسعة شعره وشهرته أولى بها..».

ثم يقول[٢١]: «ولست أذكر لأحمد إلا ما أجده بخط أثق به أو روايته».

(١٩) أخبار الشعراء ص ٣٨.

(٢٠) أخبار الشعراء ص ٢١٥.

(٢١) أخبار الشعراء ص ١٤٠.

والصولى لا يذكر كل إنتاج الشاعر أو الكاتب، بل يذكر مقتطفات منه كنموذج لإظهار موهبته وأحيانا يجعل ذلك تحت عنوان ظاهر، وكأنها فصول خاصة.

فيقول فى أخبار أحمد بن يوسف: «ومن شعر أحمد بن يوسف».. «ومن توقيعات أحمد بن يوسف» «ومن كلام أحمد بن يوسف..» ويذكر تحت كل فصل بعض ما جادت به قريحته.

وكثيرا، ما يسرد الصولى آراءه الشخصية فى الشاعر، وفى إنتاجه الأدبى، من ذلك ما قاله عن محمد بن عبد الله بن أحمد بن يوسف إنه «كان شاعرا كاتبا ظريفا راوية.. عمل أشعار شعراء، وكتبها بخطه وأحسن تأليفه..[٢٢]».

ويقول عن القاسم بن يوسف الذى نبغ فى مراثى البهائم، «إنه أشعر المحدثين فى هذا الفن، حتى إنه لرأس فيه، متقدم جميع من نحاه»[٢٣].

ويذكر أيضا أعماله من حيث الكثيرة أو القلة، وقيمتها الفنية.. فيقول بعد أن استعرض أغراض الشعر عند أبان بن عبد الحميد، فى فصل الغزل: «الغزل لأبان، وهو قليل جدا[٢٤]».

وفى ترجمته لأبان بن حمدان يقول: وأبان هذا قليل الشعر جدا، لا أعرف له إلا غزلا وجدته فى بعض كتب أهله[٢٥]».

والصولى كثيرا ما يضمن أخباره عن الشعراء بعض الطرائف التى حدثت لهم وارتبطت بحياتهم، وذلك على ألسنتهم أو ألسنة أقاربهم أو معاصريهم، من ذلك ماروواه الصولى على لسان أشجع السلمى أنه قدم إلى الرقة من البصرة بعد عودة الرشيد من إحدى غزواته ليمدحه، وكان أشجع أحد ثمانية بكروا يوم جمعة، «فلما

---

(٢٢) أخبار الشعراء ص ٢٤٠.

(٢٣) أخبار الشعراء ص ١٦٤.

(٢٤) أخبار الشعراء ص ٣٩.

(٢٥) أخبار الشعراء ص ٦٣.

بلغ أشجع حتى كادت الصلاة أن تجب، فخاف أن يبتدىء من أول القصيدة بالتشبيب فتجب الصلاة، ويفوته ما أراد فترك التشبيب وأنشده من موضع المدح فقال:

إلى ملك يستغرقُ المالَ جودُه   مكارُمه نثر ومعروفه سَكْبُ

فضحك الرشيد وقال: خاف أن تفوته الصلاة فأسقط تشبيبه، وابتدأ بمدحه، فاختصر وأبلغ.. أضعفوا له ما أعطينا أصحابه، فأعطى عشرين ألف درهم[٢٦].

ويحرص الصولى دائما على تسجيل آراء الأدباء والنقاد فى من يترجم له أو يؤرخ لأدبه، من ذلك مارواه الجاحظ فى دفاعه عن أبان بن عبد الحميد.. وإنه أفضل من مجموعة الشعراء والرواة الموجودين فى عصره من أمثال عجرد ومطيع ووالبة بن الحباب وغيرهم. ويصف الجاحظ أبان بأنه شاعر مطبوع، ثم يذكر المطبوعين فى العصر، الذين حددهم الجاحظ، فيسجل قوله: «والمطبوعون على الشعر من المولدين بشار العقيلى، والسيد الحميرى، وابن أبى عيينه. وقد ذكر الناس فى هذا الباب: يحيى بن نوفل وسلماً الخاسر، وخلف بن خليفه، وأبان بن عبد الحميد اللاحقى أولى بالطبع من هؤلاء[٢٧].

كما يحرص على ذكر علاقاته الاجتماعية مع أصدقائه ومعاصريه من الشعراء والنقاد وغيرهم. فيذكر أن أبان بن عبد الحميد كان صديقا للمعذل بن غيلان، وكانا مع صداقتهما يتعاتبان بالهجاء فيهجوه المعذل بالكفر وينسبه إلى الشؤم، ويهجوه أبان وينسبه إلى الفساد.. وبالقصر. فسعى فى الإصلاح بينهما أبو عيينة المهلبى، فقال له أخوه عبد الله وهو أسن منه: يا أخى إن فى هذين شرا كثيرا، ولابد من أن يخرجاه، فدعهما ليكون شرهما بينهما، وإلا فرقاه على الناس[٢٨].

---

(٢٦) أخبار الشعراء ص ٧٥ وانظر ص ٢٣٨ (شجاعة أحمد بن يوسف).

(٢٧) أخبار الشعراء ص ١٢ وانظر ص ١٦٦ (آراء النقاد فى أشعر الكتاب).

(٢٨) أخبار الشعراء ص ٦.

والصولى فى أخباره عن الشعراء، كثيرا ما يذكر تعليقات توضح خبرا معينا، كما يذكر ما قيل فى فضل الشاعر وشاعريته، وما يتميز به عن غيره، ويذكر أهم من تناولهم الشاعر فى شعره سواء بالمدح أو بالهجاء، وقد يذكر أهم الأغراض الشعرية البارزة فى إنتاج الشاعر.

ويمكن للباحث أن يلاحظ أن ترجمة الصولى لشعرائه تختلف من شاعر إلى شاعر من حيث الطريقة، ومن حيث التبويب والترتيب، وهذا بلاشك متوقف على إنتاج الشاعر ومدى أجادته وكمية أخباره ومكانته من مجتمعه، والأغراض التى تناولها فى شعره، وآراء معاصريه ونقاده فيه ومدى حكمهم عليه بالجودة أو غيرها.

ومن هنا تتضح أن المادة الأدبية والإخبارية هى التى تفرض نفسها على الصولى وعلى عمله، دون ما يكون له شخصيا دخل فيها سوى التحقق والتمحيص ثم التبويب والترتيب. ومن هنا اختلفت أخبار أحمد بن يوسف مثلا عن أخبار أحمد بن عمرو عن أخبار أحمد بن أبى سلمة وغيرهم، من حيث الكمية ومن حيث إيراد الشواهد الأدبية والمختارات الشعرية.

ويمكن القول أن عمل الصولى فى جمعه أشعار هؤلاء الشعراء والكتاب المقلين يشبه عمل المفضل الضبى، الذى جمع أيضا شعر شعراء مقلين تحت عنوان «المفضليات» والتى شرحها ابن الانبارى، وإن يكن المفضل الضبى لا يهتم كثيرا بأخبار من يجمع لهم.

وخلاصة القول فى عمل الصولى لأخبار هؤلاء الشعراء والكتاب: أنه كان يهتم أولا وقبل كل شىء بالنتاج الأدبى شعرا أو نثرا، كتابة أو توقيعا، فيذكر أهم أعمال الشاعر الأدبية وما اشتهر به، كما يذكر أخباره مع أفراد أسرته، ومع أصدقائه ومعاصريه، ويذكر بعض أحداث عصره وما اتصل بها أو اتصلت به وبأدبه وبتفكيره، كما يذكر مكانته الأدبية عند النقاد والشعراء، وما أخذه من غيره،

وما أضافه إلى غيره وما جاء فى تفضيله وشاعريته، أو ما عيب عليه، ويستشهد بآراء الموثوق بهم من الرواة والاخباريين والنقاد.

وإذا كان الصولى يهتم بهذا النتاج الأدبى الذى هو مادة بحثه، فإنه لتوضيح هذه المادة كان يوضح بعض ملامح وقسمات الشاعر التى قد ترتبط بهذا الإنتاج، كالحديث عن نسبه وقبيلته ومذهبه الدينى أو الفنى، وشيئا عن حياته ونشأته.. هذا بالإضافة إلى ما قد يضيفه من آراء شخصية فى الشاعر أو فى أدبه أو مكانته، ويستشهد على ذلك بسرد نماذج من شعره وكتاباته فى المناسبات المختلفة.

وإذا كان المرء يعرف باختياره، فإننا بلاشك نستطيع أن نعرف من هذا الاختيار الصولى الأديب الفنان الذواقة، فقد كان يزاوج بين حسه وعقله حينما كان يختار هذه المختارات من شعر الشعراء وكتابة الكتاب.

فهو شاعر ذواقة وناقد حساس حين اختار هذه الأشعار، وهو عالم يعمل بعقله حين جعل قوة التعبير وجمال الوصف وسحر التشبيه وجزالة اللفظ أو رقته أساسا فى اختياره.. إلا ما كان من الشعراء المقلين فإنه لم يطبق عليهم قاعدة الإختيار والجودة لقلة أشعارهم، حتى لا تطمس مواهبهم أو تنقرض آثارهم.

ولاشك أن الصولى فى جمعه لهذه المقطوعات والمختارات كان يساير طبيعة عصره والتيار السائد يومئذ، حيث أثرت ظروف العصر والبيئة وتطور الحضارة على أذواق الناس «فلم يعد أحد يطيق الصبر على قراءة القصائد الطوال[٢٩]».

٢ ـ أخبار أبى تمام والبحترى:

وإذا انتقلنا إلى عمل الصولى - فيما يتصل بالتأريخ الأدبى - الذى يكاد يكون كاملا. فإننا نجد خير مثال على ذلك، ما تناوله الصولى من أخبار حول شاعرين

(٢٩) كارل بروكلمان - تاريخ الأدب العربى ص١/٧٧

كبيرين من فحول الشعراء عامة، وشعراء العصر العباسى خاصة.. هما: أبو تمام والبحترى.

فنجد أن الصولى تناول أخبارهما بالسرد والتفصيل والتبويب والتحليل، تحدث عن صلتهما بالخلفاء والوزراء، والكتاب والأدباء والنقاد، وتناول أخبارهما الأدبية. وما جاء فى تفضيلهما وما روى عن معايبهما.. وما ذكر عنهما فى المجالس.. وصلة كل منهما بالآخر... لذلك نجد أن أخبار أبى تمام ترتبط بأخبار البحترى ارتباطا وثيقا، ارتباطا من حيث المادة والموضوعات والمعانى والجودة الفنية، بل ومن حيث الرواة أيضا.

تناول الصولى فى أخبار الشاعرين كل ما يتعلق بهما.. وعقد كثيرا من الموازنات النقدية محاولا الرد على الطاعنين، المفضلين لأحدهما على الآخر، فبين من أجاد ومن أساء وهذا اختل لفظه.. وهذا لا يختل، وهذا اختل معناه وهذا أوضح المعنى.

فيروى أن البحترى عيب عليه يوما أنه تناول معنى تناوله أبو تمام من قبل، وأنه احتذى هذا المعنى وعمل فى مثله.. فقال البحترى معترفا بفضل أبى تمام وشاعريته:

«أيُعَابُ علىَّ أن أتبع أبا تمام، وما عملتُ بيتاً قَطْ حتى أُخْطر شعره ببالى[٣٠]».

وفى سلسلة سرد الصولى لأخبار الأستاذ والتلميذ، يروى كثيرا من الأبيات التى قالها أبو تمام وتبعها البحترى متناولا معانيها وأحيانا ألفاظها فيقول:

قال أبو تمام[٣١]:

وإذا أرادَ الله نَشْرَ فضيلةٍ ... طُويت أتاحَ لها لسانَ حَسُودِ

فقال البحترى:

ولَنْ تَسْتَبِينَ الدهرَ مَوْضِعَ نعمةٍ ... إِذَا أنْتَ لم تُدْلِلْ عليها بحَاسِدِ

---

(٣٠) أخبار أبى تمام ص ٧١.

(٣١) أخبار أبى تمام ص ٧٧.

وقال أبو تمام:

بُخْلٌ تدينُ بُحلْوِهِ وبِمُرِّه فكأنَّه جُزْءٌ من التَّوحِيدِ

فقال البحترى:

وتَـدَيُّنٌ بالبُخْـلِ حتى خِلتُـهُ فَرْضًا يُدانُ بِهِ الالـهُ ويُعْبَدُ

ويقول الصولى[٣٢]: فأما الذى نقله البحترى نقلا، فأخذ اللفظ والمعنى فقول أبى تمام يصف شعره:

مُنَزَّهةٌ عن السَّرَقِ المورَّى مكـرَّمةٌ عن المَعْنَى المُعَـادِ

فقال البحترى يصف بلاغته:

لا يَعْمَـلُ المَعْنَى المكَرَّ رَ فيـه واللفظ المُـرَدَّدْ

ويذكر الصولى أيضا المعانى الذى أخذها البحترى من أبى تمام ولم يستوفها[٣٣] من ذلك قول أبى تمام:

ويلبسُ اخـلاقـاً كـرامًـا كـأنَّهاَ عَلَى العِرْضِ من فرط الحَصَانَـةِ أدْرُعُ

فقال البحترى ولم يستوف، وكذلك هو فى أكثر ما ذكرت يقع دونا..

قومٌ إذا لبسُوا الدروع لموقفٍ لِبَستْهُمُ الأخلاقُ فيه دُروعاَ

ثم يقول الصولى: «ولولا أن بعض أهل الأدب ألف فى أخذ البحترى من أبى تمام كتابا[٣٤]، لكنت قد سُقت كثيرا مثل ما ذكرنا، ولكننى أكره إعادة ما ألف وأجتنب أن أجتذب من الأدب ما ملك قبلى...[٣٥]».

ومن خلال أخبار الشاعرين العتيدين، القى الصولى كثيرا من الضوء على

---

(٣٢) أخبار أبى تمام ص ٨٢، الموشح ٣٣٢.

(٣٣) أخبار أبى تمام ص ٨٦.

(٣٤) لعله يريد أبا الضياء بشر بن تميم الذى ألف كتابا فى أخذ البحترى من أبى تمام (الموازنة ٢٢).

(٣٥) أخبار أبى تمام ص ٧٩.

الحياة الأدبية والنقدية المعاصرة له. فنراه يؤرخ لأوليات معارك النقد الكبرى التى اشتعلت بين أنصار مذهبى الصنعة والطبع - بين أنصار أبى تمام وأنصار البحترى - وهى التى ذخرت بها كتب الأدب والموازنة والنقد فى عصره وما بعده. والتى خلفت ثروة، لغوية ونقدية وشعرية كبيرة. والتى أصبح النقد معها - كما يذكر الدكتور محمد مندور[٣٦] منهجيا عند العرب.

كما سجل الصولى صورا عديدة للمجالس الأدبية والنقدية واللغوية التى كانت تعقد فى ذلك العصر. وسجل لنا أيضا العديد من المناقشات والمناظرات حول الشعراء المحدثين عامة والشاعرين الكبيرين خاصة، والتى توضح مفهوم القوم للشعر، ومدى تذوقهم وطريقتهم فى سرد الأحكام وتحليل الأشعار، ومناقشة المعانى، وتداول الآراء.

وأخبار الصولى عن الشاعرين علاوة على مالها من قيمة أدبية ونقدية، فإن لها أيضا قيمة تاريخية واجتماعية، ذلك أنها حوت كثيرا من المناسبات والمجالس والندوات. وتضمنت العديد من أقوال الخلفاء والأمراء والوزراء والأدباء والشعراء، وصورت لنا مجالسهم كما دخل بنا الصولى إلى الحلقات العلمية التى كانت قائمة فى ساحات المساجد ودور العلم وبيوت العلماء.. والتقط صورا لمجالس الأنس التى كانت تدار فى قصور الخلفاء والأمراء وغيرهم.

ولقد روى لنا الصولى من أخبار الشاعرين ما يدل على ذكائهما وحسن تصرفهما ولباقتهما فى المواقف المحرجة التى تحتاج إلى اتقاد الذهن وسرعة الخاطر.

من ذلك ما رواه عن أبى تمام حين كان يمدح الأمير أحمد بن المعتصم بقصيدته السينية حتى إذا وصل إلى قوله:

إِقْدَام عَمْروٍ فى سَمَاحَةِ حَاتِمٍ ... فى حِلْمِ أَحْنَفَ فى ذكاءِ إياسِ

(٣٦) النقد المنهجى عند العرب ص ١٣٠.

فقاطعه الكندى – وأراد الطعن عليه – بقوله: الأمير فوق من وصفت، فأطرق قليلا ثم زاد القصيدة بيتين لم يكونا فيها:

لا تنكُروا ضَرْبِى له مِن دُونَهُ مثلًا شَرُوداً فى النَّدَى والبَاسِ
فَاللّه قد ضربَ الأقلَّ لِنُورِه مَثَلًا من المِشْكَاةِ والنِّبـرَاسِ

فعجب جميع الحاضرين من سرعته وفطنته(٣٧).

ويروى أيضا عن ذكاء البحترى، فيبين أنه صارت له حظوة وتمكن عند المعتز، لأنه كان يردد ثلب المستعين فى مدائحه له، وإن ذلك مما كان يحبه المعتز ويلذ لسماعه(٣٨) ويروى لنا أيضا ما يدل على أن البحترى كان ذا ذكاء خارق، يعرف كيف يستغل المواقف ويتكيف مع الأحداث، ويصور كل ما حوله وما وقع عليه بصره أو طرق على سمعه من أحداث ومناسبات ومناقشات ومناظرات فى شعره.

ولقد نقل إلينا الصولى أحد المواقف التى استغل البحترى فيها ذكاءه – رواه على لسان البحترى نفسه:

قال البحترى: «كنا عند المعتز، وقرأ قارئ» أليس لى ملك مصر(٣٩).... الآية «فقال المعتز: ما أَبْيَنَ جهل فرعون، يدعى الرُّبُوبية ويفخر بمصر.. قال البحترى: فخرجت فعملت شعرا فى ذلك، ثم دخلت فأنشدته إياه فلما بلغت:

تعجبت من فرعون إذ ظَنَّ أَنَّهُ إلهٌ لأن النيلَ من تحته يَجْرِى

فوصلنى، وقال: لقد صَغَّرت قدره كما استحق(٤٠)».

---

(٣٧) أخبار أبى تمام ص ٢٣١.

(٣٨) أخبار البحترى ص ١٠٤.

(٣٩) الآية (٥١ من سورة الزخرف): «ونادى فرعون فى قومه وقال: ياقوم أليس لى ملك مصر، وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون».

(٤٠) أخبار البحترى للصولى ص ١١١.

ولقد سجل الصولى للبحترى أخبارا كثيرة فى مجالات عدة، منها ما جاء فى تفضيله فى الشعر ونباهته على لسان النقاد والأدباء والرواة، وذكر ما قالوه عن ألفاظه ورقتها وموسيقيتها كما سجل أخباره مع الخليفة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان، وما كان يدور فى قصورهما، وما مدحهما به، وماتناولوه من تقييم له ولفنه، وما كان يحضره الصولى له من مجالس سنة ست وسبعين ومائتين، وأيضا أخباره مع المنتصر والمستعين والمعتز والمعتمد. وما قاله فى المناسبات المختلفة، وأخباره أيضا مع الوزراء والكتاب وغيرهم.. غير أن الصولى كان يهتم اهتماما خاصا بأبى تمام – بالرغم من أنه لم يعاصره ولم يقابله – لما له من منزلة جليلة بين الشعراء، ولما لشعره من فنية خاصة، ولون خاص كان جديدا على الثقافة العربية وعلى العقل العربى.

ويتمثل تقدير الصولى لأبى تمام ولفنه، فيما عمله الصولى ويتصل به:

فقد جمع أخباره فى شتى المجالات والمناسبات، وعلق عليها. وتناول شعره وحلله ودافع عنه أمام طعنات النقاد وسهامهم، واتخذ الصولى من نفسه لسانا مدافعا عنه وعن تجديده ومذهبه فى الشعر، ومعانيه وألفاظه، بل أنه أيضا دافع عن دينه حينما اتهم بالكفر.. وجمع ديوانه ورتبه على الحروف الأبجدية.. ثم شرح هذا الديوان حتى لا ينبو عنه فهم، ولا يغمض منه معنى، ولا يمجه سمع. وكتب رسالة أدبية نقدية فى فضله وتفضيل شعره وما امتاز به عن شعراء العصر. وأيضا شرح الصولى ديوان الحماسة الذى ألفه أبو تمام.

كما روى الصولى عن صفاته وأخبار أهله وبعض أشعارهم، وأخبار ابنه تمام وبعض أشعاره.. وروى أيضا ما رواه أبو تمام نفسه.. ويختم الصولى أخباره عنه بما رثاه به أصدقاؤه العارفون بفضله وشاعريته مثل البحترى والحسن بن وهب وعلى بن الجهم وعبد الله بن أبى الشيعى وغيرهم.

لذلك جاءت أخباره عن أبى تمام عملا يكاد يكون متكاملا من الناحية الأدبية والفنية والتاريخية.

ولاشك أن الصولى من أقدم المصادر وأهمها فى تاريخ حياة وأدب الشاعرين الكبيرين وتدوين أخبارهما وأشعارهما، وأخباره عنهما من أقدم مصادرنا الأدبية وأوثقها، بل لقد كانت هذه الأخبار هى المرجع الأساسى لكل المؤرخين والمترجمين للشاعرين، فجميع من أرخوا لهما ولأدبهما وتناولوا شعرهما، اعتمدوا على هذه - الأخبار وتناقلوها، ذلك لأن الصولى قريب عهد بأبى تمام وبعصره، كما أنه عاصر البحترى وحضر مجالسه وسمع منه وقرأ عليه وروى عنه وعن ابنه، بل إنه ارتاد معظم الأماكن التى كان يذهب إليها البحترى، وصحب أكثر الذين صاحبوه وجالسوه من ممدوحين ونقاد وأصدقاء ورواة. اختلف إليهم الصولى فى مجالسهم وندواتهم، وحضر مناقشاتهم وحوارهم حتى اجتمعت لديه مجموعة كبيرة من الأخبار والآراء والروايات.

كل ذلك جعل الصولى من أوثق المصادر عن الشاعرين.

منهج الصولى فى تأليف أخبار الشعراء:

من كل ما تقدم يمكننا أن نخلص إلى أن أبا بكر الصولى فى تاريخه للأدب العربى عنى بقسمين متميزين من الأخبار..

يتألف القسم الأول: من أخبار الشعراء المغمورين أو المقلين، وهو فى تاريخه لهم كان يقصد إلى إعلام الناس بهم، وذكر نماذج من فنهم.

ويتألف القسم الثانى: من أخبار فحول الشعراء كأبى نواس وأبى تمام ومسلم وابن الرومى وابن المعتز والبحترى.. وغيرهم.

على أن الباحث لا يستطيع أن يدعى للصولى منهجا ينفرد به فى تسجيله لأخبار هؤلاء الشعراء جميعا، ولا طريقة ذات خصائص متميزة عن غيره..

ولكن يمكن القول أن الأخبار التى سجلها الصولى، لم يكن يرويها فحسب -

شأن غيره – بل إنه أحيانا يحللها ويوضحها ويدعمها، وقد يرويها بأكثر من سند، وبروايات متعددة وقد يضيف إليها بعض نظراته ونقداته، كأن يتناول معانى الشاعر إذا كان قد اقتبسها من شاعر سابق، ويذكر ذلك صراحة، وقد يضيف تعليقا، أو يوضح غموضا أو يشرح لفظا، أو يعرفنا بشخص ورد ذكره فى هذه الروايات.

وتراجم الشعراء وأخبارهم، التى ساقها الصولى فى كتبه، لا تعدو أن تكون جملة أخبار عن كل شاعر، ومختارات من أشعاره، مع ذكر المناسبات التى قيلت فيها، وما تناوله الشاعر من معان وألفاظ، ومدى إجادته فى فنه، ثم يذكر الصولى آراء الأدباء والنقاد أو الشعراء فيها. دون أن يكثر من الحديث عن حياة الشاعر الأولى، إلا بما قد يخدم هذه الأخبار ويوضحها – ودون التعرض للعوامل التى اختلفت عليه فأثرت فى منحاه الأدبى.

فالصولى لم يكن يترجم لشعرائه ترجمة كاملة، بل كان أهم ما يعنى به – كما قلت سابقا – نتاجهم الأدبى.. ويقدم لهذا الإنتاج بذكر نبذة عن حياة الشاعر العامة، وأحيانا عن حياته الخاصة التى قد تتصل بعاطفته، ثم يوضح علاقته بممدوحيه وبغيره من الشعراء والأدباء والممدوحين، مع ذكر ما يتصل بهم من مدائح.

ومن كتب الصولى فى تاريخ الأدب نستطيع أن نلمس أن أخبار الشعراء – التى جمعها الصولى – كانت تحدد بعدة عوامل:

الأول: أن قيمة الشاعر الفنية هى التى كانت تفرض عليه أن يجمع أخباره أم لا، ومكانته ومقدرته الشعرية هى التى تحدد حجم هذه الأخبار.

الثانى: أن جودة الشاعر، وحجمه كانت أساسا فى عملية التسجيل والتدوين والاختيار إلا ما كان بالنسبة للشعراء المقلين، فإنه أعفاهم من هذا الشرط حتى لا تنمحى آثارهم.

الثالث: أن هذه الأخبار كانت تجمع أحيانا بتكليف من أحد الخلفاء أو الوزراء أو الأدباء أو علية القوم، لاظهار مكانة الشاعر والدفاع عنه وعن شاعريته، فأخبار أبي تمام جمعها بتكليف من مزاحم بن فاتك، وأخبار أحمد بن يوسف جمعها بناء على رغبة بعض الأجلاء.

الرابع: أن الشعراء المحدثين كانوا يستحوذون على جل إهتمامه دون غيرهم، من أجل ذلك جمع أخبارهم ودواوينهم، وذكر الكثير مما يرتبط بحياتهم.

الخامس: أنه كان يقدم لبعض الأخبار برسائل أدبية فى فضل الشاعر ومذهبه الفنى وقيمته فى تاريخ الأدب... فقد قدم لأخبار أبي تمام برسالة أدبية فى فضله وفى شعره. وقدم لأخبار أبي نواس كذلك.. وقدم لأخبار القاضى عمر بن محمد برسالة ثالثة.

السادس: أن مكانة الخلفاء الدينية واحترامه لهم، واعتزازه وصلته بهم، كان دافعا أيضا لجمع أخبارهم وأشعارهم، وأخبار أولادهم وأشعارهم.. فجمع أخبار الراضى وديوانه، كما جمع أخبار أولاد الخلفاء منذ عهد السفاح إلى أيام ابن المعتز، وأيضا جمع أخبار وأشعار من بقى من بنى العباس ممن ليس بخليفة ولا ابن خليفة لصلبه.

السابع: أنه كان يهتم بالشعراء الذين تربطه بهم صلة القرابة والنسب من أجل ذلك جمع أخبار إبراهيم بن العباس الصولى وأشعاره، وأخبار العباس بن الأحنف وديوانه.

الثامن: أنه كان يهتم بذوى المكانة الأدبية والدينية، ومن تربطه بهم صلة الصداقة والتقدير من أجل ذلك جمع أخبار القاضى عمر بن محمد وأشعاره ورسائله.

التاسع: أنه كان لا يجمع من الأخبار والأشعار إلا ما سهل عليه طلبه، وقرب منه شعره، حتى لا يتعرض إلى انتحال الأشعار، فينسب شعر إلى غير قائليه، ومن هنا لم يدخل أخباره أو الأشعار التى ذكرها أى لبس أو تناقض.

وإذا كان الصولى قد جمع هذا المحصول الوافر من الأخبار، فإن ما وصل إلينا، نستطيع أن نلمس فيه اهتمام الصولى بالمادة الأدبية شعرا ونثرا، وأن تسجيله لهذه الأخبار والأقوال وما يتعلق بالشاعر وقيمته بين معاصريه، وما روى عنه فى المجالس والندوات وغيرها - إنما كان لابراز العوامل التى أدت إلى خلق هذه المادة ولازمتها وارتبطت بها.

ومن هنا يتضح لنا.. لماذا لم يهتم الصولى كثيرا بحياة الشاعر ولم يدخل فى مناقشات حول مسائل تاريخية كسنة الميلاد أو الوفاة.. بل كان كل اهتمامه بما يقدمه إلى القارئ على مائدة البحث.

ومن هذه الأخبار يتضح أن الشعراء المحدثين استأثروا بأغلبها، فكان لهم نصيب وافر من جهد الصولى وعمله. فلم يرو الصولى أخبار الشعراء الجاهليين ولكنه كان يستشهد بأبيات قليلة من قصائد المشهورين منهم، مثل امرىء القيس، وزهير بن أبى سلمى، والنابغة وأوس بن حجر، وطرفة بن العبد وغيرهم.. كما كان يتناول معانيهم وأغراض الشعر عندهم وتأثر المحدثين بهم وما أخذوه عنهم.

ولم يجمع الصولى من أخبار الشعراء الاسلاميين إلا أخبار الفرزدق. وأنه شرع فى عمل أخبار جرير فلما علم بأن أحدهم يقوم بعملها، رفض أن يستمر وأبت عليه نفسه أن يعمل عملا قد سبق إليه.

والصولى فى عمله لأخبار الشعراء الكبار كان يستخدم عامل التصنيف، فيبدأ أولا بما جاء فى تفضيل الشاعر، ثم ما كان بينه وبين ممدوحيه من الخلفاء والوزراء

والشعراء والأدباء، ثم يذكر علاقته بنقاد عصره وأدبائه، وأخيرا يذكر ما جاء فى معائبه.

والأخبار عند الصولى فئات:

فئة أولى: قد يكون الخبر فيها خبرا لذاته، فينقل ما قيل فيه حرفيا، دون أن يكون فيه شىء من إنتاج الشاعر... من هذه الأخبار، وما جاء فى تفضيل الشاعر أو ذكر علمه... مثل ما جاء فى قول (الحسن بن رجاء) الذى كان له صلة قوية بأبى تمام، فكان دائما حين يُذكَرُ أبو تمام يقول: ذاك أبو التمام[٤١].

فئة ثانية: قد يكون الخبر فيها لاظهار فكرة معينة أو معنى معين، أو خبر يتصل بأهله أو دينه أو عقيدته، مثل ما فعله الصولى فى الدفاع عن دين أبى تمام عندما اتهم بالكفر[٤٢].

وفئة ثالثة: قد يكون الخبر فيها متضمنا لبعض ما قاله الشاعر فى مناسبة بعينها، أو ما قيل حول معنى ورد فى بيت أو بيتين عنده.. مثل ما رواه الصولى عن صلة أشجع بالرشيد وخوفه من أن يأتى موعد صلاة الجمعة دون أن يصل إلى عنصر المديح، فابتدأ به وأسقط تشبيبه.. فضحك الرشيد وأعجب به وأجزل له العطاء[٤٣].

وفئة رابعة: قد يطول الخبر فيها، فيشمل أحاديث وأشعار وحوار وربما قصائد طويلة للشاعر مثلما فعل فى ترجمته لأبان عبد الحميد[٤٤].

وفئة خامسة: قد يكون الخبر فيها متصلا بمعنى من المعانى التى تناولها النقاد فشنعوا بها - بينما يرى الصولى أن المعنى جيد.. فنراه يدافع عن الشاعر ومعناه

(٤١) أخبار أبى تمام ص ١٧١.
(٤٢) أخبار أبى تمام ص ١٧٣.
(٤٣) أخبار الشعراء ص ٧٥
(٤٤) أخبار الشعراء ص ١.

بما يشبه البحث الصغير، فيتناول ما قاله الشعراء الآخرون فى نفس المعنى، وربما بألفاظ أقل جودة، ويتناول ما قاله الأدباء والنقاد حول هذا الموضوع، ويستشهد بالآيات القرآنية وبالأحاديث النبوية، وحكم الحكماء وخطب الخطباء، حتى يبرز القصد الذى يريد أن يصل إليه، ويدعم آراءه ويوضح هذا المعنى.. مثلما فعل فى دفاعه عن أحد معانى أبى تمام[٤٥].

وإذا كان الخلفاء العباسيون المعاصرون قد استأثروا باهتمام كبير من الصولى. فإن الراضى وحده كان له أكبر نصيب لديه، فقد جمع أخباره السياسية والأدبية، وجمع أشعاره ومكاتباته وأقواله ومآثره، وتحدث عن أفكاره وصفاته، وما كان يدور فى مجالسه، ثم جمع ديوانه ورتبه - فى حياة الراضى نفسه - ونقحه وعرضه عليه، ثم ألحقه بأخباره..

وإذا كان الصولى قد اهتم بالشعراء المحدثين - فإن أبا تمام قد استحوذ وحده على جل اهتمامه واستأثر دون غيره من الشعراء بكل عنايته وفكره وجهده، بالرغم من أنه لم يعاصره ولم يلازمه، بل لقد أولاه ما لم يول لغيره من الشعراء الذين عاصرهم وقابلهم وسمع منهم.

فالصولى روى عن أبى تمام ما كشف عن جوانب متعددة فى حياة الرجل تتصل بأغراض الشعر عنده وبمذهبه الفنى، والتفت كثيرا إلى العلاقة بينه وبين تلميذه البحترى، تلك العلاقة التى خلدت للأدب والنقد ثروة أدبية وفنية لم تتوافر لأى شاعرين من قبل، فروى كيف اتصل الشاعران وما دار بينهما من حوار، وما قاله العلماء والأدباء والنقاد عنهما، وقارن بين ألفاظهما ومعانيهما وصورهما وأخيلتهما، وحدد مكانتهما الأدبية، ومنزلة كل منهما من الآخر، وحلل أشعارهما، مبينا مواطن الجمال والقبح فيها، ساردا آراءه مبينا صدق كلامه، مدعما بالأقوال والشواهد، مبينا

---

(٤٥) أخبار أبى تمام ص ١٣٨-١٤٨.

أخذ البحترى من معانى أبى تمام، وأخذ أبى تمام من معانى غيره، ومن أحسن منها فى المعنى، ومن اختل معناه، ومن أجاد فى ألفاظه، ومن اختل.. إلى آخر هذه الآراء.

ثانيا : النقد الأدبى

والشق الثانى من الأدب الوصفى هو النقد الأدبى..

منذ نشأة الشعر العربى قامت مقارنات وموازنات فطرية كثيرة، تفضل شاعرا على شاعر أو معنى على معنى، أو لفظا على لفظ، ثم تطورت هذه المقارنات والموازنات ووضحت ونضجت مع مرور الزمن وتعاقب العصور، حتى إذا وصلنا إلى عصر الصولى ظهر فيها أثر العصر والثقافة والحضارة، وتأثير ذلك كله على الذوق والفهم والتقدير والحكم.

ففى عصر الصولى تعمق الناس فى تذوق الأدب وفهمه وتحليله، فوازنوا بين شاعر وشاعر، وشعر وشعر ومعنى ومعنى.. بل ولفظ وآخر.. فكان النقد فى عصره أكثر تعمقا، وأحسن حكما عن العصور التى سبقته بتأثير الحضارة وتفتق القريحة العربية ونضوج عقليتها، وتأثرها بما داخلها من ثقافات، وما ارتبط بذلك من تطور للحضارة وارتفاع لمستوى الحياة الثقافية والفكرية.

وإذا كان الأدب يخضع للبيئة والثقافة، ونوع الحكم، وظروف الدولة.

فإن النقد من الطبيعى أن يتطور بحيث يتلائم مع الأدب فى كل ظروفه، وما يخضع له من مؤثرات ثقافية واجتماعية.

قامت قبل عصر الصولى معارك أدبية ونقدية كثيرة، ولكن هذه المعارك وصلت أشدها فى عصر الصولى وما تلاه.. ولم يكن من الطبيعى أن يعيش الصولى فى هذه –

المعارك دون أن يشارك فيها، خاصة وأن بعض شيوخه وأساتذته من أمثال المبرد (سنة ٢٨٦هـ) وثعلب (سنة٢٩١هـ) وغيرهما كان لهم مساهمتهم فيها، والمشاركة فى رحاها. كما أن بعض علماء عصره من أمثال الجاحظ (سنة٢٥٥هـ) وابن قتيبة (سنة٢٧٦هـ) وابن المعتز (سنة٢٩٦هـ) وقدامة بن جعفر (سنة٣٣٧هـ) والآمدى (سنة ٣٧٠هـ) أدلوا بآرائهم وتناولوها فى كتبهم ومؤلفاتهم، فزادوا فى إشعال هذه المعارك النقدية حول الشعر والشعراء.

فنرى الصولى يدخل فى رحى هذه المعارك مثبتا وجوده وآراءه.

ومن السهلّ أن نتلمس منحى الصولى فى النقد، وطريقته فى فهم النصوص وتذوقها، والحكم عليها من خلال كتبه: التى تناول فيها تراجم الشعراء وأخبارهم، ومختاراتهم الشعرية، وأيضا من خلال رسائله الأدبية حول الشعراء ومكانتهم وشاعريتهم وكذلك من خلال كتب النقد والأدب والموازنة التى ألفت فى عصره وبعده، وتناولت آراء الصولى ونظراته النقدية فى شعر الشعراء وأدب الأدباء من مثل موشح المرزبانى وزهر الآداب للحصرى وغيرهما.

ومن خلال هذه الكتب جميعا نستطيع أن نلمس أن الصولى كان يبحث فى الأدب ونقده بروح العالم وذوق الفنان.. بل أننا لا نتجاوز الحقيقة حين نقول: «أنه جعل النقد الأدبى كالعلم، من حيث الدقة والتحديد والموضوعية».

منحى الصولى فى النقد الأدبى:

ظهر منحى الصولى فى النقد الأدبى من خلال آرائه ونظراته وما تناوله بالتحليل والتقييم من شعر الشعراء على اختلاف عصورهم وشاعريتهم، ومقدرتهم الفنية، ومذهبهم الشعرى..

حقيقة لم يؤلف الصولى فى النقد كتابا، ولم يضع له ضوابط ومعايير شأن غيره

من النقاد المعاصرين، فلم يتناول النقد من الناحية النظرية كما فعل ابن قتّيبة، ولم يضع الشعراء فى طبقات كما فعل ابن سلام والجاحظ[٤٦] وابن قتيبة وابن المعتز... بل تناول الصولى النقد من الناحية التطبيقية العملية.. من واقع الشعر وفنونه، وأغراضه ومعانيه وألفاظه، وإن كنا نجد بعص الآراء النظرية فى بعض نواحى النقد.

ونقد الصولى يقوم أساسا على تحليل الشعر وتبيين مواطن الجمال والقبح، والجودة والرداءة، وعقد المقارنات بين الشعراء ومعانيهم وأغراضهم، وتحليل عيوبهم وسقطاتهم، كما يقوم أيضا على عرض سرقات الشعراء من بعضهم البعض، وإرجاع المعانى إلى أصحابها محددا من التابع ومن المتبوع، ومن منهما أحق بالمعنى.

ويتجلى نقد الصولى فى تناوله أخبار المحدثين وأشعارهم وتجديدهم، ومذهبهم الفنى، وألفاظهم وأساليبهم وصورهم وأخيلتهم وتشبيهاتهم.. متخذا من أبى تمام وسيلة ورمزا فى الدفاع عنهم.

وكثيرا ما يتناول الصولى بالنقد: العلاقة بين اللفظ والمعنى، وطريقة التعبير، ونجاح الشاعر فى توصيل رؤاه وأيضا نجاحه فى أن يكيف ألفاظه تبعا لمعانيه وأغراض الشعر التى يتناولها.. فيتحدث عن وجوب ائتلاف اللفظ مع معناه.. فالفخر مثلا يناسبه الألفاظ الجزلة التى تملأ الفم.. ذات الجرس القوى، والغزل يناسبه الألفاظ الرقيقة الناعمة والرثاء يناسبه الألفاظ ذات الموسيقى الهادئة التى تنم عن الحزن والألم ونراه يطبق هذا كله فى شعره.

ويرى الصولى أن المعانى الجيدة التى يأتى بها الشعراء، لابد وأن تأتى من واقع تجربتهم الانسانية وما صادفوه فى الحياة، فيصدووا عن أحساسيسهم بها.

---

(٤٦) يقول الجاحظ: «طبقات الشعراء ثلاثة: شاعر وشويعر وشعرور..» البيان والتبيين ٢١/١.

وآراء الصولى النقدية يمكن أن نلمسها فى العناصر الآتية:

١ - المقارنات.

٢ - الدفاع عن أبى تمام ومذهبه الجديد.

٣ - تحليل ألفاظ الشعراء ومعانيهم.

٤ - الهجوم على النقاد المتعصبين.

٥ - السرقات.

١ - المقـارنات

تتميز نظرات الصولى النقدية بكثرة المقارنات، أو ما يمكن أن يسمى بالنقد التطبيقى العملى.

١ - فنجده يقارن بين ما أخرجته قريحة مجموعة من الشعراء من عصر واحد، تناولوا موضوعا واحدا.. ويبين أيهم أجاد فى معانيه وأيهم اختل..

(ا) فيقارن بين قول طرفة بن العبد وحسان بن ثابت وعنتره العبسى وزهير بن أبى سلمى حول موضوع ارتبط فى الجاهلية بالكرم والشجاعة وهو «موضوع الشرب».. يتناول الصولى قول طرفة[٤٧]:

أُسْدُ غيلٍ فإذَا ماشَرِبُوا   وَهَبُوا كلّ أُمُونٍ وطِمْرِ[٤٨]

فيقول: «فجعل اعطاءهم عند الشرب». وتبعه حسان بن ثابت فقال: وهو أعيب من الأول:

نُـولِّيهاَ المـلامـةَ إنْ أَلمَنَـا   إذا ما كَاَن مَغْثٌ أو لِحَاءُ
ونشـربُها فتتـركُنـا مُلُوكًـا   وأُسْـدًا مـايُنَهْنِهنـا اللِّقَـاءُ

فقول طرفة خير من هذا لأنه قال: «أسد غيل فإذا ما شربوا..» فجعل لهم الشجاعة قبل الشرب، وحسان قال: نشرب فنشجع، ونَهُبّ كأنّا ملوك إذا شربنا فلهذا كان قول طرفة أجود.

ويستطرد الصولى قائلا: وقول عنترة أحسن، لأنه أحترس من عَيْبِ الإعطاء على السكر وأن السكر زائد فى سخائه فقال:

---

(٤٧) الموشح للمرزبانى ص ٥٨، أخبار البحترى للصولى ص١٧٦، الشعر والشعراء ١٤٧/١.

(٤٨) أمون: الناقة التى يؤمن عثارها، والطِمْر: الفرس الطويل المشرف.

وإذا شَرِبْتُ فإنَّنِي مُسْتَهْلِكٌ مَالِي وعِرضِي وافرٌ لم يُكْلَم

أي إذا شربت الخمر فإننى أهلك مالى بجودى، ولا أشين عرضى وحسبى ببخلى فعنتره يفتخر بشربه لأنه يحمله على محامد الأخلاق.

ثم يذكر الصولى أن زهيرا تفوق على الجميع حين قال:

أَخِي ثِقَة لا تُهْلِكُ الخَمْرُ مالَهُ ولكَّنه قَدْ يُهْلك المـالَ نائِلُه

فهذا من أحسن الكلام، يريد أنه لا يشرب بماله الخمر، ولكنه يبذله للحمد».

(ب) ويقارن الصولى أيضا بين شعر النابغة الذبيانى وشعر امرئ القيس وشعر الطرماح فى وصف طول الليل(٤٩) وتأثير ذلك على نفسية كل منهم. ومدى توفيق كل شاعر فى التعبير عما يعتمل فى نفسه من أحاسيس وما يكبته من شجن.

فيتناول قول النابغة:

كَلِينِى لِهَمٍّ يـا أُميمة نـاصبِ وليلٍ أُقاسيه بطئِ الكَـوَاكِبِ
تطاول حتَّى قلتُ ليس بمنقضٍ وليس الذى يَرْعَى النجومَ بآيِبِ
وصَدْرٍ أراح الليلُ عَازِبَ هَمِّهِ تضاعَفَ فيه الحزنُ من كلِّ جَانِبِ

وقول امرئ القيس:

وليل كَمْوجِ البحرِ أرخى سُدُولَهَ عَـلَىّ بأنـواعِ الهُمُـومِ لِيَبْتَـلِى
فقلتُ لـه لَمّـا تمـطىَّ بصُلبـه وأردفَ إعجـازًا وَنَاء بَكَلْكَـلِ
ألا أَيُّها الليلُ الطويلُ ألا إنْجَلِى بُصْبحٍ وما الإصْبَاحُ منكَ بأَمْثَلِ
فيالَكَ من ليلٍ كأنَّ نُجُـومَهُ بكُلِّ مغار الفتل شُدَّتْ بَيذْبُلِ

ويعقد بينهما مقارنة أدبية نقدية - هى أشبه بالبحث، ويحلل الصورتين تحليلا جميلا يبين دقائق المعنى وملابساته، مبينا مواطن الجمال ودقة التعبير يقول:

(٤٩) الموشح للمرزبانى ص ٣٣.

«فأما قول النابغة: «وصدرٍ أراح الليلُ عازبَ همِّه «فإنه جعل صدره مألوفا للهموم وجعلها كالنِّعم العازبة بالنهار عنه، الرائحة مع الليل إليه، كما تُريح الرعاةُ السائمة بالليل إلى أماكنها، وهو أوَّل من وصف أن الهموم متزايدة بالليل، وتبعه الناس»..

والمبتدى بالإحسان فيه امرؤ القيس، فإنه بحذقه، وحسن طبعه، وجودة – قريحته، كره أن يقول: إنّ الهمّ فى حبِّه يخفّف عنه فى نهاره، ويزيد فى ليله، فجعل الليل والنهار سواء عليه، فى قلقه وهمّه، وجزعه وغمّه، فقال:

ألا أيُّها الليلُ الطويُل ألا إنْجَلِ   بصُبْحٍ وما الاصباحُ فيكَ بأَمْثَلِ

فأحسن فى هذا المعنى الذى ذهب إليه، وإن كانت العادةُ غيره، والصورة لا توجبه».

ثم يتناول الصولى قول الطِّرِمّاح فى هذا الموضوع – ويقول أنه اتبع امرئ القيس ثم «أراه استحالة معناه فى المعقول، وأن الصورة تدفعه، والقياس لا يوجبه، والعادة غير جارية به، حتى لو كان الراد عليه من حذاق المتكلمين.. فإنه ابتدأ قصيدة فقال:

ألا أيها الليل الطويل ألا أَصْبحِ   بِبَمّ وما الإصْبَاحُ فيكَ بأرْوَحِ

فأتى بلفظ إمرئ القيس ومعناه، ثم عطف محتجا مستدركا فقال:

بَلَى إنَّ للعينين فى الصبح راحةً   لِطِرْحِهما طَرْفَيْهما كل مَطْرَحِ

فأحسن فى قوله وأجمل، وأتى بحق لا يدفع، وبين عن الفرق بين ليله ونهاره. وإنما أجمع الشعراء على ذلك من تضاعف بلائهم بالليل وشدة كلفهم لقلة المساعد وفقد المجيب، وتقييد اللحظ عن أقصى مرامى النظر الذى لابدَّ أن يؤدّى إلى القلب، بتأمله سببا يخفف عنه، أو يغلب عليه فينسى ما سواه.

ويواصل الصولى كلامه فيقول: وأبيات امرئ القيس فى وصف الليل أبياتٌ اشتمل الإحسان عليها، ولاح الحذق فيها، وبان الطبع بها، فما فيها معابٌ إلا من جهة واحدة عند أمراء الكلام والحذاق بنقد الشعر وتمييزه - ولولا خوفى من ظنِّ بعضهم أنيّ أغفلت ذلك ما ذكرته - والعيب قوله:

فقلتُ له لمَّا تَمطَّى بصُلْبِهِ وأردف إعجازًا ونَاَء بكَلكَلِ

ألا أيهُّا الليل الطويل....

فلم يشرح قوله: (فقلت له)... ماأراد، إلا فى البيت الثانى، فصار مضافاً إليه متعلقا به، وهذا عيب عندهم. لأن خير الشعر ما لم يحْتَجْ بيتٌ منه إلى بيتٍ آخر[٥٠]، وخير الأبيات ما استغنى بعضُ أجزائه ببعض إلى وصوله إلى القافية».

٢ - ويقارن الصولى أيضا بين ما قالته مجموعة من الشعراء من عصور مختلفة تناولوا موضوعا واحدا..

(ا) فيقارن بين قول زهير بن أبى سُلمى من الجاهليين وقول أبى تمام والبحترى من المحدثين حول موضوع استبشار المسئول وانفراج أساريره، وبشاشة وجهه حينما يُسأل حاجة أو معروفا.

فنرى الصولى يثبت السبق فى المعنى لزهير.. وأن أبا تمام بل وكل الشعراء تبعوه.. فيقول[٥١]:

«وأول من أتى بفرح المسئول وطلاقه وجهه - ثم أخذه الناس فولدوه فقالوا: السؤال أحلى عنده من الغناء، وراجيه أحبُّ إليه من مُعْطِيه - زهيرٌ.. قال:

تَرَاهُ إذَا ما جِئتَه مُتَهَلِّلاً كأنكَ تُعطيهِ الذّى أنتَ سائِلُه

---

(٥٠) الموشح للمرزبانى ص٣٦.

(٥١) أخبار أبى تمام للصولى ص ٨١.

ثم أخذه أبو تمام فقال:

وُمَجَّربون سَقَاهُم من بأسِهِ ... فـإذَا لَقُوا فكـأنَّهم أغْمَارُ

فتبعها البحترى فقال:

مَلِكٌ له فى كل يومِ كريهةٍ ... إقدامُ غرٍ واعتزام مُجَرِّبِ

(ب) ويقارن الصولى بين اعتذار النابغة الذبيانى إلى النعمان، واعتذار سلم الخاسر إلى المهدى.

ويضع الاعتذارين جنبا إلى جنب، وكأنه يقول: إذا كان النابغة الذبيانى قد برع وتفنن فى الاعتذار للخروج من مآزقه حتى عرف به، فإن من المحدثين من تناول هذا الموضوع - وهو وإن لم يتفوق على النابغة، فإنه لن يقل عنه:

ويأتى الصولى بشعر الرجلين، فيسرد اعتذار النابغة الذبيانى إلى النعمان الذى يقول فيه[٥٢]:

فإنك كالليل الذى هو مُدْ رِكى ... وإن خِلْتُ أن الْمُنتَأى عنكَ وَاسِعُ

خَطَا طِيفُ حُجْنٌ فى حبالٍ متينةٍ ... تَمُدُّ بهـا أَيْـد إليـكَ نَـوَازِعُ

فيصفه بأنه كالليل المنشور الذى يرخى سدوله على جميع الكائنات، فليس هناك مفر أو مهرب من ظلمته وحلوكته مهما بعد المطاف واتجهت السبل.. ويستخدم النابغة تشبيهاتٍ وألفاظاً من البيئة الصحراوية التى يعيش فيها مثل (خطاطيفُ حُجْنٌ... حبال متينة)..

ثم يأتى الصولى باعتذار سَلَم الخاسر (سنة ١٨٦هـ) إلى المهدى الذى يقول فيه:

إنى أَعُوذُ بخير النَّاس كُلِّهمِ ... وأَنتَ ذاكَ بمـا تأْتِى وتَجْتَنِبُ

---

(٥٢) أخبار أبى تمام للصولى ص ٢٠.

وأنت كالدَّهرِ مبثوثـاً حبائلُهُ والدهرُ لا ملجأ منهُ ولا هَرَبُ
ولو ملكْتُ عنانَ الريح أَصْرِفُهُ في كل ناحيةٍ مافَاتَك الطَّلَبُ

حيث ربطَ سَلمَ بين الخليفة المهدى وبين القدر الذى لا رَادَّ لقضائه، فنراه يستعيذ به ويعفوه، ويقول له أنت قَدَرِى الذى لا مفر منه، ولا ملجأ سواك نفسك، فمَهْما بعدتُ عنكَ وصلتَ إلىّ، وقدرَت علىّ حتى ولو ملكتُ تحريكَ الرياح التى يمكن أن تطير بى فى كل اتجاه، فطلبك لى لا يصعب عليك، وسيصلنى انتقامُك حيثما كنت، فلن يحمينى من سطوتك إلا رحمتُك، ومن غضبكِ إلا عَفْوُك.

ونرى سَلَماً يربط بين المعانى الإسلامية وبين وضعه الذى لا يحمد عليه، والذى من أجله يقدم الاعتذار..

ويقرر الصولى: إن المحدثين حقيقة أخذوا من معانى الشعراء القدماء وتناولوا أغراضهم، ولكنهم طوروها بما يتناسب مع عصرهم وحضارتهم، فزادوا عليها وزخرفوها ببديعهم فتم لهم المعنى، فصاروا أحق بهذه المعانى.(٥٣)

(جـ) ويتناول الصولى موضوع «حب الأوطان والتشوق إليها» عند شعراء من عصور مختلفة، ليبن أثر ذلك على شاعريتهم وعواطفهم وحنينهم إلى مسقط رأسهم:

فيقارن بين شعر لأعرابى أو أعرابية فى الجاهلية، وشعر ابن ميادة المخضرم (سنة ١٤٩هـ) وشعر ابن الرومى مبينا أن الشعر يتأثر بالبيئه والعصر والثقافة، وأن المحدثين يميزهم عن غيرهم، ثقافتهم الواسعة وبيئتهم المتحضرة.

يقول الصولى(٥٤): «وأحسن ما قال الأوائل فى الأوطان ومحبتها والتشوق إليها:

---

(٥٣) أخبار أبى تمام ص ٥٤.

(٥٤) أخبار أبى تمام ص ٢٢ وما بعدها.

بِلَادٌ بها حَلَّ الشبابُ تَمَائِمِى ... وأولُ أرضٍ مَسَّ جِلْدِى تُرَابها[(٥٥)]

فالشاعر يربط بين وطنه الذى نشأ فيه، وبين الأرض التى هى مرتع شبابه.. ثم يتناول الصولى قول «ابن مياده» مبينا كيف تطور هذا المعنى عنده ووضح حيث قال:

ألا ليتَ شعرى هَلْ أبيتنَّ لَيْلةً ... بحَّرةِ ليلىَ حيثُ رَبَّبنَى أهـلى

بلادٌ بها نِيطتْ عَلَىَّ قـلائِدِى ... وقُطِّعن عَنىٍّ حين أدركنى عَقْلى

فإن كنتَ عن تلك المواطن حَابِسِى ... فأَفشِ عَلَىَّ الرِّزْقَ واجمع إذن شَمْلى

يتمنى الشاعر أن يزور موطنه ليقضى ليلة يتذكر فيها أهله ومَرْبَاهْ ومهيع شبابه، حيث ارتبط بهذه الأرض، ولكن شاء القدر أن يبعده عنها من أجل الرزق وطلب العيش.

ويقول الصولى: فجاء ابن الرومى فذكر الوطن وبين عن العلة التى لها يحب وجمع ما فرقوه فى أبيات فقال:

وَلى وَطَنٌ آليتُ أَلَّا أبيعَـه ... وألَّا أَرىَ غيرِى لَهُ الدّهرَ مَالِكاَ

عَهِدْتُ به شَرْخَ الشبابِ ونعمةً ... كنعمة قومٍ أصبحوا فى ظِلَا لِكَا

فقـد أَلِفَتْه النفسُ حتىّ كـأنَّهُ ... لها جسدٌ إنْ غَابَ غُودرتُ هَالِكاَ

وَحَبَّبَ أوطانَ الرِّجـالِ إليهمِ ... مآربُ قَضَّاها الشبابُ هُنَـالِكَا

إِذَا ذكَـرُوا أوطـانهمْ ذكَّـرتْهمُ ... عُهُودُ الصِّباَ فيها فَحَنُّوا لِذَلِكَا

فربط ابن الرومى بين وطنه وصباه، وشبابه وحبه، الذى نعم به فترة من الزمن كانت بالنسبة له كالأحلام، وأن هذا الوطن بالنسبة له مكمل لنفسه، كما تكمل الروح الجسد، ويربط ابن الرومى أيضا بين وطنه وحبه ذكرى الأيام الجميلة التى قضاها بين أحضانه، حتى لقد أصبح هذا الوطن يذكره بذكرى عهود الصِّبا وعهود

---

(٥٥) البيت لأعرابى أو أعرابية من طئ.

الغرام التى طالما يحن إليها المرء... ويقول الصولى(٥٦).. وإنما جئت بابن الرومى - لأنه ممن رأيت وشاهدت، وهو أقرب المحسنين عهدا وآخرهم موتا. ولو تَرفَّعْتُ إلى أبى تمام ومسلم وأبى العتاهية وأبى نُواس وبشار، لرأيت مثل هذا كثير.

٣ - **وكثيرا ما يقارن الصولى بين ما أخرجته قريحة شاعرين محدثين حول معنى واحد**.. فنراه يقارن بين ما أخرجته قريحة أبى تمام وقول أبى نُواس حول معنى تُدُوول كثيرا بين الشعراء وهو «الإفراط فى الإعطاء».

فيقارن بين قول أبى تمام(٥٧):

ما زَالَ يَهْذِى بالمواهبِ دَائباً   حتى ظَنَنَّـا أَنَّـه مَحْمُـومُ

وقول أبى نُواس:

جُـدْتَ بالأمـوالِ حَتىَّ   قِيـلَ ما هَـذَا صَحِيحُ

ويقول: «إن شعر أبى تمام أحسن وأجود فى معناه: لأن المحموم أحسن حالا من المجنون، لأن هذا يبرأ فيعود صحيحا كما كان، والمجنون قلما يتخلص من مرضه، فأبو تمام فى تشبيهه الافراط فى الاعطاء والبذل بإكثار المحموم، أعذر من أبى نُواس إذْ شبهه بفعل المجنون فلهذا كان معنى أبى تمام أجود».

٤ - وفى مجال البلاغة، وحول «موضوع التشبيه»، نرى الصولى يدلى بدلوه، **فيقارن بين تشبيهات القدماء وتشبيهات المحدثين**، يقارن دون تعصب لفريق منهم ضد فريق آخر، ولكنه قصد إلى إظهار أن الأوائل إذا كانوا قد شبهوا فسبقوا وأحسنوا، فإن المحدثين أيضا لا يقلون عنهم مقدرة وفنا، إن لم يتميزوا عنهم من حيث رقة التعبير وعذوبة الألفاظ، والبعد بها عن جفاف الصحراء ووحشية اللغة.

---

(٥٦) أخبار أبى تمام للصولى ص ٢٥.

(٥٧) أخبار أبى تمام للصولى ص ٣٢.

فنجده يتناول تشبيهات امرىء القيس - التى استحسنها الناس - حيث شبه شيئين بشيئين فى بيت واحد فقال فى وصف عقاب[(٥٨)]:

كَأَنَّ قُلوبَ الطيرِ رطْبًا ويَابسًا لـ ـدى وكرها العُنَّابُ والحشفَ البَالي[(٥٩)]

يقول الصولى: إذا كان الناس قد قالوا؛ لا يقدر أحد بعده على أن يأتى بمثله.. فإن بشار وهو أعمى أكمه لم ير بعينيه قط، شبه حدساً شيئين بشيئين فى بيت، فأحسن فى ذلك وأجمل فقال:

كأنّ مُثَارَ النَّقْع فوق رُؤُسِنا وَأَسْيافَنَا ليلٌ تهاوتْ كَواكَبُهْ

ثم نحا هذا ونبغ فيه أيضا شاعر محدث آخر وهو منصور النمرى شاعر الرشيد فقال:

ليلٌ من النقعِ لا نَجْمٌ ولا قمرٌ إلا جَبيَنك والمَذْرُوبةُ الشُّرُعُ[(٦٠)]

وقال العتابى (سنة ٢٢٠هـ) أيضا مشبها شيئين بشيئين:

تَبنِى سنابكُها منْ فَوْق رؤوسهم سَقْفًا كواكبهُ البيضُ المباتِيرُ

ويختم الصولى مقارنته هذه بأنه لا يجب أن يكون هناك تعصب بين قديم ومحدث ولكن التقدير يكون حسب جودة الفن، ومقدرته الفنية على الايحاء بصور يحسن بها الآخرون.

ويرفض الصولى مبدأ سرد الأحكام العامة.. الذى يقول: إن هذا الشاعر أشعر الناس، أو أن ذلك أشعر من هذا.. فيرى أن كل شاعر - حسب عمره وطبقته - له إمكانياته الفنية، وفى شعره مواطن الجودة ومواطن الضعف، وأن لكل شاعر فى شعره أمثلة عديدة على جودته فى معان معينة، وضعفه فى معان أخرى.

---

(٥٨) رسالة الصولى إلى مزاحم ص ١٧، العقد الثمين ص ١٥٤، الشعر والشعراء ص ٥٥، زهر الآداب ١٨٤/٣.

(٥٩) العناب: ثمر أحمر ، الحشف، التمر الجاف.

(٦٠) المذروبة الشرع: الرماح المشرعة.

ويضرب لذلك مثلا - أن جماعة من أهل الأدب تعصبوا لأبي نُواس ضد بشار، فقالوا: «أن أبا نواس أشعر من بشار» فرد الصولى عليهم ذلك، وعرفهم ماجهلوه من فضل بشار وتقدمه فى الشعر، وأنه رأس جميع المحدثين وأولهم.

وقامت المقارنات بين شعر الرجلين وبين معانيهما، فكان كلما ذكر أحدهم شيئا لأبي نواس، جاء الصولى بأصله فأفحمهم(٦١).

ولكن الصولى يرى أنه يمكن رفع الشاعر درجة أو أكثر على شاعر آخر، أو تفضيل غرض عنده على غرض لآخر.. أو معنى من معانيه على نفس المعانى عند غيره.

وفى هذا المجال يقارن بين فحول الشعراء الأمويين الثلاثة: الفرزدق وجرير والأخطل، من حيث معانيهم وأغراضهم وجودتهم الفنية ومقدرتهم الشعرية، فهو لا يقلل من شأن جرير أو الأخطل وأن يكن يرفع الفرزدق درجة عليهما، ويقدم الدليل على ذلك. ثم يقول: أنه ما رفعه إلا «لشرفه وقوة أسر كلامه وكثرة معانيه وجميل مذهبه.. ولأنه يتقدم عن الاثنين اللذين من طبقته فى شعره(٦٢)».

٥ - وفى سلسلة مقارنات الصولى النقدية - نراه يتعرض لمذهب الطبع والصنعة فى الشعر ويقارن بين شعراء المذهبين وأخص خصائصهم، وطريقتهم فى التعبير، ويحدد السمات البارزة لطريقة كل منهم فى النظم.

فتارة يقارن بين أبي تمام بوصفه إماما لمذهب الصنعة، وابن أبي عُيَيْنه المطبوع فيقول(٦٣):

«ولا أعلم شاعرين أشد تباينا ولا أبعد شبها من أبي تمام وابن أبي عُيَيْنه

(٦١) أخبار أبي تمام للصولى ص ١٤٢.
(٦٢) رسالة الصولى إلى مزاحم ص ١١.
(٦٣) أخبار البحترى للصولى ص ١٦٥.

المطبوع فإن أبا تمام يصنع الكلام ويخترعه ويتعب فى طلبه حتى يُبدع، ويستعير ويغرب فى كل بيت إن استطاع... ولا يسقط معناه البتة، وإنما يختل فى الوقت لفظه، فإذا استوى له اللفظ، فهو الجيد من شعره، النادر الذى لا يتعلق به.

وابن أبى عُيَينه لا يصنع من هذا شيئا، ويرسل نفسه فى شعره على سجيته، ويخرج كلامه مخرج نَفَسِه بغير كلفة... وربما اختل معناه، ولاَنَ لفظه للطبع.. »

وتارة أخرى يقارن الصولى بين أبى تمام وبين البحترى فيقول[٦٤]:

«إن شعر أبى تمام جيد لا يتعلق به أحد من أهل زمانه، وإن كان يختل فى بعض قصائده لفظه لا معناه... أما البحترى فلا يختل شعره لا فى لفظ ولا معنى إلا اختلالا قريبا».. ويضرب لذلك العديد من الأمثلة.

٢ - الدفاع عن أبى تمام ومذهبه الجديد

وعصر الصولى يعتبر العصر الذى بلغ الهجوم فيه على أبى تمام وشعره مداه. فقد خلف أبو تمام وراءه حملة واسعة من النقد، شنها عليه نقاد وشعراء، تناولوا شعره بالتحليل والنقد بما يتناسب مع هواهم وأفكارهم، وأخضعوا شعره لمقاييسهم فخرَّجوا أغلبه عن الأصول والقواعد الموضوعة والمتوارثة، رافضين تجديده ومذهبه الشعرى.

انبرى الصولى للدفاع عن أبى تمام ومذهبه الجديد فى الشعر فوجَّه سهام نقده إلى مهاجميه الجامدين، الواقفين عند حدود القديم، الذين يرفضون الجديد لا لشىء إلا لجدته، ولا يرضون عن القديم بديلا، لا لشىء إلا لِقِدمِهِ. وسفه أفكارهم وأظهر تزمتهم وجهلهم، ووصفهم بضيق الأفق، وقلة الدراسة والاطلاع، معللا ذلك بأنهم لم

(٦٤) أخبار أبى تمام للصولى ص ٦٧، أخبار البحترى للصولى ص ٥٧، الأغانى ١٨/١٦٨.

يسمعوا أشعاراً مثلها فى معانيها وصورها وأخيلتها، لذلك اعتبروها خروجا على الشعر العربى الموروث.

ولقد أظهر الصولى - فى دفاعه عن أبى تمام - أن المهاجمين له ولفنه صنفان:

١ - صنف جاهل[٦٥] ليس له غرض إلا أن يقرأ بعض القصائد ويحفظ بعض غريبها ويتعلم من النحو بعض المسائل، ثم يحضر مجالس الأدباء والنقاد، وهو لا يعرف سوى ما قرأه، حتى إذا وهم أحد من بالمجلس فى شىء أو نسيه رده وطار به، وظن أنه بهذا فوق هذا الناقد، وأعلم منه. ولعل هذا الأديب أو الناقد يحفظ ألفا من ذلك بل وأكثر، وأن هذا الجاهل. لو صدر بنفسه فى مسألة من المسائل ما أحسن فيها.

٢ - أما الصنف الثانى - فهم من أتباع المذهب القائل «خَالِفْ تُذْكَر»[٦٦] الذين يظنون أنهم بالطعن فى أبى تمام سيكتسبون شهرة وسيجتلبون معرفة.. فهذا الصنف - وهو خامل ساقط - يؤلف فى الطعن عليه كتبا، ويستغوى عليه قوما، ليعرف بأنه بخلاف الناس، وليتحدثوا عنه أنه ينتقص أبا تمام.

وبين الصولى - فى دفاعه عن أبى تمام - أن الشعراء قبله كانوا يبدعون فى بيت أو بيتين من القصيدة فيعتد بذلك لهم من أجل الاحسان حتى جاء أبو تمام - فأخذ نفسه - وسام طبعه أن يبدع فى أكثر شعره، «ولقد فعل ذلك ونبغ وظهر إحسانه فى معظم شعره[٦٧]».

ويقول صراحة[٦٨]: أن أبا تمام نابغة الزمان، وزعيم المجددين، وأن من يتبحَّر شعره، سيجد أن كلَّ محسنٍ بعده لَائِذ بِهِ، منتسب إليه فى كل إحسانه».

(٦٥) رسالة الصولى إلى مزاحم ص ١١.

(٦٦) رسالة الصولى إلى مزاحم ص ٢٨.

(٦٧) أخبار أبى تمام ص ٣٨.

(٦٨) أخبار أبى تمام للصولى ص ٧٦، تاريخ بغداد ١١٢/٧، ابن خلكان ٢٤٥/١.

ويدلل الصولى على علم أبي تمام بالشعر على اختلاف مذاهبه، فيقول إن أبا تمام برغم مذهبه الفنى الجديد، وتزعمه لمذهب الصنعة كان يتذوق الشعر المغاير لفنه، والمخالف لمذهبه ويعرف شعراءه. ويذكر أن أبا تمام حينما كان ينتخب أشعار المحدثين، مَرَّ بِهِ شعر محمد بن أبي عيينه المطبوع، فنظر فيه وقال: «هذا كله مختار» وهذا أدل دليل على علم أبي تمام بالشعر، لأن ابن أبي عيينه أبعد الناس شبها به، وذلك أنه يتكلم بطبعه، ولا يكِدّ فكره، ويخرج ألفاظه مخرج نَفَسِه، وأبو تمام يتعب نفسه ويكد طبعه، ويطيل فكره، ويعمل المعانى ويستنبطها، ولكنه قال هذا فى ابن أبي عيينه لعلمه بجيِّد الشعر أى نحوكان(٦٩).

وفى سلسلة دفاع الصولى عن أبي تمام ومعانيه وصوره، يتناول ما قاله أبو تمام فى المعانى التي قال فيها غيره من الشعراء، ويوضح مدى إجادته وتفوقه. ويقول إن شعر أبي تمام لا يفهمه إلا من أعمل فكره وخاطره وقلبه فيما يقرأه، وينعى على المهاجمين عدم فهمهم له وتكلمهم فيه بالجهل..

ويفرد لذلك أبحاثا أدبية فى شناعة أخطاء من يجهلون شعره(٧٠) ومعانيه، ويأخذ الكثير من معانيه ويحللها تحليلا جميلا، موضحا ما خفى على قلوبهم وعقولهم، مظهرا صدق تعبيره، ورجاحة عقله، وحسن تصرفه فى المعانى، وإتمامه لما قد يكون قد تنوول من قبل من المعانى القديمة..

يقول الصولى فى أحد هذه الأبحاث(٧١):

«ومن أعجب العجب، وأفظع المنكر أن قوما عابوا قوله:

كأن بنى نَبْهَانَ يومَ وَفَاتِهِ نجومُ سماءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِها البدرُ

---

(٦٩) أخبار أبي تمام ص ١١٨.

(٧٠) أخبار أبي تمام للصولى ص ١٣٨ وما بعدها.

(٧١) أخبار أبي تمام للصولى ص ١٢٥ ومابعدها.

فقالوا: أراد أن يمدحه فهجاه، كأن أهله كانوا خاملين بحياته، فلما مات أضاءوا بموته.. وقالوا: كان يجب أن يقول كما قال الخُرَيمىُّ.

إذَا قمرٌ منهم تَغَوَّرَ أو خَبَاَ   بَدَ قَمرٌ فى جانبِ الأفْقِ يَلْمَعُ

ولا أعرف لمن صح عقله، ونفذ فى علم من العلوم خاطره، عُذْرًا فى مثل هذا القول، ولا أعذُرْ من يسمعه فلا يرده عليه، اللهم إلا أن يكون يريد عيبه، والطعنَ عليه.

ولم يَعْرِض من يذهبُ هذا عليه، لعلم الشعر والكلام فى معانيه، وتمييز ألفاظه؟ ولعلَّه ظنَّ أن هذا العلم مما يقع لأفْطَنِ الناس وأذكاهم من غير تعليم وتعب شديد ولزومٍ لأهله طويل، فكيف لأَبْلَدِهم وأغباهم»؟

وليس من أجابه طبعه إلى فن من العلوم أو فَنَّين أجابه إلى غير ذلك، قد كان الخليلُ بن أحمد أذكى العرب والعجم فى وقته بإجماع أكثر الناس، فنفذ طبعه فى كل شىء تعاطاه، ثم شرع فى الكلام فتخلّفت قريحته، ووقع منه بعيدا، فأصحابه يحتجون عن شىء لَفِظَ به إلى الآن.

وليت شعرى متى جالس هؤلاء القوم من يحسن هذا أوأخذوا عنه ،وسمعوا قوله؟ أتراهم يظنون أن من فسر غريب قصيدة أو أقام إعرابها، أحسن أن يختار جيدها، ويعرف الوسط والدُّون منها، ويميز ألفاظها؟ وأى أئمتِهم كان يحسنه: ألذى يقول وهو يهجو الأصمعى بزعمه:

إنىِّ لأرفعُ نفسى اليوَم عن رجُلٍ   ما شكْلُهُ لِى شكْلُ بل هو النَّابِى

أو الذى يقول فى مجلس بعض أجلاء الكتاب، وقد حَلَّفه صاحب المجلس أن يُنْشده من شعره فاستعفاه، فلم يَزَلْ به إلى أن أنشده لنفسه:

مَنْ يشترىِ شيخًا بدِرْهَمَين   قـد شاخَ ثم دَرَّ مَـرَّتَيْنِ

ليس له سِوىَ ثَنِيَّتَينِ

فهذه أشعار أئمتهم، وما ظننت أن أحدا يتعلق بقليل الأدب يجهل هذا الذى عابوه على أبو تمام ولا أن الله عز وجل يحوجنى إلى تفسير مثله أبدا..

ثم يستشهد الصولى بمجموعة أشعار فى نفس المعنى، ويستشهد أيضا بأقوال النقاد والعلماء ثم يوضح معنى أبى تمام، فيقول: «فأراد أبوتمام تفضيله عليهم وإن كانوا أفاضل، وليس ضياء البدر يُذهب بالكواكب جملة، ولا ينقل طبعها ولكن المستضىء به أبصر من المستضىء بالكواكب فإذا فقد البدر إستضاء بهذه وهى دونه، فكأن أبا تمام قال:

إن ذهب البدر منهم، فقد بقيت منهم كواكب.

ويختم الصولى أبحاثه بقوله(٧٢): «ولولا الثقة بأن أشباه هذا تمر بهم فلا يعرفونها فإن تكلفوها تكلموا فيها بالجهل، لصعب على أن يفهم هذا غير أهله، ومن يستحق سماع مثله، وهذه كتب جماعتهم فمن مضى وغبر، هل نطقوا فيها بحرف من هذا قط، أو ادّعوه أو ادعاه مدع لهم، أو تعرضوا له... وفى هذا كفاية لمن خلع ثوب العصبية، وأنصف نفسه ونظر بعين عقله، وتأمل ما قُلْت بفكره، فإن القلب بذكرِهِ وتخيله أنظر من العين.

ويضرب الصولى مثلا على تعصب النقاد ضد أبى تمام، فيذكر أن أحدهم ذهب إلى ابن الأعرابى ليقرأ عليه أشعارا، وكان معجبا بشعر أبى تمام فقرأ عليه من أشعار هذيل.. ثم قرأ أرجوزة لأبى تمام على أنها لبعض شعراء هذيل حتى أتمها، فطلب منه ابن الأعرابى أن يكتبها له، وبعد أن كتبها سأله: – أحسنة هى ؟ فقال ابن الأعرابى: إنه ما سمع بأحسن منها..

فقال هذا: إنها لأبى تمام.. فما كان من ابن الأعرابى إلا أن قال: «خَرِّق ... خَرِّق»(٧٣) أى مزق.. مزق..

---

(٧٢) أخبار أبى تمام للصولى ص ١٣٦.

(٧٣) أخبار أبى تمام للصولى ص ١٨١.

ويقول الصولى: «وهذا يكثر جدا، ولكننى أتيت بشىء منه يدل على جميعه، ومثل هذا من ذوى الفضل والمتقدمين فى الصنائع - من جميع الناس - قبيح، وهو من العلماء أقبح».

ورغم هذا التعصب والهجوم الذى شنه بعض النقاد ضد أبى تمام.. يبين الصولى أنه كان دائما ميالا إلى إكتساب ودهم.. خاصة أولئك الذين يتبعون القديم ويرفضون التجديد.. فيخبرنا أن أبى تمام كان ينشد مدائحه أحد الأمراء، وجاء: إسحق بن إبراهيم الموصلى «مسلما.. فلما استؤذن له.. قال أبو تمام للأمير: حاجتى أيها الأمير أن تأمر اسحق أن يستمع بعض قصائدى فيك، فلما دخل قال له ذلك، فجلس وأنشد أبوتمام عدة قصائد. فأقبل اسحاق على أبى تمام وقال: «أنت شاعر مجيد، محسن كثير الاتكاء على نفسك» يريد أنه يعمل المعانى.. ثم يقول الصولى: وكان اسحق شديد العصبية للأوائل كثير الاتباع لهم[٧٤].

ويستشهد الصولى أيضا بقول المبرد - الذى عدل عن آرائه القديمة فى أبى تمام وشعره وأقر فنه وتجديده - يقول: ما سمعت أحسن من هذا قط، ما يهضم هذا الرجل حقه إلا أحد رجلين: إما جاهل بعلم الشعر ومعرفة الكلام.. وإما عالم يتبحر شعره، ولم يسمعه. ويقول الصولى - نقلا عن عبد الله بن المعتز - أن المبرد ما مات إلا وهو متنقل عن ما كان يقوله، مُقَرٌّ بفضل أبى تمام وإحسانه[٧٥].

وإذا كان الصولى قد دافع عن أبى تمام دفاعا قد يصل إلى حد التعصب، إلا أنه لم يكن تعصبًا أعمى، على غير سند يؤيده، أو دليل يدعم به آراءه، بل إنه كان يدافع بعقلية الرجل الواعى، الفاهم لما يقول المقدر لكل قدره.

ولقد أوضح الصولى أن من أكبر العوامل التى أشعلت نار الحقد والخصومة ضد

---

(٧٤) أخبار أبى تمام للصولى ص ٢٢١.

(٧٥) أخبار أبى تمام للصولى ص ٢٠٤.

ابى تمام: تعرض شعره للتحريف نتيجة لجهل الناس فى الرواية، وإبدالهم ألفاظا محل ألفاظ. فكان ذلك مدعاة لزيادة حد النقد عليه.

يقول – بعد أن صحح بعض الروايات وتحرى صدقها – «وإن أنصف من يقرأ هذا وأشباهه من تفسيرنا – عَلِمَ أَنَّ أَحَدًا لم يستقلّ بمثله، ولا عَلِمَ حقيقة الكلام كما علمناه إلا أن يتعلمه من هذه الجهة مُتَعَلِّمٌ ذكىٌّ فَهِمٌ فيبلغ فيه، وهذا دليل على حذق أبى تمام، وجهل الناس فى الرواية(٧٦)».

٣ – تحليل ألفاظ الشعراء ومعانيهم

وللصولى نظرات نقدية تتصل بألفاظ الشعراء ومعانيهم، كتب الصولى فيها أبحاثا قيمة وهذه النظرات والآراء نجدها مبثوثة فى معظم كتبه، كما نجدها فى كتب غيره من النقاد والأدباء يستشهدون بها ويوثقون كلامهم.

ونظرات الصولى هذه لم يقصرها على شعراء عصر دون عصر، بل شمل بها شعر جميع الشعراء الذين كان لهم شأن فى عصورهم.

فنراه يتعرض لذلك النقد الذى وجهه النابغة الذبيانى إلى حسان بن ثابت حين عرض عليه قصيدته التى يقول فيها:

(لنا الجفنات الغر....

طالبا منه تقييمها والحكم عليها.. فقال له النابغة:.. «أنت شاعر، ولكنك أَقْلَلْتَ أَجْفَانَك وأسيافك، وفخرت بمن وَلَدْتَ. ولم تفخر بمن ولَدَكَ».

(٧٦) أخبار أبى تمام للصولى ص ٢١٨.

يعلق الصولى على نقد الذبيانى فيقول[٧٧] :... «فانظر إلى هذا النقد الجليل، الذى يدل عليه نقاء كلام النابغة، وديباجة شعره، قال: أَقْلَلْتَ أسيافَك، لأنه قال: «وأسيافَنَا» وأسيافُ جمع لأَدني العدد، والكثير سُيُوف، والجفنات لأدنى العدد، والكثير جِفَانْ.. وقال: فخرتَ بمن وَلَدْتَ، لأنه قال: وَلَدْنا بنى العنقاء، وابنى مُحَرِّق. فترك الفخر بآبائه، وفخر بمن ولد نساؤه».

وحول تحليل ألفاظ الشعراء ومعانيهم، تناول الصولى قول الشعراء، وما إرتآه النقاد والعلماء وغيرهم، وفند أقوالهم ثم ذكر آراءه الشخصية.

من ذلك تحليله لألفاظ ومعانى أبى تمام والبحترى[٧٨] حول كرم الممدوح وبشره قال أبو تمام:

يستنزلُ الأملَ البعيدَ ببشرِهِ ... بشرى المخيلةِ بالربيعِ المُغْدقِ
وكذا السحائب قلما تدعو إلى ... معروفها الرواء ما لم تبرقِ

وقال البحترى فى نفس المعنى:

كانت بشاشتُك الأولى التى ابتدأت ... بالبشر ثم اقتبلنا بعدها النِّعماَ
كالمُزنة إسْتُوْبِقَتْ أُولى مَخِيلَتها ... ثم استهلت بغُزْرٍ تابع الدِّيماَ

يقول الصولى محللا ألفاظ الشاعرين ومعناهما: لقد تبع البحترى أبا تمام.. فأحتذى معانيه.. فجذبته المعانى، واضطرته إلى أن حكى لفظه فى هذا، فصار يشبه لفظ أبى تمام، ولفظ البحترى فى أكثر هذه «اسهل».. و«لا أعرف أحدًا بعد أبى تمام أشعر من البحترى، ولا أغض كلاما، ولا أحسن ديباجة، ولا أتم طبعاً.... فالبحترى «مستوى الشعر، حلو الألفاظ، مقبول الكلام[٧٩]»

---

(٧٧) الموشح للمرزبانى ص ٨٣.

(٧٨) أخبار أبى تمام ص ٧٥. وانظر أخبار البحترى ص ٦٠، الموشح للمرزبانى ص ٣٣١.

(٧٩) أخبار أبى تمام ص ٧٢، أخبار البحترى ص ١٤٨.

ويتناول الصولى أيضا ما قاله ابن الرومى حول ميلاد الطفل، وكيف أنه يخرج إلى الحياة باكيا، ويربط بين بكائه حين يولد وبين خوفه من الحياة[٨٠] ثم يذكر أن ابن الرومى اضطر إلى استخدام عدة ألفاظ للضرورة الشعرية، ثم يوضح ما جاء فى شعره من المعانى والألفاظ وأوزانها.

أما عن المعانى المستحدثة - التى اخترعها شعراء العصر - فطالما حللها الصولى مبينا موطن الجمال أو القبح. فإذا كانت قد استعملت من قبل تناول ذلك، وذكر الشاعر المتبوع مبينا مدى جودة التابع أو رداءته.

ولم يقتصر تحليل الصولى لألفاظ الشعراء ومعانيهم على الشعراء المحترفين ... بل تعدى ذلك ليشمل نقد وتحليل شعر الراضى بالله.

ففى غمرة الفرح بالانتصار على أعدائه، نظم الراضى أبياتا تعرض بها للذين ناؤوا الخلافة.. فقال[٨١]:

أَبَعْدَ ما قد حلبتُ الدهرَ أشطره ... محارباً لخطوبٍ حكمها جارى
وفَلَّقَتْ حِيَلِى هامَ الرجالِ أرى ... والغيب يُخْمِدُ ما اذكيــتُ من نارِ
صَممْــتُ عــن صبواتٍ يستجيبُ لها ... نَــاسٌ بأوتـارِ لهوٍ ثـأر أوتـارِ
ومَلَّ لَذَّاتِ لهوىِ جيشُ عارفتى ... وَقلَّمَ العَزْمُ منِّى نَقْرَ أوتـارى
حتى رَحَضْتُ بتحريضى العَدُوَّ علَىَ ... قَتْلِ العَدُوِّ ثيَابَ الذُّلِّ والعارِ
كَذَاكَ مَنْ تُنْهِضُ الساداتُ هِمَّتَهُ ... لَا يُغْمِضُ العَيْنَ مَغْلُوباً علىَ ثارِ

فنرى الصولى يحلل هذه الأبيات وينقدها.. ويقول للراضى: «إن فيها شيئا يجب تغييره، قال الراضى: ما هو؟.. قال قولك:

حتى رحضت بتحريض العدو على ... قتل العدو....

---

(٨٠) زهر الآداب للحصرى ١٩٦/٣.

(٨١) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٥١.

اجعله..

بتحريضى الولى على .. قتل العدو

فقال الراضى:

صدقت والله.. خرج الكلام على ما فى نفسى، فغيّره..

٤ - هجوم الصولى على النقاد المتعصبين

ولقد أدى تجديد الشعراء المحدثين لألفاظهم ومعانيهم واستحداثهم للصور والأخيلة التى تناسب معيشتهم وحضارتهم، إلى انقسام النقاد من معاصريه أمام هذا التجديد إلى فريقين: كلاهما يتسائل: هل ما استحدثه الشعراء تجديد حقا؟ أم هو تبديد وخروج عن المألوف والمتوارث.

وهل من حق الشاعر أن يجدد فى أسلوبه وصياغته؟..

أم إنه لابد وأن يلتزم بعمود الشعر القديم والمتعارف عليه.. فنرى النقاد ينقسمون إلى قسمين:

- قسم ينصر هذا التجديد فى الفن الشعرى وفى التصوير والتنميق.
- وقسم ينكره ويخذله، وينعى عليه إسرافه فى البديع والزخرفة..

ويعتبر هذا الأسلوب المستحدث دخيلا على المجتمع الأدبى.

فأما من تعصب للشعر القديم وطريقة القدماء، فقد كرهوا التجديد وشعر المحدثين ووصفوه بأنه خروج على طريقة السلف، وعلى عمود الشعر العربى الموروث.

وأما من تذوق الشعر الجديد، ومرن ذوقه وعقله، واستساغ هذا الفن وأحسن

تجديده وفهم أخيلته وصياغته وتعبيراته الفلسفية، فقد أعجب بشعر المجددين وشاعريتهم وخاصة من عمق فكرة وبُعْد خياله واتسعت ثقافته، وأنير عقله من أمثال الصولى فنراه يتصدى لهؤلاء النقاد المتزمتين، المهاجمين للتجديد رافضا مبدأ التعصب سواء للقديم أو للحديث. قائلا إن الجودة الفنية ومقدرة الشعراء هى الفيصل فى الحكم على الشعر وليس القدم أو الحداثة، فقد نبغ شعراء أوائل وسقط شعراء غيرهم..

ويعلل الصولى تعصب النقاد للقديم(٨٢) بأنهم «لم يجدوا فى شعر المحدثين مُنْذ عهد بشار أئمةً كأئمتهم، ولا رُواةً كرواتِهم، الذين تجتمع فيهم شرائطُهم، ولم يعرفوا ما كان يضبُطُه ويقوم به، وقصَّروا فيه، فجهلوه فعادَوُه، كما قال الله جل وعز ﴿بل كَذَّبوا بِمَا لَمْ يُحيطوا بِعِلْمِهِ(٨٣)﴾ وكما قيل: الانسان عدوٌّ ما جهل: ومن جهل شيئا عاداه، وفرَّ العالمُ منهم من قوله إذا سُئل أن يُقْرَأ عليه شعرُ بشار وأبى نُواس ومسلم وأبى تمام وغيرهم، من لا أُحْسِنُ إلى الطعن، وخاصة على أبى تمام لأنه أقربهم عهدًا وأصعبهم شعرا، وكيف لا يفر إلى هذا من يقول: اقرءوا عَلَيّ شعر الأوائل، حتى إذا سُئل عن شىء من أشعار هؤلاء جَهِلَه، وإلى أى شىء يلجأ إلا إلى الطعن على ما لم يعرفه، ولو أنصف لتعلم هذا من أهله كما تعلم غيره فكان، متقدما فى علمه، إذ كان التعلم غير محظورٍ.. على أحد ولا مخصوص به أحد».

ثم ينعى الصولى عليهم جمودهم وتعصبهم وميلهم للطعن دون ما تمحيص أو فهم أو دراسة معتقدين أن الطعن على الناس وسيلة لرفعتهم وإبراز علمهم.

فيقول أنه رأى أكثر المشتغلين بالأدب يختلفون عما عهده على القدماء الماضيين الذين يتسمون بالأستاذية.. «يطلب الرجل منهم فنا من فنون الآداب، فيقسم له حظ فيه وينال درجة منه، فلا يرى أن اسم العالم يتم له، ولا أن الرياسة تنجذب

(٨٢) أخبار أبى تمام للصولى ص ١٤.

(٨٣) سورة يونس (٣٩).

إليه إلا بالطعن على العلماء، والوضع من ماضيهم، والاستحقار لباقيهم، ويكثر ذاك على لسانه حتى يكون أجل فوائده، وأكثر ما يمر فى مجلسه[٨٤]».

ويصف الصولى أكثرهم بأنهم سطحيون لا يتعمقون فى العلم أو فى الأدب، لم يجد عندهم إلا القشور، ليس غرض الواحد منهم إلا أن يقرأ قصائد، ويحفظ بعض غريبها، ويتعلم من النحو مسائل، وينظر من اللغة فى كتاب، ثم يحضر المجالس غير مستزيد، ولا مستفيد، فإن وهم صاحب المجلس فى شيء أو نسيه، اختلسه وطار به وظن أنه – إذا حفظ بيتا من الشعر، أو معنى من المعانى لم يحفظه صاحب المجلس فوقه وأعلم منه، ولعل صاحب المجلس يحفظ ألفا مثل ذلك، ولو صُدِّر هذا الجاهل بنفسه، ثم سئل عن ألف مسألة فيها المتصدِّر كلها، ما أحسن أن يجيب فى مسألة واحدة منها[٨٥]».

ويدعو الصولى العلماء إلى البحث والتحليل، والتعمق فى الدراسة والاطلاع على علوم الأولين والمحدثين والأخذ عن الأساتذة المشهورين، حتى يثقفوا أنفسهم ويكمل كل منهم النقص فى الجانب الذى يجهله، وبذلك يستطيع المرء منهم الحكم على الشعراء، وتمييز ألفاظهم والحكم بالجيد أو الرديء لهم، فيكون عالما بالكلام منظومه ومنثوره، قادرا على معرفة الأشياء التى تطلب منه، حافظا لمآخذ الشعراء، «وإنما أجريت هذا لئلا يجسر على الحكم على الشعراء، وتمييز ألفاظهم والحكم بالجيد والرديء لهم، من لم يكن أعلم الناس بالكلام منظومه ومنثوره، وأقدر الناس على شيء متى أراده منه، وأحفظهم لأخذ الشعراء وأعلمهم بمغازيهم ومقصدهم... فأما من لا يحسن أن يعمل بيتا جيدا، ولا يكتب رقعة بليغة، ولا ينال حفظه ما قالته الشعراء فى عشرة معان من عشرة آلاف معنى قد قالت فيه، فكيف يجسر على إدعاءه هذا، وكيف يُسَوِّغُه إياه من سمعه منه[٨٦]».

(٨٤) أخبار أبي تمام ص ٦.

(٨٥) رسالة الصولى إلى مزاحم ص ١١.

(٨٦) أخبار أبي تمام للصولى ص ٣٨.

٥ - السرقــات

وقد شغل موضوع السرقات معظم النقاد فى عصر الصولى وما بعده، حتى لقد كان شغلهم الشاغل أن يذكروا من أ ين أخذ هذا الشاعر معناه، ومن سبقه إليه، ومن منهم أجاد، الشاعر التابع أو المتبوع.

ولعل السبب فى ذلك أن الشعر العربى بعد أن وصل الذروة الفنية فى العصر العباسى على يد كبار الشعراء.. جمد واتخذ صورة ثابتة لا تتحول، محورها الموضوعات القديمة، والمعانى القديمة حتى إذا وصلنا إلى أخريات عصر الصولى فى القرن الرابع الهجرى، نجد أن الشعر العربى قد ارتبط بصور ثابتة وبمعان متكررة.

ويعلل بعض الباحثين المحدثين(٨٧) أن السبب فى هذه الظاهرة، يرجع إلى أن العرب لم ينحوا فى شعرهم نحوا فلسفيا أو علميا، لأنهم لم يطلعوا على شىء من الأدب اليونانى، فاستمروا يعيشون فى شعرهم معيشة داخلية فيها نوع من القصور الذاتى.. وخيل إليهم أنهم ليسوا فى حاجة إلى مدد من الخارج فحسبهم ما فى شعرهم من جمال على أن هذا الجمال سرعان ما أصابه الجمود فى القرن الرابع وما بعده فلم ينوع الشعراء أفكارهم، بل لجأوا إلى ألوان غريبة كالمبالغة واستعاروا بعض الألفاظ من الثقافات دون أن ينوعوا موضوعاتهم فى معانيهم.

جمع عصر الصولى بين العديد من فحول الشعراء، كان أهمهم فى نظر النقاد أبو تمام والبحترى: فساعد وجودهما وما حولها من مناقشات ومقارنات. على تنشيط حركة النقد التى شغلت نقاد القرن الثالث جميعا وما بعده، وخلفت لنا ذخيرة نادرة، فى النقد الأدبى، وثروة لم نظفر بمثلها فى أى عصر من عصور الأدب السابقة.

---

(٨٧) الدكتور شوقى ضيف - الفن ومذاهبه فى الشعر ص ٢٩٢.

ولاشك أن ظهور البحترى بعد أبى تمام، وتناوله لأغراضه ومعانيه، جعل النقاد يقارنون بين الشاعرين، وطريقتهما فى التعبير، وبين مذهبيهما، وبين صياغتهما ومعانيهما.. ما الذى أحسن فيه أبو تمام؟ من أين أخذ هذا المعنى؟ وهل أجاد أم اختل.. وما الذى سرقه البحترى منه.. وأيهما أشعر.. وأيهما أطبع.. وما يمتاز به شعر كل منهما.

وانقسم النقاد إلى قسمين: تشيع قوم منهم للبحترى.. وناصر قوم أبا تمام.. وخرج النقاد يقارنون ويوازنون بين الطائيين، فمنهم من تعصب لطبع البحترى وشعره وصياغته ومعانيه وموسيقية ألفاظه.. وفى نفس الوقت ينتقد صنعة أبى تمام وينكر عليه تجديده وتفلسفه وإغرابه.. ومنهم من تعصب لأبى تمام وفنه وصناعته، وما أحدثه فى فن الشعر من تجديد.

تناول الصولى موضوع السرقات بين الشاعرين الكبيرين، فأظهر أن البحترى تابع لأبى تمام، لائذ به، متمثل بمعانيه، سائر على هديه، آخذ منه، وضرب لذلك المثل تلو المثل، مستشهدا بكثير من الأشعار التى تثبت قوله.. من ذلك قول أبى تمام[٨٨].

إِذَا القصائدُ كانت من مدائِحِهِمْ يوما فأَنْتَ لعمرى من مدائِحِهاَ

أخذه البحترى فقال:

ومنْ يكن فاخِراً بالشعر يُذكر فى أصنافِهِ، فبـك الأَشْعَارُ تَفْتَخِـرُ

وقال أبو تمام:

وإِذَا أرادَ اللهُ نشرَ فضيلةٍ طُويت أتاح لها لسان حَسُودِ

فأخذه البحترى فقال:

ولن تستبين الدهر مَوْضِعَ نعمةٍ إِذَا أنت لم تُدْلِلْ عليها بحَاسِدِ

(٨٨) أخبار أبى تمام للصولى ص ٧٦ وما بعدها.

ويبين الصولى بما لا يدعو مجالا إلى الشك، وبطريقة عملية أن البحترى لم يتبع أبا تمام فى معانيه فحسب، بل أنه يستعير أيضا كثيرا من ألفاظه، حتى صار طبعه - فى بعض الأحيان - تكلفا وسهلهُ صعبا[٨٩].

وسرقات الشعراء وأخذهم معانى بعضهم البعض - على مختلف العصور - اعترف به القدماء والمحدثون جميعا. وهذا ما جعل الصولى يتناول هذا الموضوع. فيدافع عن الشعراء المحدثين.

والحقيقة.. أن الصولى كان أكثر النقاد إنصافا للمحدثين، فهو لم ينف عنهم تهمة السرقة والتبعية للأوائل.. بل اعترف أن المحدثين يسيرون بريح القدماء آخذين معانيهم مضمنين لها فى أشعارهم يصبون على قوالبهم، وأن لهم السبق بحق الاختراع والابتداء والطبع[٩٠]» .

ولكنه يقرر أيضا أن المحدثين إذا كانوا قد استعملوا معانى القدماء وأحيانا أفكارهم وصورهم، إلا أنه وجد فى شعر المحدثين معانى لم يتكلم القدماء بها، ومعانى أومأوا إليها، فأتى بها هؤلاء المحدثون فأحسنوا فيها علاوة على أن شعرهم - بمعانيه القديمة والحديثة - طوعوه لكى يتناسب مع الزمان والحضارة من حيث المعانى البديعة والألفاظ السهلة القريبة، والكلام العذب الرقيق. لذلك كان الناس له أكثر استعمالا فى مجالسهم وكتبهم وتمثلهم ومطالبهم[٩١].

فالصولى وإن كان لا ينفى تهمة السرقة عن المحدثين، إلا أنه دائما يربطها، بالتجديد ويذكر أهم ما تواضع عليه النقاد والعالمون بالشعر فى عصره وهو: أن الشاعر متى أخذ معنى قديما فطوره ونقحه وزاد عليه ووشحه بالبديع، فظهر تام

---

(٨٩) أخبار أبى تمام للصولى ص ٧٥.

(٩٠) أخبار أبى تمام للصولى ص ١٦.

(٩١) أخبار أبى تمام للصولى ص ١٧.

المعنى... كان أحق به[٩٢].

ويضرب لذلك مثلا بقول أوس بن حجر[٩٣].

أقول بما صَبَّتْ عَلَيّ غَمَامَتِي ... وجُهْدِى فى حَبْلِ العشيرة أَحْطَبُ

وكيف أن أبا تمام أخذ هذا المعنى، وطبعه بطابعه، وأخرجه مخرجا حسنا فكان به أحق من أوس بن حجر فقال:

فَلَوْ كانَ يَفْنَىَ الشّعرُ أَفْنَتْهُ ما قَرَتْ ... حياضُكَ منه فى العُصُورِ الذَّواهبِ

ولكن صَوْب العُقُول إذا إنْثَنَتْ ... سَحَائبُ منها أُعْقِبَتْ بِسَحَائِبِ

ويذكر الصولى حكم النقاد والعلماء فى قضية السرقات فيقول[٩٤]:

«حكم النقاد للشعر، العلماء به، قد مضى بأن الشاعرين إذا تعاورا معنى ولفظا أو جمعاهما، أن يُجْعَلَ السَّبقُ لأقدمهما سنا، وأولهما موتا، وينسب الأخذ إلى المتأخر لأن الأكثر كذا يقع..

وإن كانا فى عصر، أُلْحِقَ بأشبههما به كلاما..

فإن أشكل ذلك.. تركوه لهما. »

ولقد أفرد الصولى لمبحث السرقات أكثر من بحث، وتحدث عنها فى أكثر من مجال، حتى ليمكن القول أنه لم يترك شاعرا من الشعراء الذين تناول شعرهم إلا ووجد فى شعره أكثر من معنى مأخوذ من شاعر آخر قديم أو معاصر.

فنرى الصولى - وهو عليم بالشعر، ذواق له قادر على تقييمه وتحليله، وإبراز مواطن الجمال والقبح فيه - يتعرض لهذا الموضوع من النقد، ويقف حكما لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، خصوصا حين يدعى شاعر أن آخر سرق معانيه، فنراه

(٩٢) أخبار أبي تمام للصولى ص ٤٦.

(٩٣) أخبار أبي تمام للصولى ص ٥٤.

(٩٤) أخبار أبي تمام للصولى ص ١٠٠-١٠١.

ينصب نفسه حكما، يحقق ويدقق ويقيم ثم يقول رأيه فى هذا الموضوع.

والأمثلة على ذلك كثيرة متعددة، من ذلك: ما تحدث به دعبل الخزاعى فى أحد المجالس عن أبى تمام واتهامه له بأنه سرق معانيه، وحدد ذلك بمعانيه التى ضمنها أبياته(٩٥):

إن امرءًا أسدى إلىَّ بشافعٍ إليه يرجو الشكر منِّى لأحمقُ
شفيعُك فاشكر فى الحوائجِ إنَّه يَصُونُك عن مكروها وهو يُخْلِقُ

فيقول إن أبا تمام أخذها وصاغ معانيها فقال:

فلقيت بين يديك حُلْو عَطائِه ولقيتَ بين يَدىَّ مُرَّ سُؤَالِهِ
وإذا امرؤٌ أَسْدَى إلىّ صنيعةً من جَاهِهِ فكأنها من مالِهِ

فما كان من أحد السامعين أن قال: أحسنَ والله..، والله لئن كان أخذ هذا المعنى وتبعته فما أحسنت، وإن كان أخذه منك، فقد أجاد، فصار أولى به منك.

ويأتى الصولى بالقول الفصل فيقول: «إن شعر أبى تمام أجود، لأنه مبتدئا ومتبعا أحق بالمعنى.

ولقد حرص الصولى دائما – فى ترجمته للشعراء المحدثين على أن يذكر من أين استقى هذا الشاعر معناه، ومن الذى سبقه إلى ذلك، وحرص أيضا على إيراد الشعر الأصلى الذى استقِىَ منه المعنى.

من ذلك – الشعر الذى رواه الصولى لأحمد بن يوسف، فى تعزية صديق له ماتت ببغاؤه، وكان له أخ متخلف عقليا يدعى عبد الحميد. قال أحمد بن يوسف(٩٦):

---

(٩٥) أخبار أبى تمام للصولى ص ٦٤.

(٩٦) أخبار الشعراء للصولى ص ٢٢٢-٢٢٣.

أنتَ تبقى ونحن طُرًّا فداكا   أحسنَ الله ذُو الجلالِ عَزَاكَا
فلقد جلّ خطبُ دهرٍ أتانا   بمقاديرَ أتلفتْ بَبَّغَاكَا
عجبا للمنون كيف أتتها   وتَخَطَّتْ عبدَالحميد أخاكَا
كان عبدالحميد أصلح للموْ   ت من الببغا وأولى بذَاكَا
شملتنا المصيبتان جميعا   فقدنا هذِهِ ورؤية ذاكَا

يقول الصولى: وإنما أخذه أحمد بن يوسف من قول أبى نواس، وزاد فى المعنى إرادة وكراهية.. قال أبو نواس: لما مات الرشيد وقام الفضل بن الربيع يعزى الأمين:

تَعَزَّ أبا العباس عَن خير هَالِكٍ   بأكرم حىّ كان أو هو كائنُ
حوادث أيام تدور صروفها   لهن مساوئ مرة ومحاسنُ
وفا الحى بالميت الذى غيب الثرى   فلا أنتَ مغبون ولا الموت غابنُ

ويقول الصولى أيضا: ومن ههنا أخذ ابن بسام قوله لعبيد الله بن سليمان، لما مات ابنه الحسن وبقى القاسم:

قل لأبى القاسم المُرَزَّى   قابلك الدَّهْرُ بالعجائبِ
مات لك ابنٌ وكان زيناً   وعاش ذو النقصِ والمعائبِ
حياة هذا كموت هذا   فلستَ تخلو من المصائبِ

ولم يقصر الصولى مبحثه فى السرقات على الشعراء المحدثين وحدهم، بل امتد به عبر القرون ليتناول معانى الجاهليين والاسلاميين، وكيف أنها استغلت لدى جميع الشعراء التالين لهم: يقول الصولى(٩٧) قال الأعشى:

أربحىٌّ صَلْتٌ يَظَلُّ له القو   مُ قياماً قيامَهُمْ للهلالِ

---

(٩٧) الموشح للمرزبانى ص ٢٨٥.

فأخذه الفرزدق فقال فى سعيد بن العاص:

تَرَى الغُرَّ الجَحَاجِحَ[٩٨] مِنْ قريش إذَا الأَمْر فى الحَدثانِ عَالاَ
قيامًا ينظرون إلى سعيدٍ كأنهم يَرَوْنَ به هِلاَلاَ

فأخذ هذا ذو الرُّمة فمسخه ومضغه وتكلفه، فقال بمدح بلال بن أبى بردة ولم يكن له حظٌ فى المدح:

كأنَّ الناس حين يُمُرُّ حتى عواتقُ[٩٩] لم تكن تَدَعُ الحِجَالاَ[١٠٠]
قيامًا ينظرون إلى بلالٍ رِفَاقُ الحىِّ أبصرت الهلالاَ[١٠١]

ويبين الصولى كيف كانت المعانى تتداول بين الشعراء فيذكر فى مجال الاعتذار قول سلم الخاسر يعتذر إلى المهدى[١٠٢].

إنى أعُوذُ بخيرِ الناس كُلِّهم وأنتَ ذاك بما تَأْتى وتَجْتَنِبُ
وأنتَ كالدَّهرِ مبثوثا حبائلُهُ والدَّهرُ لاَ مَلْجَأُ مِنه ولا هَرَبُ
ولو ملكْتُ عِنَانَ الريحِ أُصْرِفُه فى كل ناحيةٍ مافَاتَك الطَّلَبُ

فيقول الصولى: إن قول سلم الخاسر «ولو ملكت عنان الريح» مأخوذ من قول الفرزدق للحجاج:

ولو حَمَلَتْنِى الريحُ ثم طَلَبْتَنِى لكنتُ كشىءٍ أَدْرَكَتْهُ مقادِرُه

وأن قول سلم «وأنت كالدهر» مأخوذ أيضا من قول الأخطل:

وإن أميرَ المؤمنين وَفِعْلِهِ لكا لدَّهْرِ لا عارُ بما فَعلَ الدَّهْرُ

---

(٩٨) الجحاجح: السادة الكرام.

(٩٩) العواتق مفردها عاتق. والعاتق: الجارية البكر فى بيت أبويها.

(١٠٠) الحجال: بيت تستتر فيه الفتاة.

(١٠١) فى الديوان (رفاق الحج). وكلمة رفاق خبر كأن فى البيت الأول.

(١٠٢) أخبار أبى تمام ص ١٩-٢٢

بعد هذه النظرة الإجمالية على آراء الصولى النقدية، نستطيع أن نصل إلى أهم ما يمتاز به فى تحليله للشعر ونقده: أنه يدعم الفكرة عنده بأدلة مأخوذة من الواقع الملموس، الواضح بين يديه، كما فى حديثه عن ألفاظ القدماء والمحدثين وأن له حاسة خارقة، قادرة على تذوق الشعر وفهمه، وتمييز الجيد من الردىء وتمييز الشعر المطبوع من المصنوع.. يتضح ذلك من آرائه ومقارناته بين أبى تمام وابن أبى عيينه.

ومن آرائه النقدية نستطيع أن نلمس أن للصولى يدا باسطة فى نقد الشعر، ونظرا ثاقبا فى تقدير مراتب الشعراء الجاهليين والإسلاميين والمحدثين.. وقد أهلته مكانته الأدبية وآراؤه النقدية، أن يكون له رأى فى تقييم الأشعار والمدائح التى كانت تنشد فى مجالس الخلفاء والوزراء، يعقب عليها تعقيب الخبير فيوثقها أو يعللها، وتعقيباته تشهد بعلو كعبه فى الأدب والنقد، كما تشهد باطلاعه الواسع، وذوقه الرائع، وهو لا يسرد أحكامه فى النقد جزافا، بل يوضح ويشرح ويعلل، مما ساعد على ارساء قواعد سليمة وواضحة فى النقد الأدبى.

وللصولى استقلال فكرى ومقدرة فنية على تحليل الشعر، يظهر فى تقييمه لكل شعر يقرأه، وفى كل شاعر يذكره أو يترجم له، بصرف النظر عن مكانته فى عصره، وبين معاصريه، بل أنه قلما يترجم لشاعر إلا ويذكر رأيه فيه، وفى فنيته ومذهبه الشعرى وطبقته، كما أن تفضيله لبعض الشعراء لم يمنعه من أن يقول رأيه فيما أخذه عليهم ويذكر هناتهم وسقطاتهم.

وكثير ما يرجع الصولى معانى المحدثين إلى القدماء، سواء كانوا جاهليين أو إسلاميين. وإذا قارن بين شاعرين محدثين تصارعا من أجل معنى، واتهما كل منهما الآخر بالسرقة – كما فعل دعبل وأبوتمام – نراه يحلل المعنى، ويذكر من الاجود، ومن الأحق بنسبة المعنى إليه. وكان لذوقه وحاسته الفنية أثر كبير فيما يصدره من أحكام حول الشعر والشعراء.

وهو لم ينظر إلى الشاعر المتقدم بعين الجلالة لتقدمه، ولا إلى المتأخر بعين الاحتقار لتأخره، بل نظر إلى كل شاعر حسب شعره، وتفوقه فى فنه، دون نظر إلى أنه قديم أو محدث، لذلك كان حكمه دائما بين الشعرين والمنهجين، لا بين عصرى الشاعرين، فنراه يثنى على المحدث إذا اجاد، ويذم القديم إذا اساء أو العكس... فجودة الشعر أو رداءته هما الفيصل فى الحكم بين الشاعرين، بصرف النظر عن عصريهما.

ويرى الصولى أن الشعراء على اختلاف عصورهم ومذاهبهم الشعرية - ليس هناك شاعر أشعر الناس طرًا أو شاعر أشعر من الآخر... بل إن لكلٍّ ملكته، ولكلٍّ مقدرته ولكلٍّ فنه الذى يجيده ويحذقه، فبعضهم قد ينبغ فى غرض من الأغراض، ويقصر فى آخر تبعا لنزوعه وميوله، لذلك نراه يرفض مبدأ سرد الأحكام العامة.. كما يرفض فكرة التعصب لشاعر على آخر.. أو عصر على عصر، أو مذهب على مذهب.. ويضع كل شاعر فى طبقته التى هو أهل لها بشاعريته، بصرف النظر عن عصره أو مذهبه الفنى.

ولاشك أن من أكبر أفضال الصولى: دفاعه عن الشعراء المحدثين، وما أتوا به فى مجال الشعر من تجديد فى المعانى وتطوير فى الأفكار والتشبيهات، وما استحدثوه من الالفاظ، فقد أنصف الصولى الشعراء المحدثين من طغيان التعصب القديم، فوقف وقوفا حسنا على العناصر الجديدة التى ظهرت فى الشعر المحدث، وبين جمالها وأثرها فى النفس، فكان الصولى - بهذه التحليلات والنظرات النقدية - حلقة اتصال بين منهجين ومذهبين فى الشعر: المنهج القديم والمنهج الحديث.. ومذهب الطبع ومذهب الصنعة..

ولقد أضاء لنا منهج الصولى فى النقد: بعض الجوانب الغامضة فى الحياة الأدبية والنقدية فى عصره، وبين لنا بعض المناهج الفنية السائدة وقتئذ، وأطلعنا على طريقة

فهم القدماء للشعر وتذوقه ونقده، وأظهر لنا فى وضوح صورا للمجالس الأدبية والعلمية، وقدم لنا نماذج من المناقشات والمناظرات التى توضح تذوق القوم للشعر ومناقشتهم للمعانى وتداول الآراء وسرد الأحكام. كما بين أنواع العلاقات التى كانت قائمة بين الشعراء وممدوحيهم، وبينهم وبين النقاد. كما أرخ لأوليات النقد ومعاركه الكبرى التى قامت بين أنصار مذهبى الطبع والصنعة - والتى أصبح النقد معها - كما يقول المرحوم الدكتور مندور - منهجيا عند العرب(١٠٣).

ولقد أبرزت دراسة النقد عند الصولى بعض الجوانب الفنية عنده:

أبرزت أولا: مزاجه الخاص.. فهو يحب الشعر المتقن، الذى يوافق مذهبه، فيحوى المعانى البعيدة، والأفكار العميقة، والذى لا يصدر عن الشاعر إلا بعد إتقان واتكاء على نفس، وإعمال للفكر كشعر أبى تمام وأمثاله.. وإن كان لا يرفض الشعر الوافر الرونق، الموسيقى الألفاظ، العذب الإيقاع كشعر البحترى وأضرابه

وأبرزت ثانيا منهجه فى النقد: الذى يتجلى بوضوح فى اعتماده على النقد التطبيقى العملى، القائم على التحليل والموازنات والمقارنات، وإرجاع معانى الشعراء إلى أصلها الأول الذى منه استرقت وتفرعت.

وعموما فموازنات الصولى ومقارناته أقامها على أسس كشف عنها من خلال تقييمه وحكمه وهى:

أولا: الجودة الفنية.

ثانيا: قوة التعبير ومتانة الألفاظ وجزالتها.

ثالثا: ما تناوله الشاعر من معان جديدة أومعان قديمة فتممها وأكملها، وأيضا ماتناوله من أغراض.

---

(١٠٣) النقد المنهجى عند العرب - الدكتور محمد مندور ص ٠

رابعا: كثرة ما انتجته قريحة الشاعر من أشعار.

خامسا: المذهب الفنى للشاعر، من حيث الطبع أو الصنعة.

وتبرز قيمة الصولى أيضا فى النقد، من جمعه لمختارات الشعر، وما جمع المختارات الشعرية إلا دليلا على ذوقه الأدبى، وحسن فهمه وتقديره للشعراء ومراتبهم، ومقدرتهم فى قرض الشعر - وبالتالى فهى من صميم النقد الأدبى.

وقد اعترف بمكانة الصولى الأدبية والنقدية علماء عصره جميعا، فذكروا أنه كان عالما بالشعر ونقده عارفا بطبقات الشعراء،

كما أكثر النقاد التالين من تلاميذه، من الأخذ عنه، والنقل منه، والاستشهاد بآرائه ونظراته وتعليقاته، وهاهو المرزبانى، قد جمع مئات الآراء والنظرات والتعقيبات عنه فى الشعر ونقده، وفى الشعراء ومذاهبهم، فرصّع موشحه بآراء الصولى النقدية حتى لقد قال بعض النقاد المعاصرين «كأن الموشح من عمل الصولى نفسه»(١٠٤)

---

(١٠٤) عبارة المستشرق. ج. هيورث. دن. مقدمة أخبار الشعراء للصولى الصفحة (ك).

الفصل الثالث

الأدب التعليمى

انتشر نتيجة لتطور الحضارة وارتقاء الثقافة وتنوع العلوم والفنون وإزدهار الآداب نوع جديد من الأدب.. وضح فى الشعر وفى النثر.. هو الأدب التعليمى.

وجد مثل هذا النوع من الأدب عند الصولى، وكان ذا شقين:

(أ) شق يتصل.. بتعليم قرض الشعر، وقوله وهو الشعر التعليمى.

(ب) وشق آخر يتصل.. بتعليم النثر عامة والكتابة الديوانية خاصة وهو أدب الكتاب.

أولا: تعليم قرض الشعر

ارتقى العقل العربى، فارتقى العلم وتنوعت فنونه، وانتشر فى مجال الآداب نوع جديد من الشعر يقصد به التعليم ونشر المعرفة، واتجه الشعراء نتيجة لرقى العقل والعلم إلى صوغ بعض العلوم والمعارف شعرا مما هيأ لظهور الشعر التعليمى.

وكان من أوائل من نفذوا بشعرهم إلى هذا الفن «أبان بن عبد الحميد» فقد ترجم كليلة ودمنة شعرا للبرامكة فى أربعة عشر ألف بيت[1]، وهو لم ينظم كليلة ودمنة فقط، بل نظم فى التاريخ وفى الفقه - فى أحكام الصوم والزكاة - ونظم فى

(١) الأوراق - قسم أخبار الشعراء للصولى ص ٣.

نشأة الكون وعلم المنطق فكان أبان أسبق شاعر فى إخراج الشعر العربى من المجال الغنائى إلى المجال التعليمى.

ثم تبعه أبو العتاهية فنظم مزدوجته الطويلة «ذات الأمثال» التى يقال إنها كانت فى أربعة آلاف بيت كلها حكم وأمثال.. ثم تبعهم شعراء كثيرون تناولوا النظم فى الشعر بقصد التعليم والتثقيف.

والشعر التعليمى - عند الصولى - يختلف عما عند غيره من الشعراء السابقين فقد نظمه الصولى لا فى تعليم العلوم ونشر الثقافات كما فعل أبان وغيره، بل فى تعليم قرض الشعر وقوله، بما كان ينظمه من مقطوعات شعرية فى معنى معين وبوزن مناسب وبقافية مختارة، ثم يتبعه فى ذلك تلميذ له فينظم مقطوعة مماثلة محاكيا إياه مقلدًا، ناهجا نفس منهجه، مقتبسا نفس معناه، ناظما فى نفس الوزن وبنفس القافية.

والصولى لم يكن يعلم أفرادا عاديين - قرض الشعر - بل كان يعلم أمراء لهم شأن، من هؤلاء الأميران محمد بن المقتدر بالله - الذى صار فيما بعد خليفة للمسلمين وتسمى الراضى بالله - وهارون أخوه. كان يعلمها - إلى جانب علوم الدين واللغة والأخبار والتاريخ - نظم الشعر وقوله. ولما كان الراضى بالله لديه الموهبة أصلا، فكانت هذه الموهبة تحتاج إلى إتساع الأفق واستيعاب أغراض الشعر عند الشعراء فى المناسبات المختلفة، وما يتطلبه ذلك من تنمية وتنشيط عن طريق التدريب والممارسة، ومن هنا وجدت عند الصولى مقطوعات ونماذج، تعليمية أو ما يمكن أن يطلق عليه «الشعر التعليمى».

والشعر التعليمى - عند الصولى - كان ذا صفة تطبيقية عملية، ويقوم على الدراسة والاستيعاب ثم التقليد والمحاكاه، ثم يخضع بعد ذلك للنقد والتحليل وإظهار العيوب ثم التوجيه.

نتج عن ذلك ما يشبه التدريبات العملية أو المناظرات الشعرية، فكان الصولى

ينظم مقطوعة شعرية فى معنى معين، ثم يطرحها أمام تلميذه الراضى، فيدرسها ويستوعبها ومن ثم يحاول تقليدها، فينظم بنفس طريقته مقتبسا معناه وألفاظه ووزنه وقافيته، ثم يعرض محاولته على أستاذه الذى يتعهدها ويحللها منتقدا ألفاظه أحيانا ومعانيه أحيانا أخرى.. ثم يوجهه، ولقد كان الصولى أحيانا ينقح هذا الشعر، فيبدل لفظه من لفظة أو شطرا من شطر.

نتج عن هذه التدريبات والمناظرات العديد من المقطوعات الشعرية ولقد ضمن الصولى أخبار ومحصول هذه التدريبات كتابه الأوراق فى الجزء الذى خصصه لأخبار الخليفة الراضى بالله. يقول[٢]: قرأ الراضى يوما أبياتا فى الغزل، فقال لى اعمل فى نحوها فعملت:

يا مليحَ الدَّلال رفقاً بصبٍّ يشتكى منكَ جَفْوةً ومَلالاَ
نطقَ السّقمُ بالذى كان يُخْفى فَسَلِ الجسمَ إنْ أردتَ سُؤالاَ
قد أتاهُ فى النّومِ منكَ خيالٌ فرآهُ كما اشتهيْتَ خيالاَ
يَتحاماهُ للضّنى ألسنُ العَذْ لِ فأضْحىَ لا يعرفُ العُذّالاَ

فتنحى الراضى وأخذ دواة وعمل بحضرتى:

قلبى لا يقبلُ المُحالاَ وأنْتَ لا تبذُلُ الوصالاَ
ضللتُ فى حبِّكُمْ فحَسبى حتّى متىَ أتبعُ الضّلالاَ
قَدْ زارنى منكُم خيالٌ فَزِدْتُ إذْ زَارَنى خبالاَ
رأى خيالاً عَلَى فِراشى وما أَراهُ رأى خَيالاَ

وكنتُ عملتُ - أيام إمارته - أبياتا على قافية الشين[٣]:

غَشِيَتْنى من الهمومِ غَوَاشِ لعَذولٍ يلومُ فيكَ وَوَاشِ

---

(٢) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٤٥.

(٣) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٥٢.

لَوْ تلاقوا الذى لقيتُ من الوجـ ـدِ لشوقٍ بين الجَوانحِ ناشِ
نَمَّ بـالسرَّ عنـدهم دمعُ عيني إنَّ سرَّ المحبَّ بالدمعِ فاشى
مَنْ عَذيرى لـظالمٍ أنا منـهُ فى زمانِ الوصالِ للهَجْرِ خاشى
أخـذَ القَدَّ منْ قضيبٍ رطيبٍ وحكى أعيُنَ الظِّباءِ العِطاشِ

فعمل الراضى - فى قافيتها ومعناها:

نُحُولُ الجِسْمِ منْ واشٍ ودمعى للهـوىَ فَـاشى
لأنِّى فى زمــانِ الـوِصـ ـلِ منْ هَجْرِكِ لى خاشى
لإِصْـغــارِكِ لـلشـكـوىَ وإصـغــائِـكِ لـلْوَاشــى
فــأوحــشــتَ بــإدنــاءٍ وآنَــســت بــإيحــاشِ
عَــرَانِى ســقمٌ نــاشٍ بهجــرٍ منـكُمْ نــاَشــى

وعملت أيضا[٤]:

حبٌّ لأحمَـدَ قَـدْ فَشَــاَ بَـيْنَ الجـوانــحِ والحَشَـا
يَهْــتَزُّ فى حَـــرَكَــاتِــهِ مثـلَ الْقَضِيبِ إذا مَشَا
خَـدَّاهُ منْ بَرَد الـدُّجـا والمُقْلَتَــانِ من الــرَّشَــا
لَمَّــا ظَـفِــرَتُ بــوُصْـلِهِ وملكْتُ منـهُ مـا أَشَــا
أَحْـلَى البرَّيـة أوْ عـلَىَ عين الَّذى يَهْـوىَ غِشَاَ
وَتَـنَــاوَمَـتْ عــينُ الــرَّقـيـ ـب لَحَـتُّ أقْــداح الْــوشــا
وَفَشَــا الحـديثُ بِحُبِّنَــاَ والحُبُّ يحسُنُ إنْ فَشَــا
عَبَثَ الـوُشَـاةُ بِـوَصْلنـاَ حسـدًا فقُبِّحَ مَنْ وَشَـا

فعمل هو:

أقــرحَ القلبَ والحشَــا مُـفْـتِـنٌ لَحْـظُه رَشَــا

(٤) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٥٣.

مـلكَ الجـسـمَ حُـبُّـهُ فَـتَـبَـراهُ كـما يَـشَـا
لا يُجازى على الوصاَ لِ ولا يقبـلُ الرَّشـا
شِئْتُ أن يرحمَ المحـ ـب وهيهَاتَ ما أشَـا
يَـا هِـلاَلاً إذَا بَـدَا وَقَـضِيبًـا إذَا مَـشَـى
أفْشِ وصلاً فإنَّ هجـ ـرَكَ لاَ كَان قَدْ فَشَا

وهكذا كان الراضى يتبع الصولى مقلدا إياه، محاكيا شعره، مقتبسا معانيه وأوزانه وقوافيه.

والراضى لا ينكر فضل الصولى فى تعليمه قرض الشعر.. ففى إحدى مجالسه، أنشد الراضى بعض شعره، فقال كاتب كان بالمجلس.. «هو لفظ الصولى وشعره».. فلم يغضب الراضى ولم ينكر ذلك، بل قال: «إن الصولى علمنى الشعر، وأنا أتبع ألفاظه وأنحو مذهبه[٥].

وتعليم الصولى للراضى لم يتوقف عند أيام إمارته فحسب، بل تعدى ذلك إلى عهد خلافته وتخطى مرحلة التعليم إلى مرحلة التوجيه فنرى الصولى يتعهد شعر الراضى ويوجه فيه فنيا وأدبيا[٦]، مصححا لنظمه مبينا عيوبه، فما أعجبه من شعره سجله وحفظه ونشره، وما لم يعجبه من نظمه طلب منه محوه وستره.

ففى جلسة من جلسات الراضى بالله الخاصة، طلب من الصولى أن يسمعه تشبيب قصيدته البائية[٧] التى كان يعجب بها الراضى كثيرا، ويحفظها جيداويعرف ما حوته من معان. ويقول عنها: «إنها أحسن تشبيب سمعه قط» تلك البائية التى يقول الصولى فيها:

(٥) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٤٦.
(٦) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٥٢.
(٧) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٤٧.

سيدّى أنتَ إنَّنى بكَ صبٌّ بين أيدى الهُموم والشوقُ نَهْبُ
وشفيعى إليكَ أنى مُحِبٌّ وقديماً أحُبّ من لا يُحَبُّ
بعثَ الحبُّ لى سقاماً فأعْدَى بِى حُزْناً مداوماً ما يَغِبُّ
لَيْسَ لى نِيَّةٌ أَسَلِّى بها النفـس لما قَدْ رأى وَلاَ لى قَلْبُ
ضَاعَ صَبرى واخلفَتْنِى ظُنُونٌ كَاذِبَاتٌ يلذُّهاَ من يَصَبُّ
إنْ يَكُنْ سَارَ عَامدًا لدِمَشّق وَطَوَانى كَماَ طَوىَ الشَّمْسَ غَرْبُ
فهولِلقلبِ حيثُ ما مالَ ذِكْرٌ وهو للطَّرْفِ حيثُ ما دَارَ نُصْبُ

فلبى الصولى طلبه، وما أن انتهى من إلقاء تشبيبه، حتى ارتجل الراضى بالله ما نظمه فى نفس المعنى والوزن والقافية، محاكيا الصولى فى بائيته فقال[٨]:

أُشْهِدُ اللهَ أنَنَّى بكَ صَبٌّ لِفُؤادى من شدَّة الوجْدِ وَجْبُ
حَارَ فى الجِسم يوم وَدَّعْتَ دَمْعٌ فَاَضَ منْهُ مَعَ التَّسَتُّرِ غَرْبُ
يا عليلاً فَدَتْهُ مِنِّىَ نَفْسى بَيْنَ أيدى الاشفاق والشَّوقُ نَهبُ
سَلَبَ القلبَ والمُنَى وافدُ السـن وَقَدْ كَانَ قَبلهُ لى قَلبُ
إنْ أُمِتْهُ فى هَوَاكَ فالموتُ دَائى أَنتَ فى البُعْدِ لِلَّواحِظِ نُصْبُ
فَوَقَتْكَ الرَّدىَ حُشَاشَةُ نفسىٍ لم يُجْرِهَا فى التَّباعُدِ قُربُ

ثم نظر إليه الراضى وقال: «لقد أَغَرْتُ عليك».

فلما ظهر للصولى ضعف تشبيب الراضى، واخفاقه، وهلهلة نسيج شعره، طلب منه الصولى أن يمحو هذا الشعر، فأطاعه الراضى، ثم سأله عن السبب، فقال الصولى[٩]:

«إن أبياتى جهدتُ نفسى فيها حتى جاء تشبيبها كما وصفه سيدنا، وترتجل أبياتا

(٨) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٤٨.
(٩) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٤٩.

فينشدها الناس معها، فيرون أبياتى أجود، وما أحب أن يرى الناس لعبد شيئا أفضل مما يملكه مولاه من أشباهه».

وهكذا كان الصولى المعلم والمرشد والموجه... دائما يتعهد تلميذه منذ حداثته.. حتى استطاع أن ينهض بشعره وبلغته، ويكون له أثر فى عالم الشعر.

وليس هذا فحسب، بل أن الصولى نقح ديوان الراضى بالله - قبل انتهاء أجله وكأنه كان يحس بذلك - وهذبه وقومه ونسخه ثم عرضه عليه، فكانت نسخة الصولى هى المعتمدة لدى جميع الرواة والاخباريين والمؤرخين.

ويروى لنا الصولى ذلك بلسانه فيقول إنه نظر فى شعر الراضى بالله فوجده يحتاج إلى شىء من التنقيح وتغيير بعض الألفاظ، «فقلت له من حيث لا يسمعنى أحد: يا سيدى هذا شعر يبقى على الأبد، وقد بقيت فيه حروف تحتاج إلى تغيير، فقد غيَّر ابن المعتز شعره مرات، وإن أمرتنى نسخته نسخة أخرى، وعرضته على سيدنا، ويأمر بأمره، فقال: إفعل... فعملت نسخة كتبتها وعرضتها عليه، فَسُرَّ بها..».

وهكذا كان الصولى معلما وأديبا ومرشدا وناصحا، ظهر أثره وعلمه فى تعليم الراضى وتوجيهه وفى إخراج شعره مصبوغا بفكره وذوقه، فظهر فيه روح الأستاذ وثقافته وخبرته وشاعريته..

وهكذا أنفذ الصولى بصيرته وأعمل قريحته، فأضاف إلى شعر الراضى: علمه وذوقه ومزجه بروحه وفنه، فخرج أمام الناس شعرا مهذبا منقحا تتداوله الأجيال عبر العصور.

ثانيا: تعليم الكتاب

فى النثر - يتمثل الأدب التعليمى عند الصولى فى مؤلفه «أدب الكتاب» وهو أحد الكتب التعليمية التى وضعت خصيصا لمن يزاولون مهنة الكتابة عامة والكتابة الديوانية خاصة، و«أدب الكتاب» كتيب صغير ولكنه يحوى الكثير من المواد اللغوية والأدبية والثقافية إلى جانب بعض المواد الفقهية المتصلة بالخراج والجزية وحساب الأموال وغير ذلك من الموضوعات العامة التى تدل على براعة مؤلفه - أبى بكر الصولى - فى التأليف والتبويب، وغزارة علمه وتعمقه فى البحث، كما تدل على قوة روحه الأدبية المتجلية فى منهجه وفى أسلوبه وفى طريقة تحليله للمادة الأدبية تحليلا فنيا دقيقا يصقل الحس ويصفى الذوق ويربى ملكة الكتابة.

فهذا الكتاب يُجلى بوضوح مقدار ثقافة الصولى الواسعة - الديوانية وغير الديوانية - ويظهر معرفته بالتاريخ والسير وفنون الآداب والكتابة والاملاء والخط وغير ذلك.. ومن هذا الكتاب نستطيع أن نرى صورة الصولى: المعلم.. المؤلف.. الكاتب.. العالم.. اللغوى.. الفقيه.. الأديب.

سلك الصولى فى تأليفه أسلوبا تعليميا جديدا، يمتاز بالسهولة والوضوح والتعبير الدقيق عن الأفكار وترابطها وقد قام بتأليف هذا الكتاب مسايرة للتيار الفنى السائد فى تأليف كتب الأدب فى عصره، وتكملة للنقص الموجود فى فن الأدب التعليمى الذى يخدم الكتّاب والكتابة الديوانية.

ألفه الصولى حين رأى أن الكتب الموضوعة فى هذا المجال كتب عامة تتسم بفوضى التأليف[١٠]... مسألة من هنا ومسألة من هناك، واستطراد لاضابط له،

---

(١٠) ضحى الإسلام - الأستاذ أحمد أمين ١٧٠/١

ومسائل من نوع واحد مفرقة، ومسائل مجتمعة لاتنضوى تحت موضوع واحد، وذلك ملحوظ فى كتب عديدة مثل البيان والتبيين والحيوان للجاحظ.

كما أن هذه الكتب العامة لا تستطيع أن تخدم الطبقة التى أُلفت من أجلها هذه، الكتب، فهى غير قادرة على الوفاء بالغرض الذى أُلفت من أجله، ومن ثم وضع الصولى كتابه: «أدب الكتّاب».

سبق الصولى إلى التأليف فى الأدب التعليمى جماعة من الأدباء والكتاب، كان غرضهم الأساسى رفع شأن الكتّاب عامة، وكتاب الدواوين خاصة، وصقل موهبتهم وتزويدهم بالجديد من الموضوعات الأدبية والعديد من تصاريف اللغة واشتقاقاتها وتثقيفهم بالثقافة التى تفيدهم وتعينهم على مزاولة حرفتهم الفنية فوضعوا كتب الأدب، العامة(١١) التى هى أشبه بمجموعات ثقافية شاملة.

على أن فن التأليف - فى الأدب التعليمى - لم يكن وليد العصر العباسى - وإن يكن قد نَمَا وتطور وبلغ الذروة فيه بل إننا نجد له جذورا عميقة فى العصر الأموى أيضا.

فنرى فى مقدمة من يهتمون بفن الكتابة وتعليم الكتاب «عبد الحميد الكاتب» الذى كان أبلغ كتاب الدواوين فى عهد بنى أميه وأشهرهم على الإطلاق، والذى ضربت به الأمثال لبلاغته وطريقة تعبيره.. وضع عبد الحميد الكاتب عدة رسائل أدبية(١٢) خص منها الكتّاب برسالة قيمة ضمنها نصائحه ووصاياه وما يجب عليهم أن يتعلموه ويعرفوه من آداب الكتابة وحسن العشرة، والتحلى بالخصال الحميدة.

---

(١١) يقول ابن خلدون: إنه سمع من شيوخه فى مجال التعليم، أن أصول هذا الفن - وأركانه اربعة دواوين وهى: أدب الكاتب لابن قتيبه، والكامل للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ، والنوادر لأبى على القالى - المقدمة ص٥٥١ طبع بيروت.

(١٢) له رسالة وجهها إلى عمال مروان يأمرهم فيها بمحاربة لعبة الشطرنج، ورسالة أخرى فى وصف رحلة صيد.

يقول فيها[١٣] : «فتنافسوا معشر الكتاب فى صنوف العلم والأدب، وتفقهوا فى الدين، وابدءوا بعلم كتاب الله عز وجل، والفرائض، ثم العربية، فإنها ثقاف ألسنتكم، وأجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم، وارووا الأشعار، واعرفوا غريبها ومعانيها، وأيام العرب والعجم، وأحاديثها وسيرها، فإن ذلك معين لكم على ما تصبوا إليه هممكم، وتحابوا فى الله عز وجل فى صناعتكم وتواصوا عليها بالذى هو أليق بأهل الفضل، والعدل والنبل من سلفكم.. ولا يضعفنَّ نظركم فى الحساب، فإنه قوام كتاب الخراج منكم..»

وضع عبد الحميد الكاتب رسالته هذه التى تعد من عيون النثر العربى إلى يومنا الحاضر، فكانت خير نصيحة من أستاذ إلى طلاب علم وعمل، وجاءت شاملة لما يجب أن يتحلى به الكتاب من الأخلاق والفضائل، وما يجب أن يعرفوه من علوم تتصل بمهنتهم وحرفتهم فى عصر دفعت الحاجة فيه إلى استخدام الكتاب.

وعبد الحميد الكاتب إذا كان قد أسدى هذه النصائح للكتاب، فإنه لم يضع لهم كتبا تعينهم على دراسة هذه الأبواب التى نص عليها، وتمدهم بالمعلومات التى تفيدهم فى عملهم، فكانت رسالته هذه تقتصر على النصح بما يجب أن يلم به الكاتب من العلوم والثقافات والمعارف المختلفة، والنهل من ينابيعها المتنوعة. على أن الكتاب وإن استفادوا من نصائح عبد الحميد الكاتب، وثقفوا ما حدده لهم من علوم وفنون، إلا أنهم لم يقصروا أنفسهم وثقافتهم على ذلك فحسب، بل إنهم مع تطور الحياة الثقافية والأدبية والسياسية، اندفعوا إلى التزود بالعلم والأدب، وبالثقافة العربية الإسلامية – وهم لم يكن ليكتفون بذلك، بل نجدهم أيضا يأخذون أنفسهم بثقافة فلسفية واسعة، خاصة الثقافات الوافدة، وأيضا أخذوا يشغفون إلى جانب ذلك «بالنظر إلى النجوم والمنطق والفلسفة والحديث عن الكون والفساد...» إلى

---

(١٣) الوزراء والكتاب للجهشيارى ص ٧٣ وما بعدها.

غير ذلك مما جعل ابن قتيبه ينعى عليهم ويلمزهم فى كتابه أدب الكاتب[١٤] وإن يكن شغفهم بهذه العلوم لم يمنعهم من أن يوسعوا ثقافتهم ويعمقوا معارفهم ويهذبوا أساليبهم.

ففى القرن الثالث الهجرى.. نجد أن الكتّاب أكثروا من العناية بمعانيهم وأفكارهم، ولاشك أن الذى دفعهم إلى ذلك اتصالهم بالخلفاء والوزراء والولاة. فكانوا يبذلون غاية جهدهم فى توسيع مداركهم، وتنمية ثقافتهم، مع ما فى ذلك من صقل لموهبتهم الفنية وذوقهم المتحضر، وأدى ذلك جميعه إلى تجويد كتاباتهم من جميع الوجوه اللفظية والمعنوية[١٥] لسبب هام: وهو أن الخلفاء كانوا ينتخبون من بين هؤلاء الكتاب وزراءهم وندماءهم.

وأيضا فلقد كان من هؤلاء من يسهم فى حركة النقد الأدبية وتقييم ما يرفعه الشعراء للخلفاء من مدائح، كما شارك بعضهم فى رواية الأشعار والأخبار وتاريخ الأمم.

كل ذلك أدى إلى عناية الكتاب بكتاباتهم، وأدى بالتالى إلى اهتمام العلماء والأدباء بوضع كتب تقيد هؤلاء الكتاب، وتوسع مداركهم وآفاقهم وتزودهم بما يعينهم على آداء حرفتهم وتجويدها. فكان أن وضعت كتب الأدب التعليمى الخاصة بالكتاب.

ولم يكن الصولى أول من وضع مثل هذه الكتب، بل سبقه إلى التأليف فى هذا النوع من الأدب - الذى يتصل بالكتابة والكّتاب، أو الأدب التعليمى، أديب آخر وعالم وفقيه، قريب من عصر الصولى، تحدث عنه ابن خلدون فى مقدمته[١٦]،

---

(١٤) أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٣.

(١٥) الفن ومذاهبه فى النثر - الدكتور شوقى ضيف ص ١٩٤ - طبع دار المعارف.

(١٦) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥١.

ووصف كتابه بأنه أحد الدواوين الأربعة التى ذكرها شيوخه، وهو أبو عبد الله محمد بن مسلم المعروف «بابن قتيبة» الدينورى، الذى اشتهر بثقافته الواسعة التى وضحت فيما ألّفه من كتب فى نفس المجال أهمها «أدب الكاتب» و «عيون الأخبار» و«المعارف» ولاشك أن كتابه «أدب الكاتب» يعد أول كتاب يتصل بصلات مباشرة بالكتاب، وتعليم الكتاب وتثقيفهم، كما يظهر جليا من عنوانه، بل أنه ليعد مقدمة لكتاب أبى بكر الصولى، «أدب الكتّاب».

فابن قتيبة الذى عاش فى القرن الثالث الهجرى (٢١٣-٢٧٦هـ) كان أسبق إلى التأليف فى فن الكتابة بقصد التدريب الأدبى واللغوى لطائفة الكتاب، عندما أحس أن الكتابة فى زمنه أصبحت مهنة هامة لتصريف أمور الدولة، ولها محترفون كثيرون فى دواوين الخلافة، وقصور الولاة والوزراء.

رأى ابن قتيبه - كما ذكر فى مقدمة كتابه أدب الكاتب - أن ضعف الثقافة فى عصره بالنسبة لهؤلاء الكتاب وفتنتهم بالعلوم الجديدة كالمنطق والفلسفة وغيرهما، قد جعلت الكثير من الناس يعرضون عن العلوم اللغوية والشرعية، وذكر أيضا - أنه قام بتأليف هذا الكتاب ليساعد طائفة الكتاب - الذين لمس جهلهم - على تدارك ما فى معارفهم من نقص. فنراه يوصى الكاتب بأن يتعلم ويطلع ليعرف ما لابد من معرفته من فروع العلوم المختلفة كالفقه والحساب والنحو... ثم ينتقل إلى الحديث عن أنواع الكلام، حديثا أقرب إلى أن يكون مقدمة لعلوم البلاغة فيشير إلى أن أنواع الكلام أربعة: سؤال وطلب وأمر وخبر.

ثم يشير باختصار إلى ما يجب أن يراعى فى كل نوع من الأنواع الأربعة: من اللطف فى الطلب والوضوح عند السؤال، والتحديد عند الأمر، والدقة عند الإخبار.

وابن قتيبة ينقل هذا الكلام - كما يشير هو عن أبرويز أحد ملوك الفرس، ويذكر أيضا أن البلاغة عند أبرويز هى فى الإيجاز، ثم ينتقل بعد هذه النظرة

المجملة فى معنى البلاغة إلى أبواب الكتاب، فنرى أنه قسم كتابه «أدب الكاتب» إلى أقسام ثلاثة:

جعل الغرض من القسم الأول تصحيح لغة الكتاب ببيان الأخطاء الشائعة وإمداد الكاتب ببعض الكلمات المناسبة للمعانى الشائعة فى الكلام.

وجعل القسم الثانى خاصا بقواعد الإملاء وتصحيح طريقة الكتابة او الهجاء.

أما القسم الثالث: فجعل مهمته تصحيح النطق بضبط صيغ الأسماء والأفعال.

ولاشك أن كتاب ابن قتيبة هذا قد ساهم مساهمة جليلة فى خدمة الكتاب وتثقيفهم، فهو مزيج من معارف مختلفة وثقافات متنوعة، وهو أقرب ما يكون إلى اللغة، فنرى فيه مباحث فى النحو والصرف وفى قواعد رسم الكلمات، وأيضا نرى فيه مباحث فى تقويم البلدان، وفى الجغرافيا الفلكية.

على أن هناك بعض الأدباء والنقاد يرون أن كتاب ابن قتيبة «أدب الكاتب» ما هو إلا خطبة بلا كتاب منهم الصولى[١٧] فقد لمزه لمزاً وجرحه تجريحاً فى مقدمة كتابه «أدب الكتّاب» الذى ألفه بعده فى عشرينات القرن الرابع الهجرى.

ألف الصولى كتابه «أدب الكتّاب» لكل الكتاب على اختلاف مستوياتهم، يقول فى مقدمة كتابه: هذا كتاب ألفناه فيما يحتاج إليه أعلى الكتاب درجة وأقلّهم فيه منزلة، وجعلته جامعًا لكلِ ما يحتاجُ إليهِ حتى لا يعوَّل فى جميعِهِ إلا عليه»[١٨]

ولقد عرف الصولى - بطريقة لا تقبل الشك - كل ما كُتب وما أُلف فى الأدب التعليمى أواتصل به، وأيقن أن من سبقوه لم يتناولوا كل جزيئات هذا الفن، ولم يوفوا هذا المجال حقه، فجاء عملهم غير متكامل مما جعله يقوم بتأليف هذا الكتاب

(١٧) مقدمة أدب الكتاب للصولى ص ٢٠.

(١٨) أدب الكتاب للصولى ص ٢٠.

لسد النقص الموجود، فنراه يتعرض لمن ألفوا فى هذا الموضوع قبله، ويظهر عجزهم، مبينا أنهم لم يقوموا بعملهم على الوجه الأكمل، فلم يفيدوا غيرهم.. وبمعنى أوضح نراه يتعرض لابن قتيبة بالذات ويتهمه بالقصور.. يقول[١٩]:

«وهذا الكتاب هو المستحق أن يسمى أدب الكتّاب على الايجاب لا على الاستعارة وعلى التحصيل لا على التمثيل... فإنى رأيت من صنف مثل هذا الكتاب، ونسبه هذه النسبة، ولم يحصل له منه إلا تسميته دون تجسيمه، وتعميته دون إيضاحه، وتقريبه من المعنى الذى ألبسه إياه ونسبه إليه.»

لذلك جعل الصولى كتابه «أدب الكتاب» شاملا جامعا لكل ما يحتاج إليه الكتاب من أمور تعينهم على القيام بمهام عملهم، مدركا فيه ما كان ينقص كتب غيره، فخرج لنا كتابه أوفى وأقدر وأمتع وأفيد لطلاب المعرفة والعلم من الكتاب والأدباء وراغبى الثقافة، وإن يكن لم يعط بعد نصيبه وحقه من التقدير والمكانة.

أما عن تقسيم الكتاب:

فقد جعل الصولى كتابه هذا فى ثلاثة أقسام، ذكر فى كل منها أبوابا يكمل بعضها بعضا حتى يسهل على متداوله:

وقد جعل القسم الأول أدبيا بحتا، وكونه ألفه للكتاب، فقد تناول بالشرح والتحليل (فضل الكتابة) وكيفية افتتاح الكلام فى المراسلات.. وطريقة تصدير الكتب. كما تناول أداة الكتابة ووسيلتها فتكلم عن القلم وما جاء فى وصفه شعرا ونثرا، وطرق بريه واعداده، وتكلم أيضا عن الخط وأنواعه وصفاته ومميزاته وعيوبه. ولم تكن هذه الموضوعات هى كل ما تناوله الصولى فى قسمه الأول، بل إنه كان

---

(١٩) أدب الكتاب للصولى ص ٢٠.

ينتقل من موضوع علمي إلى موضـوع ثقافى مفيـد، يهم القارئ والكـاتب والأديب على السواء.

فعندما تناول موضوع «فضل الكتابة» نراه يتناول بالشرح كل ما يتصل بنشأتها وتطورها.. وهو فى كل ذلك يتناول موضوعات أدبية وصرفية ولغوية تعين الكاتبين والقارئين وتزيد من حصيلتهم اللغوية، وتمدهم بالعديد من تصاريف اللغة، ونراه أيضا يدعم كلامه فى الموضوعات المختلفة بالاستشهاد بما جاء فى كتاب الله وبأحاديث الرسول والصحابة ومشاهير اللغويين والأدباء، والكتاب والحكماء.. ثم يأتى أيضا بالأشعار التى قيلت فى نفس المعنى.

كل ذلك فى أسلوب تعليمى يخدم المبتدئين والمتمرسين على السواء، دون الدخول فى المتاهات والتعقيدات للمشكلات اللغوية والنحوية.

وتناول الصولى فى الجزء الثانى من الكتاب، الكتب وتحليل معناها فى اللغة، ومادة الكتابة ولغتها، وتحدث عن الإنشاء والسطور، والمقابلة بالكتاب وكل ما يتصل بالرسائل منذ كتابتها حتى إرسالها إلى الجهات المقصودة.

كما ذكر فى هذا الجزء أيضا: طرق الدعاء وكيفيته، وشرح كيف يتكاتب الناس فى عصره، ثم تناول فى آخر هذا الجزء الدعاء... والتاريخ ثم اختتم هذا الجزء بالتأريخ لتحويل الديوان من النظام الفارسى إلى النظام العربى.

أما الجزء الثالث من الكتاب فقد قسمه الصولى قسمين: جعل القسم الأول منه يتعلق بالفقه الإسلامى فتناول فيه «وجوه الأموال وأصنافها ولمن تجب» ثم فرق بين الفيئ والجزية والزكاة والصدقة، كما تناول الأحكام الفقهية التى تتصل بالأرض، ففرق بين الأرض العشر، والأرض التى افتتحت صلحا والأرض التى افتتحت عنوة، ثم تناول الصولى القطائع ونظام القطائع، مؤرخا لهذا النظام منذ نشأته ثم انتقل إلى جزية رءوس أهل الذمة مؤرخا لها منذ عصر الرسول، وتناول

تقديرها وطريقة سدادها وتحدث عن الخراج ومعناه، وختم هذا القسم بآراء الفقهاء وأحاديثهم..

أما القسم الثانى، فقد جعله لغويا صرفيا، تناول فيه عدة موضوعات تتصل باللغة، تكلم فيه عن حذف الألف ومتى يجوز ذلك ومتى لا يجوز، وذكر رأى كبار النحويين واللغويين، ثم تكلم عن الهمز والهاء والواو والياء، وذكر ما يكتب بالياء وبالألف من الأفعال، والمقصور والممدود، ثم ختم الصولى هذا القسم - وكتابه - بالكلام عن نون التوكيد الخفيفة، والإدغام ثم القطع والوصل.

هذا هو كتاب «أدب الكتاب» كما قسمه مؤلفه الصولى.

ويهمنا أن نعرف أن كتاب «أدب الكتاب» صغير الحجم، عمد الصولى فيه إلى تسهيل تناوله وتداوله، لتكثر الاستفادة منه، فاختصره ما أمكن ذلك، حتى يسهل حمله وفهمه واستيعابه، دون أن يخل بمادته أو العناصر التى اشتمل عليها ولقد خالف الصولى فيه منهجه فى التأليف، فألقى الأسانيد بقصد التخفيف والتسهيل على القارئين، وطلاب العلم والثقافة - إذْ كان يعنى بالمادة الفنية أولا وقبل كل شىء - فلم يذكر إلا «ما لابد من ذكر نسبته وإسناده[٢٠]».

والصولى إذا كان قد اختصر كتابه - وقال ذلك وكرره أكثر من مرة - فإنما كان يقصد بل ويتعمد عدم الإطالة فى مناقشة الموضوعات أو الإكثار من الشواهد عليها، حتى لا تتسع فتطول عما رسمه هو لمنهجه من حيث الاختصار والتسهيل دون الإخلال.

فحين تناول موضوع «اللحن فى الكتاب» وبعد أن وضحه وذكر رأيه وأورد بعض الشواهد، لم يشأ أن يكثر حتى لا يتضخم الموضوع ويتسع فيصعب فهمه.

---

(٢٠) أدب الكتاب للصولى ص ٢٨ وانظر ص ٢١.

فنراه يقول[٢١]: «هذا شىء يتسع فيكثر، فجئت منه بطرف، لأنه وحده يكون كتابا».

أما عن زمن تأليفه:

فقد تأكد لنا بما لايدع مجالا للشك - أن الصولى قام بتأليفه فى عهد الخليفة الراضى بالله. كما يفهم مما كتبه هو نفسه فى ثنايا الكتاب، عندما تناول باب «ما يتكاتب به الناس اليوم» فقد سرد فى شرحه لكيفية الكتابة فقال[٢٢]:

«يكتب الإمام إلى ولى عهد المسلمين: من عبد الله أبى فلان الإمام الراضى بالله أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان...».

ويؤكد هذا الرأى ويدعمه ما قاله الصولى فى باب «الحض على التكاتب» إذ يقول[٢٣] «ومن مليح ما قيل فى استبطاء الجواب، أبيات كتبت بها فى صدر قصيدة إلى سيدنا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، وهو إذ ذاك أمير...".

وأيضا ما ذكره الصولى فى كتابه «أخبار الراضى بالله والمتقى لله[٢٤]» عن أحداث سنة ٣٢٦هـ من أن الوزير استدعاه وطلب منه أن يحمل إليه هذا الكتاب الذى ألفه، «فاطلع عليه وأعجب به، وكان يثنى عليه فى مجالسه، ويعرضه على كل من يأنس به، ويعلم أنه يفهم فى الأدب».

---

(٢١) أدب الكتاب «اللحن فى الكتاب» ص١٣٠.
(٢٢) أدب الكتاب للصولى ص ١٦٣.
(٢٣) أدب الكتاب للصولى ص ١٦٦.
(٢٤) أخبار الراضى بالله للصولى ص٩٠.

منهج الصولى فى كتابه أدب الكتاب

نهج الصولى فى كتابه التعليمى هذا، منهجا يغاير، ما انتهجه غيره.. فقد جعل الصولى كتابه مجموعة من الموضوعات المتصلة المتكاملة، وسلسل عناصرها بطريقة فنية جميلة حتى يحقق الهدف من كتابه وهو التعليم والتثقيف.. لذلك جعل الصولى موضوعاته بحيث يكمل بعضها البعض الآخر.. فكل موضوع يؤدى إلى الموضوع الذى يليه، ويرتبط به ارتباطا وثيقا.

فمثلا حين تناول موضوع الخط[٢٥]: نراه يفتتحه بآراء الحكماء والعلماء، مبينا فضل حسن الخط مستشهدا على ذلك:

«الخط صورة روحها البيان ويدها السرعة، وقدمها التسوية، وجوارحها معرفة الفصول» يحيى بن خالد البرمكى.

«الخط أصل فى الروح، وإن ظهر بآلة الجسد» النظام.

ثم يذكر الصولى فضل حسن الخط فيقول: «إنه يدعو الناظر إليه، إلى أن يقرأه، وإن اشتمل على لفظ مرذول ومعنى مجهول»... و«ربما اشتمل الخط القبيح على بلاغة وبيان، وفوائد مستظرفة فيرغب الناظر عن الفائدة التى هو محتاج إليها لوحشة الخط وقبحه».

ويستشهد بقول أرسطو «الخط دليل على ما فى النفوس... ثم يقارن بين اللفظ والخط، وأنهما ضروريان. وإن كان للخط فائدتان وليس للفظ إلا واحدة، فالخط يبلغ الحاضر والغائب أما اللفظ فلا يبلغ إلا الحاضر.

(٢٥) أدب الكتاب ص ٤١ وما بعدها.

ويقول الصولى إن الخطوط مهما اختلفت فالأصول واحدة، فهى كالأشخاص... فهم مهما اختلفوا فانهم يجتمعون فى الصنعة، وأن خط الإنسان يصير مثل حليته ونعته فى الدلالة عليه..

ثم يروى قصصا طريفة توضح الموضوع وتدعمه وتكسبه الطرافة والمتعة فيقول[٢٦]: «إن ملك الروم علق كتب المأمون بخط أحمد بن أبى خالد الأحول، بالرغم من أنه لا يقرأ الخط العربى، لا لشىء إلا لأنه راقه حسن الخط العربى فى هذه الكتب لاعتداله وهندسته، وحسن موقعه ومراتبه».

ثم ينتقل الصولى إلى وصف الخط الجميل، وما قاله الكتاب والعلماء والحكماء فيه، يعقبه بعقد فصل فيما قيل فى حسن الخط من الكلام المنظوم، ويورد أشعارا فى وصف الخط الجميل لنفسه.

ثم يورد ما قيل فى حسن الخط من الكلام المنثور ، فيأتى بما قاله أحمد بن إسماعيل فى وصف الخط الحسن: «لوكان نباتا لكان زهرا، ولو كان معدنا لكان تبرا، أو مذاقا لكان حلوا، أو شرابا لكان صفوا». وما قاله أفلاطون: «الخط عقال العقل[٢٧]».

ثم يورد الصولى صفات الخط وتركيباته وأسمائه المختلفة ويذكر السمات التى يجب أن تتوفر فى الخط حتى يستحق أن يوصف بالجودة، ثم يأتى بآراء الكتاب وما قالوه حول هذا الموضوع.

وينتقل الصولى بعد ذلك، فينقل إلينا ما قيل فى قبح الخط، ويحكى بعض الطرائف.. منها ما فعله عبد الله بن طاهر حين نظر إلى خطِّ بعض كتَّابه، فلم يرضه

---

(٢٦) أدب الكتاب ص ٤٥ وما بعدها.

(٢٧) أدب الكتاب للصولى ص٤٥ وما بعدها.

ذلك، فأمر بتنحيته لأنه «عليل الخط ولا يؤمن أن يُعْدِى غيره[٢٨]»... وأيضا كيف رفض محمد عبد الله بن طاهر اعتذار رجل رفع إليه رقعة ولم يقبل اعتذاره لأن خطه كان قبيحا وقال «لو كان صادقا فى اعتذاره لساعدته حركة يده» وهو فى كل ذلك يحث الكتاب على تحسين خطوطهم وإصلاح آلتها... ويورد لهم نصائح بعض الكتاب منها ما قيل «أَرْخُوا ذوائب خطوطكم» يراد بذلك الحروف المخطوطة كالياء والنون والعين والحاء المنفصلات وما أشبههن.

ثم يعقد الصولى فصلا يتصل بالخط أيضا وهو« ما قيل فى النقط والشكل والخط الدقيق» يوضح فيه أن الكتّاب يكرهون الشكل والإعجام إلا فى المواضع التى يحدث فيها لبس، خصوصا إذا كان العظماء من الكتاب يكتبون إلى من دونهم.. ويورد الصولى بعض ما وقع الكتاب فيه من تصحيف فى كثير مما قرأوه فى مجالس الخلفاء والأمراء نتيجة لعدم الشكل والنقط.. ويحكى بعض الطرائف... وأيضا المآسى التى وقعت بسبب ذلك... كما يورد بعض الطرائف الشعرية حول هذا الموضوع[٢٩].

ولم ينس الصولى آلة الخط وهو القلم فألف فيه أبوابا تحدث فيها عما قيل فيه شعرا ونثرا وطريقة بريه... وتكلم أيضا عن الحبر أو المداد والقرطاس والدواة.. إلى غير ذلك من الموضوعات التى ترتبط بالخط.

وأيضا حينما تناول الصولى موضوع الكتب تحدث عن الإنشاء والإملاء والسطور والمقابلة بالكتاب والخطأ فى الكتاب.. والمشق فى الكتاب وفض الكتاب وعرض الكتاب.. إلى غير ذلك من الأبواب التى تكمل وتخدم موضوعه الأصلى..

وهكذا جعل الصولى موضوعاته متكاملة متصلة، وهو فى كل موضوع يتناوله،

(٢٨) أدب الكتاب للصولى ص ٥٣ وانظر ص ٥٤.

(٢٩) أدب الكتاب للصولى ص ٦٠.

يحلله ويبسطه ويذكر جميع عناصره وكل ما يتصل به كما يذكر بعض الطرائف والنوادر مما يضيف إلى كلامه سمة التشويق والتنويع وحتى يجذب انتباه القارىء إليه.. كما أنه لم يترك فى موضوعه أى دقيقة من دقائقه إلا وبسطها وسهلها وشرحها وأجلى ما قد يكون غامضا فيها.

ويمتاز منهج الصولى فى كتابه - أدب الكتاب - بسمة بارزة وهى التأريخ لأصل الموضوع الذى يتحدث عنه، فهو فى كل موضوع يتناوله يؤرخ لأولياته وأصوله، ويذكر كل ما يتصل به عبر القرون الماضية مما يضفى على كتابه لمسة ثقافية جميلة وواسعة تعين القارئ وتثقفه وتجعله ملما بكل مايحيط بالموضوع الذى يقرأ فيه.

فحين تناول الصولى موضوع الخاتم - فى ثنايا كلامه عن ختم المراسلات - ذكر كل ما يتصل بأوليات استخدام الخاتم منذ عهد النبى عليه السلام حتى عهد بنى العباس.. قال[٣٠]: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ذهب، فلبسه ثلاثة أيام، ففشت خواتم الذهب فى أصحابه فرمى به، واتخذ خاتما من ورق نقش عليه (محمد رسول الله) فكان فى يده صلى الله عليه وسلم حتى مات. وفى يد أبى بكر حتى مات، وفى يد عمر حتى مات، وفى يد عثمان ست سنين، فلما كثرت عليه الكتب دفعه إلى رجل من الأنصار ليختم به، فأتى قليبا[٣١] لعثمان رحمه الله، فسقط الخاتم فى القليب، فالتمسوه فلم يجدوه، فاتخذ خاتما من ورق ونقش عليه (محمد رسول الله).

ولم يتخذ صلى الله عليه وسلم الخاتم حتى احتاج إلى مكاتبة الملوك سنة ست، فقيل له: إن الملوك لا تقبل الكتاب إلا أن يكون مختوما، فاتخذ خاتما من فضة ونقش عليه (محمد رسول الله)».

ثم يؤرخ الصولى لاستعمال الخاتم من عهد الخلفاء الراشدين، حتى دولة بنى

(٣٠) أدب الكتاب للصولى ص ١٣٩.

(٣١) القليب: البئر.

العباس ذاكرا من الذى تولى الخاتم ومن الذى قام عليه فى دواوين الخلفاء فى عهد بنى أمية ثم عهد بنى العباس وكيف كان يوضع فى الخزائن ثم تسلمه الوزراء.

ولكون الصولى يتوخى الثقافة الشاملة لكتابه، ويبغى تصحيح لغتهم من ناحية التراكيب، نراه يأخذ من كل بستان زهرة، حتى يكون كتابه باقة من العلوم المتنوعة. فيضمنه بعض الموضوعات النحوية وهى موضوعات تقتضيها ظروف السرد وطبيعة الكلام، غير أنه لا يعقد لها فصولا خاصة، بل تناولها فى سياق الحديث عن بعض الموضوعات تناولها ببساطة وسهولة فى أسلوب تعليمى توضيحى يخدم المبتدئين ويذكِّر المتمرسين، دون الدخول فى متاهات وتعقيدات وتفسيرات النحويين واللغويين على اختلاف مذاهبهم ومدارسهم.

ففى سياق تحليله وحديثه عن «بسم الله الرحمن الرحيم» يتناول حرف الباء فيقول[٣٢]:

«والباء صلة فعل محذوف، حذف لعلم القارئ به، وهو: أبدأ بسم الله، وأقرأ بسم الله، لأن جبريل كان إذا نزل بالوحى قال: اقرأ يامحمد، قال وما أقرأ قال: (اقرأ بسم الله)».

ثم يشرح الصولى معناها فى غير القرآن فيقول: «والمعنى فى الابتداء بها فى غير القرآن: (بدأت بسم الله) ثم كَثُر ذلك وُعلم حتى أسقطوا (بدأت).

ويستشهد بآراء كبار النحويين فى معنى الباء، فيأتى بقول سيبو به: أن معنى الباء الالصاق تقول: كتبتُ بالقلم، فالمعنى أن الكتابة ملصقة بالقلم.

أما عن إعرابها: فيقول: وهى مكسورة أبدا، لأن لا معنى لها إلا الخفض فوجب أن يكون لفظها مكسورا.

---

(٣٢) أدب الكتاب للصولى ص ٣٢.

كما يتناول الصولى حذف الألف وثبوتها فى قول (بسم الله) فيقول[٣٣]:

«اجمع القراء وكتاب المصاحف على حذف الألف من (بسم الله الرحمن الرحيم) فى فواتح السور والكتب، وعلى كَتْبِهِم إياها فى قول (فسبح باسم ربك العظيم).

فالحذف «لأنها وقعت موقعا معروفا لا يجهل القارئ معناه، وكثرت فاستحق طرحها.. إذْ كان من شأن العرب التخفيف إذا عرف المعنى.

ولم يكثر استعمالها فى قوله (فسبح باسم ربك العظيم) وأشباه ذلك لأنه لم يكثر ككثرته مع الله عز وجل، فحملهم كثرة الاستعمال ومعرفة المعنى لأن يقال: (بدأت بسم الله) فحذفت (بدأت)، ثم حذفت الألف فى الخط.

وألف اسم لا يحذف إذا أضيفت إلى غير الله، ولا تحذف فى غير الله من الصفات مثل اللآم فى قولك «لاسم الله حلاوة فى القلوب» و«ليس اسم كاسم الله» لابد من اثباتها. وأجاز الكسائى طرح الألف فى قولهم «باسم الخالق» و«باسم الرحمن» وغيره يأبى ذلك ولا يجيزه. إلا فى (بسم الله) وحده. وعلى هذا العمل.. وهو الصواب».

والصولى إذا كان قد تناول الكثير من الموضوعات النحوية، فإنه قلما يناقش - ما اختلف فيه النحويون واللغويون على تباين مذاهبهم ومدارسهم، بل أنه يتعمد الإقلال فى سرد الآراء حتى لا تضيع فكرة موضوعه التى يريد إبرازها.

وقد كان لمعرفة الصولى بعلم النحو وموضوعاته وتحليله لعناصره بطريقة فنية، وإدلائه بالكثير من الآراء فيه - إلى جانب علمه ومعرفته بآراء النحويين ومذاهبهم ما جعل بعض الباحثين الأقدمين يضعونه فى مصـــاف كبار النحويين.ومـراتبهم - لا لتحليله وتناوله بعض موضوعات النحو فى كتابه هذا فحسب - بل أيضا «لأنه

---

(٣٣) أدب الكتاب للصولى ص ٣٥.

تعرض لجمع دواوين الشعراء وشرح فيها أشعارها وذكر الغريب والإعراب فى بعض أماكنها[٣٤]».

أما علم الصرف فقد تناول الصولى العديد من موضوعاته فى كتابه هذا - فكان يأخذ من كل علم بطرف. تناول الصولى بعض أبواب الصرف.. تناول حذف الألف ومتى يجوز ومتى لا يجوز.. ثم تكلم عن بعض الحروف، فذكر الهمز والباء والهاء والواو، وذكر ما يكتب بالياء وبالألف من الأفعال، ثم تناول المقصور والممدود فى اللغة، ويختم الصولى هذه الموضوعات الصرفية بالكلام عن نون التوكيد الخفيفة والإدغام والقطع والوصل.

ونستطيع أن نرى طريقة تناوله لعناصر علم الصرف فى تحليله لحرف الهاء فيقول[٣٥]:

«كل ما كان من ذوات الياء، وكانت فاء الفعل فيه واوا مثل (وفيت، وعيت، أويت) فإنه يكون فى الأمر حرفا واحدا. لأن الأصل (أوفى) بالياء، تذهب الياء للجزم وتسقط الواو لأنها صارت بين كسرتين فبقى (أف) فتسقط ألف الأمر لأنه قد استغنى عنها، لتحرك أول الحرف، فتبقى (الفاء) وحدها. فإذا اتصل الكلام بعضه ببعض لم تثبت الهاء فى اللفظ، فإذا وقفت، وقفت بالهاء كقولك:

(فه، قه، من وفيت ووقيت) و (شه من وشيت الثوب). لأنه لا ينطق بحرف واحد استبقاء له، فإذا كُتِبَتْ، كُتبت بالهاء، لان الكتاب على الوقف.

فإذا جَعَلْتَ قبل الحرف الذى وصلته بالهاء حرفا لا ينفصل منه، جاز أن تكتبه بغيرها كقولك: (اذهب وف لزيد وق لزيد) وإنما جاز ذلك لأن الواو والفاء لا ينفصلان وكأن الكلمة قد صارت على حرفين.. وإثبات الهاء أجود».

---

(٣٤) القفطى: أنباه الرواة على أنباه النحاة ٢٣٤/٣.

(٢٥) أدب الكتاب للصولى ص ٢٥٠.

وأفرد الصولى للمقصور والممدود بابا قال فيه[٣٦]:

«كل اسم ممدود فإنه يكتب بالألف سواء كان من ذوات الواو أو الياء لا اختلاف فى ذلك. فأما المقصور: فامتحنه بالتثنيه، فإن كان بالياء كتبته بالياء، وجاز كتابته بالألف، وذلك نحو: (فَتَى، رحى) لأن تثنيتهما بالياء نحو (فتيان ورحيان).

وإذا كانت تثنيته بالواو كتبته بالألف لا غير نحو (قَفَاً وعَصَا) لأن تثنيتهما (قفوان وعصوان).

وكل اسم فى أوله ميم مفتوحة أو مكسورة فاكتبه بالياء مثل: (المَثْنَى والمَدْعَى والمرمى والمقضى).

وإن كانت أوله ميم مكسورة فاكتبه أيضا بالياء ما كان اسما مثل (المِقْرَى) الذى يُقْرى فيه الماء أى يجمع و (المِهْدَى) الذى يهدى عليه. فإن كان نعتا فاكتبه بالألف لأنه ممدود مثل (مِعْطاء ومِهْداء) فإذا كان الاسم على فِعَل أو فُعَل بكسر الفَاء وضمها مع فتح العين فاكتبه بالياء من أى النوعين كان مثل: هُدَى وسُدَى، وحِمَى ورِضَى.

وكل مقصور كانت لام الفعل منه ياء، فاكتبه بالألف مثل (الدُّنْيَا والعُلْيَا والمحيا وروايا وخطايا) وإنما كتبوها بالألف لأنهم كرهوا الجمع بين ياءين فى الكتاب.

وأما (القُصْوَىَ والهَوَى) وما اشبههما فانها تكتب بالياء، لأنه ليس من أسمائهم، فأخرجوه مخرج (عيسى وموسى ويحيى). وأما قوله عز وجل (ويَحْيَا من حَىَ عن بينة) فبالألف لا غير.

وإذا كانت عينُ الفعل همزة – ومعنى عين الفعل أن تقع وسطا – من مثل فَعَلَ،

---

(٣٦) أدب الكتاب للصولى ص ٢٥٣.

مثل (نَأَىَ ينأى، وشَأَىَ يشأى) كتبت بالياء، وإن كانت من بنات الواو. ألا ترى أنك تقول (نَأَوْتُ). وإنما فعلوا ذلك كراهية أن يجمعوا بين ألِفَين، فَقِسْ على ذلك».

والصولى فى كل هذه الموضوعات وغيرها يتحدث بأسلوب المخاطب، أسلوب الأستاذ للتلميذ، ويوضح له عناصر موضوعه فى سهولة ووضوح، وبطريقة تؤدى إلى الإقناع والإفهام - فيقول أحيانا:

«إن شئت قلت كذا، أو «تقول كذا»... ولاتقل كذا. «فإذا أمرت قلت» هذا من حيث الموضوعات المستقلة التى تناولها الصولى.

وللصولى أيضا - فى ثنايا كتابه وفصوله - مجهود صرفى كبير - يتمثل فى تحليله لكثير من الألفاظ والمفردات وتناوله كثيرا من تصاريف اللغة وإرجاعها إلى أصولها وإسنادها إلى الضمائر المختلفة وذكر معانيها ولغاتها.. واشتقاق ألفاظ جديدة منها ووزنها وشرحها والاستشهاد عليها بآيات من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية وأحيانا شعر الشعراء.. وهو فى ذلك يتوخى السهولة والبساطة والفصاحة فى نفس الوقت حتى يكون أسلوبه محببا إلى نفس قارئيه.

ونستطيع أن نجد العديد من الأمثلة على ذلك. فحين تحدث عن الإنشاء[٣٧] قال:

«انشأ الكاتبُ الكتاب: ابتدأ عمله على غير مثال يحتذيه، قال تعالى:

﴿قل يُحييها الذى أَنْشَأها أول مرة﴾ وتقول العرب: أَنشأ يفعل كذا، وأنشأ يقول كذا إذا ابتدأ، وأنشأ الله الخلق يُنشئهم إنشاءً، إذا ابتدأ خلقهم.. وأنشأتُ أنا الشىء أُنشأه إنشاءً ».

(٣٧) أدب الكتاب للصولى ص ١١٨.

وحين تناول الصولى موضوع الإملاء، تحدث عن مادتها فقال[٣٨] :

«يقال أمليت الكتاب وأمللت. وقد نزل القرآن باللغتين جميعا، قال الله عز وجل: ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تُملى عليه﴾ وقال جل وعلا (فليملل وليه بالعدل) وأصله فى اللغة من (الإمالة) ومنه الملوان: (الليل والنهار).

ومنه «إنما نُملى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إثماً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمْ» - وأنما أَخَّرهم الله ليتوبُوا، فلما كان تأخيرهم سبب إثمهم وآلته ،آل أمرهم بسبب التأخير والاملاء إلى الإثم.

ولاشك أن غرض الصولى من هذه الأمثلة وغيرها هو تعليم الكاتبين وتثقيفهم - وإرشادهم ومدهم بالغزير من ألفاظ اللغة لتحسين كتابتهم ومنع اللحن عن ألسنتهم.

والصولى إذا تناول موضوعا ضمنه بعض الطرائف والنوادر وذكر كل ما قيل فيه شعرا ونثرا، قولا وحكمة.. فإذا كانت له أبيات فيه ذكرها.. فنراه يضمن كتابه أشعارا كثيرة قالها فى بعض المناسبات التى ترتبط بموضوعات كتابه.

فحين تناول موضوع (الحض على التكاتب) نراه يضيف لنفسه أشعارا نظمها فى نفس هذا المجال يقول[٣٩] : «ومن مليح ما قيل فى استبطاء الجواب أبيات كتبت بها فى صدر قصيدة إلى سيدنا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه وهو إذ ذاك أمير:

ليس يـأتِى من الأمـير كـتـابُ ... إبـتـداء ولا يَـرِدُ جـوابُ

فـإذا مـا شَكَـوْتُ ذَاكِ وعـاتبـ ... ـتُ أتـانِى عـلى العتـابِ عتـابُ

......

ويذكر الصولى أيضا بعض الأشعار فى وصف القلم شعرا، وغير ذلك من الموضوعات التى اشتمل عليها كتابه.

---

(٣٨) أدب الكتاب للصولى ص ١٣٥.

(٣٩) أدب الكتاب للصولى ص ١٦٦، وانظر ص ٨٢ (فيما قيل عن القلم شعرا).

والصولى فى تحليل موضوعاته يميل كثيرا إلى الاستطراد، والتنقل من موضوع إلى موضوع، لكى يتجنب الرتابة والملل، وأيضا فإنه كان يبغى زيادة التثقيف والتعليم. فكان يخرج من دائرة موضوعه الأصلى الذى يتناوله إلى موضوعات فرعية ويحللها ويوضحها ثم يعود إلى أصل الموضوع مرة ثانية بفن ومهارة ودقة وحسن تصرف.

فعندما تناول موضوع «فضل الكتابة» وأرخ لها، شرع يشرح كيف تكون الكتابة، وكيف تكون المكاتبات وكيف تبدأ، فتناول افتتاحها، وأنها لابد أن تبدأ كأى شىء بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» ثم أخذ يوضح - كما هى عادته - الأصل فى هذه العبارة، ويحللها مبينا كيف نشأت وتجمعت حتى وصلت إلى هذه الصورة، فألف فصلا فى «أصل بسم الله الرحمن الرحيم» تناول فيه كل ما يحيط بهذه العبارة يقول فيه(٤٠):

«كانت قريش تكتب فى جاهليتها «باسمك اللهم». وكان النبى صلى الله عليه وسلم كذلك.. ثم نزلت سورة هود وفيها ﴿بسم الله مجراها ومرساها﴾ فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بأن يكتب فى صدر كتبه (بسم الله).. ثم نزلت فى سورة بنى إسرائيل ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾، فكتب (بسم الله الرحمن)... ثم نزلت فى سورة النمل (إنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم) فجعل ذلك فى صدر الكتب إلى الساعة. وكتب بسم الله الرحمن الرحيم فى أول كل سورة من القرآن إلا فى أول سورة التوبة...».

ثم ينتقل الصولى إلى موضوع آخر يتصل بفقه اللغة، فيحلل لفظ اسم وهل هو من السمو أو السمة فيقول(٤١):

---

(٤٠) أدب الكتاب للصولى ص ٣١.

(٤١) أدب الكتاب للصولى ص ٣٣، ٣٤ وانظر ص ١٤٣.

«إن الألف فى (بسم الله) وصلٌ، لأن تصغيره سَمِىٌّ، وإن العرب تقول: هذا اسم وهذا رسمٌ، وسَمٌ.. فقد أنشد:

(باسم الله الذى فى كل سورة سِمْهُ) ويروى سُمْهُ

وإنما ضموا السين وكسروها لأن سَمَوْتُ وسَمَيْتُ بمعنى ارتفعت وعلوت. فمن قال: سِمْ فكسر، فمن سَمَيْتُ، ومن قال سُمْ فهو من سَمَوْتُ. ومعنى قولك: أسميت لفلان فلانا، إنما هو رفعت له صفته وما يعرفه به حتى عرفه..

والاسم مأخوذ من السمو وهو الارتفاع، وأصله سُمو والجمع أسماء مثل / حنو وأحناء وقنو وأقناء. ومن قال الاسم مأخوذ من السِّمة، كأنك إذا قلت أسميته لفلان، كان المعنى (وسَمْتُهُ له بشىء عرفه به) حُذفت منه فاء الفعل، ودخلت ألف الوصل..».

ثم ينتقل الصولى إلى موضوع آخر وهو حذف الألف من (بسم الله) ثم يتناول رسوم الكتاب.. وكيف تفتتح الكتابة ويتناول بعد ذلك عبارة (أما بعد).. وهكذا يتنقل الصولى من موضوع إلى موضوع. على أننا ينبغى أن نعرف أن تنقله هذا يكون داخل الدائرة الكبرى لموضوعه. وكأنه يتنقل من مجال إلى مجال حول نواة موضوعة الأصلى ليوضح ما اشتمل عليه من عناصر ومعلومات سواء أدبية أو صرفية أو تاريخية.

وتظهر ثقافة الصولى الدينية بصورة واضحة فى كتابه «أدب الكتاب» وتظهر فيه أيضا قوة حفظه للقرآن الكريم ومناسبات نزول آياته ومعرفته بألفاظه واشتقاقاتها.. ومقدرته على الاستشهاد بها فى المواضع المختلفة.. فكل ما فى كتابه هذا ينطق بعبقريته وعلمه وبسعة أفقه وتفقهه فى علوم القرآن.

نستطيع أن نرى ذلك فى كثير من الموضوعات[٤٢] التى تناولها.

(٤٢) انظر موضوع اللغة فى دعاء المكاتبة مثلا - أدب الكتاب للصولى ص ١٧٥.

أسـلوبه

ومن خلال كتاب «أدب الكتاب»، ومن بين ما تناوله الصولى من موضوعات أدبية ولغوية ودينية نستطيع أن نتبين أسلوبه التعليمى.

أسلوب الصولى التعليمى يتسم بسمات مميزة:

أولى هذه السمات وأهمها... أنه يظهر فيه شخصية الصولى المعلم الأديب الكاتب الفقيه اللغوى النحوى المؤلف المصنف.

كما يظهر فيه أيضا: نزعته الدينية، وتعمقه فى علوم القرآن والحديث والفقه والتشريع، ومقدرته الفنية على تناول الموضوعات التى تتصل بهذه العلوم وتحليلها تحليلا فنيا جميلا يبرز عناصرها الأساسية.

كما يظهر فى هذا الأسلوب: قوة حفظه وسعة اطلاعه وغزارة مادته اللغوية، ومقدرته الفائقة على تحليل الألفاظ واستخراج اشتقاقاتها وتصاريفها المختلفة.

وأيضا يظهر فيه حصيلة محفوظاته من روائع النظم والنثر وأقوال الحكماء وآراء العلماء والأدباء فى المناسبات المختلفة.

وسمة بارزة أيضا فى أسلوبه وهى كثرة استشهاده بأشعار الشعراء وكتابة الكتاب حول موضوعاته المتنوعة، كما يكثر تضمينه واقتباسه للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وأيضا اعتماده الواسع على أحداث التاريخ وما اشتمل عليه من موضوعات تتصل بالأدب وباللغة والطرائف والملح..

وأسلوب الصولى فى كتابه التعليمى هذا - أسلوب سهل واضح، قريب المقصد، يصل مباشرة إلى ذهن القارئ دون أدنى جهد، لأنه توخى فيه التحليل والشرح،

وجنح فيه إلى البساطة وتوضيح المضمون وإبراز الفكرة بأسهل الطرق وأقربها إلى العقل. من أجل ذلك عمد فيه الصولى إلى الايجاز والاختصار، وخالف فيه منهجه فى التأليف عموما، فحذف الأسانيد بقصد تقريب مادته العلمية إلى طالبيها بأقصر الطرق وأبسطها حتى لا تضيع أفكاره بين زحمة الأسانيد أو تثقل المادة الأدبية، ويصعب الوصول بها إلى الغرض الذى يرمى إليه.

وقلما يستعرض الصولى فى كتابه هذا أسلوبه الأدبى الذى يعتمد على التصوير والتخييل والمحسنات البديعية - اللفظية والمعنوية - بل أنه يجنح دائما إلى الأسلوب التعليمى - أسلوب المخاطب - الذى يعتمد على البساطة والوضوح حتى تتألق مادته الأدبية وعناصرها المتنوعة أمام أذهان كتابه وقارئيه.

وكتاب الصولى هذا يدل على معرفته الكبيرة والواسعة بالأسس المتعارف عليها فى المكاتبات الرسمية وغير الرسمية، وعلى حذقه وبراعته فى أدائها والتفنن فيها.

ومن هذا الكتاب يتضح أيضا أن للصولى مقدرة فائقة فى تحليل المعانى وشرح المفردات وتوضيح مضمونها، يمده فى ذلك عقل واع، وذاكرة قوية، ومقدرة على اللغة واستيعاب كامل لمعاجمها، وذوق فى تخير المفردات والتراكيب العربية... فبرز لنا أسلوبه معبرا عن أفكاره وترابطها، وظهر فيه قوة التدليل وحسن الآداء وروعة التناسق. فكان كتابه هذا جديرا بأن يكون أدبا للكتاب ودستورا.

ومنهج الصولى فى كتابه «أدب الكتاب» يختلف عما انتهجه ابن قتيبة فى كتابه «أدب الكاتب» فالكتابان وإن اتفقا فى الغرض الأساسى الذى ألفا من أجله - وهو تعليم الكتاب وتثقيفهم وتدريبهم - إلا أن كتاب الصولى يختلف فى معظمه عن كتاب ابن قتيبة، يختلف من حيث المادة الأدبية ومن حيث المنهج.. ومن حيث التبويب والترتيب.. ومن حيث الأسلوب وطريقة تعليم الكتاب وتدريبهم.

فالصولى لم يشأ - فى كتابه هذا - أن يورد الصيغ والعبارات والألفاظ جزافا للحفظ، ولم يشأ أن يدخل فى متاهات علوم البلاغة - كما فعل ابن قتيبة.

بل جعل كتابه هذا كتابا تعليميا مبسطا، يعتمد على التحليل والفهم، ويقوم على الممارسة والتمرين، ويوفى بالاحتياجات اللازمة للكتابة، دون ما استعراض لأسلوب أو ثقافة.

وابن قتيبة إذا كان قد استند عند تأليفه كتاب «أدب الكاتب» إلى السابقين واستعان بكتب الفرس، وآرائهم، واعتمد على علوم البلاغة.

فإن الصولى لم يستند إلا إلى نفسه. وإلى علمه وإلى ثقافته وخبرته.. فكثيرا ما نراه يتوسع فى مسائل، ويتعرض لموضوعات لم يتناولها ابن قتيبة فى كتابه.

من هذه الموضوعات: حسن الخط وشروطه وفوائده، الدواة والحبر، القلم وطريقة بريه، ترتيب الكتاب والقراطيس، الدعاء فى المكاتبات، وغير ذلك من الموضوعات التى اعتبرها الصولى مفيدة للكاتب.

ومن الموضوعات التى أغفلها أيضا ابن قتيبة وأوردها الصولى «موضوع كيف تكون المكاتبات».. فكون الصولى ألف كتابه للكتاب لتعليمهم وإرشادهم . نراه يوضح لهم كيف تكون المكاتبة، وكيف تبدأ، وكيف كانت أيام الرسول.. ويتناول بعض الموضوعات التى ترتبط بالدين الإسلامى وتتصل بالمكاتبة مثل المكاتبة للمسلم، والمكاتبة لغير المسلم، وكيف كانت تفتتح المكاتبة.. وغير ذلك.. يقول[٤٣] :

«مضت السنة فى المكاتبة أن يبتدئ المُكَاتب نفسه على المكتوب إليه، فقد روى أن العلاء بن الحضرمى كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبدأ بنفسه..

---

(٤٣) أدب الكتاب للصولى ص ٢٢٤.

وروى الربيع بن أنس.. أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يكتبون إليه: «من فلان بن فلان إلى محمد رسول الله..».

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا كتب أحدكم فليبدأ بنفسه إلا إلى والد ووالدة أو إمام».

ويتكلم الصولى عن الكتاب إلى المسلم فيقول: «والكتاب إلى المسلم» / «سلام عليك، فإنى أحمد الله إليك الله الذى لا إله إلا هو... »

وإلى غير المسلم: «والسلام على من اتبع الهدى - كذا كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم وإلى كسرى، وإلى مسيلمة الكذاب..».

ويقول الصولى: وقد روى أنه قد رخص فى رد السلام على الكافر.. وأن رجلا منهم كتب فى آخر كتابه إلى النبى صلى الله عليه وسلم: «سلام عليك» فأمر النبى الكاتب أن يرد عليه السلام..

ويعلل الصولى لماذا افتتحت المكاتبات بعبارة «سلام عليك» وهى نكرة فيقول: وإنما كتبوا فى أول الكتاب سلام عليك، لأن النكرات أوائل الأشياء، والمعارف الثوانى. فافتتحوا بالنكرة، فإذا ردوه عرّفوا.. فقالوا: السلام عليك.. كقولك: «مَرَّ بِي رجل فكان من أمره كذا وكذا ثم قال لى الرجل كذا» فعرَّفت أنه ذلك الذى ابتدأت بذكره.

وإذا كان الشيء مهما لا ينفصل بعضه عن بعض، تكلموا به مرة بالألف واللام، ومرة بطرحها كقولهم: «قلت خيرا وقلت الخير» و «كسبت مالا وكسبت المال» «ولا أراك الله سوءا ولا أراك السوء».

وهكذا اختلف كتاب الصولى «أدب الكتاب» عن كتاب ابن قتيبة «أدب الكاتب». اختلف من حيث المادة الأدبية، ومن حيث التقسيم والتبويب، ومن حيث

تناول الموضوعات وإن اتفقا من ناحية الغرض والمقصود.

وإذا كان ابن قتيبة قد اتجه إلى البلاغة، وذكر طرق تقسيم الكلام، وسرد مجموعة من التعبيرات والعبارات إلى غير ذلك..

فإن الصولى - فى كتابه هذا - اتجه إلى تعليم الكتاب أصول مهنتهم وتثقيفهم بما يتصل بهذه المهنة من مواد أدبية ولغوية.. لذلك جاءت موضوعاته أكثر اتصالا بالكتابة والكتاب. تناولها مباشرة من غير تقسيم للكلام أو استهداف لتبين علوم البلاغة وعناصرها وأصولها. تناولها مباشرة موجها كلامه وعلمه وشرحه إلى أناس سيكونون يوما دعامة للكتابة عامة والكتابة الديوانية خاصة.

لذلك وضح الفرق بين الكتابين وبين المنهجين..

ولاشك أن كتاب أدب الكتاب للصولى يدل دلالة واضحة على قوة روحه الأدبية المتجلية فى منهجه الرائع، وفى طريقة تحليله للمواد الأدبية تحليلا فنيا يصقل الحس ويصفى الذوق ويربى ملكة الأدب والكتابة. ومن هذا الكتاب نستطيع أن نعرف عقلية الصولى المعلم المؤلف الكاتب العالم اللغوى الأديب الفقيه، ومنه أيضا ومن طريقة تأليفه وتبويبه نعرف أن أبا بكر الصولى أحد كبار أئمة الأدب المشهود لهم بحسن التأليف وروعة التصنيف فى عصره.

على أن التأليف فى مثل هذا النوع من الأدب، لم يقف عند الصولى، بل تبعه أدباء آخرون ارتقوا بهذا الفن ونموه وطوروه.. حتى إذا وصلنا إلى القرن الثامن الهجرى، وجدنا على رأس هؤلاء جميعا (القلقشندى) ٧٥٦-٨٢١هـ، الذى أتاح للأجيال اللاحقة أن تعرف وتطلع على أكبر كتاب تعليمى وتثقيفى، بل أكبر موسوعة عرفتها الثقافة العربية.

فقد تتبع القلقشندى كل فن من فنون المكاتبات التى تصدر عن ديوان الانشاء

فى كل بلد من بلاد الإسلام كالعراق ومصر والحجاز والشام، ثم لم يكتف بذلك، بل وصف ما كان من أمر هذه الفنون الكتابية كلها فى بلاد المغرب والأندلس، فكتابه «صبح الأعشى» يعطينا فكرة واسعة عن الثقافة التى كان لابد منها لكاتب الديوان فضلا عن الفنون الكتابية العديدة التى لابد له من أن يحذقها جيدا، ويقف على أصول كل فن من فنونها على حده. فنجد فى «صبح الأعشى» خلاصة فنون الانشاء، وبيانا لحال اللغة العربية فى عصورها المختلفة، وانتشار هذه اللغة فى بلاد فارس، وما وراء النهر، وبلاد الروم، ومصر، وبلاد أفريقية، والمغرب الأقصى، والأندلس وبلاد الهند، والصين وبعض بلاد أوروبا، ثم يحدثنا القلقشندى فيه عن الأسباب التى من أجلها نجحت هذه اللغة فى أن تصبح فى وقت قصير لغة الأدب والعلم، ولغة الحكم والسياسة، فضلا عن كونها لغة الدين، والقرآن الكريم.

كما نجد فى «صبح الأعشى» شرحا للنظم الادارية، التى سارت عليها الدول الاسلامية فى كل بقعة من بقاع الأرض وصل إليها الدين الاسلامى. ونجد فيه أيضا اهتماما خاصا بوصف مصر من جميع نواحيها وعناية بالنيل وزيادته ونقصانه، وزرعه وخلجانه، وبيانا بخطط الديار المصرية على نحو ما فعله المقريزى فى خططه المعروفة.

وكتاب صبح الأعشى يعتبر معرضا جميلا لآثار الكتابة الديوانية منذ عرف المسلمون، ديوان الانشاء حتى زمان المؤلف فى الربع الأول من القرن التاسع الهجرى، فلقد تعرض فيه القلقشندى وبتوسع لفنون شتى من التحرير الرسمى أو الديوانى مثل: تحرير الولايات، والعهود، والمبايعات، والإيمان وكتب الأمان، وعقود الصلح، وكتب الهدنة، والوصايا الدينية التى تلقى باسم الخليفة من أعلى المنابر، والمسامحات، والإقطاعات.. وهكذا إلى ما يقرب من عشرين فنا.

ولا شك أن كتاب صبح الأعشى، يعد عملا جليلا كبيرا لرجل من أعظم بناة

الثقافة العربية فى العصور الوسطى، عاش فى عصر المماليك - وهو العصر الذى تبلورت فيه الشخصية المصرية، واتخذت شكلا نهائيا فى المجالات الأدبية والثقافية والمختلفة.

أشار القلقشندى فى مقدمة كتابه إلى طريقة التأليف التى أتبعها من سبقوه، الذين تناولوا موضوع كتابه هذا، فقال: «وإن هؤلاء المؤلفين فرق مختلفة:

- فرقة عنيت بأصول هذه الصناعة التى هى صناعة الانشاء.

- وفرقة جنحت إلى ذكر المصطلحات التى أتفق عليها أهل هذه الصناعة وبيان الغرض منها.

- وفرقة قصرت عنايتها على عرض النماذج الانشائية ليقتبس منها من يطالعها ويتخرج عليها من يمعن النظر فيها ثم قال إنه لم يظفر بكتاب يجمع كل هذه الأغراض.

ولقد جمع بينها جميعا «أبو العباس القلقشندى» فأخرج لنا هذه الموسوعة الفريدة فى تاريخ الأدب العربى.

جعل القلقشندى كتابه «صبح الأعشى» على مقدمة وعشر مقالات وخاتمة.. وجرى على خطة دقيقة كل الدقة ومنسقة كل التنسيق فى تقسيم كتابه.

عالج فى مقدمته أمورا كثيرة وأعطى كل منها ما يستحقه من العناية والاهتمام.

وفى المقالة الأولى: تحدث القلقشندى عما يحتاج إليه الكاتب من المواد، فجعل هذه المقالة فى بابين:

أولهما: ما يحتاج إليه الكاتب من الأمور العلمية.

ثانيهما: ما يحتاج إليه الكاتب من الأمور العملية.

ثم عمد إلى الباب الأول فقسمه إلى ثلاثة فصول:

١ - ما يحتاج إليه الكاتب إلى معرفته على وجه الاجمال.

٢ - ما يحتاج إليه الكاتب من الأدوات - وقد ذكر القلقشندى منها تسعة عشر نوعا هى جماع الثقافة العربية وعناصرها المختلفة كالشعر والقرآن الكريم والحديث النبوى والحكم والأمثال وكلام الخطباء ورسائل البلغاء.. إلى آخر ذلك.

٣ - ما يحتاج إليه الكاتب من معرفة الأزمنة والأيام والشهور والسنوات والمواسم والأعياد.

ثم انتقل القلقشندى إلى الباب الثانى .. الذى موضوعه الأمور العملية وقسمه إلى أربعة فصول:

١ - فى ذكر آلات الخط ومبادئه وصوره وأشكاله.

٢ - فى الكلام عن الخط نفسه.

٣ - فيما يتصل بالخط من النقط والضبط والشكل.

٤ - فى مصطلح الخط.. وهكذا.

وتحت كل فصل من هذه الفصول السابقة يأتى القلقشندى بالأنواع فيقول: النوع الأول.. النوع الثانى.. وهكذا.. وتحت كل نوع منها يأتى بالجمل فيقول: الجملة الأولى.. الجملة الثانية.. وهكذا.. مما يدل على روعة التأليف ودقة التصنيف وبلوغه الذروة فى المادة العلمية الأدبية.. فجاء هذا الكتاب أكبر موسوعة أدبية ثقافية فى الأدب العربى على الإطلاق.

وخلاصة القول: إن الأدب التعليمى عند الصولى يتمثل فى تعليم قرض الشعر وقوله.. وفى تعليم الكتابة وتنسيقها.. تمثل النوع الأول فى المقطوعات الشعرية التى كان ينظمها الصولى كنماذج يحتذى بها ويقلدها تلاميذه.. وتمثل النوع الثانى فى

كتابه «أدب الكتاب».. الذى ألفه الصولى لتعليم الكتاب وتثقيفهم، وقد أراد به الصولى أن يكون سهل التناول والتداول قريب على طالبيه وقارئيه. فتوخى فيه التسهيل والتفهيم، بأبسط الطرق وأقربها، دون ما تعميق أو تطويل، وكان غرض الصولى من تأليف هذا الكتاب: هو نشر الوعى الكتابى والثقافة الديوانية، بغية خدمة الخلفاء والوزراء والولاه فى دواوين الخلافة المختلفة، وغيرها من مجالات العمل الرسمية فى الدولة، بتخريج أجيال جديدة من الكتاب تقوم بعملها على أسس علمية، لتستطيع أن تساهم فى الحياة الرسمية والثقافية والأدبية.

الباب الرابع

مؤلفات الرجل

الفصل الأول : مؤلفات الصولى الأخبارية.

الفصل الثانى : مجموعة الكتب الأدبية واللغوية.

الفصل الثالث : مجموعة الكتب الدينية.

الفصل الرابع : مجموعة الكتب المتنوعة.

الفصل الخامس : دواوين الشعراء.

الفصل السادس : منهج الصولى فى التأليف.

الفصل السابع : تجريح... ودفاع.

مؤلفات الرجل

الصولى نموذج فذ من النماذج التى تمثل ثقافة عصره - بكل ما فيه - أصدق تمثيل. ذلك أنه ألم بألوان الثقافة العربية على اختلاف مناحيها واتجاهاتها، ووقف وقوفا طويلا على بعض الثقافات الأجنبية الوافدة، والداخلة فى محيط الفكر العربى الإسلامى، والحياة الثقافية آنذاك.

وانعكست هذه الثقافات على حياته التى امتازت بنشاط علمى ضخم، وضح فى كثرة مؤلفاته ومصنفاته التى يصعب حصرها، فقد ذكرت المصادر الأدبية القديمة التى ترجمت له وأرخت لحياته أن «له كتبا كثيرة هائلة»[1].

ولقد ساعد الصولى على القيام بهذا المجهود الضخم، سعة ثقافته وغزارة علمه الذى تحدث مؤرخوه عنه طويلا، فقالوا: «كان أحد العلماء البارزين بفنون الأدب، وحسن المعرفة بأخبار الملوك، وأيام الخلفاء، ومآثر الأشراف، وكان واسع الرواية، جيد الحفظ، حاذقا بتصنيف الكتب»[2] ووصفوه بأنه الكاتب، الأديب، الأخبارى، العلامة..

إذن فالصولى مشهود له من الجميع بسعة الأفق، وغزارة العلم، وحسن المعرفة بالأخبار، وكثرة التآليف والتصانيف.

ومما كتبه الصولى سواء عن نفسه أو عن غيره، نستطيع أن نعرف أنه ثقف جميع معارف وفنون عصره، وأدلى بدلوه فيها جميعا، فجاءت مؤلفاته ومصنفاته شاملة

(١) الكامل فى التاريخ لابن الاثير ٣٢٤/٦، البداية والنهاية فى التاريخ لابن كثير ٢١٩/١١.

(٢) ابن الاثير فى الكامل فى التاريخ ٣٢٤/٦، وابن كثير فى البداية والنهاية ٢١٩/١١، والسمعانى فى الأنساب ص ٣٥٧ وانظر وفيات الأعيان ٤٧٧/٣، شذرات الذهب ٣٣٩/٢، ومروج الذهب ١٥/١.

لجميع هذه المعارف، أعانته على ذلك عقلية منظمة واعية مصقولة، فجاءت كتبه ومصنفاته وليدة هذه العقلية الواعية والفكر المنسق.

ولاشك أن هناك عوامل فعالة أثرت فى كثرة وتنوع إنتاجه:

أولى هذه العوامل: شغف بالمعرفة منذ الطفولة إلى الكهولة.. فى حياة مديدة تزيد على الثمانين عاما.

وثانيها: ثقافة متنوعة واسعة، واطلاع دائم، وشغف كبير للنهل من مناحى المعرفة.

وثالثها: ذكاء خارق وذاكرة واعية، وعقل ناضج وصبر دائب على الدرس والاستيعاب والتحصيل، والبحث والتأليف والتسجيل.

ورابعها: تخفف من أعباء الحياة الزوجية والذرية، وانقطاع للعلم وخدمة الخلفاء.

وخامسها: ظروف العصر الذى نشأ وعاش فيه حيث كان عصر اضطراب ومحن سياسية. وقد دفعه الاعتصام من ويلاته إلى العكوف على الاطلاع والتأليف. ليكون بمنجاة عن الوشايات والدسائس.

وعامل أخير مهم وأساسى: هو أن مركزه الأدبى والعلمى – فى قصور الخلفاء ورحابهم وفى مجالس العلماء والأدباء – جعله يتزود باستمرار بالعلم والمعارف ويوسع نشاطه ومداركه ويحصل من العلوم أوفر قسط ممكن لئلا يفحم أو يغلق عليه القول، فيقل قدره، وتضعف هيبته.

كل هذه العوامل دفعت الصولى إلى النهل من ينابيع الثقافة والعلم، والعكوف طويلا على مستلزمات حياته.. وأثرت تأثيرا مباشرا وقويا فى إنتاجه الغزير، فصار علما يشرِّف عصره وشرفه عصرُه.

ومؤلفات الصولى تتسم بالطرافة والإمتاع، ينحو فيها منحى مؤلفى عصره، وإن يكن تظهر فيها شخصيته الفذة.

ومن العسير على الباحث أن يرتب مؤلفاته ومصنفاته ترتيبا زمنيا. ومن العسير عليه أيضا أن يقرن هذا الترتيب بأطوار حياته المديدة.

من العسير ذلك لأسباب عدة أهمها:

١ - أن المصادر القديمة التى ترجمت للصولى لم تهتم بذكر المعلومات التى تتصل بمولده وطفولته ولا بالتيار الذى سارت فيه حياته ولا أين تلقى العلم أو كيف، ومتى نضجت قريحته.. وبالتالى لم تتحدث عن زمن تأليفه لكتاب معين. وهذا يجعل الباحث لا يستطيع أن يحدد على وجه اليقين مسايرة مؤلفاته هذه لتطورات حياته.

٢ - إن كتبه التى تعتمد تماما على عقله أو نقله تكاد تكون كل منها فى منهجه وغرضه ومادته فى مستوى واحد - أى لا يتضح منها تأريخ لهذا التأليف. أو تحديد لزمنه. بل المقصود منها توصيل المادة العلمية إلى أذهان القارئين فقط.

٣ - إن الصولى نفسه لم يذكر فى لفظ صريح أى شىء يمكن الاعتماد عليه فى تحديد زمن أو مكان تأليف أىٍّ من كتبه. بل كان يذكر فقط أن انتهى من تأليف أخبار خليفة ما وسيبدأ فى تأليف خليفة آخر.. دون أن يحدد السنة التى انتهى فيها. حقيقة أنه كان يتحدث فى ثنايا كتبه عن نفسه وعن مؤلفاته ويذكر أحيانا أسماءها لكنه لم يكن يهتم بعنصر الزمن. فلم يذكر مطلقا سنة معينة انتهى فيها من تأليف كتاب معين - بالرغم من تسجيله الأحداث التاريخية، وتأريخه للأعلام - ولكنه كان يهتم بالتسلسل التاريخى وحده، فيتحدث عن أحداث سنة معينة، ثم السنة التى تليها... وهكذا دون أن يذكر متى انتهى من تأليف كتاب معين له.

ومع ذلك فالباحث قد يستطيع بشىء من الظن والترجيح - وعلى ضوء كلامه فى

بعض المناسبات، وتتبع أطوار حياته فى قصور الخلفاء وفى رحابهم. أن يحدد على وجه التقريب الملامح والقسمات التى تتصل بزمن تأليف بعض كتبه.

فمن المرجح أن يكون الصولى قد ألف كتابيه فى الشطرنج فى زمن نبوغه فيه، وتفوقه على كل من حوله أى فى عهد المكتفى بالله (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ).

وأنه ألف أخبار شعراء مضروربيعة واليمن وجمع أشعارهم فى عهد المقتدر (٢٩٥-٣٢٠ هـ). لأن الراضى بالله فى بداية عهده طلب إليه أن ينسخها له، نتيجة لخُلُوّ مكتبته منها.

وأنه ألف فى عهد الراضى كتابه «أدب الكتاب»، فقد ذكر فى أخبار الراضى بالله[٣] إنه فى سنة ٣٢٦ هـ عرضه على الوزير «الفضل بن جعفر بن الفرات» ويؤكد ذلك ما تحدث به الصولى فى كتاب أدب الكتاب[٤] نفسه.

وأنه ألف أخبار القاضى عمر بن محمد بعد وفاته سنة ٣٢٨ هـ فى زمن الراضى أيضا فهو يقول فى أحداث هذه السنة، «لقد أفردت لذلك كتابا فى أشعاره وأخباره، ورسالة عملتها فى وصفه ووصف أبيه[٥]».

وأيضا ألف رسالته فى فضل أبى بكر محمد بن طغج[٦] - نتيجة لحب الراضى له وثنائه عليه.

وأنه ألف كتبه فى الحديث والعبادة ورمضان وسؤال وجواب رمضان والغرر فى أخريات حياته حين كان يجلس فى المساجد - فى واسط وبغداد والبصرة ليحاضر الناس، ويروى لهم ما يتصل بدينهم ودنياهم.

---

(٣) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٩٠.

(٤) أدب الكتاب للصولى ص ١٦٤.

(٥) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٤١.

(٦) أخبار الراضى بالله ص ٤٤.

وكذلك كتابه «الشامل فى علم القرآن». ويؤيد هذا الترجيح، ماذكره ابن النديم[٧] - بخصوص هذا الكتاب - من أن الصولى لم يتمه.

أما كتب التاريخ والأخبار: فأغلب الظن أن الصولى كان يكتب أخبار وأحداث الخلفاء أولا بأول فى أوراق، حتى تكتمل لديه أخبار كل خليفة بانتهاء عهده أو موته، ثم يجمع هذه الأوراق لتضم أخباره وأحداث دولته وتسمى باسمه أو بالفترة التى حكم فيها. ومن المرجح أيضا أنه كان يسجل فى حياته عهود الوزراء وأخبارهم حتى تجمعت لديه مجموعة كبيرة منهم، فجمعها فى «كتاب الوزراء».

أما أخبار الشعراء فكان يستقصيها ويتتبعها جملة واحدة ثم يجمعها لتضم أخباره وأشعاره والآراء التى قيلت فيه، وما جاء فى تفضيله.. الخ.

ولقد كان يقوم بهذا العمل إما تلبيه لرغبات عليه القوم، أو بتكليف خاص من أمير أو وزير، كما فعل فى تأليفه لأخبار أبى تمام وأبى نُواس وأحمد بن يوسف.

كما أنه أحيانا كان يجمع هذه الأخبار لتكون مقدمة لديوان الشاعر، وتوضح بعض أسرار حياته، وتلقى الضوء على مذهبه الفنى وعلاقته بمن يمدحهم أو يتصل بهم من خلفاء أو وزراء أو غيرهم.. كما فعل فى تأليفه لأخبار البحترى.

أما جمعه لدواوين الشعراء - فمعروف أن الغرض الأساسى من ذلك هو تنمية ملكة الشعر وتغذية هواية الأدب - وأيضا فإن صميم عمله كان يحتم عليه الاطلاع على إنتاج الشعراء والأدباء وتقييمه. فكان لابد له من أن يعرف شعرهم ويحفظه ويعرف مناسباته وأغراضه ومعانيه حتى لا يغيب عليه معنى أو يغرب عليه موضوع، وخصوصا وأنه كان يستغل ذلك فى مجالسته للخلفاء والأمراء والجلساء ومنادمتهم.

ومن خلال وجود الصولى فى قصور الخلفاء والأمراء، والاتصال بهم، كان يسمع

---

(٧) ابن النديم - الفهرست ص ١٥٠.

أشعارهم ويقيِّمها ويسجلها حتى تجمعت لديه هذه المجموعة الضخمة من أشعار الخلفاء وأشعار أولادهم وأخبارهم.

ومن المؤكد أن الصولى قد استغل الفترة الأخيرة من حياته فى تدوين ما سجله عقله، وما حفظته ذاكرته الواعية، وحتى يقتل الفراغ الذى ملأ حياته، بعد أن اعتكف عن أعين العامة والخاصة فعكف على تدوين ما لم يستطع فى الماضى انجازه، وهكذا تعددت مؤلفات الصولى.. وهكذا تجمعت وتكونت.

وإذا كان الصولى قد اشتهر بكثرة ما ألف وما صنف، وذكر المؤرخون والمترجمون أن له تآليف وتصانيف كثيرة هائلة. قدَّرُوها بأنها تزيد على الأربعين مؤلفا ومصنفا، فى الآداب والتاريخ وعلوم القرآن والحديث والأخبار والشطرنج وغير ذلك - هذا بالإضافة إلى العديد من دواوين الشعراء..

فإنه لم يبق لنا من هذه المؤلفات والمصنفات إلا القليل، فقد امتدت إلى معظمها يد البلى الآثمة فمحتها وأتت عليها، فلم نظفر إلا ببضعة كتب طبع منها البعض ولا زال الباقى مخطوطا ينتظر من ينشط لتحقيقه وطبعه.

تقسيم كتب الصولى حسب الموضوعات:

وحتى يسهل تتبع مؤلفات الصولى ومصنفاته، يمكن تصنيفها من حيث المادة والموضوعات فى مجموعات تتصل ببعضها البعض.

المجموعة الأولى: وتضم مؤلفاته الأخبارية.

المجموعة الثانية: وتضم الكتابات الأدبية واللغوية.

المجموعة الثالثة: وتضم المؤلفات الدينية.

المجموعة الرابعة: وتشمل مؤلفاته المتنوعة، التى نجهلها ولا نعرف عنها سوى الاسم دون الموضوع.

وفى نطاق كل مجموعة من هذه المجموعات - ذكرت أولا المؤلفات الموجودة سواء أكانت مطبوعة أم مخطوطة، ثم ذكرت مؤلفاته المفقودة.

أما دواوين الشعراء، فقد صنفت ماوجد منها سواء كان مطبوعا أو مخطوطا معا... وذكرتها متعاقبة، ثم ذكرت ما فقد ولم يبق منه سوى الاسم أو الإشارة.

الفصل الأوّل

مؤلفات الصولى الاخبارية

مؤلفات الصولى الأخبارية ذات شقين:

(ا) شق يتصل بالتأريخ السياسى.

(ب) وآخر يتصل بالتأريخ الأدبى وتراجم الشعراء.

أولا: مؤلفاته التى تتصل بالتأريخ السياسى

١- كتاب الأوراق (الجزء الذى يتصل بتاريخ الخلفاء والدولة العباسية).

٢ - كتاب الوزراء.

٣ - كتاب القرامطة.

٤ - خبر واقعة الجمل.

٥ - مناقب على بن الفرات.

٦ - رسالته فى أبى بكر محمد بن طغج.

١ ـ كتاب الأوراق[١]

أهم مؤلفات الصولى الأخبارية:

كتاب الأوراق.. يقول عنه ابن النديم[٢]:

«إن الصولى لم يتمه، والذى خرج منه أخبار الخلفاء بأسرهم، وأشعار أولاد الخلفاء وأيامهم من السفاح إلى أيام ابن المعتز، وأشعار من بقى من بنى العباس ممن ليس بخليفة ولا ابن خليفة لصلبه وأول ذلك: شعر عبد الله بن على.. وآخره شعر أبى أحمد محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عيسى بن المنصور، ويتلو ذلك أشعار الطالبين ولد الحسن والحسين وولد العباس بن على وولد عمر بن على، وولد جعفر بن أبى طالب، ثم تلى ذلك أشعار ولد الحارث بن عبد المطلب، وبعده أخبار ابن هرمة الشاعر ومختار شعره، وأخبار السيد الحميرى ومختار شعره، وأخبار أحمد بن يوسف ومختار شعره، وأخبار سديف ومختاره...».

من كلام ابن النديم وغيره من المؤرخين، يتضح لنا أن كتاب الأوراق يشتمل على عدة أقسام، بعضها تاريخية سياسية، تلك التى تتعلق بالخلفاء وأخبارهم ووزرائهم وقوادهم وظروف عصورهم، وما حدث فى عهودهم.

وبعضها الآخر تاريخية أدبية، وتراجم لعديد من الشعراء، سواء أكانوا أمراء أم غير أمراء مع إضافة مختارات من إنتاجهم الفنى.

وسنتناول أولا الجزء الذى يتصل بالتاريخ السياسى..

---

(١) الفهرست ص ١٥٠، كشف الظنون ص ٢٠١، ٢٨٣، معجم الأدباء ١٠٩/١٩ وفيات الأعيان ٤٧٩/٣.

(٢) الفهرست ص ١٥٠، وانظر مروج الذهب ٣١١/٨، كشف الظنون ص ٢٠١.

أولا: التأريخ السياسى

ألف الصولى فى التأريخ السياسى للدولة العباسية وخلفائها جزءا كبيرا ضمنه كتابه الأوراق.. ضاع معظمه ولم نجد إلا تأريخا لبعض الفترات المتفرقة.

فنجد تأريخا للفترة من سنة ٢٢٦ إلى سنة ٢٥٦هـ[٣].

وتأريخا للفترة من سنة ٢٩٥ إلى سنة ٢٩٩هـ[٤].

وتأريخا للفترة من سنة ٣١٠ إلى سنة ٣١٨هـ.

وهاتان الفترتان تؤرخان لحكم المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ). وإن يكن قد ضاع التأريخ للفترة التى تربط بينهما.

كما نجد له تأريخا للفترة الأخيرة من حياته - من سنة ٣٢٢ إلى سنة ٣٣٣هـ[٥]. وهى الفترة الخاصة بحكم الخليفتين الراضى بالله والمتقى لله.

ونستطيع أن نجد فى هذا الجزء الأخير مثلا على كتابات الصولى فى التأريخ السياسى للدولة العباسية خاصة وأنه الجزء الذى وصل إلينا واضحا مطبوعا. ومنه يتضح قيمة الصولى كمؤرخ ومنهجه فى كتابة التاريخ وطريقته فى التفكير وتحليل الأحداث وإلقاء الضوء عليها.

فى الجزء الأخير من كتاب الأوراق يؤرخ الصولى للدولة العباسية من سنة

---

(٣) هذا الجزء مخطوط فى مكتبة لينينجراد فى روسيا، ج. هيورث. دن مقدمة كتاب الأوراق، قسم أخبار الشعراء ص ح، ط.

(٤) هذا الجزء لازال مخطوطا فى مكتبة الأزهر رقم ٦٧٣٧ أباظة ويقع فى ١٨٤ ورقة.

(٥) حقق هذا الجزء ونشره المستشرق ج. هيورث دن سنة ١٩٣٥ تحت اسم «أخبار الراضى بالله والمتقى لله» أو تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢هـ إلى سنة ٣٣٣هـ.

٣٢٢هـ إلى سنة ٣٣٣هـ - أى يؤرخ لعهدين، فيتحدث عن تولية الأمير أبى العباس محمد بن المقتدر الخلافة بعد أن بويع بالاجماع يوم الأربعاء لخمس خلون من جمادى الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، ويقول أن الأمير أرسل إليه يطلب بعض الأسماء التى ينعت بها الخلفاء وتكون لهم أوصافا «فوجه إليه برقعة فيها ثلاثون اسما ليختار منها ما يريد.. وأشار الصولى عليه أن يختار منها «المرتضى بالله[٦]» لكنه أبىَ على نفسه أن يتسمى باسم وقع لغيره من قبل ولم يتم له أمره[٧]، فاختار «الراضى بالله».

ويذكر الصولى عمال الدولة فى عهده من وزراء وقواد وقضاة وغيرهم. ويؤرخ للفتن والاضطرابات التى قامت ضد الدولة فى عصره.. منها فتنة مرداويج السلمى بأصبهان[٨] الذى أراد تشعيث الدولة ولكن قضى عليه بجكم التركى وأخمد فتنته.

وعن هذه الثورة يقول الصولى[٩] - إن المؤرخين اختلفوا فى كيفية القضاء على فتنة مرداويج وفى تحديد شخصية الذى قام بإخمادها، خصوصا بعد أن زعم أناس كثيرون أنهم قتلوه حرصا على الخلافة وطمعا فى رضاء الخليفة.

فنرى الصولى يسرد بالتفصيل سبب الثورة، وكيف أخمدت، ويحدد أن السبب فى مقتل مرداويج يرجع إلى «أنه جعل عسكره صنفين:

- صنف منهم جيل وديلم وهم خَوَاصَّه وأهل بلده الذين فتح بهم الرِّى ونواحيها.

- وصنف آخر من الأتراك وأهل خراسان، ثم استخص نفرا من الأتراك

---

(٦) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٣.

(٧) يقصد عبدالله بن المعتز الذى كان خليفة ليوم واحد ص ٤.

(٨) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٢١.

(٩) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٦٢.

وقربهم، فغضب الديلم من ذلك وعاتبوه. فقال: إنما اتخذت الأتراك لأقيكم بهم، وأقدمهم يحاربون بين أيديكم. وأنتم خاصتى وأنا بكم ولكم.. فبلغ ذلك الأتراك فأجمع رأيهم على قتله، ففتكوا به فى حمَّام، ثم ولوا بجكم رئيسا عليهم[١٠]».

ويؤرخ الصولى لوصول بجكم إلى بغداد - بعد إخماد الفتنة - لمقابلة الخليفة الراضى بالله الذى شكره واعترف بجميله وفضله، وخلع عليه، وجعله أميرا وولاه على المشرق[١١].

ويؤرخ الصولى للثورات التى قامت فى عهد الراضى - فيذكر أن الهاشميين كانوا يثورون بين آن وآخر ضد الخلافة، وكانت مسارحهم هى المساجد، وأن ضجيجهم قد كثر، فخرجوا على الدولة فى مظاهرات وقد سَّودوا وجوههم، ومنعوا الإمام - يوم الجمعة - من الخطبة والصلاة[١٢]. ويذكر أيضا ثورات القرامطة، وخروجهم على الدولة من حين إلى حين، وكيف كانت تُرد حركتهم بالقمع والمطاردة بواسطة قواد الدولة وجنودها[١٣]. كما يذكر صرخات العامة الذين عانوا من غلاء الأسعار فثاروا على الدولة وهاجموا الأحياء والمحلات[١٤].

وفى نهاية تأريخه لحكم الراضى - يذكر وفاته ويحددها ويحدد أسبابها تحديد مؤرخ مطلع فيقول[١٥]: «وتوفى الراضى ليلة السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة.. ودفن فى ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول وكان جلوسه فى الخلافة من يوم الأربعاء لخمس خلون

---

(١٠) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٦٢.
(١١) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٠٦.
(١٢) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٦٦.
(١٣) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٨٨.
(١٤) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٧١.
(١٥) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٨٣ وما بعدها.

من جمادى الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة إلى يوم وفاته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام..

وكان مولده فى شهر رمضان سنة سبع وتسعين ومائتين.. فكان عمره إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر».

ثم يذكر علله وما كان يعانيه من أمراض، وآراء الناس فيه ثم مكان دفنه.

ويؤرخ الصولى أيضا - فى هذا الجزء من كتاب الأوراق - لحكم الخليفة المتقى لله، فيذكر كيف تولى الخلافة وكيف بويع، وتعاقب الأحداث، وظروف الحكم وتعاقب الوزراء وسياستهم، وما تتابع من أمور، كما يؤرخ لما حدث خلال حكمه من ثورات وفتن ومصادرات، ويؤرخ لسيطرة الحمدانيين والبريديين على الدولة، واضطراره إلى الهروب مع ابنه، وتقلب الأحوال السياسية بصورة سيئة على الدولة حتى صار المتقى ألعوبة فى يد أمير الأمراء توزون، الذى ألقى القبض عليه وعذبه وسمل عينيه ثم خلعه وقتله.

ويختتم الصولى تأريخه للدولة العباسية، بذكر عمال الخلافة فى فترة زوال حكم المتقى لله سنة ٣٣٣هـ فيقول(١٦):

«كان أمير الأمراء: المظفر أبو الوفاء توزون.
وكاتبه المدبر للأمور: أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد.
وعلى وزارته: أبو الحسين على بن محمد بن مقلة.
وعلى شرطته ببغداد من قبل الأمير توزون: أبو بكر محمد بن جعفر النقيب.
وعلى قضائه: أحمد بن عبدالله بن اسحاق الخرقى.
وعلى كتبة ضياعه: أبو العباس بن أحمد بن عبدالله الأصبهانى.

---

(١٦) أخبار المتقى لله للصولى ص ٢٨٤.

وعلى الحسبة ببغداد: المعروف بالأسمر من أصحاب الأمير.

وعلى حجبته: أبو العباس أحمد بن خاقان المفلحى.

وإلى الإخشيد أبى بكر أحمد بن طغج مولى أمير المؤمنين: مصر والشامات...».

وتأريخ الصولى للدولة العباسية يختلف عن تأريخ غيره من المؤرخين.. ذلك أنه لم يكن ليعنى بالتأريخ السياسى دون أن يعنى بما هو حول التاريخ من عوامل نفسية تتصل بحياة الخلفاء والوزراء والأمراء والقواد.

فنراه فى ثنايا تسجيله للأحداث التاريخية، يجلى بعض اللمحات الدقيقة التى تدل على مدى فهمه واطلاعه على أغوار نفوس من هم حوله، فى ذكاء خارق وسعه أفق.

فيذكر مدى ثقة الراضى به وباخلاصه ووفائه لذلك كان يفصح له عن تباريح نفسه وما يعانيه، ويحدثه عن دقائق نفسه وأخص أموره، وما لقيه وقاساه من سجن وتعذيب واعنات من القاهر الذى كان أمرءًا - كما يقول الراضى - لا يوثق بدينه ولا بعقله. ويذكر الصولى أن الراضى بعد أن أزاح عن كاهله الهم والحزن قال: «أليس بابن المعتضد وأخ المقتدر وعم لنا؟.. هذا والله عار لا يُرحض وعيب لايزال».. فخفف الصولى عنه ما بنفسه، وقص عليه كثيرا من الأخبار القديمة وأحداث التاريخ، وذكّره بأن له فى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسوة حسنة.. «فهذا عمه أبو لهب، أنزل الله عز وجل فيه، وفى امرأته سورة من القرآن يعرفها كل إنسان، ويلفظ بهل كل لسان، فما لحقه عار، وقد ولده جد رسول الله عبد المطلب. وهذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يهجوه قبل إسلامه، ثم أسلم وشهد حنينا مع رسول الله صلى الله عليه، وحسن أثره ومازال محمودا مرضيا إلى أن توفى[١٧]».

وكم صادف الراضى من مشكلات، فكان يجد فى الحديث إلى أستاذه تنفيسا

(١٧) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٧، ١٨.

عما بنفسه لما كان يجده فى كلامه من راحة نفسية وتطييب للخاطر، بما يرويه له من أحاديث نبوية[١٨].

ومن اللمحات الدقيقة التى أظهرها الصولى فى ثنايا تأريخه للدولة العباسية - والتى لا نجدها فى كتب غيره من المؤرخين - أن الراضى بالله كان لا يحب الأتراك ولا يريدهم حوله، ولا يثق بأمرائهم وأنه كان يحس تآمرهم ومكائدهم.. ولكنه كان لا يستطيع أن يجاهر بكرهه لهم، وكان يلوم أجداده على اصطناعهم لهؤلاء الأتراك واستعانتهم بهم.

ويذكر الصولى قول الراضى فى إحدى خلواتها: «كأنى بالناس يقولون أرضى هذا الخليفة بأن يدبر أمره عبد تركى، حتى يتحكم فى المال وينفرد بالتدبير.. ولا يدرون أن هذا الأمر أُفسد قبلى، وأدخلنى فيه قوم بغير شهوتى، فسُلِّمت إلى ساجية وحجرية يتسحبون علىّ ويجلسون فى اليوم مرات، ويقصدوننى ليلا، ويريد كل واحد منهم أن أخصه دون صاحبه، وأن يكون له بيت مال...»[١٩].

ويروى الصولى ما يدل على أن الراضى بالله كان داهية فى عقله وذكائه وحسن تصرفه وتدبيره لأمور دولته، وأنه كان يعرف كيف يسوس أموره، مرة بالحيلة والدهاء، ومرة بالبذل والعطاء. فيقول: إن بجكم فى إحدى زياراته للراضى «قَبَّل فخذَه ويدَه، فضمه الراضى إليه، وأخرج من إصبعه خاتمين، فوضعهما فى إصبعه، أحدهما يشبه الجبل[٢٠] فى حمرته وكبره، فنظر ابن حمدون إلىّ ونظرتُ إليه، واغتممنا أن يكون فى يد غيره، ففطن لنا، فلما انصرف بجكم قال لنا: قد رأيت نظركما وقت الخاتم، وأحسبكما ظننتماه الجبل، ليس به، ولكنه أقرب فص فى الدنيا شبها به»[٢١].

---

(١٨) انظر أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٧.

(١٩) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٤١.

(٢٠) الجبل: اسم خاتم الراضى.

(٢١) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٤٢.

ويسجل الصولى أيضا وبذكاء أحاسيس من حوله، وعلاقاتهم، فيذكر أن بجكم كان يتعامل مع الخليفة الراضى بحرص ودهاء.. وأن كلا الطرفين كان يمكر على الآخر ويخشاه[٢٢].

ويصور مدى غرور الفرد وعجرفته، ونكرانه لمعروف من حوله ومن أيّدوه، واستبداده بهم وبغيرهم.. فيذكر أن بجكم لما استتم له الأمر وتولى زمام الموقف، وأصبح المهيمن على السلطة فى الدولة «تكبرًّا وتجبرًّا» ووضع التاج على رأسه مكللا بأحسن الحَبِّ والياقوت، وجلس على سرير فضة حواليه ذهب، وكان مرصعا بجوهر وقال:

«أنا أردُّ دولة العجم وأبطل دولة العرب..[٢٣]»

كل هذه لمحات نفسية أضافها الصولى إلى تاريخه السياسى لتطعيمه وزيادة قيمته. وإبراز بعض دواخل النفوس فى مجتمع الخلافة، وذلك ما لم يتوفر لكثير من المؤرخين الذين وقفوا عند الأحداث ووصفها فقط.

فإذا ماتركنا هذه العوامل النفسية والانطباعات والنظرات التى سجلها الصولى - حول التاريخ - بين ثنايا تحليله وسرده للأحداث التاريخية، نجد أن الصولى ضم إلى هذه العوامل النفسية - وعناصر تاريخه السياسى - عناصر أخرى يمكن أن نطلق عليها «الأخبار العامة». على أن هذه الأخبار العامة تدور أساسا فى مجالين:

- مجال يتصل بالخلفاء والدولة.

- ومجال يتصل به شخصيا، ويجعله تسجيلا لأخباره، فيذكر كل ما يتصل به من احداث وظروف وأخبار.

---

(٢٢) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٤٣.

(٢٣) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٦٢.

ففى المجال الأول: يذكر الصولى العديد من الأخبار التى يريد بها إعلام القارئين، فيبين العلاقة الوثيقة التى كانت تربطه بالراضى منذ كان أميرًا وتلميذًا له[٢٤].

كما يتحدث عن العراقيل التى كانت توضع لمنع الراضى بالله من التعليم، حتى لا تتسع مداركه فيعرف أمور دينه ودنياه[٢٥].

ويذكر الصولى أيضا – فى ثنايا حديثه عن الدولة – الكثير من أشعار الراضى بالله وأشعار غيره من الأدباء والعلماء، كما ضمن تأريخه لحكم الراضى – ديوان الراضى بعد أن نقحه ورتبه الصولى على حروف الهجاء وألحقه – كعادته – بأخباره.

وهذه كلها أمور لم تحدث من مؤرخ من المؤرخين القدامى، ولا كانت له مثل ما كان للصولى من اطلاع على الأحوال والأحداث، ومعرفة لأدق أسرار وأخص خصائص الخلفاء والأمراء.. حيث كان هَمُّ المؤرخ أن يقصر حديثه على الأحداث التاريخية والحروب والفتن، دون أن يغور فى أعماق نفس من يؤرخ له.. ودون أن يكون لأحد منهم من المكانة مثلما كان بين الصولى وتلميذه أو بين الراضى وأستاذه ونديمه وجليسه.

ولم يترك الصولى فرصة للحديث خارج السياسة والتاريخ إلا واغتنمها، فنراه – بالإضافة إلى كل ما سبق – يتطرق بحديثه إلى ما كان يقوم به الراضى من الخلو بنفسه أحيانا، أو الخروج إلى الرحلات بين أحضان الطبيعة للاستجمام، والبعد عن متاعب الحكم والسياسة.

ولايمكن أن يتجاهل الصولى الأخبار التى تتصل بالأمور الدينية، فنراه يذكر

---

(٢٤) آخبار الراضى بالله للصولى ص ٢٥.

(٢٥) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٦ وانظر ص ١١٥.

محاكمة «ابن شنبوذ» الذى خرج عن اجماع القراء، وقرأ قراءة تخالف ما فى مصحف عثمان، فيذكر أنه حضر هذه المحاكمة ودون حيثياتها وكيف أن «ابن شنبوذ» ثاب ورجع عن رأيه وتعهد بعدم الرجوع إلى ذلك[٢٦].

والصولى آل على نفسه ألا يتدخل فى السياسة، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يقول رأيه فى كتبه حول الأحداث التى يكون الخليفة أو الوزير طرفا فيها، فنراه يذكر العديد من الآراء ووجهات النظر فى أحداث رآها فى عصره.. يقول فى الخليفة المتقى لله[٢٧] حين هرب من دار الخلافة ملتمسا النجاة. وكانت هذه الواقعة سببا فى خلعه وقتله فيما بعد. «.. والله ما سمعت بأعجب من أفعال المتقى لله كلها، أول خطئه وتركه الرأى وركوبه العوز: تركه دار مملكته وخروجه عنها برأى الترجمان وأشباهه لغير سبب أوجب ذلك ولا إضطرار دعا إليه، والأمير توزون إلى وقته ذاك مطيع له تابع لما يشتهيه...».

ومن الأخبار العامة أيضا – التى ضمنها الصولى تأريخه السياسى – تأريخه لوفاة العديد من العلماء والوزراء والقواد والفقهاء والقضاة والمحدثين، فكان يقول فى نهاية أحداث كل سنة من السنين «... وقد اتيت على جميع ما كان من الحوادث فى سنة كذا... فلم يبق إلا ذكر من توفى فيها من أهل العلم الذين كان الناس ينتفعون بحياتهم فأما الجهال، فلا نبالى بأغنيائهم ولا فقرائهم[٢٨]». فكان بذلك يخلد أسماءهم ويبين للناس مقدار ما أداه هؤلاء العلماء والفقهاء فى خدمة العلم والدين والمعرفة.. ويعرف الناس بهم ويذكر نبذة صغيرة عن حياة كل منهم.

أما المجال الثانى: الذى دار فيه الصولى بأخباره العامة – فهو الذى يتصل

---

(٢٦) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٦٣.

(٢٧) أخبار المتقى بالله للصولى ص ٢٨٠.

(٢٨) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٦١، ص ٢١٢.

بالحديث عن نفسه وعن أحواله وأخباره.. فقد أضاف الصولى إلى تأريخه السياسى للدولة العباسية وحياة خلفائها وأحوال عصورهم - تأريخا لنفسه أيضا، وكأنه أراد أن يخلد نفسه، كما خلد الخلفاء وزراءهم وأمراءهم.

فيذكر الصولى كيف كان له دَلٌّ على الخليفة، وكيف كانت مكانته، ويذكر مدى حب الراضى له وتقديره لعلمه، وأنه كان لا يقرأ إلا ما كتبه الصولى بخطه، وكثيرا ما وهبه الهبات واسترشد بآرائه، واستمع إلى نصائحه. ويذكر الصولى أيضا - أن الراضى بالله كان يستشيره فى اختيار مجالسيه، ويصور لنا أول جلسة عقدت فى قصر الخلافة، وقد توسطها الخليفة الراضى[٢٩].

ويتحدث الصولى عن مدى المخاطر والدسائس التى كانت تحاك بالقصر، وأنه كان دائما يشفق على تلميذه، ويسدى إليه النصح[٣٠]، إبان المشاكل الطارئة والفتن والدسائس التى أشعلها الأتراك.

كما يسجل الصولى أحواله الشخصية ومرضه وعافيته، وغناه وفقره، وسعته وحاجته ويتحدث عن مؤلفاته وكتبه، وكيف كان يتداولها الناس، ويذكر الصولى أيضا - تغير الأحوال معه وعبوس الأيام له، وما تعرض له من مؤامرات أحيانا واضطهاد أحيانا أخرى، خاصة من وزير المتقى لله، الذى أراد أن يمنعه من الجلوس فى الجامع للناس[٣١].

ويتحدث الصولى أيضا عن رحلاته إلى بجكم فى واسط، وكيف أنه استقبله أحسن استقبال وأفسح له مجالسه ووفر له المسكن والمأكل ورغد العيش[٣٢].

---

(٢٩) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٩.
(٣٠) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١١٠ وانظر ص ١١٥.
(٣١) أخبار المتقى لله للصولى ص ٢١٥.
(٣٢) أخبار المتقى لله ص ١٩٤.

ويضمن الصولى أحداثه التاريخية - بالإضافة إلى أخباره العامة - الكثير من قصائده، خاصة مدائحه فى الراضى والمتقى لله ويذكر مناسباتها وكيف استحسنت من الخليفة أو من الأدباء والجالسين وان كان قد اعتذر عن ذلك بقوله[٣٣]: «.... وإنما آتى من الأشعار التى قلتها فى الراضى بطرف للحاجة إلى المعنى الذى قليت فيه، وإلا فالشعر كثير فيه».

وبمراجعة تأريخ الصولى للدولة العباسية وأحداثها، وأحوال خلفائها على كتب التاريخ الأخرى التى أُلِّفت فى القديم.. نستطيع أن نقول:

إن الصولى فى تأريخه السياسى كان صادقا ومحايدا وأمينا، فلم يشأ أن يذكر شيئا لم يقع أو يصف شيئا لم يحدث... ويقسم هو على ذلك فيقول[٣٤]: «والله يعلم أنى ما تحريت بقولى هذا إلا الحق».. كما أن ما رواه أو كتبه لم يقصد به الإساءة إلى عدو أو مدح صديق.. ولكنه كان يقول الحق للحق وللتاريخ» لأن من لزم الحق سلم فى عاجله وآجله، وكان الله ولى توفيقه[٣٥]».

وخلاصة القول: أن الصولى لم يجعل تأريخه للدولة العباسية أو لخلفائها - فى هذا القسم من كتاب الأوراق - تأريخا صرفا، بل أضاف إليه الكثير من اللمحات النفسية والأخبار العامة والخاصة كما أدخل فيه - كعادة علماء عصره - عنصر الأدب، فضمنه كثيرا من شعره ومدائحه فى الراضى وأيضا سجل فيه قصائد الراضى فى مختلف المناسبات.

ولعل الصولى كان يقصد من إضافة كل هذه العناصر إلى التاريخ - التخفيف على القارئ من جمود هذا العلم وأحداثه ووقائعه ومشاكله، فأراد أن يذهب الملل

---

(٣٣) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٣١.

(٣٤) أخبار المتقى لله للصولى ص ٢٦٦.

(٣٥) أخبار المتقى لله ص ٢٦٦.

عن نفس القارئ بإيراده هذه المعلومات والأخبار العامة والخاصة، وما لازم التاريخ من أحداث.

وأيضا فلعله أراد من كل ذلك الإفادة، فجعل تأريخه للدولة تأريخا سياسيا بالإضافة إلى التأريخ النفسى الإنسانى وتسجيل الخواطر والانفعالات والأخبار العامة والخاصة. حتى يكون مؤلفه هذا شاملا جامعا للعديد من العناصر التى تزيد من قيمته وتفيد قارئيه.

أما عن قيمة الصولى كمؤرخ.. فقد اجمع العلماء والمؤرخون على أن أبا بكر الصولى فى كل ما كتبه عن الدولة العباسية مؤرخ ثقة بل إنهم يعتبرونه من أوثق المؤرخين والاخباريين الذين كتبوا عن الدولة فى هذه الفترة. ذلك أن الصولى فى معظم ما ذكره عن تاريخ الدولة العباسية عاشه بنفسه ورآه بعينه وعاصر أحداثه، وتابع كل مادار حول الخلفاء والوزراء والقواد والأمراء من أحداث وأمور. فكانت كتاباته هذه كتابة مؤرخ معاصر - شاهد عيان - يسجل كل ما وقعت عليه عيناه وما سمعته أذناه، وما أحسه بكيانه فكان بحق مصدرا كبيرا استقى منه كل من كتب عن تاريخ الدولة العباسية فى هذه الفترة من القدماء والمحدثين.

فهو فى كل ما كتبه وأرخ له لم يكن محتاجا إلى من ينقل منهم أو يروى عنهم لأنه كان مطلعا على الأمور، وعلى كل دخائل القصور، عالما بأخبار الخلفاء وأحوالهم، وحياتهم الخاصة والعامة يحضر مجالسهم وندواتهم ويدخل قصورهم، ويتصل بوزرائهم وأمرائهم.. وكان فوق ذلك كاتبا ومعلما ثم نديما وجليسا ثم أصبح عالما يأخذون بآرائه ويطلعونه على أدق دخائلهم وما يعتورهم من أحاسيس فى أدق ظروف الحكم، وعلى ما يجيش فى صدورهم من مخاوف وأسرار ويطلبون مشورته وعلمه، لما يعرفون عنه ويلمسون فيه من سعة الأفق وصواب الرأى وحسن البصيرة.

وقد شهد بمكانة الصولى القدماء والمحدثون على السواء..

فقال المسعودى مثنيا عليه.. إن الصولى: «ذكر غرائب لم تقع لغيره، وأشياء تفرد بها لأنه شاهدها بنفسه[٣٦]».. ووصفه حاجى خليفة بأنه العمدة[٣٧] فى تاريخ الدولة العباسية. وقال آخرون أنه «أحد العلماء البارزين، حسن المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء[٣٨]..»

أما المؤرخون المحدثون، فقد ذخرت كتبهم، التى تناولوا فيها تاريخ هذه الفترة - بذكر الصولى كمؤرخ ثقة وعالم نابغة. فقد أثنى روزنتال[٣٩] على مجهوده الضخم، ووصفه بأنه من أكبر المؤرخين العرب، واستشهد بآرائه وأقواله حول التاريخ والمؤرخين.

كما ذكر الأستاذ الدكتور حسن إبراهيم[٤٠] الصولى كمصدر هام وأساسى، واستشهد بما رواه فى تاريخه من أحداث.

ويتصل بالتأريخ السياسى عند الصولى - بالإضافة إلى هذا القسم من كتاب الأوراق - كتب آخرى.

---

(٣٦) مروج الذهب - المسعودى ١٥/١.

(٣٧) كشف الظنون ص ٢٨٣، ص ٢٠١.

(٣٨) الكامل فى التاريخ لابن الأثير ٣٢٤/٦، البداية والنهاية لابن كثير ٢١٩/١١ ولسان الميزان لابن حجر ٤٢٧/٥.

(٣٩) علم التاريخ عند المسلمين لروزنتال ٧٨ - ترجمة الدكتور صالح أحمد العلى، مراجعة محمد توفيق حسين، نشر مكتبة المثنى ببغداد سنة ١٩٦٣.

(٤٠) تاريخ الإسلام السياسى والثقافى والدينى - للدكتور حسن إبراهيم ج ٣.

٢ - كتاب الوزراء[٤١]

فُقِد هذا الكتاب ولم نعثر على أى نسخة منه، مخطوطة كانت أم مطبوعة. ومن عنوان هذا الكتاب نعرف أن الصولى جمع فيه أخبار عدد من الوزراء. وقد ذكره الصولى نفسه فى ثنايا كتاب الأوراق - أثناء حديثه عن أحمد بن يوسف بن صبيح كاتب دولة بنى العباس فقال[٤٢]:

«وقد استقصيت أخباره فى كتاب الوزراء الذى ألفته، وأنا آتى ههنا منها بشىء من مختارها ومختار شعره»... وقال فى موضع آخر[٤٣] بعد أن ذكر وفاته، وأن هناك خلافا حولها: «... وأحكمت هذا فى كتاب الوزراء».

وعنه يقول الهلال الصابىء[٤٤]: «وضع أبو بكر محمد بن يحيى الصولى كتابا فى تاريخ الوزراء، رأيت منه ما كان إلى آخر أيام القاسم بن عبيد الله بن سليمان وزير المعتضد ثم المتكفى المتوفى سنة ٢٩١هـ.

لم يبق لنا من كتاب الوزراء هذا إلا بعض الأخبار المتفرقة فى الكتب. وقد نقل عنه كثير من المؤرخين فالتنوخى نقل عن الصولى فقرات عديدة من هذا الكتاب وضمنها كتابه[٤٥]، وذكر أنه سمعها بنفسه من ذلك قوله: «قرئ على أبى بكر الصولى - وأنا أسمع - فى كتابه «كتاب الوزراء»..

---

(٤١) الفهرست لابن النديم ص ١٥٠، كشف الظنون ص ١٤٦٩، وفيات الأعيان ٤٧٧/٣ والكامل فى التاريخ ٣٢٤/٦، هدية العارفين ٣٨/٢.

(٤٢) الأوراق - قسم أخبار الشعراء للصولى ص ٢٠٦.

(٤٣) الأوراق - قسم أخبار الشعراء ص ٢٣٦.

(٤٤) أقسام ضائعة من كتاب تحفة الأمراء ص ٢١.

(٤٥) الفرج بعد الشدة للتنوخى - جزءان ج ١ ص ٤٠،٨٤،٨٩،١٦٨، ج ٢ ص ٤٠.

«حدثكم أبو ذكوان القاسم بن إسماعيل قال: سمعت إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول يصف الفضل بن سهل، ويذكر تقدمه وعلمه وكرمه، وكان مما حدثني به: أنه برأ من علة كان فيها، فجلس للناس فهنوه بالعافية، فلما فرغ الناس من كلامهم، قال الفضل: إن العلل لنعما، لا ينبغى للعقلاء أن يجهلوها تمحيص للذنوب، وتعرض لثواب الصبر، وإيقاظ من الغفلة، وإذكار بالنعمة فى حال الصحة، واستدعاء للمثوبة، وحض علي الصدقة، وفى قضاء الله تعالى وقدره بعض الخيار[٤٦]».

وقد استشهد بعض المؤرخين بأقوال الصولى فى الوزراء وتأريخه لهم، وضمنوا كتبهم كثيرا من أقواله عنهم وعن أخبارهم وصفاتهم، من ذلك ما ذكره ابن طباطبا قال[٤٧]:

«قال الصولى: ومن أعجب ما شاهدت من تقلب الدنيا وتصاريف الأمور إننى رأيت العباس بن الحسن فى أول الأربعاء، قبل أن يموت الوزير القاسم بن عبيد الله، وقد حضر إلى داره وقبل يد ولده.. ثم فى آخر اليوم المذكور، مات القاسم وخلع المكتفى على العباس بن الحسن واستوزره، فجاء ولد الوزير القاسم بن عبيد الله، فقبل يده...».

وينقل قول الصولى عن وزارة ابن الفرات فى عهد المقتدر فيقول[٤٨]:

«قال الصولى: وبنو الفرات من أجل الناس فضلا وكرما ونبلا ووفاء ومروءة.. وكان أبو الحسن على بن الفرات من أجل الناس وأعظمهم كرما وجودا، وكانت أيامه مواسم للناس...».

---

(٤٦) الفرج بعد الشدة للتنوخى ١/٤٠.

(٤٧) الفخرى فى الآداب السلطانية - لابن طباطبا ص ٣٢١.

(٤٨) الفخرى فى الآداب السلطانية - ابن طباطبا ص ٣٦٠.

وهناك أيضا عدة نقول عن كتاب الوزراء فى كتب العلماء والمؤرخين[٤٩]

٣ - أخبار القرامطة[٥٠]

ضاع هذا الكتاب ولا نعرف عنه شيئا، ولم نجد أى أثر يدل عليه فى فهارس المخطوطات والمطبوعات بدار الكتب المصرية أو بمكتبة الأزهر. غير أن الصولى ضمن كتابه الأوراق - خاصة الجزء الذى يتحدث فيه عن تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ إلى سنة ٣٣٣هـ - بعض أخبارهم وثوراتهم وتحدث عن زعمائهم. وقد ذكر ابن النديم[٥١] أن الصولى جمع أخبار الجبائى زعيمهم المقتول فى كتاب الأوراق.

٤ - خبر الجمل[٥٢]

لم نعثر لهذا الكتاب على أثر ولم يرد ذكره فى المصادر القديمة التى ترجمت للصولى ومؤلفاته غير أن الدكتور يوسف العش قد ذكره فى كتابه[٥٣]. وذكره أيضا خير الدين الزركلى فى كتابه الاعلام وسماه «وقعة الجمل» ويقول إنها رسالة صغيرة مخطوطة.

---

(٤٩) راجع كتاب بدائع البداته لعلى بن ظافر الأزدى، المطبوع بهامش معاهد التنصيص على شرح شواهد التخليص للعباسى (٤٨، ٥٠، ١٨٤) وكتاب أحسن ما سمعت للثعالبى (٢٦، ٢٧) وكتاب التنبيه والأشراف للمسعودى ص ٣٤٥.

(٥٠) وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٧٧/٣، الكامل فى التاريخ لابن الأثير ٣٢٤/٦، الأعلام للزركلى ٤/٨.

(٥١) الفهرست لابن النديم ص ١٥٠.

(٥٢) الاعلام - خير الدين الزركلى ٤/٨.

(٥٣) كتاب الخطيب البغدادى للدكتور يوسف العش ص ١٠٩.

٥ – رسالة الصولى فى فضل أبى بكر محمد بن طغج[٥٤]

قال الصولى: وما رأيت الراضى يقرظ أحدا تقريظه الأمير أبى بكر محمد بن طغج.. وكان يقول عنه إذا ذكره: «رجل كبير العقل حسن الطاعة، يشبه أجلاء الموالى الماضين وما أدرى بما أكافئه..

فألف الصولى رسالة فيه.. إرضاء للراضى وطمعا فى بره خاصة بعد أن سماه «الاخشاذ» وأمر أن يسميه به جميع الناس.

٦ – كتاب مناقب على بن الفرات[٥٥]

ثانيا: مؤلفاته التى تتصل بالتأريخ الأدبى
«تراجم الشعراء»

ألف الصولى فى التأريخ الأدبى، تراجم مجموعة كبيرة من الشعراء المحدثين.. وخير مثل على تأليف الصولى فى هذا الفن، الجزء المتصل بتراجم الشعراء من كتاب الأوراق. وهو الذى يشمل.. كما قال ابن النديم[٥٦]:

---

(٥٤) ذكرها الصولى فى أخبار الراضى بالله ص ٤٤.

(٥٥) الفهرست لابن النديم ص ١٥٠ – هدية العارفين لاسماعيل البغدادى ٢/٣٨.

(٥٦) الفهرست ص ١٥٠.

أولا: الأخبار الموجودة:

١ - أخبار الشعراء.

٢ - أخبار أولاد الخلفاء وأشعارهم.

٣ - أخبار أحمد بن يوسف ومختار شعره.

ثانيا: الأخبار المفقودة:

٤ - أخبار ابن هرمة ومختار شعره.

٥ - أخبار السيد الحميرى ومختار شعره.

٦ - أخبار الحلاج.

٧ - أخبار سديف ومختار شعره.

٨ - أخبار الجبائى.

أولا: الأخبار الموجودة

١ - أخبار الشعراء(٥٧)

هذا القسم، أحد الأقسام الأدبية من كتاب الأوراق، وقد حققه ونشره فى كتاب مستقل المستشرق ج. هيورث. دن سنة ١٩٣٤.

وقد تضمن هذا القسم أخبار ثلاث عائلات كان لها أثر فى الحياة الأدبية والرسمية:

---

(٥٧) الفهرست لابن النديم.

الأولى: عائلة اللاحقي:

وقد جمع الصولى أخبار عدد من شعرائها ومختارات من شعرهم من هؤلاء: أبان بن عبد الحميد اللاحقى، وحمدان بن أبان، وأبان بن حمدان، وعبد الله بن عبد الحميد بن لاحق، واسماعيل بن بشر بن المفضل بن لاحق.

والثانية: عائلة السلمي:

حيث جمع أخبار أشجع بن عمرو السلمى، ومختارات من شعره وكذلك أخبار وشعر أخيه أحمد.

والثالثة: عائلة ابن صبيح:

وقد جمع الصولى أخبار عدد كبير منها، ومختارات من شعرهم ونثرهم على رأسهم أحمد بن يوسف بن صبيح ويوسف بن القاسم وعبد الله بن أحمد بن يوسف ومحمد بن عبد الله بن أحمد بن يوسف ثم أحمد بن أبي سلمة الكاتب صهرهم.

وفى ترجمة الصولى لهؤلاء المحدثين، دون كل ما يتصل بحياتهم العامة والخاصة. سجل سيرهم ونوادرهم، ونقل أخبارهم عن أهلهم وذويهم، وأيضا عما وجده بخط أيديهم أو أيدى أقاربهم[٥٨].

وقد أورد الصولى لبعضهم مقطعات كثيرة وقصائد تبين مدى إحسانهم، وتظهر شاعريتهم، وتكفى للتعريف بمن لم يكن معروفا منهم، وتلقى الضوء على إنتاجه.

كما أورد أيضا مقطعات لشعراء لم يكونوا معروفين من قبل، ولم يقولوا الشعر إلا قليلا، وبذلك عرّف الناس بمن لم يكن معروفا لديهم، وحفظ إنتاجهم من الزوال.

(٥٨) أخبار الشعراء (الأوراق) للصولى ص ٦٣.

جعل الصولى كل اهتمامه - أثناء ترجمته لشعرائه - منصبا على حصيلة إنتاجهم، وما أخرجته قرائحهم كما تلمس الظروف والمناسبات التى لازمت عملية الإبداع الفنى لهذا الشعر، ولم يعط لنسب الشاعر أو لمولده أو لوفاته قيمة كبيرة حتى لا تطغى على العناصر الأساسية التى يريد إبرازها فى الترجمة. فالمادة الفنية هى محور اهتمامه، وهى صاحبة القيمة الكبيرة، وما غير ذلك فهى عوامل مساعدة - غير أن الصولى أحيانا يتناول مولد الشاعر أو وفاته، فيدقق فى إثبات حدوثه فى سنة بعينها، إذا كان هناك خلاف واضح[٥٩]، فإنه حينئذ يقول القول الفصل، بعد التحرى والدراسة وإثبات صحة رأيه.

ومن خلال ترجمة الصولى للشعراء وتأريخه لأدبهم، يلقى الضوء على مجالس الأدباء[٦٠] والنقاد. ويذكر كيف كان الشعراء يلتقون بهم، لعرض بضائعهم لتقييمها، كما يذكر كيف كانوا يتداولون ويتناظرون.

وإذا كان الصولى من مذهبه الفنى - أن يخضع إنتاج الشاعر أو الأديب لعناصر الاختيار وهما: الكثرة والجودة الفنية، فإنه لم يطبق ذلك بالنسبة للشعراء المقلين المغمورين، بل أعفاهم من هذا الشرط قائلا[٦١]: «إنما أتساهل فى اختيار أشعار هؤلاء لأنهم مقلون، فإن لحق أشعارهم حق الاختيار قلت وذهبت» وإنما جاء الصولى بأكثر أشعار هؤلاء: «إذْ كانوا شعراء ظرافا كتابا لا يعرفهم الناس، ومن عرفهم لا يعرف أخبارهم ولا أشعارهم[٦٢]».

والصولى لا يورد إنتاج الشاعر كله حين يكون مشهورا أو مكثرا بل يختار منه

---

(٥٩) الأوراق - أخبار الشعراء ص ٢٠٦.

(٦٠) أخبار الشعراء ص ٨١.

(٦١) الأوراق - أخبار الشعراء ص ٦٤.

(٦٢) الأوراق - أخبار الشعراء ص ٢٥٥.

أجود[٦٣] وأجمل ما عنده فى مختلف المناسبات ويقول: «وهذا مختار من مديحه[٦٤] أو من غزله أو من هجائه».

وهو دائما يوثق شعر الشاعر، بما له من مقدرة على معرفة الشعر المنحول. وفى الوقت نفسه فهو قادر على نسبة الشعر إلى قائليه الحقيقيين.

وممن ترجم لهم الصولى - فى هذا القسم من كتاب الأوراق - أدباء عرفوا بأنهم كتاب، وقليل من القوم من كان يعلم أنهم يقرضون الشعر. فكان الصولى يأتى بأبياتهم ومقطعاتهم إلى جانب مقطوعاتهم النثرية من هؤلاء: يوسف بن القاسم الذى يقول عنه الصولى: «إن له أشعارا ومكاتبات وأخبارا إذ كانت مما لا يعرفه كثير من الناس[٦٥]».

أما عن ترتيب هذه التراجم، فكان الصولى يتبع إحدى طريقتين:

الأولى: أن يرتب شعراء العائلة الواحدة حسب الحروف الأبجدية مبتدئا بحرف الألف.

الثانية: أن يرتبهم حسب السن، فيأتى أولا بأكبرهم سنا ثم الذى يليه وهكذا.

٢ - أخبار أولاد الخلفاء وأشعارهم[٦٦]

هذا هو القسم الثانى من الأقسام الأدبية التى اشتمل عليها كتاب الأوراق. وقد حققه أيضا ونشره المستشرق ج. هيورث. دن سنة ١٩٣٧.

---

(٦٣) الأوراق - أخبار الشعراء ص ٢٥٥.

(٦٤) أخبار الشعراء ص ١١٧.

(٦٥) الأوراق - أخبار الشعراء ص ١٤٧.

(٦٦) الفهرست لابن النديم ص ١٥٠.

تناول الصولى فى هذا القسم - كما يقول هو - أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم. ومن أهم التراجم الموجودة فيه:

ترجمة عبد الله بن المعتز، فقد أولاه الصولى اهتماما كبيرا، وترجم له ترجمة وافية وأورد له كثيرا من شعره الذى لم يرد فى ديوانه[٦٧]، كما أورد له كثيرا من الرسائل النادرة كما اهتم أيضا بشعر عليه بنت المهدى وأخيها إبراهيم وذكر معظم إنتاجهما الفنى.

وقد أورد الصولى فى هذا القسم بالإضافة إلى هؤلاء: أشعار وأخبار محمد بن أبى العباس السفاح وسليمان بن المنصور، وهبة الله بن إبراهيم بن المهدى، وعبد الله بن موسى الهادى وأبى عيسى بن لرشيد، ومحمد بن الرشيد، وعبد الله ابن محمد الأمين، وهارون بن المعتصم ومحمد بن المتوكل، وعبد الله بن على ابن عبد الله بن العباس، وعيسى بن موسى بن محمد ثم ختم هذا القسم بأخبار أبى العبر وشعره.

وإذا كان الصولى قد ذكر فى مقدمة هذا القسم - أنه ترجم لأولاد الخلفاء من بنى العباس ثم اتبعهم أشعار سائر بنى العباس، ثم اتبع ذلك أشعار ولد أبى طالب ثم أشعار من بقى من بنى هاشم. فإن ما عثر عليه منها إنما هو تراجم أولاد الخلفاء من بنى العباس السابق ذكرهم فقط.

وأغلب الظن أن الصولى قد وَفَى بوعده هذا وبَرّ به، فكتب فى كل هذه التراجم ويدعم هذا الظن ما ذكره ناشر هذا القسم - إذ يقول عن أصل هذه النسخة التى نقل عنها: «ويغلب على الظن أن ما بقى قد ضاع، فإن آخر النسخة التى بين أيدينا مفقودة، والترجمة التى جاءت فى آخرها لم تكمل وقد بدت عليها آثار القدم فمحيت مواضع منها[٦٨]».

---

(٦٧) ج. هيورث - دن فى مقدمة الكتاب.

(٦٨) مقدمة كتاب أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم - ج. هيورث دن ص ٣.

٣ - أخبار أحمد بن يوسف[٦٩]

هذه الأخبار وردت ضمن قسم أخبار الشعراء - تحقيق ونشر ج. هيورث - دن.. راجع القسم المذكور ص ٢٠٦، ٢٣٦.

ثانيا: الأخبار المفقودة

٤ - أخبار ابن هرمة[٧٠]

هذه الأخبار يعدها ابن النديم قسما من كتاب الأوراق.. ولم نعثر على أى أثر لهذه الأخبار يدل على وجودها مخطوطة.

٥ - أخبار السيد الحميرى[٧١]

يعدها أيضا ابن النديم قسما من الأوراق... ولم نعثر لها أيضا على أثر.

٦ - أخبار الحلاج[٧٢]

يعدها ابن النديم جزءا من كتاب الأوراق. وقد طبعت[٧٣] وحللها ماسينون تحليلا وافيا فى كتاب (La passion d'al Hallaj) (أخبار الحلاج)،أو مناجيات الحلاج.

(٦٩) الفهرست لابن النديم ص ١٥٠.

(٧٠) الفهرست لابن النديم ص ١٥٠، وفيات الأعيان ٤٧٧/٣، الكامل فى التاريخ ٣٢٤/٦، الاعلام للزركلى ٤/٨.

(٧١) الفهرست ص ١٥٠، وفيات الأعيان ٤٧٧/٣.

(٧٢) الفهرست لابن النديم ص ١٥٠، الاعلام للزركلى ٤/٨.

(٧٣) دائرة المعارف الإسلامية ٣٨٨/١٤.

وقد طبعت فى باريس سنة ١٩٣٦. غير أنه لم يشر إطلاقا إلى الصولى على أنه مؤلفها، وأغلب الظن أنه جمعها من مصادر متعددة وبأسلوب يختلف عن أسلوب الصولى، وبطريقة مغايرة لطريقته، حيث جعلها مقطوعات صغيرة كل منها لا يزيد على عشرة أسطر[٧٤].

٧ - أخبار سديف[٧٥]

ذكرها ابن النديم على أنها جزء من كتاب الأوراق.

٨ - أخبار الجبائى[٧٦]

يقول ابن النديم إنها جزء من كتاب الأوراق.. والجبائى هو أبو سعيد القرمطى رئيس القرامطة المقتول سنة ٣٠١ هـ.

وفى مجال تاريخ الأدب وتراجم الشعراء، ألف الصولى أخبارا أخرى لعدد من الشعراء، ذكرتها المصادر الأدبية القديمة وتحدث الصولى عنها بين ثنايا مؤلفاته المختلفة. وهى:

أولا: الأخبار الموجودة:

١ - أخبار أبى تمام.

٢ - أخبار البحترى.

---

(٧٤) راجع أخبار الحلاج لماسينون طبع باريس سنة ١٩٣٦.

(٧٥) الفهرست لابن النديم ص ١٥٠.

(٧٦) الفهرست لابن النديم ص ١٥٠، هدية العارفين للبغدادى ٣٨/٢.

٣ - أخبار إبراهيم بن المهدى.

٤ - أخبار الشعراء.

٥ - أخبار أبي نواس.

ثانيا: الأخبار المفقودة:

٦ - أخبار اسحق بن إبراهيم الموصلى.

٧ - أخبار العباس بن الأحنف.

٨ - أخبار الفرزدق.

٩ - أخبار شعراء مضر.

١٠ - أخبار شعراء ربيعة.

١١ - أخبار شعراء اليمن.

كما ألف أخبار بعض القضاة واللغويين والنحويين من هؤلاء:

١٢ - أخبار القاضي عمر بن محمد.

١٣ - أخبار أبي عمرو بن العلاء.

أولا: الكتب الموجودة:

١ - أخبار أبي تمام(٧٧)

هذه الأخبار حققها ونشرها فى كتاب الأساتذة خليل محمود عساكر، ومحمد عبده عزام، ونظير الإسلام الهندى سنة ١٩٣٧. وقدم لهذا الكتاب الأستاذ أحمد أمين.

(٧٧) الفهرست لابن النديم ص ١٥٠، وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٧٧/٣، الكامل فى التاريخ لابن الأثير ٣٢٤/٦، هدية العارفين ٣٨/٢.

جمع الصولى أخبار أبى تمام بتكليف من «أبى الليث مزاحم بن فاتك» كما يتضح من رسالة الصولى إليه[٧٨]. وهذه الأخبار كانت مقدمة لديوان أبى تمام الشامل لكل شعره حسب موضوعاته - كما يقول الصولى نفسه - غير أنه بمرور الزمن وتوالى السنين انفصلت هذه الأخبار عن الديوان وعرفها المؤرخون والوراقون والنساخ منفصلة عن الديوان. يقول المسعودى[٧٩]: «وقد صنف أبو بكر الصولى كتابا جمع فيه أخبار أبى تمام وشعره».

أما عن عنوان هذا الكتاب وتسميته «أخبار أبى تمام» فقد قال عنه محققو هذا الكتاب: «أن هذا العنوان من وضعهم، لأنه لم يرد فى النسخة المخطوطة التى اعتمدوا عليها فى نشرهم لهذا الكتاب إلا فى تضاعيف الكتاب كأنه عنوان فرعى»[٨٠] وكان ذلك من الأسباب التى جعلت المستشرق الألمانى كارل بروكلمان يذكره فى ملحق كتابه «تاريخ الأدب العربى» تحت عنوان «رسالة الصولى إلى مزاحم بن فاتك[٨١]»

ولكتاب أخبار أبى تمام قيمة فنية ضخمة، ففيه أخبار كثيرة ونظرات صائبة انفرد الصولى بها، فقدم لنا من خلالها معلومات وآراء وأخبارا ذات قيمة عظيمة تجلى جوانب هامة من حياة أبى تمام وشعره وثقافته ومقدرته الفنية وعلاقاته مع غيره من الشعراء والممدوحين والنقاد.

وأخبار أبى تمام - إلى جانب ما تحتويه من أحداث ومناقشات ومناظرات وآراء نقدية - تضم شروحا لكثير من الجوانب الفنية التى يتميز بها شعر أبى تمام عن شعر غيره من الشعراء. فالصولى بحكم قرب عهده بأبى تمام، وبحكم بصره بالأدب

(٧٨) رسالة الصولى إلى مزاحم بن فاتك - فى بداية كتاب أخبار أبى تمام.

(٧٩) مروج الذهب المسعودى ٢/٣٦٢.

(٨٠) مقدمة كتاب أخبار أبى تمام ص ى، أ، ى.

(٨١) مقدمة كتاب أخبار أبى تمام ص ى، ى.

والشعر، وذوقه ومقدرته على التقييم، ونظرا لإعجابه بفن وشاعرية وذوق أبى تمام - رأى أن يحفظ للأجيال اللاحقة هذه الأخبار عن فنية أبى تمام. ولقد شجعه على ذلك، بل وأعطاه الفرصة، «مزاحم بن فاتك»، فأخرج للناس هذه الأخبار القيمة.

ولاشك أن أخبار أبى تمام هذه، قد أضاءت لنا بعض الجوانب الغامضة من الحياة الأدبية والنقدية ورسمت لنا بعض المناهج الفنية، وأطلعتنا على طريقة فهم القدماء للشعر وتذوقه ونقده.

وقد ضمن الصولى هذه الأخبار - إلى جانب ما جاء فى تفضيل أبى تمام وحياته وأخباره - علاقته بممدوحيه، فجمع أخباره مع أحمد بن أبى دؤاد، وخالد بن يزيد الشيبانى والحسن بن رجاء، والحسن بن وهب، وابن الزيات، وآل طاهر بن - الحسين، ومحمد بن يوسف الثغرى، وأحمد بن المعتصم ومخلد بن بكار الموصلى. وختم الصولى أخبار أبى تمام بذكر ماروى من معايبه، وصفته وأخبار أهله.. ثم وفاته ومراثيه.. كما جمع أيضا بعض مارواه أبو تمام نفسه.

وكتاب أخبار أبى تمام، يعتبر من أمهات الكتب التى أرخت لأولية الصراع الناشىء بين مذهبى الصنعة والطبع كما أن فيه أخبارا كثيرة انفرد الصولى بذكرها، وأبياتا من الشعر لم ترد فى دواوين أصحابها[٨٢].

ويرى بعض الباحثين[٨٣] أن كتاب أخبار أبى تمام الذى دافع فيه الصولى عن أبى تمام - يعتبر ردا على كتاب الموازنة بين أبى تمام والبحترى الذى تعصب فيه الآمدى للبحترى.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى الألمانية نظير الإسلام الهندى.

---

(٨٢) الأستاذ أحمد أمين - مقدمة كتاب أخبار أبى تمام للصولى.

(٨٣) الأستاذ أحمد أمين.

٢ - أخبار البحترى[٨٤]

قام بتحقيق هذه الأخبار ونشرها الأستاذ الدكتور صالح الأشتر ضمن مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق.

لم تذكر المصادر الأدبية القديمة التى ترجمت للصولى وذكرت مؤلفاته ومصنفاته - أخبار البحترى، ولم تشر إليها على أنها أحد مؤلفاته. وذلك لأنها عرفت ونشرت فى كتاب مستقل حديثا، أما عن تسمية هذا الكتاب «أخبار البحترى» فهى مأخوذة من تسمية الصولى نفسه، من آخر عبارة وردت فى هذه الأخبار حيث قال الصولى: «آخر أخبار البحترى[٨٥]».

ويرى بعض الباحثين المحدثين: أن السبب فى عدم معرفة هذه الأخبار أو - تداولها على الصورة الموجودة عليها حاليا - إن هذه الاخبار بقيت طوال القرون الماضية لصيقة لديوان البحترى المخطوط - الذى جمعه الصولى، ولم تجد من ينشط لفصلها عنه، إما لصغر حجمها وقلتها، وإما لندرة وجود الديوان نفسه الذى يحوى - المقدمة بأوله.

ولقد كان الفضل فى إخراج هذه الأخبار فى كتاب وإبرازها للقارئين على هذه الصورة المكتملة للأستاذ الدكتور صالح الأشتر الذى قام بهذا العمل الأدبى الجليل على أحسن وجه. فقد جمع أخبار البحترى وحققها وعلق عليها، ثم ذكر المراجع التى استند إليها وأرخ وترجم للاعلام الذين وردوا فيها. كما جمع من المصادر الأدبية المختلفة كل ماروا ه الصولى ويتصل بالبحترى من أخبار، كأخبار البحترى مع أبى تمام ومع الأدباء والشعراء، ثم أخبار أخرى متفرقة.

(٨٤) لم تتناول المصادر القديمة هذه الأخبار، ولم تذكرها، لذلك ظلت مجهولة حتى نشرها الأستاذ الدكتور صالح الأشتر.

(٨٥) أخبار البحترى للصولى تحقيق الدكتور صالح الأشتر الخبر ٨٨ ص ١٣٩.

وقد قام الدكتور صالح الأشتر بتبويب هذه الأخبار مقتادا بالجهد السابق الذى قام به محققو كتاب «أخبار أبى تمام» فتناول: أخبار الصولى نفسه مع البحترى، ثم ما جاء فى تفضيل أبى تمام، ثم ما جاء فى تفضيل البحترى، وتبع ذلك بأخبار البحترى مع المتوكل والفتح بن خاقان، وأخباره مع الوزراء والكتاب.. ثم أخبار متفرقة عن البحترى ثم جاء بما عيب على البحترى.

ثم أعقب الدكتور الأشتر أخبار البحترى بفصل أسماه ذيل الأخبار، جمع فيه من كتب الصولى الأخرى ومن المصادر الأدبية القديمة، بعض الأخبار - التى لم ترد فى كتاب الصولى.

وأخبار البحترى لها قيمة أدبية ونقدية وتاريخية عظيمة، ذلك أنها أخبار عن شاعر من فحول شعراء عصره - وعصر الصولى - رواها ونقلها الصولى رواية عليم مطلع، عاصر الشاعر ورآه وسمعه ولقيه وأخذ عنه وقرأ عليه، ومن هنا كانت قيمة هذه الأخبار.

فهى أخبار شاهد معظمها بنفسه وسمعها أو نقلها عن أناس ثقة عرفوا البحترى وعاشوا معه، وكانوا شديدى الصلة به كابنه يحيى أبى الغوث، وعبد الله ابن الحسين القطر بلّى صديق البحترى، وعلى بن العباس النوبختى، الذى كان يتتبع ويسجل أخبار البحترى، وعبد الله بن المعتز ممدوح البحترى وابن ممدوحه، وكالمبرد صديق البحترى وأستاذ الصولى وغيرهم.. وكلهم من معاصرى البحترى والصولى على السواء.

ولقد قدم لنا الصولى فى أخبار البحترى ومن خلالها أشياء انفرد بها عن غيره من الأخباريين والرواة، وأضاف إلى معلوماتنا العديد من المعلومات التى لها قيمتها فى تأريخ حياة البحترى وذكائه وشاعريته وقيمته الفنية فى عصره.

وأخبار البحترى هذه - لاشك أنها تلقى كثيرا من الضوء على الحياة الأدبية

والنقدية المعاصرة للصولى، فنرى الصولى يؤرخ لمعارك النقد الكبرى التى قامت بين أنصار أبى تمام وأنصار البحترى والتى أصبح النقدمعها منهجيا[٨٦] عند العرب.

كما نرى فى هذه الأخبار التى رواها الصولى صورا عديدة عن المجالس الأدبية والنقدية واللغوية التى كانت تعقد فى ذلك العصر. ولقد سجل لنا الصولى كثيرًا من المناقشات والمناظرات التى توضح مفهوم معاصريه للشعر ومدى تذوقهم له، وطريقتهم فى سرد الأحكام وتحليل الأشعار.

والصولى أقدم المصادر وأهمها فى تأريخ حياة البحترى وتدوين أخباره وأشعاره. وأخباره عن البحترى أقدم مصادرنا الأدبية عنه وأوثقها:

ذلك لأنه عاش فى بغداد وعاصر البحترى وعرفه وحضر مجالسه وهو شيخ قد ناهز السبعين من عمره، وسمع منه وقرأ عليه، وارتاد معظم الأماكن التى كان يذهب إليها البحترى، وصحب أكثر الذين كانوا جلساء له من نقاد وأصدقاء ورواة.

وهو أيضا المرجع الأساسى لكل المؤرخين للبحترى. فجميع من أرخ لحياة الشاعر بعد الصولى اعتمدوا على أخبار الصولى وتناقلوها منهم:

أبو الفرج الأصفهانى فى كتابه الأغانى (١٨/١٦٧-١٧٥).
والآمدى فى كتاب الموازنه بين أبى تمام والبحترى (أماكن متعددة).
والعسكرى فى كتاب ديوان المعانى (أماكن متعددة).
والمرزبانى فى كتاب الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء (٣٣٠ - ٣٤٣).
والشريف المرتضى فى كتاب أمالى المرتضى (١/٥٩٣-٥٩٥).
والخطيب البغدادى فى كتاب تاريخ بغداد (١٣/٤٤٦-٤٥٠).
وابن رشيق فى كتاب العمدة (أجزاء متفرقة).

---

(٨٦) النقد المنهجى عند العرب - دكتور محمد مندور ص ١٣٠.

وابن عساكر فى كتاب تاريخ دمشق (مخطوطة الظاهرية الجزء ١٧ - الورقة ٤٢٦-٤٣١).

وابن الجوزى فى كتاب المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم (٦/١١-١٤).
وياقوت فى كتاب معجم الأدباء (١٩/٢٤٨ - ٢٥٨)
والشريشى فى كتاب مقامات الحريرى (١/٤٠-٤٤).
وابن خلكان فى كتاب وفيات الأعيان (٥/٧٤-٨٤).
واليافعى فى كتاب مرآة الجنان وعبرة اليقظان (٢/٢٠٢ - ٢٠٩)
والعباسى فى كتاب معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (١/٢٣٤-٢٤٦)

وابن العماد فى كتاب شذرات الذهب فى أخبار من ذهب (٢/١٨٦-١٨٨)

وإذا كان الصولى قد جمع أخبار البحترى مع الخلفاء والأمراء والوزراء والشعراء والأدباء إلا أنه لم يتعرض لرحلة البحترى إلى دمشق، تلك التى رحلها البحترى لمدح الأمير الطولونى خُمارويه وتمجيد انتصاراته على الروم فى الثغور. لم يتحدث الصولى عن هذه الرحلة، بل لم يذكرها ولم يسجل أخبارها، ولم يجمع الأشعار التى قيلت فيها سواء فى مدح الأمير أو فى مدح كبار رجال دولته، بل أن الصولى لم يتعرض إطلاقا إلى الفترة الأخيرة من حياة البحترى -حتى بعد عودته من هذه الرحلة.

وربما يجد الباحث تفسيرا لذلك، فى أن أخبار البحترى فى دمشق لم تصل إلى الصولى. أو ربما تكون قد وصلت إليه وعلم بها ودوَّن أخبارها وأشعارها لكنه لم يكن بقادر على إذاعتها نظرا للظروف السياسية التى كانت قائمة حينئذ ولأنه كان يتحاشى الخوض فى غمارها أو القرب منها.. وذلك نظرا لأن دمشق كانت فى هذا الوقت مزورة عن عاصمة الخلافة (بغداد) وأيضا لأن الطولونيين كانوا يضمرون الاستقلال والانفصال عن فلك الخلافة المركزية.

لعل ذلك وغيره من الأسباب التي من أجلها تجاهل الصولى الفترة الأخيرة فى حياة البحترى.

٣ - أخبار إبراهيم بن المهدى[٨٧]

طبعت هذه الأخبار ضمن القسم الأدبى من كتاب الأوراق «قسم أخبار أولاد الخلفاء[٨٨]» تحقيق ونشر ج. هيورث. دن.

ويوجد منه نسخة مخطوطة فى مكتبة ماكدونالد[٨٩].

٤ - كتاب أخبار الشعراء[٩٠]

لعله قسم من أقسام كتاب الأوراق - الذى جمع فيه الصولى أخبار عائلة أبان ابن عبدالحميد وعائلة السلمى وعائلة ابن صبيح.

٥ - أخبار أبى نواس[٩١]

هذه الأخبار ألفها الصولى[٩٢] لتكون مقدمة لديوان أبى نواس.

---

(٨٧) الأعلام للزركلى ٤/٨.

(٨٨) كتاب الأوراق - قسم أشعار أولاد الخلفاء للصولى ص ١٧.

(٨٩) تاريخ الأدب العربى كارل بروكلمان ٥٤/٣.

(٩٠) كشف الظنون ص ٢٧، هدية العارفين ٣٨/٢.

(٩١) كشف الظنون - حاجى خليفة ص ٧٧٤.

(٩٢) أخبار أبى تمام للصولى ص ٥٦ - ذكر الأستاذ الدكتور صالح الاشتر فى كتاب «أخبار البحترى» أنها مخطوطة (مخطوطة الظاهرية/ ٤٦٤٠).

ثانيا: الأخبار المفقودة

٦ - أخبار اسحق بن إبراهيم الموصلى[٩٣]

ذكره ابن خلكان فى وفياته..

ولكن ورد فى آخر كتاب الأوراق - قسم أخبار الشعراء - «هذا آخر ما عمله أبو بكر الصولى من كتاب الأوراق، ولم يقض له أن يؤلف أخبار اسحق بن إبراهيم الموصلى لوفاته[٩٤]».

هكذا قال ناسخ الكتاب. غير أنه من المؤكد أن الصولى قام بتأليف هذه الأخبار وجمعها فى كتاب، والدليل على ذلك ما نقله ابن النديم عنه يقول ابن النديم[٩٥]:

«قال الصولى فى أخبار اسحق بن إبراهيم الموصلى: لاسحق بن إبراهيم من الولد حميد وحماد وأحمد وحامد وإبراهيم وفضل، ولم يكن فى جماعة ولد إبراهيم الموصلى من يغنى إلا اسحاق وطياب».

وينقل ابن النديم عن الصولى أيضا قوله[٩٦]:

«وكان اسحق راوية للشعر والمآثر قد لقى فصحاء الأعراب من الرجال والنساء وكانوا إذا قدموا حضرة السلطان قصدوه ونزلوا عليه، وكان مع ذلك شاعرا حاذقا بصناعة الغناء مفننا فى علوم كثيرة يرتزق من السلطان فى عدة أعطية لكماله وفضله».

---

(٩٣) وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٧٧/٣.

(٩٤) آخر كتاب الأوراق - قسم أخبار الشعراء للصولى.

(٩٥) الفهرست لابن النديم ص ٢٠١.

(٩٦) الفهرست ص ٢٠٢.

٧ - أخبار العباس بن الاحنف [(٩٧)]

لم نعثر له على أثر فى مخطوطات دار الكتب المصرية أو فهارس مكتبة الأزهر.

٨ - أخبار الفرزدق [(٩٨)]

يقول الصولى لمزاحم بن فاتك: إنه انتهى من تأليفها فدخلت فى ثلثمائة ورقة وأنه شرط على نفسه فيها ألا يأتى بحرف ذكر فى النقائض إلا مالابد منه من ذكر نسبه وأزواجه وغير ذلك، ويذكر الصولى أنه ألف هذه الأخبار للفرزدق لشرفه وقوة أسر كلامه وكثرة معانيه وجميل مذهبه.

٩ - أخبار شعراء مضر [(٩٩)]

يقول بعض المؤرخين [(١٠٠)]: إنه «كتاب شعراء مصر» وليس شعراء مضر فقد ذكر ياقوت أن الصولى قام بتأليف أخبار «أحمد بن عمران بن سلامة الالهانى» أبى عبد الله النحوى المعروف بالأخفش، وذكر ترجمته فى الكتاب الذى ألفه فى شعراء مصر [(١٠١)].

ويقول فى موضوع آخر [(١٠٢)] إن أبا بكر الصولى ألف أخبار «جعفر بن

(٩٧) الفهرست ص ١٥٠، هدية العارفين ٣٨/٢.

(٩٨) رسالة الصولى إلى مزاحم بن فاتك ص ١٢.

(٩٩) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٤٠.

(١٠٠) ياقوت/إرشاد الأديب ٥/٢، ٤١٥، ٤١٦ - الغزولى فى المطالع ٧٧/١ وتبعهم كراتشقوفسكى فى مقالة بدائرة المعارف الإسلامية ٥٦٨/٤.

(١٠١) إرشاد الأريب - ياقوت ٥/٢.

(١٠٢) إرشاد الأريب ٤١٥/٢.

محمد بن أحمد بن حذار» الكاتب أبي القاسم، وذكره أيضا فى كتابه أخبار شعراء مصر، وقال عنه: «لم يكن بمصر مثله فى وقته، كثير الشعر، حسن البلاغة، عالم له ديوان شعر ومكاتبات حسنة كثيرة...».

غير أننا لم نجد فى أى مصدر من المصادر القديمة التى أرّخت للصولى وذكرت مؤلفاته أى إشارة إلى «كتاب شعراء مصر» بل أن ياقوت الرومى نفسه حين تناول ترجمة الصولى[١٠٣] ومؤلفاته، لم يذكر هذا الكتاب ضمن ثبت المؤلفات.

ولست أدرى من أين استقى ياقوت أخبار هذين الشاعرين وغيرهما خصوصا وأنه لم يرد اسمها أو أى إشارة عنهما فى أى كتاب آخر من كتب الصولى.

لذلك فإن هناك احتمالين:

الأول: أن يكون للصولى كتابان أحدهما عن شعراء مضر - ذكره هو - والثانى عن شعراء مصر. وهذا الاحتمال ضعيف ليس له سند، لأن المصادر القديمة لم تشر إليه وأن ياقوت كغيره من المؤرخين، لم يذكر أيا من الكتابين ضمن مؤلفات الصولى.

والثانى: أن الكتاب هو عن شعراء مضر، وحدث لبس فى الاسم عند ياقوت نتيجة للإعجام فى الكتب القديمة.

ولقد دل البحث على أن الصولى لم يحضر إلى مصر البتة، وأن تنقلاته كانت فى حدود مدن العراق، وأنه لم يذكر شيئا عن شعراء مصر أو علمائها أو أدبائها فى حديثه سواء فى كتب الأخبار أو كتبه التاريخية - لأن مصر كانت من الناحية السياسية تكاد تكون منفصلة عن الدولة المركزية إبان حكم الطولونيين (٢٤٥-٢٩٢هـ) ثم فى حكم الإخشيديين (٣٢٣-٣٥٨هـ). وأن ياقوت حين نسب

---

(١٠٣) أرشاد الأريب - ياقوت الرومى ١٣٦/٧.

إليه أنه ألف أخبار شعراء مصر نسى شرطه الأول: وهو أنه لا ينقل إلا عن رواة ثقات عاصرهم وجالسهم وسمع منهم بنفسه، وأنه لا يسجل إلا ما قرب عليه شعره وأخباره، أو ما يجده بخط يثق به.

وكل هذه الشروط لم تتوفر له حتى يسجل أخبار شعراء مصر. بل أنه لم يسجل أخبار البحترى فى الفترة التى مدح فيها الطولونيين، لبعد المسافة من ناحية، وخوفه من أن ينقل عن رواة غير ثقات.

ونقطة هامة - بالإضافة إلى ما سبق - أن كل رواة الصولى وعلمائه وأدبائه الذين ذكرهم وروى عنهم المئات من الأخبار، كان موطنهم الأصلى بغداد أو ما يحيط بها من مدن. أى أنهم عاشوا معه فى نفس البيئة الأدبية والثقافية والجغرافية، وليس هذا فحسب بل إن الأدباء والشعراء الذين ترجم لهم الصولى كانت تربطهم ببغداد أقوى الصلات وأمتنها لأنها مركز الخلافة ومهوى ومطمح كل شاعر وأديب، ومن هنا سهل عليه توثيق شعرهم وأدبهم.

إن شعراء مضر وربيعة واليمن - الذين جمع الصولى أخبارهم وأشعارهم - زحفوا هم ورواتهم من أطراف الجزيرة العربية إلى عاصمة الخلافة - بغداد - وكانت منهم قبائل وبطون وأفخاذ تعيش قربها، فسهل على الصولى جمع شعرهم وأخبارهم لنفسه أولا، ثم نقل هذه الأخبار والأشعار للخليفة الراضى حينما وجد أن مكتبته خالية منها.

وبعد - فإذا كان ذلك كذلك، فمن أين استقى ياقوت الرومى أخباره وكلامه عن الشعراء الكاتبين الذين أورد ترجمتهم فى كتابه؟.

ونستطيع أن نجد حسما للموقف فى كلام الصولى نفسه.

يذكر الصولى[١٠٤] - أنه حدثت مناقشة بينه وبين الخليفة الراضى بالله حول كلمة وردت فى قصيدة لشاعر مضرى - يدعى نهشل بن جزى النهشلى - واختلف

(١٠٤) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٤٠.

فى معناها، ولما عاتبه الصولى كيف تكون لديه مكتبة ضخمة وليس فيها شعر هذا الشاعر، اعتذر الراضى بقوله: «فما الحيلة وقد شغلنا بغيرها عنا... فقال الصولى: «كتب عبيدك لك إن أمرت نسختها لك وجلدها المجلدون..» فوافق الراضى فنسخ الصولى له أخبار شعراء مضر ثم ربيعة ثم اليمن..».

١٠ - أخبار شعراء ربيعة(١٠٥)

ذكرها الصولى فى كتابه أخبار الراضى بالله والمتقى لله.

١١ - أخبار شعراء اليمن(١٠٦)

ذكرها الصولى فى كتابه الأوراق خلال ترجمته للراضى بالله.

١٢ - أخبار القاضى عمر بن محمد(١٠٧)

يقول الصولى: قد أفردت كتابا له فيه أشعاره، وفيه رسالة عملتها فى وصفه ووصف أبيه.

١٣ - أخبار أبي عمرو بن العلاء(١٠٨)

(١٠٥) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٤٠.
(١٠٦) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٤٠.
(١٠٧) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٤١.
(١٠٨) الفهرست ص ١٥٠، كشف الظنون ص ٢٥، وفيات الأعيان ٤٧٧/٣، الكامل فى التاريخ ٣٢٤/٦، هدية العارفين ٣٨/٢.

الفصل الثاني

مجموعة الكتب الأدبية واللغوية

أولا: الكتب الموجودة:

١ - أدب الكتاب «مطبوع».

٢ - رسالة الصولى إلى مزاحم فى فضل أبى تمام وشعره «مطبوعة».

٣ - شرح ديوان أبى تمام «مخطوط».

٤ - رسالته فى شعر أبى نواس.. «مخطوطة».

ثانيا: الكتب المفقودة:

٥ - شرح ديوان الحماسة لأبى تمام.

٦ - شرح ديوان أبى نواس.

٧ - رسالته فى المطاولة لابن أبى الساج.

٨ - رسائله إلى القاضى عمر بن محمد.

٩ - كتاب فى ما اتفق لفظه واختلف معناه.

١٠ - كتاب الغرر.

أولا: الكتب الموجودة

١ - أدب الكتاب[١]

قام بتحقيق هذا الكتاب ونشره السيد محمد بهجة الأثرى سنة ١٣٤١هـ.

وهو أحد الكتب الأدبية - التعليمية - التى وضعت خصيصا للكتاب، وهو يجلى بوضوح محصلة الصولى ومعرفته وثقافته فى فنون الآداب، خاصة الأدب الديوانى.

وهو كتاب صغير الحجم الفه الصولى فى عهد الراضى بالله[٢]، ويحتوى على معلومات جمة ومباحث ومواد لغوية وأدبية تفيد الكاتبين وتعينهم على أداء عملهم فى الدواوين، وتمدهم بالعديد من ألوان الثقافة الإسلامية العربية والدينية. وقد شاع هذا النوع من الأدب شيوعا كبيرا فى عصر الصولى وما بعده وسبقه أدباء آخرون الفوا للكتاب رسائل[٣] وكتبا.

ويقع هذا الكتاب فى ثلاثة أجزاء رئيسية يضمها مجلد واحد.. ويشمل فصولا فى فضل الكتابة وكيف تفتتح والخط وأنواعه وشروط حسنه، والقلم وصفاته، كما يضم فصولا عن الرسائل وكتابتها وكيف كان الناس يتكاتبون فى العصر مع الخلفاء والأمراء والوزراء وكيفية الدعاء إلى غير ذلك مما يتصل بكتابة الرسائل.

كما يضم هذا الكتاب بعض الفصول الفقهية عن الأموال ووجوه توزيعها ولمن تجب وأحكامها هذا بالإضافة إلى بعض الموضوعات الصرفية عن الحروف مثل

---

(١) الفهرست ص ١٥٠، كشف الظنون ص ٤٨، وفيات الأعيان ٤٧٧/٣، الكامل فى التاريخ ٣٢٤/٦، هدية العارفين ٣٨/٢.

(٢) يدل على ذلك كلام الصولى نفسه فى فصل ما يتكاتب به الناس اليوم ص ١٦٣ وأيضا فى فصل الحض على التكاتب ص ١٦٦.

(٣) رسالة عبد الحميد الكاتب. وكتاب أدب الكاتب لابن قتيبه.

الألف ونقصانها، والهمز والواو والياء والمقصور والممدود والادغام ونون التوكيد والقطع والوصل إلى غير ذلك من الموضوعات الصرفية.

وهذا الكتاب كان مبعث فخر للصولى نفسه[٤]. كما استحسنه الوزير أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات وكان يعرضه على جميع من يدخل إليه، ممن يأنس به ويعلم أنه يفهم فى الأدب ويقول: «لقد سرنى أنه بقى فى الزمان من يحسن أن يؤلف مثل هذا[٥].

وهذا الكتاب على الرغم من قيمته الأدبية والعلمية وما حواه من معلومات قيمة إلا أنه لم يأخذ مكانته بعد ولم يشتهر شهرة كتاب ابن قتيبة «أدب الكاتب».

ومع ذلك فقد نقل عن هذا الكتاب كتاب كثيرون[٦].

منهم.. أبو الثناء الألوسى فى كتابه تفسير روح المعانى.. والسيد محمد شكرى الألوسى فى كتابه بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب.. والقلقشندى فى كتابه صبح الأعشى.

٢ - رسالة الصولى إلى مزاحم بن فاتك[٧]

حقق هذه الرسالة ونشرها محققو كتاب أخبار أبى تمام - وجعلوها مقدمة لأخباره وهى رسالة أدبية نقدية بليغة، ألفها الصولى فى فضل أبى تمام وشعره، وقدم بها لعمله المتكامل الذى يتصل بأبى تمام، وهو جمع أخباره ثم ديوانه مرتبا على

---

(٤) أدب الكتاب للصولى ص ٢٠

(٥) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٩٠

(٦) مقدمة الناشر محمد بهجة الأثرى على الكتاب ص ١٨.

(٧) لم تذكرها المصادر القديمة على أنها من تآليف الصولى.

الحروف الهجائية ثم شرح هذا الديوان. «حتى لا يشذ منه حرف، ولا يغمض منه معنى، ولا ينبو عنه فهم، ولا يمجه سمع[٨]».

ويقول الصولى فى رسالته هذه إلى مزاحم بن فاتك - أنه جمع شعر أبى تمام فى مدحه وهجائه وفخره وغزله، وأوصافه ومراثيه، ويدأ فى كل فن من هذه الفنون بشعره على قافية الألف ثم الباء ثم على توالى الحروف إلى آخرها.

ويفهم من رسالة الصولى هذه - أن أحدا فى ذلك العصر لم يكن له من الكفاءة والمقدرة على القيام بهذا العمل. بل «إن أحدا منهم لم يجسر أن ينشد قصيدة من شعر هذا الرجل ضامنا للقيام بما فيها، فضلا عن إيراد أخباره، والاحتجاج لما عيب عليه، والتضمن لجميع شعره، والنَّضْح عنه، والذَّبّ عن حريمه، والتنبيه عن جيده، ليعلم علوه فى الشعر وتقديمه فى الفهم[٩]».

وفى هذه الرسالة يتحدث الصولى عن نفسه وعن علمه وعن أساتذته وعن مؤلفاته، ويفخر بأن الناس تتهافت على كتبه. كما يقول أن بعض العلماء يسرقون أماليه ويضعونها فى كتبهم.

ولقد جعل الصولى رسالته هذه أدبية نقدية، فتحدث فيها عن أغراض الشعر وفنونه وقارن بين الأغراض القديمة عند الجاهليين ثم عند المحدثين.. وتحدث عن الألفاظ والمعانى والتشبيهات ثم انبرى للدفاع عن أبى تمام، فذكر ما عابه النقاد عليه ثم فند إدعاءهم ومزاعمهم وتعرض بالتحليل لمذهبى الصنعة والطبع. وقانون السرقات وما تواضع عليه القوم.

ولقد قسم الصولى - فى هذه الرسالة - الذين عابوا على أبى تمام إلى صنفين: صنف جاهل وصنف من اتباع خَالِفْ تُذْكر، وتحدث عن تصرفات كل منهما وذكر رأيه فى كل مزاعمهم. وتعتبر هذه الرسالة أعظم دفاع من أديب ناقد عن شاعر.

---

(٨) رسالة الصولى إلى مزاحم - أخبار أبى تمام للصولى ص ٥.

(٩) رسالة الصولى إلى مزاحم ص ١٢.

٣ - شرح ديوان أبى تمام[١٠]

للصولى شرح على ديوان أبى تمام، كما ورد فى كشف الظنون[١١] بلفظ «ديوان أبى تمام» وفى الخزانة التيمورية نسخة من هذا الشرح بها خرم فى أولها.

وفى دار الكتب المصرية قطعة من هذا الشرح أولها[١٢]: «الأول من البسيط، والقافية متراكب، الأفق جانب الهواء، ويقال آفاق السماء، وآفاق الأرض... إلخ». مخطوط رقم (٥٧٣).

وقد نقل التبريزى فى شرحه لشعر أبى تمام عدة نقول عن شرح الصولى فى مواطن مختلفة.

٤ - رسالته فى شعر أبى نواس[١٣]

وهى رسالة مخطوطة ألفها الصولى - على نمط رسالته فى شعر أبى تمام لتكون مقدمة لأخبار أبى نواس ثم ديوانه.

يقول الصولى فيها - عن البحترى - لمن ألفها له[١٤]:

«فهذا ما عرفتك.. أعزك الله.. أن شاعرا حاذقا مميزا ناقدا، مهذب الألفاظ مثل البحترى لم يكمل لنقد جميع الشعر..».

(١٠) الفهرست لابن النديم ص ١٥٠.

(١١) كشف الظنون - حاجى خليفة ص ٧٧٠.

(١٢) فهرس دار الكتب المصرية ١٩٩/٣ (القاهرة ثانى).

(١٣) ذكرها الأستاذ الدكتور صالح الاشتر فى كتابه (أخبار البحترى) راجع الخبر ١٠٨ ص ١٦٦ أخبار البحترى وقال إنها مخطوطة الظاهرية. (٤٦٤٠)

(١٤) مخطوطة الظاهرية ٤٦٤٠.

ويقول فيها أيضا[١٥]:

«فلم أر علما بالشعر مرضيا، ولا ناقدا ثاقبا، ورأيته ينشد أبياتا صالحة ويعيدها، إلا أنها لا تستوجب الترديد ولا الإعجاب بها».

ثانيا: الكتب المفقودة

٥ - شرح ديوان الحماسة[١٦] لأبي تمام

٦ - شرح ديوان أبي نواس[١٧]

شَرَح الصولى ديوان أبى نواس[١٨].

٧ - رسالة الصولى إلى ابن أبي الساج[١٩]

وهى رسالة أدبية طويلة ألفها الصولى فى كتاب عمله لابن أبى الساج يوصيه فيها بالمطاولة.

---

(١٥) راجع الخبر ١٠٨ ص ١٦٦ من أخبار البحترى

(١٦) كشف الظنون ص ٦٩٢ لفظ الحماسة، هدية العارفين لاسماعيل البغدادى ٣٨/٢.

(١٧) الفهرست ص ١٥٠، كشف الظنون ٧٧٤.

(١٨) الخزانة للبغدادى ٢٤٩/٢.

(١٩) أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ٢٧.

٨ - رسائل الصولى إلى القاضى عمر بن محمد[٢٠]

يقول الصولى إن للقاضى عمر بن محمد اشعارا ملاحا «وجوابات منى قد أفردت لذلك كتابا فيه هذه الأشعار، وفيه رسالة عملتها فى وصفه ووصف أبيه...».

٩ - كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه[٢١]

١٠ - كتاب الغرر[٢٢]

وهو عبارة عن أمال له.. لعله أملاها على تلاميذه فى حلقات الدرس، ثم جمعها فى كتاب. يقول السمعانى[٢٣] : «وكتبت جزئين من أماليه الحسنة عن شيخنا أبى منصور الجواليفى ببغداد».

(٢٠) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٤١.

(٢١) هدية العارفين ٣٨/٢.

(٢٢) الفهرست لابن النديم ص ١٥٠، هدية العارفين لاسماعيل البغدادى ٣٨/٢، وفيات الأعيان ٤٧٧/٣، الكامل فى التاريخ لابن الاثير ٣٢٤/٦.

(٢٣) الأنساب للسمعانى ص ٣٥٨.

الفصل الثالث

مجموعة الكتب الدينية

هذه الكتب فقدت جميعا، ولم يبق منها سوى الاسم أو الاشارة وهى:

١ - كتاب الشامل فى علم القرآن[١]

يذكر ابن النديم أن الصولى لم يتمه.. وقد ذكره «الصولى فى رسالته إلى مزاحم بن فاتك[٢] وقال أنه أحد الكتب التى سرقها أبو موسى الحامضى منه، ووجدت بين ثنايا الكتب التى خلفها.

٢ - جزء الصولى فى الحديث[٣]

جمعه الصولى من مرويات الحفاظ..

يقول الذهبى : «وله جزء سمعناه». وقد ذكر الصولى أن له كتبا فى الحديث[٤].

وللصولى بعض الأحاديث أوردها المسعودى فى مروج الذهب[٥] - كما روى

(١) الفهرست لابن النديم ص ١٥٠، هدية العارفين ٣٨/٢.
(٢) رسالة الصولى إلى مزاحم بن فاتك ص ١١.
(٣) كشف الظنون ٥٨٨ - سير أعلام النبلاء للذهبى ٧٣/١٠.
(٤) أخبار أبي تمام للصولى ص ٦٢.
(٥) مروج الذهب للمسعودى ٣١١/٨.

العديد من الأحاديث النبوية للراضى بالله إبان فترة تعليمه وخلافته فى مناسبات مختلفة[٦].

٣ - كتاب العبادة[٧]

ذكرته المصادر الأدبية القديمة كذلك، وقد إنفرد ياقوت[٨] بتسميته «كتاب العبادلة».

٤ - كتاب رمضان[٩]

٥ - كتاب سؤال وجواب رمضان[١٠]

(٦) أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ٢١٦.
(٧) الفهرست لابن النديم ص ١٥٠، وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٧٧/٣، هدية العارفين ٣٨/٢.
(٨) إرشاد الأريب - ياقوت ١٣٦/٧.
(٩) الفهرست لأبن النديم ص ١٥٠، هدية العارفين ٣٨/٢.
(١٠) الفهرست لابن النديم ص ١٥٠، هدية العارفين ٣٨/٢.

الفصل الرابع

مجموعة الكتب المتنوعة

تشمل هذه المجموعة الكتب التالية:

١ - كتاب الشطرنج[١]

ذكر ابن النديم أن للصولى نسختين من هذا الكتاب..

وقد ذكرت المصادر[٢] أن فى كتاب الشطرنج لأبن أبى حجلة عدة نقول عنه. وقد اختار أبو زكريا يحيى بن إبراهيم الحكيم منتخبات من كتابى الشطرنج للصولى والعدلى: حميدية (ومنه مصور بالقاهرة ثانى ٦:٢٠).

وتوجد أيضا منتخبات من كتاب الشطرنج للصولى فى مكتبة لا له إسماعيل ٥٦١ نقلا عن رتر. ويوجد منه ومن مصنف سلفه العادلى مخطوطتان بالقاهرة والآستانة.. وقد وضع كيس وفان درليند خطة لنشر المخطوطتين[٣].

٢ - كتاب تفضيل السنان[٤]

عمله الصولى لأبى الحسن على بن الفرات.. ولا نعرف شيئا عن هذا الكتاب.

---

(١) الفهرست ص ١٥٠، كشف الظنون ص ١٤٣، هدية العارفين ٣٨/٢.

(٢) تاريخ الأدب العربى - كارل بروكلمان ٥٣/٣.

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ٣٨٩/١٤.

(٤) الفهرست لأبن النديم ص١٥٠ - هدية العارفين ٣٨/٢.

٣ - كتاب الأنواع[٥]

لم تذكر المصادر الأدبية القديمة شيئا عن موضوع هذا الكتاب أو الغرض من تأليفه. ويقول ابن النديم إن الصولى لم يتمه.

وقد ذكره البغدادى فى خزانة الأدب فقال[٦]: «قال الصولى فى كتاب الأنواع: حدثنا أبو العباس محمد الجبائى، قال أنشدنا بكر المازنى لربيعة بن ثابت الرقى يمدح يزيد بن حاتم المهلبى ويهجو يزيد بن أسيد السلمى:

«لشتان مابين اليزيدين فى الندا» (البيت وبعده الأبيات الثلاثة).

قال: بلغ هذا الشعر أبا الشمقمق واسمه مروان فقال: يفضل يزيد بن مزيد الشيبانى على يزيد المهلبى:

لشتان ما بين اليزيدين فى الندا   إذ عُدَّ فى الناس المكارم والحمد
يزيدُ بنى شيبان أكرمُ منهما   وإن غَضِبَتْ قَيْسُ بن عيلانِ والأزدُ

٤ - كتاب اللقاء والتسليم[٧]

ذكره الصولى فى كتابه أدب الكتاب، وقال أنه كتب به إلى القاضى عمر بن محمد بن يوسف.

---

(٥) الفهرست لابن النديم ص ١٥٠، وفيات الأعيان ٤٧٧/٣، هدية العارفين ٣٨/٢.
(٦) خزانة الأدب - لعبدالقادر بن عمر البغدادى ٥٣/٣.
(٧) أدب الكتاب للصولى ص ١٧٥.

٥ - كتاب الشبان والنوادر[٨]

ذكره الصولى فى أخبار أبى تمام.

كما ذكره أبو العلاء المعرى فى رسالة الغفران باسم النوادر[٩].

يقول الصولى[١٠]: أنه أحد الكتب التى سرقها منه أبو موسى الحامضى وضمنها فى كتبه، فلما مات ظهرت فى أماليه.

٦ - كتاب الطرر[١١]

٧ - كتاب السعادة[١٢]

٨ - كتاب الأخبار المنثورة[١٣]

هذا الكتاب لم يذكر فى ثبت مؤلفات الصولى فى المصادر القديمة.

ولكن ابن الآبار قال فى (أعتاب الكتاب) «وحكى الصولى فى كتاب الأخبار المنثورة من تأليفه...»

---

(٨) أخبار أبى تمام للصولى ص ١١.

(٩) رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى ص ٣٨٣.

(١٠) رسالة الصولى إلى مزاحم ص ١١.

(١١) لعله كتاب الغرر الذى سبق ذكره فى مجموعة الكتب الأدبية - الوافى بالوفيات - مصورة المجمع العلمى العربى بدمشق: ٩٧ الورقة ١١٨ - وعيون التواريخ. مصورة المجمع العلمى العربى بدمشق: ٧٥/١٢ ظ - ٧٦.

(١٢) لعله كتاب العبادة أو العبادلة محرفا (أنظر كتاب العبادة فى الكتب الدينية).

(١٣) مخطوطة أعتاب الكتاب لابن الآبار - مخطوطة بدار الكتب الورقة ٥٨.

الفصل الخامس

دواوين الشعراء

كان الصولى شاعرا، عالما بالشعر مهتما به أكبر الاهتمام، لذلك جمع دواوين عدد من الشعراء المحدثين ورتبها حسب حروف الهجاء وهذه الدواوين هى:

أولا: الدواوين الموجودة:

١ - ديوان ابن الرومى.
٢ - ديوان أبى تمام.
٣ - ديوان البحترى.
٤ - ديوان أبى نواس.
٥ - ديوان العباس بن الأحنف.
٦ - ديوان إبراهيم بن العباس.
٧ - ديوان ابن المعتز.
٨ - ديوان مسلم بن الوليد.
٩ - ديوان الراضى بالله.
١٠ - ديوان على بن الجهم.

ثانيا: الدواوين المفقودة:

١ - ديوان ابن طباطبا.
٢ - ديوان ابن عيينة.
٣ - ديوان ابن شراعة.
٤ - ديوان الصنوبرى.
٥ - ديوان ابن هرمة.
٦ - ديوان أبى الشيص.
٧ - ديوان دعبل الخزاعى.
٨ - ديوان المعدل بن عيلان بن المحارب.
٩ - ديوان القاضى عمر بن محمد.
١٠ - شعر شعراء مضر.
١١ - شعر شعراء ربيعة.
١٢ - شعر شعراء اليمن.

أولا: الدواوين الموجودة

١ - ديوان ابن الرومى[١]
«على بن العباس بن جريج المتوفى سنة ٢٩١هـ»

يقول ابن النديم عن ابن الرومى: «كان شعره على غير الحروف، ثم عمله الصولى على الحروف فى مائتى ورقة[٢]....؟».

وفى دار الكتب المصرية - كما جاء فى فهرس آداب اللغة العربية - نسخة مخطوطة لديوان ابن الرومى برواية الصولى مرتبة على حروف الهجاء. والموجود منها: من أول الديوان وتنتهى أثناء قافية الهاء. وهو مخطوط بقلم قديم.. الجزء الأول مخطوط رقم (١٣٩) والجزء الثانى مخطوط رقم (٥٩٢).

ويوجد ديوان ابن الرومى برواية الصولى مرتبا على حروف الهجاء[٣] فى:

ليدن أول ٦١٠، أسكوريال ثانى ٢٧٧، نور عثمانية ٣٨٥٩-٣٨٦٠.

٢ - ديوان أبى تمام[٤]
«حبيب بن أوس الطائى المتوفى سنة ٢٣٢هـ»

جمع الصولى ديوان أبى تمام ورتبه على حروف الهجاء.. ويوجد فى دار الكتب الجزء الثالث منه مخطوطا وهو يشتمل على بعض باب المديح وباب المراثى. وأوله

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ١٥٠، كشف الظنون ٧٦٦.

(٢) الفهرست ص ٢٣٦.

(٣) كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربى ٤٧/٢.

(٤) الفهرست ص ١٥٠، كشف الظنون ص ٧٧٠.

قصيدة من أول حرف القاف يمدح بها أبا دلف العجلى، ويهنئه بسلامته من الأفشين ومن علة لحقته.. مخطوط رقم (٥٧٣).

ويوجد نسخ من الديوان[٥] بترتيب الصولى فى : برلين ٧٥٣٦، ليدن أول ٥٩٦، المتحف البريطانى أول ٥٨١ - ٥٨٢، المكتب الهندى أول ٨٠٦، بودليانا ١ : ١٢٥٥، مانشستر ٤٤٤، بطرسبرج ثانى ٢٦٥ - ٢٦٦، باريس أول ٣٠٨٥، أسكوريال ثانى ٢٩٠ - ٢٩١.

٣ - ديوان البحترى[٦]
«أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائى المتوفى سنة ٢٨٤هـ»

يقول ابن النديم[٧] عن ديوان البحترى: «كان شعره على غير الحروف إلى أيام الصولى فإنه عمله على الحروف».

وقد نشر ديوان البحترى برواية الصولى فى أستانبول سنة ١٣٠٠هـ، وفى بيروت سنة ١٣١٣هـ وقد حققه ونشره فى القاهرة الأستاذ عبد الرحمن البرقوقى، فى جزئين جمعهما فى مجلد واحد. وقد طبع فى مطبعة أمين هندية سنة ١٣٢٩هـ.

وتوجد من الديوان مخطوطات مرتبة على حروف الهجاء[٨] فى :

برلين - بريل (دحداح) ١٢٦، ميونخ أول ٥٠٨، فينا ٤٥٠، ليدن أول ٦١١-٦١٣، بطرسبرج ثانى ٢٦٧، باريس أول ٣٠٨٦، كوبريلى ١٢٥٢ - ١٢٥٣،

---

(٥) تاريخ الأدب العربى - كارل بروكلمان ٧٥/٢.

(٦) الفهرست ص ١٥٠، كشف الظنون ص ٧٧٩.

(٧) الفهرست ص ٢٣٥.

(٨) تاريخ الأدب العربى، كارل بروكلمان ٥١/٢.

يني ٩٤٦، حمدية ١٠٨٤، ١٢٠٧، عاشر أفندى ٨١٩، لالى ١٧٣٣، عمومية ٥٦٩٤.

وتوجد نسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية، مخطوط رقم (٦١٥).

٤ - ديوان أبى نواس[٩]
«الحسن بن هانئ المتوفى سنة ١٩٩هـ»

يقول ابن النديم عن ديوان أبى نواس «وعمله من أهل الأدب الصولى على الحروف وأسقط المنحول منه[١٠]» ويقول البغدادى[١١] «وديوان شعره مختلف لاختلاف جامعيه، فإنه اعتنى بجمعه جماعة، منهم أبو بكر الصولى».

وقد طبع ديوان أبى نواس (الحسن بن هانئ) عدة مرات:

- طبع برواية الصولى فى القاهرة سنة ١٣٢٢هـ بمعرفة النبهانى[١٢].

- وطبع بتحقيق وشرح الأستاذ محمود واصف سنة ١٨٩٨م، الذى يقول أنه اعتمد على نسختى حمزة الأصفهانى وأبى بكر الصولى[١٣].

- كما طبع بتحقيق وضبط وشرح الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى بالقاهرة سنة ١٩٥٣م..

ويقول المحقق[١٤]: أنه اعتمد فى نشر ديوان أبى نواس على روايتين هما: رواية

---

(٩) الفهرس ص ١٥٠، كشف الظنون ص ٧٧٤.

(١٠) الفهرست ص ٢٨٨.

(١١) خزانة الأدب للبغدادى ٢٣٨/١.

(١٢) تاريخ الأدب العربى - كارل بروكلمان ٣٠/٢.

(١٣) انظر مقدمة ديوان أبى نواس الصفحة ٢ تحقيق الأستاذ محمود واصف.

(١٤) مقدمة ديوان أبى نواس - تحقيق الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى الصفحة (ض).

حمزة الأصبهانى ورواية أبى بكر الصولى، وأصحها وأدقها رواية الصولى، إلا أن أبا بكر الصولى لاعتبارات فى نفسه نفى الكثير من شعر الحسن بن هانئ، بل نص على أنه منحول إليه، وأنه ليس من شعره البتة ويقول المحقق أيضا: ويظهر أن الصولى كان قد وضع مقياسا لشعر الحسن خاصة، فما لم يكن مثله فليس للحسن ويختتم المقدمة بقوله أنه جمع بين الروايتين».

وديوان أبى نواس برواية الصولى فى عشرة أبواب[١٥] وتوجد نسخ مخطوطة منه فى: برلين ٧٥٣١، فينا ٢٠١٦، ليدن أول ٥٩٢، بودليانا ١ :١٢١٧، أمبروزيانا أول ورقة ١٤١.

وتوجد بعض أوراق من الديوان برواية الصولى فى مكتبة الموصل.

وقد شرح الصولى هذا الديوان[١٦].

٥ - ديوان العباس بن الأحنف[١٧]
«ت ٢٤٧هـ»

طبع ديوان بن الأحنف برواية الصولى، ضمن مجموعة القسطنطينية فى مطبعة الجوائب باستانبول سنة ١٢٩٨هـ[١٨].

وتوجد من الديوان نسخة مخطوطة، بدار الكتب المصرية مخطوط رقم (٥٣١) أدب ويوجد منه مخطوط أيضا فى كوريلى ١٢٥٩-١٢٦٠.

---

(١٥) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان ٢/٣٠.

(١٦) الخزانة ٢/٢٤٩.

(١٧) الفهرست لابن النديم ص ١٥٠.

(١٨) تاريخ الأدب العربى - كارل بروكلمان ٢/٢٣.

٦ - ديوان إبراهيم بن العباس الصولى[١٩]
«ت ٢٤٣هـ»

قال الأصفهانى[٢٠]، جمع الصولى أشعار إبراهيم بن العباس.

وقد نشر الديوان السيد عبد العزيز الميمنى[٢١] فى كتاب الطرائف الأدبية، وطبع فى القاهرة سنة ١٩٣٧م، من صفحة ١١٨ إلى صفحة ١٨٨. ويوجد الديوان مخطوطا فى مكتبة وهبى (أفندى)[٢٢] بإستنبول برقم ١٧٤٤.

٧ - ديوان عبدالله بن المعتز[٢٣]
«ت ٢٩٦هـ»

يقول ابن النديم: جمع الصولى ديوان ابن المعتز.

وتوجد أشعار كثيرة لابن المعتز فى كتاب الأوراق فى القسم الذى خصصه الصولى لأشعار أولاد الخلفاء والذى نشره ج. هيورث. دن فى لندن سنة ١٩٣٦ من صفحة ١٠٧ إلى صفحة ٢٩٦.

وقد نشر شعر عبدالله بن المعتز برواية الصولى تصحيح المستشرق ب. لوين فى سلسلة «النشرات الاسلامية» طبع مطبعة المعارف بإستانبول سنة ١٩٤٥م. وفى دار الكتب المصرية جزءآن من هذا الشعر هما: الجزء الثالث وقد طبع سنة ١٩٥٠، والجزء الرابع طبع سنة ١٩٤٥.

---

(١٩) الفهرست ص ١٥٠.

(٢٠) الأغانى - للأصفهانى ٩/٢١-٣٥.

(٢١) تاريخ الأدب العربى - كارل بروكلمان ٢/٤٣.

(٢٢) تاريخ الأدب العربى - كارل بروكلمان ٢/٤٣.

(٢٣) الفهرست لابن النديم ص ١٥٠.

وفى دار الكتب المصرية توجد نسخة مخطوطة كاملة من ديوان عبد الله بن المعتز برواية الصولى مخطوط رقم (٥٢٤) وهو مرتب على عشرة فنون:

الأول: فن الفخر. والثانى: فن الغزل. والثالث: فن المديح. والرابع: فن الهجاء والذم. والخامس: فن الشراب . والسادس: فن المعاتبات. والسابع: فن الطرديات. والثامن: فن الأوصاف والملح. والتاسع: فن المراثى والتعازى. والعاشر: فن الزهد والأدب والشيب. وكل فن من هذه الفنون مرتب على حروف المعجم. وتوجد نسخ مخطوطة من هذا الديوان[٢٤] فى: برلين ٧٥٤٢، المتحف البريطانى أول ٦٥٦١، المتحف البريطانى ثالث ٥٨، باريس أول ٣٠٨٧، هافينا ٢٥١-٢٥٢.

٨ - ديوان مسلم بن الوليد[٢٥]
«ت ٢٠٩هـ»

يقول ابن النديم[٢٦] عن مسلم: «وشعره نحو مائتى ورقة على الحروف، عمله الصولى». وقد نشر دى خويه ديوان مسلم بن الوليد عن مخطوط فى ليدن ١٨٧٥[٢٧].

ونشر أخيرا ديوان مسلم بن الوليد (صريع الغوانى) بتحقيق وشرح الدكتور سامى الدهان وقد اعتمد المحقق - كما ذكر هو - على النسخة الوحيدة المخطوطة المحفوظة فى مكتبة ليدن بهولاندة. ويقول: إذا كانت المصادر قد أشارت إلى أن الصولى وحده هو الذى جمع ديوان مسلم إلا أنه جاء بآخر الديوان «هنا قد تم

---

(٢٤) تاريخ الأدب العربى- كارل بروكلمان ٥٦/٢.
(٢٥) دائرة المعارف الإسلامية ٣٨٩/١٤.
(٢٦) الفهرست ص ٢٢٨.
(٢٧) تاريخ الأدب العربى كارل بروكلمان ٥٧/٢.

جميع شعر صريع الغوانى رواية أبى العباس وليد بن عيسى الطبيخى الأندلسى[٢٨]».

٩ - ديوان الراضى بالله[٢٩]
«ت ٣٢٩هـ»

جمع الصولى شعر الراضى ونقحه ورتبه على حروف الهجاء ثم ألحقه بأخباره. غير أن الديوان بوضعه هذا ينقصه كثير من الأشعار والمقطعات والرسائل الشعرية المتبادلة بين الراضى بالله والصولى، والموجودة بين ثنايا الأخبار التى ألفها له الصولى ضمن كتابه الأوراق.

١٠ - ديوان على بن الجهم[٣٠]
«ت ٢٤٩هـ»

يقول ابن النديم[٣١]: إن أبا بكر الصولى جمع شعر على بن الجهم وصنفه على حروف المعجم. ويوجد شعره فى مدح العباسيين - مخطوطا[٣٢] - بفهرست الأسكوريال ثانى ٣٦٩ رقم ٣.

وقد نشر ديوان على بن الجهم بتحقيق وشرح خليل مردم بك سنة ١٩٤٩ ضمن

---

(٢٨) راجع مقدمة الدكتور سامى الدهان على الديوان ص ٦٧.

(٢٩) أخبار الراضى بالله للصولى من صفحة ١٥٤-١٨٥- تحقيق ونشر ج.هيورث.دن.

(٣٠) الفهرست ص ١٥١.

(٣١) الفهرست ص ١٥١.

(٣٢) تاريخ الأدب العربى كارل بروكلمان ٤٣/٢.

مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق. ويقول عنه الناشر[٣٣]: «أما هذا الديوان الذى عنينا بتحقيقه ونشره، فنسخته المخطوطة محفوظة فى خزانة الأسكوريال بأسبانيا تحت رقم ٣٦٩ من فهرس ديرنبورج - ولكنه لا يعرف من صاحب هذه النسخة. ويستبعد أن تكون نسخة الأسكوريال هذه هى نسخة الديوان الذى جمعه أبو بكر الصولى، لأنها لا تشتمل إلا على قسم من شعر على بن الجهم.. ويبرر ذلك بقوله: «وليس يجوز على الصولى أن يقنع بتدوين هذا المقدار من شعر الشاعر ويفوته كثير مما اشتهر من شعره كقصيدته الرصافية[٣٤] وغيرها من القصائد. وسبب آخر - ذكره المحقق - أن نسخة الأسكوريال بها قصيدتان ومقطوعة[٣٥] لا تطمئن النفس إلى نسبتها إلى على بن الجهم، بل هى من الشعر المتأخر حتى عن زمن الصولى. ويختتم محقق الديوان مقدمته بقوله: أنه لا يعلم من الذى جمع هذه النسخة، وإن كان يرجح أنها بعد عصر الصولى.

ثانيا: الدواوين المفقودة

١ - ديوان ابن طباطبا[٣٦]
«أحمد بن محمد بن إسماعيل بن القاسم المتوفى سنة ٣٤٥هـ»

٢ - ديوان ابن عيينة[٣٧]
«محمد بن أبى عيينة المهلبى»

---

(٣٣) راجع مقدمة الديوان ص ٤٥.

(٣٤) ص ١٤١ من الديوان.

(٣٥) القصائد الضادية ص ٤٨، الدالية ص ٨٥، والميمية ص ٩٤.

(٣٦) الفهرست لابن النديم ص ١٥٠.

(٣٧) المرجع السابق.

٣ - ديوان ابن شراعة[٣٨]

٤ - ديوان الصنوبرى[٣٩]

«أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار الضبى الحلبى المتوفى سنة ٣٣٤»

٥ - ديوان ابن هرمة[٤٠]

«إبراهيم بن على الفهرى المتوفى سنة ١٦٧هـ»

يقول ابن النديم[٤١]: وشعره مجرد نحو مائتى ورقة، وقد صنعه الصولى.

٦ - ديوان أبى الشيص[٤٢]

«محمد بن عبد الله بن رزين الخزاعى المتوفى سنة ١٩٦هـ»

يقول ابن النديم[٤٣]: «وشعره نحو خمسين ومائة ورقة، عمله الصولى». وقد طبع ديوان أبى الشيص حديثا فى العراق جمع وتحقيق الأستاذ عبد الله الجبروى.

---

(٣٨) الفهرست لابن النديم ص ١٥٠.

(٣٩) دائرة المعارف الاسلامية ٣٨٩/١٤.

(٤٠) الفهرست لابن النديم ص ١٥٠.

(٤١) الفهرست لابن النديم ص ٢٢٧.

(٤٢) لم تذكره المصادر القديمة ضمن مؤلفات الصولى، غير أن ابن النديم فى ترجمته لأبى الشيص ذكره ص ٢٥٩.

(٤٣) الفهرست ص ٢٥٩.

٧ - ديوان دعبل الخزاعى[٤٤]
«ت ٢٤٦هـ»

يقول ابن النديم[٤٥]: أما عن شعره.. فقد عمله الصولى».

٨ - ديوان المعدل بن عيلان بن المحارب[٤٦]

يقول ابن النديم: «لم يزل شعره غير مؤلف يكون مائتى ورقة إلى أيام الصولى، فإنه عمله على الحروف نحو ثلثمائة».

٩ - ديوان القاضى عمر بن محمد[٤٧]
«ت ٣٢٧هـ»

يقول الصولى أنه جمع أشعار القاضى عمر بن محمد فى كتاب «وكانت له أشعار ملاح قد أفردت لها كتابا[٤٨].

---

(٤٤) دائرة المعارف الاسلامية ٣٨٩/١٤.

(٤٥) الفهرست لابن النديم ص ٢٢٩.

(٤٦) لم تذكره المراجع القديمة على أنه ضمن مؤلفات الصولى. غير أن ابن النديم ذكره فى ترجمته للشاعر ص ٢٣٥.

(٤٧) لم تتحدث عنه المصادر القديمة، ولكن الصولى ذكر أنه جمع ديوانه وألف فيه رسالة (أخبار الراضى للصولى ص ١٤١).

(٤٨) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٤١.

١٠ - شعر شعراء مضر[٤٩]

١١ - شعر شعراء ربيعة[٥٠]

١٢ - شعر شعراء اليمن[٥١]

(٤٩) أخبار الراضى بالله للوصلى ص ٤٠.
(٥٠) المرجع السابق.
(٥١) المرجع السابق.

الفصل السادس

منهج الصولى فى التأليف

رأينا مؤلفات الصولى ومصنفاته، وهى كثيرة متنوعة وفى مجالات شتى ومنها نعرف أن هذا الرجل كان موسوعة علمية تمثل أرقى معانى الثقافة وأشمل آثارها فى عصره. ومن خلال هذه المؤلفات والمصنفات، نستطيع أن نحدد المنهج الذى اتبعه الصولى فى إخراجها: ذلك المنهج الذى يمكن أن يتلخص فى العناصر الآتية:

١ - التعويل على الروايات

نلاحظ أن الصولى عول كثيرا على الروايات، فقد اعتمد على رواية الرواة فى أكثر مادونه عن الشعراء والوزراء والكتاب وغيرهم - خصوصا عن أولئك الذين لم يعاصرهم. وعند الصولى - لابد أن يكون الراوى ثقة مشهوداً له بين معاصريه بالأمانة والصدق. لذلك رفض الصولى أن يأخذ عن أصحاب الصحف، ولم يعتد إلا بما يسمعه من أفواه الرجال[١] وفى جميع الأحوال لابد وأن يستقصى الأخبار ويتأكد من صحتها، ويذكر ذلك دائما فيقول مثلا عند تدوينه أخبار يوسف بن القاسم، أن له أشعارا ومكاتبات وأخبارا أنا أستقصيها بعون الله[٢] ويقول عند روايته أخبار أحمد بن يوسف «وقد استقصيت أخباره فى كتاب الوزراء»[٣].

(١) أدب الكتاب ص ٤٦.

(٢) أخبار الشعراء ص ١٤٨.

(٣) الأوراق - قسم أخبار الشعراء ص ٢٠٦.

وفى كل خبر يرويه يعزو رواياته إلى أصحابها، ويذكر هؤلاء الرواة، فإذا وجد راوية غير ثقة، أو روايته غير صحيحة أو معقولة، رفضها أو جرحها، فلابد من أن يعطى العلم حقه، ويضع الحق موضعه[٤].

وكثيرا ما يدلى الصولى بآرائه حول روايته خبر ما، وقد يرجح رواية على أخرى أو يذكر الروايات المتعددة للخبر الواحد. مثل روايته فى ذكر حديث بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهيب[٥].

وقد يضيف إلى الرواية تعليقا من عنده، أو يوضح أمرا ورد فيها، أو صفة شخص ورد اسمه، فيقول «قال أبو بكر» أو «قال الصولى» ثم يذكر تعليقه.. والأمثلة على ذلك متعددة فى كتبه.

٢ - الحرص على ذكر سلسلة الإسناد

وكان الصولى دائما يحرص على ذكر سند رواياته موصولا إلى صاحبه، تماما مثلما كان يفعل علماء الحديث فيقول: حدثنى فلان قال حدثنى فلان... عن فلان أنه قال[٦].. أو يقول: حدثنى بعض من يخبر الأمر[٧] أو حدثنى من أثق به[٨] أو أنشدنى يوما فلان[٩]، أو كنا يوما عند فلان... فسمعت[١٠].. وإذا اشترك معه فى السماع آخرون، قال: حدثنا فلان.. وذكر السندالى مصدره الأول.

---

(٤) أخبار الشعراء ص ٢١٠.
(٥) أخبار المتقى لله ص ٢١٦.
(٦) أخبار الشعراء ص ١٦٦.
(٧) أخبار الراضى ص ١٩٢.
(٨) أخبار الراضى بالله ص ١٩٣.
(٩) أخبار الراضى ص ٦٠.
(١٠) أخبار الراضى ص ٦٠.

وحرص الصولى على السند المتصل فى الرواية المأخوذة من أفواه الرجال الثقات، لم يمنع من أنه اعتمد فى بعض الاحيان على النقل من كتب أو مخطوطات أو رسائل مكتوبة بخط رجل ثقة يعرفه تمام المعرفة، فنراه يذكر ذلك فيقول: وجدت بخط فلان(١١)، أو رأيت بخط فلان، أو كتب إلىّ كاتب له(١٢).

وأحيانا ينقل عن أحد أفراد أسرة الشاعر أو الأديب، فيقول: فمن شعره ما وجدته بخط فلان(١٣) ابنه أو أخيه.

والسند قد يقل عند الصولى أوّلا يذكر فى الأحداث أو المناسبات التى رآها بنفسه وسمع ما فيها. وقد يحذفه فى بعض الأحوال بقصد التخفيف والتسهيل على القارئين، مثلما فعل فى كتابه «أدب الكتّاب».

٣ - اتباعه نظام السنين

كان الصولى فى تأريخه لأحداث الدولة يتبع نظام السنين فى تسجيل الحوادث حسب حدوثها. فيذكر الأحداث متعاقبة. فيقول مثلا: «أحداث سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة» ثم يذكر كل ما حدث فى هذه السنة من حوادث وفتن وغير ذلك. وبعد انتهاء هذه السنة ينتقل إلى أحداث السنة التى بعدها.. وهكذا.

ونراه فى تأريخه للدولة العباسية يذكر تولى الخلفاء للحكم، كيف تمت بيعتهم، وكيف اختيرت أسماؤهم، ويؤرخ لحياتهم، وما فى عهودهم من أحداث، ومن تعاقب على السلطة من الوزراء والأمراء، والقواد. وما قاموا به من إصلاحات أو حروب،

---

(١١) أخبار الشعراء ص ١٥٦.

(١٢) أخبار الشعراء ص ٢١٤.

(١٣) أخبار الشعراء ص ١٤٨.

ودورهم في الأحداث السياسية وكيف انتهت، ويؤرخ أيضا لتتابع الثورات التى قامت فى كل سنة سواء من العلويين، أو القرامطة، أو من العامة، ويعلل أسباب هذه الثورات، وكيف قضت الدولة عليها واخمدت صوتها.

ويذكر الصولى أيضا فى نهاية كل سنة يؤرخ لها، من توفى فيها من العلماء والأدباء وغيرهم محددا ذلك باليوم والشهر..

أما فى عمل الصولى لأخبار فحول الشعراء على اختلاف عصورهم، من أمثال أبي تمام والبحترى وابن الرومى وابن المعتز أو غيرهم. فليس هناك دليل على أنه اتبع طريقة التسلسل الزمنى لعصر الشاعر أو سنة وفاته أو أى نظام آخر، لأن الصولى لم يكن ليذكر ذلك صراحة فى كتبه، غير أننا نجد إشارات بسيطة يمكن عن طريقها تحديد أو تخمين سنة تأليف كتاب معين.

أما أخبار الشعراء والكتاب المقلين الذين تناول أخبارهم فى الجزء الأدبى من كتابه الأوراق - قسم أخبار الشعراء - فقد راعى التسلسل الزمنى من حيث أنه كان يذكر الأب أولا ثم الأبناء ثم الأحفاد، مثلما ذكر أخبار عائلة اللاحقى. فذكر أبان بن عبد الحميد ثم حمدان بن أبان، ثم أبان بن حمدان..

كما اتبع الصولى نظاما آخرا ذكره فى كتابه، وهو أنه كان يسجل أخبار الشعراء حسب ترتيب حروف المعجم، فكان يبدأ بحرف الألف، ثم حرف الباء.. وهكذا.

كما اتبع نظاما آخر وهو تسجيل الشعر حسب جودته، وكفاءة الشعراء وشاعريتهم. وطريقة سرد الأخبار حسب نظام تعاقب السنين، لم يبتدعها الصولى نفسه، بل ابتدعت قبل عصره بمدة طويلة، وتدلنا المصادر القديمة على أنه قد اتبعها علماء ومؤرخون كثيرون قبل عصره، وفى عصره.. مثل: الهيثم بن عدى المتوفى سنة ٢٠٧هـ والواقدى المتوفى سنة ٢٠٧هـ، وجعفر بن محمد بن الأزهر المتوفى سنة ٢٧٦هـ، وعمار بن وسيمة المصرى المتوفى سنة ٢٨٩هـ. وسار أيضا على نفس المنهج فى التاريخ ابن مسكويه وابن الأثير وابو الفداء وغيرهم.

٤ - إيراده الأخبار العامة فى ثنايا التاريخ

فالصولى أورد فى ثنايا تأريخه للخلفاء وغيرهم من الشعراء والأدباء، كثيرا من الأخبار العامة والطرائف، كما ضمنه أيضا أوصافهم وأخلاقهم وطرق تفكيرهم ومستواهم الأدبى والثقافى وتحدث عن ذكائهم وفطنتهم، ومدى قدرتهم على تصريف الأمور وتحمل الأعباء، كما ذكر كثيرا من نوادرهم، وما كان يدور من حوار بين الخلفاء والوزراء والقواد، أوبين الخليفة وبينه. بل إنه كان فى كثير من الأحيان يتحدث عن أنواع المأكل والمشرب والملابس، فنجده يتحدث عن رغيف الند والخبيصه[١٤]، التى كان يحبها ويتحدث أيضا عن فص الماس[١٥] الذى وعده به الراضى وغير ذلك من الأخبار العامة التى تخرج عن علم التاريخ.

كل ذلك كان يذكره الصولى فى مجال الحديث عن أحداث سنة بعينها.

ولعل الصولى كان يقصد بتضمينه هذه الأخبار العامة، أن يمنع الملل والسآمة عن ذهن القارئ أو لعله كان يقصد بذلك امتاع القارئين ومدهم بكثير من المعلومات العامة الأدبية والاجتماعية عن العصر وعن الحياة فى هذه الفترة التى يؤرخ لها.

٥ - الحديث عن نفسه

فالصولى جعل من مؤلفاته سجلات تحوى أخباره، ذكر فيها كل ما يتصل به من أحداث وظروف وما كتبه من مؤلفات، وما نظم من قصائد، كما ذكر تنقلاته

---

(١٤) أخبار الراضى بالله ص ٢٢.

(١٥) أخبار الراضى بالله ص ٣١.

وسفرياته واتصالاته، وما أصابه من علل واسقام، وما كابد من اضطهاد.. إلى آخر هذه الأمور التى ترتبط بحياته العامة والخاصة فى جميع المناسبات.

من ذلك مارواه الصولى عن نفسه فى أخريات حياته، من أن وزير المتقى لله، تغير له، وجعل يثلبه، ويتعمد تخطئته، وكان إذا سأل عن شىء فأصاب فيه الصولى، خالفه وتندر عليه، وأعانته على ذلك عصبة حوله.. فيروى لنا الصولى أن «الوزير قال له يوما يمتحنه(١٦) : كم بالبصرة من قبيلة ليست بالكوفة، وكم بالكوفة من قبيلة ليست بالبصرة؟ فقال الصولى: بالبصرة: المهالبة والمسامعة والجاروديون، وباهلة. وبالكوفة: بنو أسد عدة مواضع، وليس بالبصرة إلا مكان زعموا أنه سمى بغيرهم، وبها الأشاعثة وبها المقيثون.

فقال: ذهب عليك الأعظم وبنو حمان بالكوفة، وليس هم بالبصرة فقال الصولى: بلى هم بالبصرة. فقال: كذبت، فقال: والله الذى لا إله إلا هو ما كذبت منذ عرفت قبيح الكذب فقال: يا يانس، هات مائتى دينار، فجاء بها فى صرة فقال: إن كان بالبصرة بنو حمان فهى لك، وإلا غرَّمتك نصفها ووهبته. «فقلتُ: الوزير أعزه الله يتفضل على ويهب لى أضعاف هذه، وما كنت لآخذ على هذه الجهة شيئا، ولو كانت ألفى دينار، ولكنى أحدث الوزير أعزه الله بشىء يتفضل باستماعه ثم يأمر بما شاء، قال: هات. قلتُ: «رميت وأنا صبى فى سنة خمس وسبعين(١٧) بالبصرة مع إنسان يعرف بابن طاهر الهاشمى وهو يعيش، فكان رمينا: خرجه عندى فأجذبه إلى العتيك، وخرجه عنده فيجذبنى إلى هدف بنى حمان، ويحضرنا ألوف من الناس، ولقد أنشدنى ابن ذكرويه لنفسه:

حِزْبُ العلاءِ فَضَلْتُهُمْ فَتَرَحَّلُوا ... طاب الرحيلُ إلى بَنِى حِمَّانِ
هذا أَبُو سَاسَانِ قَدْ أشجاكُمُ ... ماذا لقيتُم من أبى ساسانِ

---

(١٦) أخبار المتقى لله ص ٢١٥.

(١٧) يقصد سنة خمس وسبعين ومائتين.

وهؤلاء بنو المثنى وبنو عبد السلام، فإن شاء الوزير أن يستعلم هذا منهم فليفعل.. فما رَدَّ جوابا، وأمر بدفع الدنانير.

٦ - تضمين أخباره النصوص الأدبية

حرص الصولى على تضمين أخباره كثيرا من النصوص الأدبية من شعر ونثر وخطابة ورسائل... فكان يذكر ضمن حديثه عن التاريخ قصائده فى مديح الراضى ووزرائه، وقصائده فى مديح المتقى، كما يذكر أيضا الأشعار التى قيلت فى المناسبات المختلفة من الشعراء الآخرين، ويسجل رسائل الراضى إليه الشعرية والنثرية ومناسباتها ويذكر مارد به على الخليفة من رسائل ومدائح وما استحسنه الراضى منها.

ويذكر الصولى أيضا المجالس الأدبية والعلمية، ويصفها ويتحدث عما دار فيها من مناقشات ويسرد بعض الموضوعات التى تُنوولت، ويستشهد بالعديد من آراء الأدباء والنقاد وأشعار الشعراء فى مجال حديثه مما يدعم به فكرته، ويفسر بعض المعانى التى يريد ابرازها، ويرجح نسبة شعر إلى شاعر ويحدد من أين سرق الشعراء معانيهم.

كل ذلك كان يتناوله الصولى فى حديثه عن الدولة وأحداثها، وكان يذكره أيضا فى مجال حديثه عن الشعر والشعراء. فحرص الصولى على تضمين أخباره بعض النصوص الأدبية، طبع مؤلفاته بهذا الطابع الفنى فكانت سمة بارزة فى كل مؤلفاته على الإطلاق.

ففى تأريخه السياسى أضاف الصولى مسحة أدبية جميلة، فربط بين التاريخ السياسى والأدب بل لقد كانت النصوص الأدبية التى أوردها الصولى توضح

الأحداث التاريخية وتسجلها. من ذلك قصائده عند تولى الخليفة الراضى الحكم وقصائده عند النصر فى الحروب وإخماد الفتن وتولى الوزراء الوزارة.

والصولى فى كل ذلك كان يساير ويحاكى المؤرخين الأدباء السابقين، ذلك أن - رواة الأخبار القدماء كانوا يحرصون على تدوين الشعر المتصل بالموضوع الذى يؤرخون له، كلفا بالشعر من ناحية، ورغبة فى توثيق الحوادث التى يذكرونها من ناحية أخرى. من ذلك ما نراه فى كتاب «وقعة صفين» لنصر بن مزاحم - الذى نشره الأستاذ عبد السلام هارون.

فكان المؤرخون يزركشون تاريخهم بكثير من القصائد والمقطوعات الشعرية والنوادر والأخبار ويبينون مناسباتها التى قيلت فيها، أو الأحداث المذكورة بها وأماكنها والأشخاص المتصلين بها.

ومن هنا وضح امتزاج الأدب بالتاريخ وصار من المألوف أن يكون المؤرخون رواة للأدب وأن يكون رواة الأدب مؤرخين. من هؤلاء وهؤلاء نجد أبا عبيدة (٢٠٩هـ)، والهيثم بن عدى المتوفى (٢٠٩هـ) والأصمعى (٢١٦هـ) وأبا سعيد السكرى (٢٧٥هـ) وغيرهم.

٧ - إضافة الآراء الشخصية

كان الصولى دائما وفى كل مؤلف من مؤلفاته حريصا على ذكر آرائه الشخصية، فيما يراه من أحداث، أو فيما يكتبه عن الشاعر أو الكاتب.

ففى كتابه التاريخى.. رأينا آراءه فى ترك الخليفة الراضى لبغداد خوفا من الفتنة، وكيف أنه نصحه بالرجوع إليها، ومباشرة إخماد الفتنة من موقع القيادة فى عاصمة الخلافة والدولة. ورأينا دأبه فى تعليل بعض الأحداث السياسية كمقتل مرداويج.

كما عرفنا كذلك رأيه فى الظروف والأحداث التى أدت إلى تدهور الدولة وانحلالها وما وصلت إليه فى أخريات عهد المتقى لله مما أدى إلى نهاية الخليفة نفسه.

وفى تأريخ الصولى للأدب، وتناوله لتراجم الشعراء، كان يحرص دائما على ذكر آرائه فى الشعراء وفى إنتاجهم الفنى، كتفضيل شاعر على شاعر، أو معنى على معنى، وينتقد هذا الشاعر لأن معناه اختل، ويذكر رأيه فى آخر لأنه أخذ معنى أو لفظا من غيره.

وقد يصف شاعرا بأنه مُقل أو مطبوع. وفى المقارنة بين شاعرين ينسب الشعر إلى أحدهما لأنه أجاد فى المعنى وأبلغ فى التعبير.

وهكذا تطالعنا باستمرار آراؤه الشخصية، فى كل ما كتب سواء فى التاريخ أو فى الأدب حتى لتظهر شخصيته الفذة من خلال كتاباته وتعليقاته وآرائه.

٨ - مآخذ على منهج الصولى فى التأليف

وإذا كان هذا هو منهج الصولى فى مؤلفاته التاريخية والأدبية، فإن الباحث يستطيع أن يسجل عليه بعض المآخذ.

أولا: أن الصولى حرص على تسجيل الروايات ولكنه لم يعدل رواتها أو يوثقهم كما كان يفعل علماء الحديث، بل أنه اكتفى بذكرهم.

حقيقة إنه كان يعرف مدى أمانتهم وعدالتهم، ولكنه كان من المهم أن يذكر لقارئيه ذلك حتى يثقوا بهذه الأخبار المروية، فالمؤرخ لا يصح أن يعول على الرواية وحدها وبخاصة فيما يتصل بأحداث وأخبار عصر معين. ذلك أن الراوى قد يكون ثقة، ولكنه متأثر بعاطفة خاصة أو هوى معين يزين له وجهة ما أو يصرفه عن حقيقة هامة.

غير أنه يشفع له أنه كان يستقصى الأخبار نفسها ليتأكد من صحتها، وقد يرويها بأكثر من سند، وبأكثر من رواية حتى يطمئن، فمتى اطمئن إلى صحة المادة سجلها، وهذا بالتبعية دليل على صدق الرواة وعدالتهم.

ثانيا: أن الصولى ذكر كثيرا من العلماء والأدباء والأخباريين والمحدثين والقضاة.. ولكنه لم يذكر مؤلفاتهم التى قد توضح مكانتهم العلمية والأدبية والدينية، خاصة وأنه اطلع على بعضها - إن لم يكن كلها - وقيَّمها، ولو أنه فعل ذلك لكان فى ذلك خدمة للعلم والعلماء معا فيخلد تراثهم، ويسجل أسماء مؤلفاتهم، ولسهل على الباحثين الرجوع إلى ما بقى منها ولكان ذلك خدمة لطالبى العلم وراغبى المعرفة.

ثالثا: أن الصولى فى كتاباته التاريخية عن الأحداث السياسية فى عصره، وجه عنايته إلى التاريخ السياسى وحده، إذ أرخ للخلفاء والوزراء والأمراء، ولم يسجل إلا لمحات خفيفة باهتة عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية للشعب فى عصره، كما أنه قصر تأريخه على عاصمة الدولة، فلم يخرج عن نطاقها إلى أطراف الدولة، ولم يتحدث عن أى إقليم من الأقاليم الأخرى، رغم أن الدولة العباسية - منذ بدأ الصولى يؤرخ لها سنة ٢٢٦ هـ - لم تكن بعد قد تحللت وتفتتت إلى إمارات وممالك صغيرة.

رابعا: إن الصولى - وهو بصدد تأليفه لأخبار الشعراء والأدباء وإنتاجهم - لم ينتقل من عاصمة الخلافة لتتبع الأثار الأدبية وإنتاج الشعراء. ولكن يشفع له أنه كان مرتبطا بقصر الخلافة، ومنادمة الخلفاء، والاتصال بالعلماء والأدباء فى مجالسهم، وكل ذلك كان يمنعه من الانتقال من بغداد، فقد ذكر أنه ظل ببغداد حتى أخريات حياته، فلم ينتقل منها إلى واسط ثم البصرة إلا قبيل وفاته.

ويشفع للصولى أيضا - أن العراق عامة وبغداد خاصة - كان لها التفوق فى التأليف العلمى بل وفى الزعامة الأدبية شعرا ونثرا، لأن العراق بوصفها عاصمة

العالم الإسلامى ومقر الخلافة الإسلامية، كانت تتدفق إليها الثروات والأموال من أطراف الدولة، فيغرى هذا كل صاحب كفاءة أو نبوغ لأن يشد رحاله إليها يلتمس هنالك المجد ويطلب الثروة. فثقافة العراق والجهد العلمى الذى ظهر فيها، كان مغريا للعلماء والأدباء والكتاب على الاستقرار فيها، بل إن هذه الثقافة وإغداق الأموال كانت سببا فى جذب العلماء إليها من أبناء العالم الإسلامى، من شتى حدود الدولة.

الفصل السابع

تجريح ودفاع

للنجاح دائما تبعات وضرائب يدفعها الإنسان إن راضيًا أو كارهًا. والإنسان الناجح لا يسلم من قول المتقولين وحقد الحاقدين الذين ينكرون عليه منزلته ومكانته وما وصل إليه من علم أو جاه أو رتبه، وما اكتنزه من سمعة طيبة فى شتى المجالات لدى الناس، فلا يلبث أن تلهبه الألسنة وتنهشه الأفواه.

غير أن ذلك – فى معظم الأحيان – لا يؤثر عليه أو يقلل من شأنه، ولا يضره لأنه أشبه – على حد تعبير الصولى نفسه – بنباح الكلاب للكواكب أو بإلقاء الأحجار فى البحر.

فالصولى بالرغم من شهرته الواسعة ومنزلته المرموقة فى مجال العلم والأدب والتأليف والتصنيف ماخلا من أناس أنكروا فضله وقللوا من شأنه، فلم يشفع له كل ماضيه من أن يعفوه من التجريح، بل إنهم تصيدوا له الهفوات وجثموا الأخطاء ووضعوا عليه أشياء لم تحدث ونسبوا إليه أفعالا هو برىء منها.

وكان ذلك بدافع الغيزة والحسد والحقد حينا، والسخرية حينا آخر.

١ – التصحيف

أول ماصيد للصولى من أخطاء: «التصحيف فى الحديث». قال محمد بن العباس الخزاز[١]: (حضرت الصولى وقد روى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم «من

(١) إنباه الرواة ٢٣٥/٣، تاريخ بغداد ٤٣١/٣، نزهة الالبا ص ٣٤٣.

صام رمضان وأتبعه ستا من شوال «فقال» واتبعه شيئا من شوال».. فقلت: أيها الشيخ، اجعل النقطتين اللتين تحت الياء فوقها، فلم يعلم ما قصدت له. فقلت: إنما هو «ستا من شوال» فرواه على الصواب»).

هذا هو الحديث الوحيد الذى روى أن الصولى صحف فيه.. والتصحيف[٢] - كما نعلم - هو الخطأ فى قراءة اللفظ لا شتباه فى الحروف. ولا يقع هذا عادة إلا إذا اعتمد القارئ على الصحيفة دون المشافهة.

ولقد كان المسلمون فى العهد السابق على الصولى، يتدارسون علوما كثيرة - شرعية ولسانية وغيرها - وكان جل اعتمادهم فى مدارستهم على التلقى والمشافهة بين الشيخ وطلابه، وكانت الحافظة عندهم هى المرجع الأول.. وعليها المعول، وإن كان بعض الطلاب يقيدون ذلك بالكتابة لتكون تذكرة لهم إذا ما طغى على عقولهم النسيان.

والصولى كان يعرف ذلك جيدا، فاعتمد على اللقاء والمصاحبة والمشافهة، فى تلقى علومه. لذلك لم يأخذ العلم عن - أولئك الذين يقرأون من الصحف - ويطالعنا هو بأنه رفض التردد على حلقات ابن أبى طاهر لأنه وجده صحفيا[٣]، كما أبى أن يَرْوِ عنه.

وفى بذل العلم وشرحه - لم يكن يعتمد على الصحف، بل على ذاكرته الواعية وحافظته القوية التى كانت تسعفه فى كل مجال على أن يقدم من علمه ومن حفظه ما يتناسب مع المجال الذى يوجد فيه.

إذن كان الصولى يعتمد أساسا على التلقى والمصاحبة والسماع، ثم تدوين كل

---

(٢) المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية ١/٥١٠.

(٣) الأوراق - أخبار الشعراء للصولى ص ٢١٠.

ما يسمعه من أساتذته، حتى أنه من دواعى فخره إنه جمع مكتبة ضخمة وكتبا جمة كلها - كما يقول هو - من سماعه[٤].

كما كان يعتمد على المشافهة والذاكرة فى بذل العلم ورواية الحديث. والامثلة على ذلك كثيرة وكلها تدل على سعة علمه وتثبته فى الرواية ومقدرته على الحفظ.

وإذا كان ذلك كذلك.. فلماذا صحَّف الصولى فى هذا الحديث؟ ولماذا وقع فى هذا الخطأ، وهل كان ذلك ناشئا عن ضعف منه أو عدم حفظ؟.

الصولى شأن أى كائن بشرى، معرض للوقوع فى الخطأ، قصدا أو دون قصد، وأن تكون له هنات، وفيه نقاط ضعف، فليس هناك إنسان معصوما من الخطأ فكل ابن آدم خطاء، وفوق كل ذى علم عليم.

هناك عامل مهم إذا عرفناه، ربما وجدنا فيه شفيعا له فى هذا التصحيف غير المقصود. هذا العامل هو عامل الشيخوخة.

فقد ثبت أن هذا الحديث روى فى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة[٥] سنة ٣٣٤ هـ وفى هذه السنة كان الصولى يقارب الثمانين من عمره، حيث توفى بعد ذلك بسنة أو اثنتين حسب قول المؤرخين، ولاشك أن كبر السن يتبعه ضعف الذاكرة وقلة التركيز وعدم السيطرة على الكلام بل وضعف البصر أيضا.. والدليل على ذلك: أن الخزاز نفسه حين رده بقوله: أيها الشيخ.. اجعل النقطتين - اللتين تحت الياء فوقها.. لم يعلم الصولى ما يقصده أو لعله لم يسمعه أيضا. فلا شك أن كبر سنه وشيخوخته كانا سببا فى هذا الخطأ وهو خطأ وجيد وغير مقصود.

ونقطة هامة - أن التصحيف - كما ذكر الخزاز - جاء فى كلمة واحدة، ولم يتغير

---

(٤) إنباه الرواة ٢٣٥/٣، تاريخ بغداد ٤٣١/٣.

(٥) تاريخ بغداد ٤٢٧/٣.

المعنى نتيجة لذلك، ولم يمس جوهره، وذلك لأن «الستة» أقل من الربع، والشيء أقل من الربع، فلم يخرج المعنى كثيرا عن مضمونه.

ومن المؤكد أن الذى ساعد على هذا التصحيف «إعجام الحروف» حيث كانت معظم الكتابات فى العصور الأولى تكتب دون إنقاط، فساعد ذلك على وجود اللبس، ويؤيد هذا القول أن الخزاز نفسه تجاهل نقاط الشين والهمزة فى «شيئا» فليس وضع النقطتين اللتين تحت الياء فوقها بمانع للتصحيف أو بمصحح للكلمة.

نقطة أخرى هامة، يجب أن توضع فى الاعتبار.. لماذا لا يكون الصولى – حين روى هذا الحديث – قد قصد إلى روايته بالمعنى؟ عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أصبت المعنى فلا بأس[٦]» ولقد روى عن الصحابة أنهم رووا كثيرا من الأحاديث بالمعنى، ونصوا هم صراحة على ذلك. يقول واثلة بن الاسقع[٧] «إذا حدثناكم على المعنى فحسبكم». ويقول سفيان الثورى[٨] «إذا قلت إنى أحدثكم كما سمعت فلا تصدقونى، فإنما هو المعنى».

وينقل لنا الأستاذ محمود أبورية فى كتابه، قول العالم المحدث السيد رشيد رضا – رحمه الله: «لا شك فى أن أكثر الأحاديث قد روى بالمعنى كما هو معلوم، واتفق عليه العلماء، ويدل عليه اختلاف رواة الصحاح فى ألفاظ الحديث الواحد، حتى المختصر منه». فرواية الحديث بالمعنى غير منكور إذن عند الصحابة وشيوخ الحديث.

أما إذا كان قد حدث غلط فى الرواية أو تصحيف – فكما يقول ابن تيميه – أنه غلط لا يسلم منه الناس بل فى الصحابة من قد يغلط أحيانا، وفيمن بعدهم»..

---

(٦) قصة الحديث النبوى – للأستاذ محمود أبورية ص ٣٧.

(٧) نفس المصدر السابق ص ٣٨.

(٨) نفس المصدر السابق.

فليس كل مايرويه الحافظ المتقن صوابا، لاحتمال أن يكون قد زل فى بعض المواضع، وكذلك ليس كل ما يرويه غير الحافظ المتقن خطأ لاصابته فى كثير من المواضع[٩].

ولاشك أن الصولى سيشفع له، أنه كان فى شبابه ورجولته - كما ذكرت المصادر التى ترجمت له جميعا - «جيد الحفظ واسع الرواية» كما كان راسخ القدم فى علوم الدين، حافظا للحديث ويعرف رجاله ومدى عدلهم وضبطهم، وألف فيه كتبا[١٠] عارفا بعلوم الفقه حتى لقد لقب بالإمام المفتن[١١].

ونستطيع أن نجد فى حياة الصولى نفسه ما يثبت قوة حفظه ومقدرته على تحديد الوقائع والأشخاص التى تتصل بالأحاديث النبوية فيحدثنا الصولى - من خلال تأريخه لأخبار المتقى لله - إنه تعرض للمهانة والنكران ومحاولة تصيد الأخطاء خاصة من وزير المتقى لله «أبى عبد الله الكوفى» وبطانته واتباعه ولكنه كان دائما يثبت جدارته وعلمه وتفوقه عليهم.

فيذكر أن الوزير امتحنه قائلا[١٢]: «من الذى أكل تمرا وهو رمد من إحدى عينيه، فنهاه النبى صلى الله عليه وسلم، فقال الرجل: إنما آكل من شق عينى الصحيحة؟». فقلتُ: هذا صُهَيْب. فقال: أخطأت والله، هذا عامر بن فهيره. فقال له بعض من كان عنده: هذا مشهور عن عامر. فقلت: أعز الله الوزير، لا تلتفت إلى قول من لا يدرى. ثم ذكر الصولى الحديث مدعما بسلسلة إسناده حتى وصل إلى صُهيب الذى قال: «قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم، وبين يديه خبز وتمر، وقد

---

(٩) قصة الحديث النبوى - للأستاذ محمود أبورية ص ٩٨-٩٩.

(١٠) أخبار أبى تمام ص ٦٢ - راجع كتاب أضواء على السنة المحمدية وكتاب شيخ المضيرة أبوهريرة للاستاذ محمود أبو رية (باب التصحيف).

(١١) النجوم الزاهرة فى ملوك قصر والقاهر لابن تغرى بردى ٢٩٦/٣.

(١٢) أخبار المتقى لله للصولى ص ٢١٦.

رمدت إحدى عينى، فقال: أُدْن فكُلْ، فجعلت آكل التمر، فقال: يا صهيب: أتأكل التمر وبك رمد؟ فقلت: إنى أمضغ من الناحية الأخرى، فتبسم صلى الله عليه.»

فقال الوزير للصولى: أرنى هذا فى كتاب، فقلتُ: ما معى أصل. ثم قلت لمن يجيئنى من أصحاب الحديث، انظروا من عنده مسند، فليجيئنى بمسند صُهيب، فجاءوا به، فحملته إليه فقال له صاحب الكلام: فلعله قد قال هذا لعامر أيضا.

فقلت: هذا مسند عامر، وهو كله ثلاثة أحاديث.. فنظر فلم يجد فيه شيئا فذهب المعترض يتكلم.. فقال له الوزير: حَسْبُك.. الكلام فى هذا بعد ما وقفنا عليه قلة حياء وقحة». وهناك أمثلة كثيرة تدل على قوة حفظه وذكائه[١٣] وصدق روايته.

ولقد روى له البغدادى[١٤] العديد من الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة فى تاريخه. كما روى الصولى نفسه عشرات الأحاديث الصحيحة للراضى، وذكر له مناسباتها وفسرها له وبين مغزاها ومضمونها. وما ترمى إليه من أهداف، وما تحث عليه من فضائل وخصال.. فلم يصحف مرة، ولم يخطىء مرة..

وليس هذا فحسب، بل أن اهتمام الصولى بالحديث قديم، يرجع إلى عهد تلمذته على كبار رجال الحديث ورواته.

ويتضح اهتمامه بعلوم الحديث أيضا - أنه لما تولى تعليم أبناء المقتدر - محمد وهارون - كان أول كتب أحضرها لهما هى كتب الحديث، حيث روى لهما الأحاديث وشرحها وقال لهما:

«إن الحديث أولى بكما وأنفع لكما[١٥]» وما كان حرصه على ذلك إلا لأنه كان

---

(١٣) راجع الفصل الخاص بثقافته.

(١٤) تاريخ بغداد - للخطيب البغدادى ٤٢٩/٣.

(١٥) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٢٥.

يأمل «أن يليا من أمور المسلمين شيئا فينفعهم الله بها[١٦]».

كما أنه ليس من المعقول أن يأتمن الخلفاء أحدا على عقول أبنائهم ودينهم إلا إذا كان هذا الشخص حجة علّامة، معروف عنه الصدق والعدالة، وله قدم راسخة ومقدرة عالية فى هذه العلوم..

٢ - الانتحـــال

يجرح ابن النديم الصولى ويتهمه بالانتحال. فيقول عن كتاب الأوراق الذى ألفه الصولى «وهذا الكتاب عول عند تأليفه على كتاب المرثدى فى الشعر والشعراء ،بل نقله نقلا وانتحله[١٧]».

ويقول أيضا فى ترجمته للمرثدى: «وله من الكتب «كتاب أشعار قريش» وعليه عول الصولى فى الأوراق، وله انتحل...[١٨]».

ولا يستطيع الباحث أن يتحقق من صدق زعم ابن النديم هذا.. لأننا لم نعثر على كتاب المرثدى أو على الجزء الذى ألفه الصولى فى أشعار الطالبيين وأخبارهم.. وهو الجزء الذى ربما يعنيه ابن النديم.

غير أننا نلمح فى كلام ابن النديم شيئا من التحامل على الصولى[١٩]، وتعمد للطعن عليه. نستنتجه من وصف ابن النديم له بأنه جماعة للكتب.. وأنه حين أخرج أخبار ابن هرمه لم يأت بشىء بالإضافة إلى الاتهام السابق.

---

(١٦) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٢٦.

(١٧) الفهرست لابن النديم ص ١٥٠.

(١٨) الفهرست لابن النديم ص ١٢٩.

(١٩) كنوز الأجداد محمد كرد على ص ١٤٢.

ولاشك أن ذلك مبعثه غيرة العلماء وتنافسهم فى اقتناء الكتب والأشعار وتحصيل العلم وبذله، وبالنسبة للصولى - ما كان فيه من نعمة ومكانة مرموقة فى قصور الخلفاء ووزرائهم.. ثم أن هناك أمرا يلفت النظر:

- هل غاب على ابن النديم أن رواية الأخبار والأشعار وتدوينها وتسجيلها لا تقتصر على راوٍ واحد أو أديب أو أخبارى واحد، وإنما كانت مشاعا لكل الناس.. لكل العلماء.. لكل من يشغفون بجمع الأخبار وروايتها، وأنها كانت متداولة لجميع الناس وفى شتى المناسبات والمجالات؟.

- وهل غاب عليه أن كثيرا من هذه الأخبار التى وردت فى كتب الأخبار القديمة ومنها كتب الصولى - قد رويت بسلاسل إسناد مختلفة، بل وبطرق مختلفة وبألفاظ مختلفة وإن اتفق المضمون والمعنى؟.

- وهل غاب عليه أن الشاعر الواحد قد يترجم له أكثر من أديب ويجمع أخباره أكثر من أخبارى.

- وهل كون الصولى ترجم لهؤلاء الشعراء بعد المرثدى، فهل معنى ذلك إنه انتحل عمله.

- وهل يعتقد ابن النديم أن الذى ألف كل هذه المؤلفات وجمع كل هذه الأخبار وحقق ورتب كل هذه الدواوين - التى ذكرها هو بنفسه فى الفهرست - سيعجز عن التأليف فى هؤلاء الشعراء وجمع شعرهم وأخبارهم، لدرجة أنه يسطو على عمل أديب قد يكون أقل منه وينتحله لنفسه؟

أغلب الظن - أن الصولى حين ألف أخبار الطالبيين وأشعارهم حاول جهده ألا يكرر ما أتى به أو ألف فيه غيره، بل لعله لا يعلم أنه سبقه إلى ذلك أحد.

ويؤيد هذا القول ويدعمه - أن الصولى نفسه يكره أن يكون صدى لغيره أو

يعيد الأعمال التى سبق إليها، وكثيرا ما يقول: إنه يكره إعادة ما ألف ويجتنب أن - يجتذب من الأدب ما ملك قبله[٢٠] «وبلغ به اعتزازه بنفسه، وأبى كبرياؤه أن يكمل أخبار جرير حين بلغه أن قوما تضمنوا عملها على نهجه، فأمسك عن إتمامها «امتحانا لصدقهم، فمات بعض وبقى آخرون ولم تعمل حتى الساعة[٢١]».

وهو حين عمل «أخبار الفرزدق» شرط على نفسه إلّا يأتى بحرف ذكر فى النقائض من أخبار هذا الشاعر إلا ما لابد منه من ذكر نسبه وأزواجه[٢٢]».

هذا هو الرجل وهذه هى فلسفته.. لكل ذلك فإننا نرفض تهمة الانتحال وننفى عنه هذا الزعم. فليس من المعقول أن يكون الصولى قد انتحل كتاب المرثدى. قد يكون المرثدى والصولى اجتمعا - مجرد صدفة أو توارد أفكار - فالتقيا معا فى عمل واحد حول موضوع واحد وهو الترجمة لبعض شعراء قريش.. ولكن قطعا سيكون هذا العمل مختلفا من حيث المنهج والتبويب... وتضمين الآراء وتقديم خبر على خبر، وتوثيق شعر معين.. فلكل أديب أسلوبه ومنهجه، ولاشك أن مؤلف الصولى يتضح فيه أثر فكره وثقافته فى تحليله للأخبار.. وهذا سيختلف عن مؤلف المرثدى.

٣ - الضعف والاستجداء

ومما عيب على الصولى ايضا ظهوره بمظهر الضعف[٢٣] والذلة والاستجداء والحقيقة أنه أكثر من الشكوى - خاصة فى شعره - بل أنه لم يترك قصيدة من قصائده فى الخليفة أو غيره إلا ويضمنها - إن تصريحا وإن تلميحا - مر السؤال وذل

---

(٢٠) أخبار أبى تمام للصولى ص ٧٩.
(٢١) أخبار أبى تمام للصولى ص ١٣.
(٢٢) أخبار أبى تمام للصولى ص ١١.
(٢٣) كنوز الأجداد محمد كرد على ص ١٤٢.

الحاجة وكثرة الاستجداء للعطايا والهبات.. ففى قصيدته السينية للراضى يقول[٢٤]:

إن بينى وبين دهرى حرباً ... جاوزت حرب داحس والبسوسِ
فاعتبر ماشكاه عبدك منه ... ثم داو الخناق بالتنفيسِ
هو فى مخلب الزمان فريس ... فارحم الآن نفس هذا الفريسِ

ويقول فى قصيدة أخرى[٢٥]:

نام حظى فأيقظوه بجودٍ ... إنه بعد بدئكم تتميمُ
قد تشكيت ما ألاقى إليكم ... مثل ما يشتكى الوصى يتيمُ
كل من أخطأته رحمة عطف ... من نداكم وانسكم مَرْحُومَ

وتصل شكواه إلى حد الصراخ والعويل فيقول[٢٦]:

لقد فتك الزمان بسوء حالى ... فانقذنى من الزمن الفتوكِ

وغير ذلك كثير من قصائده..

والصولى نفسه يتحدث عن نفسه، وكيف أنه وقف يوما بباب الوزير على بن عيسى يشكو فقره وحاجته.. بل ويستجدى الوزير وكتب إليه[٢٦]:

خلفت على باب ابن عيسى كأننى ... (قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل)[٢٨]
إذا جئت أشكو طول فقرى وخلتى ... (يقولون لا تهلك أسى وتجمل)
ففاضت دموع العين من قبح ردهم ... (على النحر حتى بل دمعى محملى)
لقد طال ترددى وقصدى إليهم ... (فهل عند رسم دارس من معول)

---

(٢٤) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٢٣.
(٢٥) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٦٥.
(٢٦) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٨٠.
(٢٧) المنتظم لابن الجوزى ٦/٣٦٠.
(٢٨) الشطر الثانى من الأبيات الأولى من معلقة امرىء القيس.

فنمّى الخبر إليه فاستدعانى وقال: يا صولى: فهل عند رسم دارس من معول، فاستحييت وقلت: أيد الله الوزير، مابقى شىء، وأنا كما ترى، فأمر لى بخمسة آلاف، فأخذتها وانصرفت».

ولاشك أن هذه الأشعار والأخبار قد وشمت الصولى بالضعف والذلة الذى وضح أكثر ما وضح فى استجداء الخلفاء والوزراء.. وفى كونه لا يفتأ يقول فلان منحنى وفلان منعنى.. وهذا خلق وتصرف لا يليق بمثله ولا بمكانته الأدبية والعلمية والدينية، ولا بأصله أو عائلته وهو سليل ملوك وجليس خلفاء وحفيد كتاب وولاة.. غير أننا إذا نظرنا فى حياته نستطيع أن نضع أيدينا على الأسباب التى قد أدت به ودعته إلى ذلك.

فمن المعروف أن حياة الصولى ارتبطت منذ بدايتها بحياة الخلفاء والوزراء والأمراء، ولما كان الإنسان يتأثر بالبيئة وبالثقافة وبطبيعة الحكم والأوضاع السياسية والاجتماعية المعاصرة له فمن الطبيعى أن ينغمس الصولى فى الترف السائد فى بداية حياته، شأنه شأن كل رجالات العصر المقربين من البيت الحاكم، ويصطبغ بصبغتهم ويشاكلهم فى أمور حياتهم ولباسهم حتى يظهر بالمظهر اللائق بمن ينتسب إليهم ويتصل بهم.

فلم يعمل الصولى للزمن حسابا، ولم يدخر من غناه لفقره أو من شبابه لشيبته فأنفق كل ما وصل إلى يديه واسبغ عليه.. ولم يدخر مالا ولم يتملك عقارا، بل لعله اختار أن يدخر علما وأدبا وفقها وكتبا، عملا بقولا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ينفع الناس، أو صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له».

حتى إذا بلغ المشيب رأسه ووهن عظمه وانعدمت قدرته على الكسب وجف نبع العطاء نتيجة لضعف الدولة وتفككها وأزمات الخلفاء، صحا على ذل الحاجة وأخذ

شبح الفقر يهدده. فأخذ يستصرخ الخلفاء والأمراء والوزراء ويستدر برهم وعطاياهم ولقد صرح بذلك أكثر من مرة.. من مثل قوله[٢٩]:

صرحتُ بالشكوى إليك تأنسا ... بندى يديك إذا غريب عَرضًا
من بعد ما غال المشيبُ شبيبتى ... ونضا لباس تجملى فيما نضاً
وأحارنى مرض وأوهن قوتى ... فغدوت منه وقد صححت ممرضاً
وإذا دنت سبعون من متأمل ... دانى ولم ير فى اللذاذة مركضاً
وجفاه نومٌ كان يألف جفنه ... قدما واضحى للحتوف مُعَرَّضاً

فهذه الصرخات التى تتصل بالشكوى والاستجداء لم ترتفع بهذه الدرجة إلا فى أخريات أيامه وبعد أن أصابته الشيخوخة وشغله التفكير فى المصير وخوفه من اصطراع الحياة.. ونتيجة للضوائق[٣٠] المالية التى حلت به.

٤ - غـــروره

ومما عابه النقاد على الصولى أيضا غروره[٣١] وحجتهم فى ذلك: أنه أكثر من الحديث عن نفسه فى مناسبة وفى غير مناسبة.

حقيقة تحدث الصولى كثيرا عن منزلته الأدبية.. فى مجالات مختلفة، خاصة فيما يتصل بأبى تمام وشعره ومعانيه وصوره وأخيلته.. وأنه قام بهذا العمل لأنه لم يجد أحدا فى عصره يستطيع أن ينهض به[٣٢] كما هاجم النقاد وفند مزاعمهم ونعى

---

(٢٩) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٢٦.

(٣٠) تاريخ بغداد ٤٣٢/٣.

(٣١) الجرجانى فى الوساطة ص ٢٦٠ وابن الأثير فى المثل السائر ص ٢٨٩ ودائرة المعارف الاسلامية ٣٨٩/١٤.

(٣٢) أخبار أبى تمام ص ١٢.

عليهم جهلهم وتزمتهم وتعصبهم للقديم، وعدم تعمقهم فى الفهم والدراسة، وأنهم تابعون ليس لهم شخصيتهم الذاتية التى تمكنهم من الحكم على الجيد والردىء من واقع حياتهم وفهمهم وتذوقهم الأدبى.

وتحدث أيضا عن منزلته بين شعراء العصر.. وأنه يفوقهم جميعا علما وفنا وذوقا وتعبيرا وأن مدائحه - خاصة فى الراضى - لم يُقَلْ مثلها لروعتها وقوة معانيها وجزالة ألفاظها وصدق تعبيرها وأن الشعراء المنافسين ما هم إلا صدى له... يسطون ويقلدون.

وتحدث أيضا - عن منزلته فى قلوب الخلفاء، وحبهم له، وتقديرهم لعلمه وإفساحهم له فى مجالسهم ورغبتهم على الدوام فى الاستماع لعذب حديثه والتمتع برقيق شمائله، وإن أحدا لم يكن فى يوم من الأيام جليسا لكل هؤلاء الخلفاء الذين جالسهم ونادمهم وعرفهم.

وتحدث أيضا عن مؤلفاته ومصنفاته، وأن الناس يتهافتون عليها ويتجاهلون غيرها لما تحويه من فوائد جمة ومواد أدبية وعلمية وثقافية مفيدة.. ويستشهد على ذلك باجتماع الناس على مؤلفه «أخبار أبى نواس[٣٣]» بعد فراغه منه وتركوا غيره - حتى أن النسخة من شعر أبى نواس - من غير ما عمله - أصبحت تباع بدراهم وكانت قبل ذلك تباع بعددها دنانير، وذلك لفقدان قيمتها وضعف مستواها، بل أن نسخ غيره قد سقطت وصارت غير مرغوب فيها. وما ذلك كله إلا لأنه أخرج هذه الأخبار والأشعار بالصورة المشرفة واللائقة فنيا وأدبيا، وبعد أن أخرج الشعر المنحول.

وقل الصولى: إن بعض العلماء أخذوا علمه وأماليه وضمنوها فى كتبهم، وأنه

---

(٣٣) أخبار أبى تمام للصولى ص ٥٦.

رأى أشياء كثيرة مما أملاه قديما من المعانى - التى تجاذبها الشعراء وحملها الناس، ولم يعرفوها مصنفة مبينة إلا بعد إيراده لها - قد تخرمها قوم وأوردوها مفرقة فى أماليهم فبانت فى علومهم وأمازت عن تصنيفهم، ونطق مكانها بالغربة منهم[٣٤]، وإن كتابيه «الشبان والنوادر» و«الشامل فى علم القرآن» سطا عليهما «أبو موسى سليمان الحامضى»[٣٥] وعرف جميع من فى العصر ذلك.

حقيقة تحدث الصولى عن هذه الأمور وعن أمور كثيرة غيرها.. وقد يكون هذا من وجهة نظر البعض غرورا... غير أن هذا من وجهة نظر البعض الآخر - خصوصا إذا كان مدعما بالأدلة والأسانيد - ثقة بالنفس مردها إلى تعمقه فى العلم وأمور الدين وعكوفه على ينابيع الثقافة المختلفة.

هذا العلم وهذه الثقافة جعلت علماء عصره يصفونه بأنه العلامة[٣٦] والمتبحر الفهامة[٣٧]، الإمام المفتن[٣٨]، الأديب[٣٩]، الفقيه[٤٠]، الاخبارى[٤١]، النديم[٤٢]، الكاتب[٤٣]، الشاعر[٤٤]، الشطرنجى[٤٥]، المهندس[٤٦]... إلخ.

فليس ما تحدث به الصولى عن نفسه غرورا - إنما هو إفراط فى الثقة بالنفس - وهى

(٣٤) أخبار أبى تمام للصولى ص ١٠ .
(٣٥) أخبار أبى تمام للصولى ص ١٢.
(٣٦) شذرات الذهب لابن العماد ٢/٣٣٩.
(٣٧) أخبار المتقى لله للصولى ص ٢١٥ (قول أبى يوسف).
(٣٨) النجوم الزاهرة ٣/٢٩٦.
(٣٩) نزهة الالبا ص ٣٤٣.
(٤٠) تاريخ بغداد ٣/٢٣١.
(٤١) النجوم الزاهرة ٣/٢٩٦.
(٤٢) الكامل فى التاريخ ٦/٣٢٤، أنباه الرواة ٣/٢٣٤ وجميع المصادر التى ترجمت له.
(٤٣) المنتظم ٦/٣٦٠.
(٤٤) معجم الشعراء ص ٤٦٥.
(٤٥) مرآة الجنان ٢/٣١٩.
(٤٦) النجوم الزاهرة ٣/٢٩٦ (يقول ابن تغرى بردى: انتهى إليه علم الهندسة).

ثقة لا حد لها، اضطرت الصولى إلى الحديث عنها فى مجال دفاعه عن نفسه وعن منزلته وعلمه ضد أعدائه وحاسديه ومنكرى فضله.

كان يمكن أن يسمى ذلك غرورا إذا كان قد فاخر بأهله ونسبه، وجميع المؤرخين بل والحاسدين يعلمون أنه سليل ملوك.. ولكن الصولى حين فاخر، فاخر بعلمه ودينه وشرفه ونظافة ثوبه وسمعته وبعده عن الدنايا ومنزلته الأدبية ولم يفاخر إطلاقا بأهله ونسبه أو بعائلته وحسبه أو عياله وولده.

كل ذلك يجعل الباحث ينفى عنه - الاتهام بالغرور، بل ويكبر فيه إعتزازه بنفسه ويقدر علمه وثقافته.

وقد يتساءل المرء:

هل يُعد الصولى من عظماء المؤلفين ونوابغ العلماء وأفذاذ الأدباء؟

لاشك فى هذا.. والدليل أمامنا واضح جلى تنطق به كتب الأدب والنقد والتاريخ والتراجم فى عصره، وبعد عصره، فقد أجمع الجميع على أنه من أكثر المؤلفين إنتاجا ومن أغزر العلماء مادة، ومن أعظم الأدباء أدبا ونقدا..

كما أنه - ولا جدال فى ذلك - أتى بجديد فى مجال التأليف والتصنيف، ولأنه نوع مؤلفاته ومصنفاته فشملت معظم علوم وفنون وآداب عصره، وبرزت واضحة تشهد بعلو كعبه وسعة أفقه فى جميع مجالات المعرفة. ولأنه أيضا صورة غريبة من رجال تلك الأيام.

حقيقة قد يكون فى عصره من هو أعظم منه فى الحديث.

وقد يكون فى عصره من هو أكبر منه فى الأدب..

ولكن العبرة بمن يجمع كل هذه الأدوات ويؤلف كل هذه المؤلفات فى ثقافة ذلك العصر ويحظى فى قصور الخلفاء بتلك المكانة، ولا يضيع ما مر به من الفوائد فيقيدها

ويخلفها تراثا ضخما للأجيال بعده لتنتفع بها، بالرغم من مشاغله ومجالسه ومنادماته فى القصور وبالرغم مما كان فى عصره - خاصة منذ أوائل القرن الرابع - من ظروف سياسية وثورات وفتن وإضطرابات.

حقيقة وجد فى العصر مؤلفون نقلوا عن غيرهم - ولا سيما فى الحديث والفقه، ولكنهم وقفوا أنفسهم وقصروا جهدهم على هذه العلوم. فأى فضل لهم وأى مزية إذا هم لم ينفردوا بأشياء لم يسبقوا إليها.

فما أكثر هؤلاء.. وما أقل من جمعوا إلى فنهم أدبا أو علما، وما أقل من انتفعوا به ونفعوا.. وكان لهم على مر الأيام صدى يتناقل، وآراء تتداول، وكتب تنفع الناس وعلم يخدمهم.

فإذا كان هناك علماء بارزون وأدباء مشهورون، فقليل منهم من جال فى مجالات الصولى، وقليل منهم من تثقف ثقافته واكتسب خبرته، وقليل منهم من وصل إلى مكانته، وقليل منهم من ألف وصنف مثل مؤلفاته ومصنفاته.

فجاء الصولى مفخرة لعصره.. لمكانته الأدبية ومكانته العلمية ومكانته الدينية.

خاتمة البحث وأهم نتائجه

وبعد فهذه دراسة لحياة وأدب أبى بكر الصولى العالم الفقيه، الأديب الكاتب، الشاعر الناقد، الاخبارى المؤرخ، الشطرنجى النديم. الذى عاش قرابة ثمانين عاما من خمسينيات القرن الثالث الهجرى حتى ثلاثينيات القرن الرابع (٢٥٥-٣٣٦هـ) وعاصر أكثر من اثنى عشر خليفة.

اشتملت هذه الدراسة على **أربعة أبواب** رئيسية، يضم كل منها عدة فصول. ولقد كان من الضرورى أن أمهد لهذه الدراسة بإلقاء الضوء على عصر الرجل من جميع نواحيه السياسية والاجتماعية والعلمية والثقافية. وأيضا الحياة الأدبية والنقدية، لابراز العوامل المؤثرة التى أسهمت جميعا فى تكوين شخصية الرجل **فكان الباب الأول دراسة تاريخية لعصر الرجل.**

تحدثت فى **الفصل الأول** عن الحالة السياسية فى عصر الصولى حيث سيطر العنصر التركى سيطرة كاملة على مقاليد الحكم، وكان نتيجة لهذه السيطرة أن طبعت الخلافة العباسية بطابع الضعف والوهن وأصبح الخلفاء مسلوبى السلطة والارادة معا.. فقد خلع أغلبهم ثم قتلوا ومن مات ميتة طبيعية حامت حول موته الشبهات.

ولقد كان هناك عوامل مؤثرة فى الحياة السياسية منها: تدخل العنصر النسائى فى شئون الدولة وكثرة تولية الوزراء وتعاقبهم وعزلهم، وبداية عهد أمراء الأمراء، ونشأة الصراع حول مناصب الدولة المختلفة ثم تفتت الدولة واستقلال أطرافها حتى انتهى الأمر بسقوط بغداد العاصمة فى يد البويهيين سنة ٣٣٤هـ. المهم أن

نعرف أن الحالة السياسية كانت سببا مباشرا لعكوف الرجل على العلم والتأليف للبعد عن ويلات السياسة.

وفى الفصل الثانى تناولت الحياة الاجتماعية فأوضحت أن الترف الذى وجد فى بداية العصر أيام رخاء الدولة العباسية ومجدها كان له إمتداد أيضا فى بداية عصر الصولى وانعكس هذا الترف على حياة المجتمع العباسى كله فسرت عدواه إلى بعض أواسط الناس فأخذوا يعيشون عيشة حضارية مترفة.

غير أن الترف إذا كان قد بلغ ذروته فى قصور الخلفاء والوزراء وعلية القوم... فليس معنى ذلك أن الناس جميعا اغترفوا منه بل لقد وجدنا منهم المعدمين أيضا الذين لم يجدوا قوت يومهم وكان من نتائج ذلك قيام ثورات عدة تنادى بالطعام وبالمساواة التى نص عليها الدين. واحتراف البعض السرقة والقنص.

وفى الفصل الثالث تناولت الحياة العلمية والثقافية فى عصر الصولى، حيث نمت وأينعت علوم الثقافة الاسلامية كلها وأهمها علوم القرآن. ووضع العديد من الكتب وفى هذا العصر استقرت المذاهب الأربعة فى الفقه ووضعت الكتب التى توضح علومه. ولقد أوضحت أن الثقافة حينئذ كانت قسمة شائعة بين الناس جميعا فنجد بعضهم يجمع بين ثقافات عدة حتى لقد كان منهم من كان أعجوبة الأعاجيب فى اتساع ثقافته وتنوعها.

وأبرزت أن العوامل الأساسية التى أدت إلى انتشار العلوم وتنوع الثقافات إنما ترجع أولا وقبل كل شىء إلى الحرية الفكرية، وامتزاج الثقافات نتيجة لامتزاج الشعوب.

وفى الفصل الرابع تحدثت عن الحياة الأدبية والنقدية – حيث وضح استقلال الأدب ووضحت علومه وانفصلت عن غيرها من العلوم.

ولقد كان لنقل العلوم إلى العربية أثر كبير فى تأليف الكتب فعمد المؤلفون إلى التأليف فى سائر العلوم الأدبية واللغوية والنحوية إلى جانب الموضوعات العلمية والتاريخ والفلسفة والفلك. وامتاز الأدب فى هذا العصر بأنه لم يعد يعتمد على الرواية والنقل، بل كان الأديب يتحرى الصدق ويتدبر الروايات ويأخذها من أفواه المعاصرين الثقات.

وفى دراستى للحياة الأدبية أوضحت أن الشعر طبع بطابع الحضارة والترف.. وظهر ذلك واضحا من حيث الشكل والمضمون وندر من خلا شعره من آثار الحضارة فمن لم يظهر فى شعره المعانى الفلسفية أو ملامح العلوم الحديثة، ظهرت فيه محسنات اللفظ والمعنى، ومن لم يظهر فى شعره هذا أو ذاك، ظهرت فيه تفخيمات الفرس وترصيعاتهم، وجاءته العدوى من أساليب الكتاب فى النثر المنمق.

كما أوضحت أن هذا العصر كان عصر علم الشعر تمييزا له من العناية بنظم الشعر نفسه، فالعصر السابق كان عصر سليقة وطبع خيال، أما عصر الصولى فكان عصر علم وعقل وصنعة وتكلف.

وسمة بارزة فى شعراء هذا العصر أوضحتها وهى: أن معظمهم جمع بين الفن التعبيرى والعلم فكانوا شعراء وأدباء ونقاد ومؤلفين فى نفس الوقت.

ولقد ظهر واضحا أن ضعف الخلافة فى نهاية عصر الصولى أثر على الشعر.. فأدى ضعف الخلافة إلى ضعف الشعر فلم ينبغ فيه سوى قلة فرضوا أنفسهم بقوة شاعريتهم.

أما النثر فقد نمى وتنوعت أغراضه وكثرت فنونه وأخذ يزاحم الشعر، وأصبح فنا تؤدى فيه جميع الأغراض فنجد الكتاب يمدحون ويهجون ويرثون ويعاتبون ويصفون ويتغزلون.. وتغيرت طبيعته فسهل ولان وأصبح مرنًا يستوعب كل ما يصادفه من أمور وعلوم واستطاع الناثر أن يطوعه وأن يتصرف فيه كما يريد.

وأما النقد الأدبى فقد أثرت الحياة الأدبية والثقافية فيه تأثيرا كبيرا لا فى ظواهره فقط ولا فى أشكاله فحسب بل فى جوهره وحقيقته وفى الأمزجة التى يصدر عنها. وظهرت فيه بحوث قيمة وآراء تعين القارئ على الفهم وآراء فيها شرح لبعض مظاهر الأدب فكان النقد أكثر تعمقا وأحسن حكما وأرق ذوقا من العصور التى سبقته.

وفى **الباب الثانى تناولت «حياة الرجل»** فتحدثت عن اسمه ونسبه، وعائلته وأسرته، ومولده ونشأته، وحياته فى قصور الخلفاء. وتحدثت أيضا عن أساتذته، وتلامذته، وأبرزت ثقافته، تلك الثقافة الموسوعية التى شملت جميع علوم وفنون وآداب عصره، ذلك أن الرجل لم يكن يؤمن بالتخصص فى فرع معين من فروع العلم أو الثقافة لذلك جاءت ثقافته شاملة لكل ما ذخرت به الثقاقة العربية.

ولقد أوضحت أن الصولى كان ملما بعلوم القرآن والحديث والفقه وعلوم اللغة والأدب والتاريخ كما كان عالما بالشعر ذواقة له، قادرا على نقده وتقييمه هذا بالإضافة إلى ثقافته الديوانيةالتى خبرها من اشتغاله فى قصور الخلفاء.

كما كانت للصولى ثقافة واسعة فى الموسيقى والغناء يعرف المغنين والملحنين وطبقاتهم وله أيضا ثقافة واسعة فى العلوم الرياضية التى تعتمد على الذكاء الفطرى والذهنى المتقد وتتمثل فى علم الشطرنج وعلم الهندسة، وأوضحت أيضا أن الصولى كان مطلعا على علم النجوم والكسوفات وعلى كتب جالينيوس الطبية وغير ذلك.

ثم تناولت العوامل التى أثرت فى ثقافته.

وتناولت فى هذا الباب أيضا روايته ومصادرها فتحدثت عن العوامل التى جعلت من الصولى راوية للأخبار والأشعار وأوضحت أن الصولى كان يعنى برواية الشعر منذ عصوره الأولى حتى عصره، وأنه روى الكثير من الأبيات والمقطعات، واهتم أساسا بالأبيات التى أثارت حولها الخلاف سواء من حيث المعانى أو التشبيهات.

ومن دراستى لقائمة الشعراء الذين روى الصولى لهم أوضحت عدة حقائق.

أولا: إن القسط الأكبر من عنايته كان موجها إلى الشعراء المحدثين، مشهورين ومغمورين.

ثانيا: إنه لم يهتم كثيرا بشعراء بنى أمية فلم يبرز منهم عنده سوى الفرزدق.

ثالثا: إن إهتمامه بالشعر الجاهلى كان منصبا على الفحول.

ثم ذكرت الأسباب التى حدت بالصولى إلى العناية برواية الأشعار وحددت المنهج الذى اتبعه فى الرواية وختمت هذا الفصل بذكر مصادر رواياته وأهم رواته.

ولما كان الصولى من أبرع أهل زمانه فى فن الشطرنج - حتى لقد ضرب به المثل - فقد خصصت له فصلا تحدثت فيه عن ولوعه وحذقه فى فن الشطرنج وكيف أنه ارتفع بهذا الفن فرفعه هذا الفن إلى مرتبة النديم الأول فى البلاط العباسى.

ثم خصصت الفصل العاشر والأخير فى هذا الباب لمنادماته خاصة وأن المنادمة كانت أهم باب للوصول إلى قلوب الخلفاء، فتناولت الشروط التى تواضع عليها القوم وجعلوها معيارا لمن يتخذونه نديما، ثم طبقت هذه المعايير على الصولى فتطابقت. وأبرزت أهم الخصائص والخصال التى جعلت الخلفاء والأمراء يستظرفونه ويأنسون حديثه ويسعدون بمجلسه. فحظى برضائهم ونال ثقتهم وبرهم.

أما الباب الثالث: فكان أكبر أبواب الرسالة،وقد خصصته لأدب الرجل. وفى دراستى لهذا الأدب أبرزت أنه يجرى فى روافد ثلاثة كلها تنبع من نفسه..

الأول: وجدانى.. والثانى: وصفى.. والثالث: تعليمى.

وتمثل الرافد الأول فى الأدب الانشائى شعرا ونثرا.

ففى الشعر: أوضحت أن الصولى دار بشعره فى مجالات أساسية ثلاث:

- مجال الذاتية.
- ومجال الغيرية.
- ومجال الإنسانية.

أما مجال الذاتية: فهو المجال الذى كان يعبر فيه عن ذاته، عن عواطفه وأحاسيسه عن خلجات نفسه، وعن فخره بعلمه ومكانته، وعن شكواه من الزمن، وذل الحاجة والوشاة. ولم تكن فرصته لذلك كبيرة، غير أنه ضمن بعض مقدمات قصائده وثناياها، كثيرا من التباريح والأشجان، مصورا حالته النفسية فى جميع هدآتها وسكناتها، تحدث عن كل ما يعتمل فى نفسه، وما يعانيه.. فى صور هادئة رقيقة أحيانا، وفى ثورة صاخبة عارمة أحيانا أخرى وبأسلوب يتناسب مع الحالتين.

أما مجال الغيرية: فهو المجال الذى كان يتناول فيه الغير بالمدح أو الرثاء. فالصولى لم يكن يعيش لنفسه بل من أجل نفسه لكى يحظى بالعطايا والهبات من الخلفاء والأمراء والوزراء.. ولقد كان مضطرا أن يجول فى هذا المجال - كما جال غيره من شعراء العصر - لأنه يعيش أساسا على رواتب القصر ومنح الخلفاء.

والحقيقة أن الصولى وقف شعره على هذا الفن - فن المديح - فمعظم قصائده تتناول هذا الغرض بل إن المديح هو العنصر البارز فى معظم ديوانه. ولكنه ليس مديحا لأفراد عاديين بل أنه كان وقفا على قلة قليلة.. يكاد يكون مقصورا على خلفاء بنى العباس وبعض الأمراء والوزراء..

أما المجال الإنسانى: فهو المجال الذى جال فيه الصولى جولات ليست

بالقليلة تناول فيه الحكمة وتأمله فى الحياة ونظراته إليها كما تناول فيه الزهد، وصور تجاربه الإنسانية وما خبره من الدهر والأيام. ولم يكن هذا المجال أساسا فى شعره، لأنه كان لابد له من أجل العيش والتقرب من الخلفاء أن يدور فى مجال الغيرية لكنه كان أحيانا ينفذ من هذا المجال الغيرى المقيد، إلى مجال الذات فيتحدث عن نفسه كلما أتيحت له الفرصة ثم ينفذ إلى المجال الانسانى فيتحدث عن الانسانية جمعاء ناثرا حكمته وتأملاته وتجاربه وما خبره فى حياته من أمور.

وإذا كان الصولى دار أساسا فى هذه المجالات الثلاث، فإن له أيضا مجالات أخرى، فله رسائل شعرية رقيقة تبادلها مع تلميذه الراضى.. وله شعر كثير فى الوصف.

- وفى تناولى لأغراض الشعر عند الصولى بينت مدى إرتباط أغراض الشعر عنده بأغراض الشعر عند الشعراء المعاصرين وعند الشعراء السابقين وطريقة الصولى فى تناول كل غرض منها وما استحدثه من معانى وصور وأخيلة.

ثم تناولت أهم الخصائص الفنية التى ظهرت واضحة جلية فى شعره وحللت هذه الخصائص واستشهدت عليها بالعديد من الشواهد.

كما تناولت أيضا خصائصه اللغوية وأبرزت أهم سماتها.

ومن خلال دراستى لشعر الرجل، وبعد أن أبرزت قيمة الصولى كشاعر فحل بين فحول عصره.. أستطيع أن أقول - فيما يتصل بشعره وبالنقد فى عصره - أن الصولى أرضى القدماء جميعا.. فهو شاعر جزل اللفظ، متخير الكلمات لا يجد مشقة فى الأوزان ولا فى اختيار القوافى. اكتملت لديه نماذج الشعر العربى فى مثله العليا، فشعره مستوف لشرائط المديح والرثاء من ناحية إيراده المعانى الضخمة والمثل العليا فى ممدوحيه ومرثييه على السواء.. كان ولاشك يسيطر على لغته ويتمثل

التراث العربى فى كل صوره، وجل معانيه وأغراضه، تراثا واضحا جليا، واستطاع أن يصوغ الكثير من المعانى الجميلة فيجيىء بالجديد أو ما يشبه الجديد.

فهو لم يسرف فى الصنعة إسراف أبى تمام مثلا، ولم يتعرض للركاكة والضعف شأن غيره من الشعراء. ولقد اتصلت حياته بأحداث كبرى وبخلفاء عديدين وأمراء ووزراء وقواد لهم شأن، تأثر بهم وصور ذلك شعرا قويا متمكنا مَسَّ فيه كل جوانب الحوادث وذكر فيه معظم المناسبات.

والصولى لكونه وَعَى التراث الشعرى للقدماء والمحدثين وهضمه، استطاع أن يخرجه أدبا حيا جديدا رائعا فى فكرته، روعته فى مادته وصياغته، مطلقا الشعر من قيوده التى كبَّله بها أبو تمام وغيره. هذا عن شعر الصولى عامة..

أما عن أهم المجالات التى دار فيها – وهو المجال الغيرى – أقصد فن المديح.. نجد أن مديح الصولى كان فى معظمه مديحا دينيا، وهو من أروع المدائح التى سجلها الشعراء فى الخلفاء ذلك أن أبا بكر الصولى كان يعبر عن صدق عاطفى واقتناع تام بما يقول، وعن حب وتقدير للخلافة والخلفاء لأنه يعرف قدرهم ومنزلتهم.. وبالتالى ماذا يقول وبماذا يعبر فجاءت مدائحه تنم عن اقتناع وفهم، ومعرفة قدر، رائعة من حيث المعانى ومن حيث الصياغة ومن حيث الصور والأخيلة.

أما شعره على ضوء النقد الحديث – فلاشك ستسقط منه أجزاء كثيرة وقصائد عديدة إذا حكمنا مقاييس هذا النقد ومفهوم الشعر – تبعا لآراء النقاد المحدثين عليه.

ومع ذلك سيبقى فيما وصل إلينا من شعره عدد من الموضوعات تستقيم مع ضوء النقد الحديث لمفهوم الشعر. خاصة تلك الموضوعات التى تتصل بالعاطفة وبالنفس الإنسانية، وبنظراته إلى الحياة وتأمله فيها، وفى تعبيره عن خلجات نفسه. وشكواه من الزمن ومرارة الحرمان وذل الحاجة علاوة على أن حتى قصائد المديح – التى

وقف حياته عليها، وقصر شعره عليها سنجدها شاملة على كثير من المعانى التى تبين علاقة الإنسان بربه، وطاعة أولى الأمر، وأن ولى الأمر هو الخليفة، فطاعته واجبة لأنها من طاعة الله. لذلك لم تكن مدائح الصولى دنيوية بقدر ما كانت مدائح دينية.

وعامل هام فيما يتصل بهذا النقد هو أن شعر الصولى لا يختلط بغيره لأن له طوابع فريدة مميزة من ناحية معانيه وعمقها وصيغه ومادتها وألفاظه وجزالتها.. فشعره مطبوع بطابع خاص يظهر شخصيته الفنية بل أنه يكاد يكون سجلا لحياته الشخصية. فنحن نستطيع أن نتتبع حياة الصولى الخارجية والباطنية أو كما يقول علماء النفس - «تطور الخط النفسى لنفسية الصولى» - مع تتبع قصائده الشعرية، خصوصا وأنه أوردها فى أخبار الراضى بالله والمتقى لله - حسب سنوات نظمها، وحسب المناسبات والأحداث التى عاشها ومَرَّ بها.

هذا مع أن أكثر الشعراء العرب لا نستطيع أن نتعرف على حياتهم الشخصية أو حالاتهم النفسية من دواوينهم - بعكس الصولى - فإنه لأصالته وعراقته وغلبة احساسه بكيان نفسه وشاعريته كان يأبى - فى شعره - إلا أن يعبر عن حالته النفسية بكل صورها ودقائقها وانفعالاتها وعواطفها مصورا كل ذلك وكل ما يحيط به وما ينفعل به من أحداث.

من ذلك كله كان شعره ينطوى على ثروة نفسية كبيرة خصوصا حين عرض مشاكله الخاصة فلم يكن يستطيع أن يضع على وجهه طلاء كثيفا يخفى حقيقته أو يحجب وجهه كما يفعل الشعراء الآخرون.

ونقطة هامة أخرى هي أن الصولى وإن كان قد نظم الشعر فصار شاعر البلاط العباسى إلا أنه لم يحترفه ولم يَستطْفْ به على من لا يستحقه بغية الكسب، إنما كان ينظم الشعر تقديرا للخلفاء والأمراء وتصويرا لمكانتهم وتعبيرا عن حبه لهم ولمكانتهم الدينية والدنيوية...

وأيضا مشاركة منه فى الحياة الأدبية الفنية التى كانت موجودة فى عصره...

فإذا كان هو الصولى الكاتب الأديب، المؤلف المصنف، الفاهم للشعر، المتذوق له، المقيم لجودته ورداءته، الحافظ لأكثره، الموثق لقائليه ورواته، المتمكن من اللغة، العليم بخباياها فماذا لو شارك الشعراء فنهم ومقدرتهم ليثبت أنه قادر على أن يخوض هذا المضمار ويدلى بدلوه مثلهم.. بل ويتفوق عليهم أيضا...

والحقيقة.. لو أن الصولى أطلق فنه، ولم يقصره على المجال الغيرى... ولو أنه ترك لنفسه العنان، وخاض بشعره شتى المناحى. وجال فى كل المجالات لأخرج لنا الكثير من الشعر الإنسانى المصور للنفس البشرية بكل خواطرها وأحاسيسها وما يجيش فى أعماقها من انفعالات وما يعتمل فى داخلها من وجدانات، ولخرج للناس شاعر كبير فى فنه، كبير فى صدقه، كبير فى تصويره وإيحائه، رائع فى أغراضه.. ولذخرت الثقافة العربية بديوان حافل ضخم يوضع إلى جوار دواوين فحول الشعراء.

وبعد أن انتهيت من دراستى المستفيضة لشعر الصولى. تناولت نثره الفنى، فدرست كتاباته النثرية، وأوردت نماذج منها، ثم تناولت خصائصه الفنية التى برزت فى هذا النثر ومنهجه وطريقته فى الكتابة.. وأسلوبه.

أما الرافد الثانى.. من روافد أدب الصولى فهو الأدب الوصفى.. وقد فرعته فرعين:

الأول: تاريخ الأدب وتراجم الشعراء. فتناولت عمل الصولى فى جمع الأخبار والترجمة للشعراء وطريقته فى هذه الترجمة وذكرت الفرق بين مفهوم القدماء حول تأريخ الأدب، ومفهومنا اليوم لهذا العلم، ثم بينت طريقة الصولى فى الترجمة للشعراء المقلين وكيف أن كل ترجمة منها تختلف عن الأخرى وأوضحت العوامل

التى أثرت فى منهجه فى التأريخ لهؤلاء الشعراء.. ثم تناولت طريقة الصولى فى الترجمة لأبى تمام والبحترى وعلاقتهما معا.. ولماذا كان تأريخ الصولى لأبى تمام خاصة يكاد يكون عملا متكاملا.

ثم عرضت للأسس التى قام عليها منهج الصولى فى تأليف أخبار الشعراء، وفئات الأخبار عنده.

والثانى: النقد الأدبى - فأوضحت أهم الأسس التى قام عليها النقد الأدبى فى عصره وبينت منحى الصولى فى النقد، ثم صنفت آراءه النقدية تحت عدة عناصر هى:

المقارنات.. والدفاع عن أبى تمام ومذهبه الجديد.. وتحليل ألفاظ الشعراء ومعانيهم ثم الهجوم على النقاد المتعصبين .. وأخيرا مبحث السرقات.. ورأى الصولى فى ذلك.

أما الرافد الثالث والأخير من روافد أدب الرجل فهو الأدب التعليمى شعرا ونثرا.

ففى الشعر: تحدثت عن نشأة الشعر التعليمى ثم انتقلت إلى هذا الفن عند الصولى.. وأوضحت أن الشعر التعليمى عنده، كان يقوم أساسا على تعليم قرض الشعر وإنشاده، كما يقوم على التطبيق العملى والمحاكاة والتقليد.. مع التوجيه والصقل. وإن هذا التعليم كان مقصورا على أولاد الخلفاء.. خاصة الأمير محمد بن المقتدر.

وفى النثر: قام الأدب التعليمى عند الصولى على تعليم الكتاب طريقة الكتابة عامة، والكتابة الديوانية خاصة، وشرح الأمور التى تعينهم على أداء حرفتهم الفنية على أكمل وجه، بما أورده الصولى من مواد وعناصر تثقف الكتاب وتمدهم بالغزير

من مواد اللغة، إلى جانب بعض الأمور الفقهية والصرفية وشرح لطرق الكتابة.. إلى غير ذلك.

ولقد تحدثت عن أدب الكتاب، ونشأته منذ عبد الحميد الكاتب، ثم تعرضت للكتب التى ألفت خدمة للكتاب، فتناولت كتاب «أدب الكاتب» لابن قتيبة وعرضت منهجه وقارنت بينه وبين كتاب «أدب الكتاب» للصولى وأظهرت اختلاف المنهجين ثم تناولت كتاب الصولى بالتحليل وبينت منهجه وخصائصه وطريقته فى التعليم.. وأسلوبه.

ثم كان لابد أن أختم هذا المجال بالحديث عن الموسوعة العربية الثقافية التى وضعها القلقشندى خدمة للكتاب فى شتى الأمصار، فتناولت بإيجاز كتاب «صبح الأعشى» وذكرت أهم أبوابه وفصوله.

أما الباب الرابع والأخير فقد جعلته خاصا بمؤلفات الرجل.

وتناولت فيه الصولى المؤلف فى نظر العلماء، والعوامل التى أثرت فى كثرة وتنوع إنتاجه، وقد اجتهدت فرجحت على وجه التقريب زمن تأليف بعض كتبه ورسائله ودواوين الشعراء..

ثم قسمت كتب الصولى من حيث الموضوعات إلى مجموعات:

– فجعلت المجموعة الأولى تشمل مؤلفاته الأخبارية ولما كانت هذه المؤلفات ذات شقين:

(ا) شق يتصل بالتأريخ السياسى..

(ب) وآخر يتصل بالتأريخ الأدبى.

فقد قسمت هذه المجموعة إلى قسمين. تناولت فى القسم الأول مؤلفاته التى

تتصل بالتأريخ السياسى وأوضحت طريقة الصولى فى التأريخ، والعناصر الأساسية التى كان يسجلها فى تأريخه.

ولقد بينت أن التأريخ السياسى عنده ليس تأريخا صرفا.. بل يتضمن أيضا بعض العوامل النفسية والأخبار العامة والأخبار الخاصة إلى جانب بعض النصوص الأدبية التى قد تتصل بأحداث التاريخ. وتناولت فى القسم الثانى مؤلفاته التى تتصل بالتأريخ الأدبى.

- وجعلت المجموعة الثانية تشتمل على مؤلفاته الأدبية واللغوية.

فذكرت أولا الكتب الموجودة سواء مطبوعة أو مخطوطة.. ثم أوردت أسماء الكتب المفقودة.

- وجعلت المجموعة الثالثة خاصة بمؤلفاته الدينية.

- أما المجموعة الرابعة فقد جعلتها تشمل باقى مؤلفاته المتنوعة التى لا تندرج تحت أى من المجموعات السابقة.

- كما جمعت دواوين الشعراء - التى ألفها الصولى - معا. وتتبعت الدواوين الموجودة منها سواء المطبوعة أو المخطوطة ثم الدواوين المفقودة.

وبعد أن تناولت مؤلفات الصولى بينت منهجه فى تأليفها ذلك المنهج الذى يقوم أساسا على: التعويل على الروايات، والحرص على ذكر سلاسل الاسناد، واتباع نظام تعاقب السنين. وإيراد الأخبار العامة، وتضمين النصوص الأدبية. وأيضا إضافة الآراء الشخصية.

وقد كان هناك بعض المآخذ على طريقته فى التأليف أوضحتها وحللت موقفه منها.

وللنجاح دائما تبعات يدفعها الانسان إن راضيا وإن كارها..

فالصولى على الرغم من شهرته الواسعة ومنزلته المرموقة فى مجال العلم والأدب والتأليف والتصنيف ما خلا من أناس أنكروا فضله وقللوا شأنه، فلم يشفع له كل ماضيه من أن يعفوه من التجريح، بل إنهم تصيدوا له الهفوات وجثموا الأخطاء ووضعوا عليه أشياء هو منها براء..

لذلك كان لزاما علىّ أن أدافع عن الرجل فوضعت فصلا يتصل بما جُرّح به الصولى.. ودفاعى عما نسب إليه..

ولقد انحصر تجريح الصولى فى أربع نقاط:

أولا: التصحيف.

ثانيا: الانتحال.

ثالثا: الضعف والاستجداء.

رابعا: الغرور.

فأوضحت فى حيثيات دفاعى عنه، أنه برىء من ذلك - إذا وضعنا فى اعتبارنا ظروف البيئة والعصر وأبرزت قيمة الرجل ومكانته فى المجالات المختلفة.

ومما لاشك فيه أن الجهد الذى بذل فى إعداد هذه الدراسة يتناسب مع أهمية أبي بكر الصولى ومكانته الأدبية والعلمية والدينية.

كل ما أرجوه أن أكون قد وُفّقت فى بحثى هذا، وأعطيتُ العلمَ حقّه، وأعطيت الرجل حقه.

وعلى الله قصد السبيل.

د. أحمد جمال العمرى

ديوان الصولي

مقدمة الديوان

الحمد لله الواحد المستعان، الرحيم الرحمن، خلق الإنسان، علمه البيان، واختصه دون خلائقه جميعا بجمال التعبير وفصاحة اللسان، ودقة الشعور ورقة الوجدان، والصلاة والسلام على أفصح الناطقين، وأبلغ المتكلمين، نبى الهدى، ونبراس الدجى، المبعوث بالحق المبين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:

فلما كان الدرس العلمى الصحيح، والبحث المنهجى القويم، يقتضى العمل على دراسة أدب الصولى عامة، وشعره خاصة، لابراز مكانته الأدبية ومكانه بين معاصريه. ولما كان شعر الصولى لم يدون ولم يجمع من قبل، حتى لقد تجاهله أكثر المؤرخين والمترجمين، فلم يوردوا منه سوى أبيات أو مقطعات قصيرة، للتعريف بشعره والتدليل على شاعريته.

فقد كان لزاما على وأنا بصدد البحث فى حياة الصولى وأدبه، أن أستكمل هذا البحث بجمع كل ما يمكن العثور عليه من شعره، لكى يستشف منه: قيمة الصولى كشاعر عربى، ومكانه بين شعراء عصره.. ومقومات الشاعر والشعر جميعا.

ولقد بذلت قصارى جهدى فى البحث والتنقيب، وتتبعت شعر الصولى حيث وجد بين كتب الأدب والتراجم والشعر والأخبار.. بين مؤلفاته ومؤلفات غيره حتى تجمع لدى هذا المحصول المتواضع.

وقد أخذت نفسى فى التحقق والتثبت من صحة نسبة كل مقطوعة أو أبيات، بمقارنتها بما جاء فى الكتب المختلفة، وبما يتفق مع ذوق الصولى وأسلوبه وطريقته فى التعبير، خاصة وأن له معجمه الخاص به، والذى يكاد يتميز به عن معاجم الشعراء الآخرين.

ولقد كان هذا الشعر برغم قلته خير دليل على شاعرية الصولى.. ونموذجا فذا من نماذج الشعر التى أخرجتها قريحة الأدباء العلماء المثقفين الدارسين أخرجه الرجل ليس من قلبه وشعوره فحسب، بل من عقله أيضا، بعد أن أخضعه للصقل والتهذيب والاتكاء على النفس، فجمع بين الطبع والصنعة، بين العاطفة والعقل ليس فيه غموض أو تعقيد، ولا إسفاف أو ركاكة بل شعر عذب، وضح فيه أثر الصولى وأسلوبه وعمق تفكيره وسعة علمه..

أما عن طريقة ترتيب هذا الشعر:

فقد رتبت نصوص الرجل، حسب الطريقة التى اتبعها الصولى نفسه فى ترتيب دواوين شعرائه، فأوردت القصائد والمقطعات - حسب قوافيها - على حروف المعجم العربى، ورتبت حركات القوافى، فبدأت بالسكون فالفتح ثم الضم فالكسر.

والله أسأل، أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يلهمنا الصواب والسداد،والتوفيق والرشاد، وأن يجعل فى عملى هذا كبير نفع لطلاب العلم ورواد الثقافة وعشاق الأدب إنه نعم المولى ونعم الموفق.

قافيـة الهـمزة

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولى[1] :

نَعِمَ الـورىَ بسوابـغِ النَّعْمَاءِ ... وَنَجْوا مَن البأسـاءِ والضَّرَّاءِ
عَضَدَ الإلهُ أبا الوفاءِ بنصرهِ ... عَضُدَ الخلافَـةِ سَيدِ الأُمـراءِ
فأُريحَ قَلْبى من جَوَى البُرَحَاءِ ... ولهيبِ نـارِ الـوَجْـدِ والأَدْواءِ
عادَ الزمانُ إلى نضارةِ عيشِهِ ... وأُزيلَت البـأسـاءُ بـالسَّرَّاءِ
قَدْ واصَلَ النَّصْرَ المتابَعَ سيفُهُ ... كـوِصَالِ حبٍ كـارهٍ لجفَـاءِ
فى كلِّ يومٍ للأعادىِ وقعةٌ ... منــهُ تُبَيــدُهُمْ وسيفُ فنَــاءِ
فتــراهُمُ لَمَّــا رأوْهُ مُـقبــلاً ... كالشَّاءِ يَنْفرُ من أُسودِ ضرَاءِ
صَرْعَى وقتلىَ والذى فاتَ الرَّدَى ... منْهُمْ حَليفُ الذلِّ فى الأَسَرَاءِ
ضَحِكَتْ به الأيامُ بُعَدْ قُطُوبهاَ ... وَجَلا الضِّياءُ به دُجَى الظَّلْمَاءِ
فَصِلُوا السُّرُور قضاءَ ما عَايَنْتمُوا ... بالأمسِ مِنْ هَمٍّ ومِنْ بُرَحَاءِ[2]
قَدْ عُوفِى الليثُ المُطِلُّ على العِدَا ... مِنْ كلِّ ما يشكو من اللَّأْواءَ[3]
وأتـاهُ نصـرٌ من إلـهٍ منعمٍ ... يَقْضِى له أبداً بخـيرِ قَضَاءِ
أَعْيَيْتَ حيلتَهُمْ وفُتَّ مَـدَاهُمُ ... مِنْ غـيرِ إتعابٍ ولا إعْيَـاءِ

---

(١) الأوراق – أخبار الراضى بالله والمتقى لله – للصولى ص ٢٧٠، انفرد بذكر هذه القصيدة الصولى نفسه فى كتابه الأوراق، ولم يورد المترجمون له أيا من أبياتها وهى فى مديح الأمير توزون. أما عن مناسبتها، فيقول الصولى: لما رجع الأمير توزون من نهر ديالى ظافرا، قال لى من حضر المجلس: «مثل هذا الخطب العظيم والفتح الجليل، لا يكون له مدح يشهره الناس ويرويه؟ فقلت فى ذى الحجة سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة... (القصيدة).

(٢) البرحاء: الحمى.

(٣) اللأواء: الشدة.

نثَرتَ سيوفَكَ بالفضاءِ أكُفَّهُمْ ... فكأنَّهُمْ فيهِ حَصَى البَطْحَاءِ(٤)

وعطفْتَ خيلَكَ خاطفًا أرواحَهُمْ ... مِنْ غيرِ إمهالٍ ولا إبْطَاءِ

أنتَ المعظَّمُ فى الزمانِ ومَنْ لَهُ ... ذَلَّتْ رِقَابُ السَّادَةِ العُظَمَاءِ

أَبَتِ الإمارَةُ أَنْ تُزَوَّجَ غَيْرَهُ ... مِنْ بَعْدِ ما خُطِبتْ أشدَّ إبَاءِ

وعَصَى المديحُ فليْسَ يُعْطِى طَاعةً ... إلَّا لَـهُ فِى سُـؤْددٍ وَثَنَـاءِ

يلْهُو بأبطالِ الرِّجالِ شَجاعةً ... لهْوِ المُلَاعبِ فاز بالأهْواءِ(٥)

مَلِكٌ أَبَرَّ عَلَى الملوكِ ببأسِهِ ... وَقَبُولِهِ من سيِّدِ النُّصَحَاءِ

أحْيَاَ مُحَمَّدُ بن يحيىَ دَوْلةً ... بِصَحيحِ عَزْمٍ صَائِبِ الآرَاءِ

زَيْنُ الكِتَابةِ وابنُ مَنْ ذَلَّت لَهَ ... وَعلَيْهِ قِدْماً كَتْبَةُ الخُلَفَاءِ

مِنْ بَعْدِ ماَ ظَنَّ الأعَادِى أَنَّهُ ... سَيكُونُ مَنْ نَاوأَهُ ذَا اسْتِعْلاءِ

إذْ سَاوَر الاسْلاَمَ سُقْمٌ قاتلٌ ... لَوْ لَمْ يُدَارِكْ سُقْمَه بِشِفَاءِ

فرمَاهُمْ مِنْ رأيِهِ بنوافِذٍ ... تُهْدَى بِلَا هادٍ إلىَ الأحْشَاءِ

ورأَىَ(٦) حَبالَى رَأْيِهِ شَرَكاً لَهُمْ ... فَهَوَوْا لِجِمْثَتِه هُوِىَّ دِلَاءِ

فِى كارَ يُرْجىَ عَيْنُ رَأىِ مُجَرِّبٍ ... مَاضِى الحُسامِ لِحَسْم هَذَا الدَّاءِ

سَلْ بالأميرِ وَسَيْفِهِ مَنْ رامَهُ ... أوْهَاجَهُ فِى حَوْمةِ الهَيْجَاءِ(٧)

ضِرْغَامُهُ دَامِى الأظَافِرِ كُلَّماَ ... عَرَتِ النَّوائبُ مِنْ دَمِ الأعْدَاءِ

فكأنَّهُ فِى سَرْجِهِ يَوْمَ الوْغَاَ ... بَدْرٌ تَلألأَ فِى سُعُودِ سَمَاءِ

وَكأَنَّماَ قُوَّادهُ مِنْ حَوْلِهِ ... مُسْتَلْئِمِينَ كَوَاكِبَ الجَوْزَاءِ

مُتَلَبِّسٌ جِلْبَابَ صَبْرٍ تَحْتَهُ ... قَلْبٌ كمِثْلِ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ(٨)

---

(٤) البطحاء: للمكان الواسع.

(٥) الأهواء جمع هوى، والمقصود هوى النفس.

(٦) كذا بالأصل ولعلها (ورمى حبائل).

(٧) الهيجاء: الحرب.

(٨) الصماء: أى المصمتة الصلبة.

شَرَدَ الأعَادِى خَوْفُهُ فَكَأَنَّهُمْ ... خرقُ النَّعَامِ بقَفْرةٍ بَيْدَاءِ
أَوْكُدْرُ سِرْبِ قَطاً أَضَرَ بِهاَ الصَّدَى ... فَتَساقَطَتْ عَطَشاً إلى الأَحْشاءِ
عَطَفَ الرِّجالُ إليْهِمْ فَتَعَطَّفُوا ... لِلأَسْرِ والاذْلالِ فِعْلَ نِسَاءِ
وَأَتَى الأَميرُ بعزَّةٍ وَمَهابَةٍ ... يَخْتَالُ بَيْنَ غِنىً وبين غناءِ
خَصِبَتْ بِهِ بَغْدَادُ بَعْدَ جُدُوبِهَا ... وَتَلَبَّسَتْ مِنْهُ ثِيابَ رَخَاءِ
هَذَا وَفِى أَيَّامِ بَحْكَم كَمْ لَهُ ... مِنْ صِدْقِ عَارِفَةٍ وَحُسْنِ بَلاءِ
تَسْوَدُّ أَيْدِى غَيْرِهِ فى حَربِهِ ... فَيُضِيئُهَا قَيْدٌ لَهُ بَيْضَاءِ
أَطْنَابُ(٩) بَأْسِكَ يَوْمَ حَرْبِكَ عُلِّقَتْ ... لِعُلُوِّهَا بِكَواكِبِ الْعَوَّاءِ
فَضَلَتْ كَفَضْلِ بنى النَّبِىِّ وَصِهْرِهِ ... فى نُبْلِ قَدْرِهِمْ بَنِى الطُّلَقَاءِ
فَرَقِيتَ فى دَرَجِ المَعَالِى صَاعِداً ... تَعْلُو علىَ العُظَمَاءِ والكُبَرَاءِ

قافية الباء

وقال أبو بكر الصولى(١٠):

مشف عَلَى الرَّأْىِ نظَّار عواقبه ... إذَا تَشَابَه وجهُ الرأى واحْتَجَبَا
فى كفهِ صارمٌ لانَتْ مَضَارِبُهُ ... يَسُوسُنا رغباً إنْ شاء أَوْ رهَبَاَ
السيفُ والرُّمْحُ خُدَّامٌ له أبداً ... لا يبلغانِ له جدًا ولا لَعِبَا
يرمى فيرضيهما عَنْ كلِّ مُجْتَرِمٍ ... ويَعْصِيانِ علَى ذِى النُّصْحِ إن غَضِباَ
تَجْرِى دمَاءُ الأعَادى بين أسطرِهِ ... ولا يُحس له صوتٌ إذَا ضَرَباَ

---

(٩) أطناب: الطنب: حبل الخباء.

(١٠) أدب الكتاب - للصولى ص ٨٠

* لم يذكر أحد من الأدباء والمترجمين له هذه القصيدة، وانفرد الصولى بذكرها فى كتابه أدب الكتاب للاستشهاد بها فى فصل (وصف القلم شعرا) أما عن مناسبتها فيقول: إنها من قصيدة كتب بها إلى أبى على محمد بن على فى أيام ابن الفرات.

فما رأينا مدادًا قبل ذاك دمًا ... ولا رأيناَ حُسَامًا قبل ذا قَصبَاَ
وقَدْ شككنا فما نَدْرِى لشربتِهِ ... أَنظَمَ الدُّر[١١] فى القرطاسِ أم كَتَباَ

وقال أيضا[١٢]:

سيِّدى أنتَ إنّنى بك صَبُّ ... بَيْنَ أَيْدِى الهموم والشَّوْقُ نَهْبُ
وشَفِيعى إليْكَ أَنِّى مُحِبٌّ ... وقَدِيماً أُحَبُّ مَنْ لَا يُحِبُّ
بَعَثَ الحبُّ لى سقَامًا فأعْدَى ... بِى حُزْنًا مداومًا ما يَغِبُّ
ليْسَ لى نيَّةٌ أُسَلِّ بها النَّفْـ ... ـسَ لِماَ قَدْ رَأَى وَلَا لِى قَلْبُ
ضَاعَ صَبْرِى وأَخْلَقتْنى ظُنُونٌ ... كَاذِبَاتٌ يَلَذُّهَاَ مَنْ يَصَبُّ
غَيْرَ أنِّىَ مِنْ قَوْلِ لاحٍ ... هُوَ هَمٌّ على الفُؤادِ وكَرْبُ
عَذَلَ العاذِلُونَ فيكَ وقَالُوا ... ما عَلَى من أَحَبَّ مثلَكَ عَتْبُ
لك خَدٌّ مُوَرَّدُ اللون سَهْلٌ ... وَفَمٌ طَيِّبُ المُجَاجَةِ عَذْبُ
وَجَبِينٌ تَلأْلَأَ الحُسْنُ فِيهِ ... كهِلالٍ تكَشَّفَتْ عَنْهُ حُجْبُ
وجُفُونٌ مُفَتَّرَاتٌ مِرَاضٌ ... وحديثُ المُؤَنَّثِ اللَّفظِ رَطْبُ
وَقَوامٌ للرِّيح فيه إحْتِكَارٌ ... يَتَثَنَّى تَثَنِّىَ الغُصْنِ شَطْبُ
أَخْصَبَ الحُسْنُ فى جميعِكَ إلَّا ... أَنَّ حظِّى من كُلِّ ذَلِكَ جَدْبُ
لَهْفَ نَفْسى عَلَيْكَ لو أَنْصَفَ الحـ ... ـبُّ لَذَلَّ الغَداة لى منكَ صَعْبُ
لَا أُسَمِّيك خيفَةً بل أُعَدِّى ... عَنْك طَرْفاً دُمُوعُهُ فيكَ سَكْبُ
وَعَدَدْتَ الْهَوَى عَلَىَّ ذُنُوباً ... إنْ يكُنْ ذا فَحُسْنُ وجهك ذَنْبُ
أيمِ الزمانُ صَفْحًا عَلَيْنَا ... لَمْ يُنَلْ طائلٌ ولم يُقْضَ نَحْبُ

---

(١١) الدر: اللؤلؤ.

(١٢) الأوراق – أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ٤٧.

انفرد الصولى بذكر هذه القصيدة فى كتابة الأوراق – وقال إن الراضى كان يلذ سماعها، ويقول إن تشبيبها أحسن تشبيب سمعه قط – والقصيدة كانت فى مدح ابن الفرات.

ظَلَمَتْنى كـظُلْمِـكَ السِّن حَتَّى … شَابَ رأْسى ودَعْوةُ الشَّيْب سَبُّ
سَلَبَتْنى ثَوْبَ الشَّباب الثَّلاثو … نَ وللشَّيْب بَعْـدَ ذَلِكَ سَلْبُ
وأَحَالَتْ دُهْماً[١٣] على الرَّأْسِ شُهْباً … لَيْسَ يَجْرِى بِخَيْلِه اللَّهْو شُهْبُ
إن يكُنْ سَارَ عَامداً لدمَشْقٍ … وَطَوَانِى كما طَوىَ الشَّمْسَ غَرْبُ
فهو للقلب حيثُ ما مال ذِكْرٌ … وهوُ للطَّرْفِ حيثُ ما دار نُصْبُ
حُسْنُ رَأْى الوزيرِ عَوَّض فيه … فَهُـو للجُـودِ والمكـارمِ رَبُّ

وقال أيضا[١٤]:

ليسَ يأتِى مِنَ الأميرِ كتَابُ … ابتـداء ولا يـرد جـوابُ
فإذا ماشكـوتُ ذاك وعاتبـ … ـت أَتانِى على العتابِ عتابُ
وأطاف الملام بى فى الذى قلـ … ـت ولم يـأتِنِى لَهُ إعتـابُ
ولسـان الذى يغيب كتـاب … ناطق عنه حين عز الخطابُ
فـإذا أبـطأ الجـوابُ عليـهِ … فهو كالناطق الذى لا يُجابُ
وكمن رده وقد عرفوا منـ … ـه حضـوراً تجهم وعتـابُ
عُدت بالاعتذارِ إن كان ذنب … ديـة الذنب عـذرة ومتـابُ

وقال أيضا[١٥]:

فى يديهِ محكمٌ فى ذوى اللـ … ـب وما فيه إنْ تَبَيَّنْتَ لُبُّ
شهد السيفُ أنه السيف حقا … ناقص القدر زائد الحد عَضْبُ

---

(١٣) الدهم: الخصل السوداء.

(١٤) أدب الكتاب – الصولى ص ١٦٦ – انفرد الصولى بذكر هذه الأبيات فى كتابه أدب الكتاب، ولم يوردها أحد غيره. وقد ذكرها فى مناسبة الحديث عن (الحض على التكاتب) فقال: «ومن مليح ماقيل فى استبطاء الجواب أبيات كتبت بها فى صدر قصيدة إلى سيدنا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه وهو إذ ذاك أمير، وأورد هذه الأبيات السبعة.. ولم أعثر على بقية القصيدة فى أى مصدر آخر. كما لم أعثر على هذه الأبيات فى أى مصدر آخر.

(١٥) أدب الكتاب للصولى ص ٨٢ – لم يذكر هذه المقطوعة أحد سوى الصولى وقد اثبتها فى كتابه أدب الكتاب واستشهد بها فى وصف القلم شعرا. وقال إنها من قصيدة مدح بها ابن الفرات فى وزارته الأولى.

وسيـوفُ العداةِ أنفـذُ جدا | حين تعدى بدرة الموت حَرْبُ
من رأى مثل ما وصفت حساما | نافذ ضربه وما منه ضَـرْبُ
كل يوم له ولم يلق كيدا | من دماء العُصاةِ ولع وخَضْبُ

وقال أيضا[١٦]:

ما عَسَى حاسُد يقولُ إِذَا ما | خَطَبَ النَّاسَ بالحوادثِ خَطْبُ
فكفـاهُ أغرٌ[١٧] منهم وسيمٌ | صَدْرُه فى العطاء واليأس رَحْبُ
غـيرَ هَمٍّ يَبُثُّـه من بعيـدٍ | مثل ما ينبحُ الكواكبَ كلبُ

وقال أيضا[١٨]:

إن يكن سار عامدًا لدمشقٍ | وطواه كما طوى الشمس غَرْبُ
فهو للقلبِ حَيْثُما مَالَ ذكرٌ | وهو للطرف حيثُمَا كَانَ نُصْبُ

وقال أيضا[١٩]:

قَدْ سَاءَ ظَنُّ النّاسِ بى وتنكرُوا | لمَاَ رأَوْنِى دونَ غَيْرِى أُحْجَبُ
إن كان غلبته تقرب أمرهُ | دونِى فإنِّى عن قليلٍ أغلبُ

---

(١٦) أخبار أبى تمام للصولى ص ٤٧ – انفرد الصولى بذكر هذه المقطوعة فى كتابه أخبار أبى تمام فى مجال الاستشهاد بأن أبا تمام لا يضره قول حاسديه كما لا ينقص البدر أن ينبحه الكلب.

(١٧) الأغر: الصبيح.

(١٨) الأوراق – قسم أخبار الشعراء للصولى ص ٢١٥، والأوراق – أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ٤٧.

هذان البيتان ورد ذكرهما فى أخبار الشعراء للصولى واستشهد بهما فى أحدى المناسبات وهما من تشبيب القصيدة البائية التى مدح بها ابن الفرات، وكان يعجب بها الخليفة الراضى (راجع أخبار الراضى بالله ص ٤٧).

(١٩) زهر الآداب وثمر الألباب – لأبى اسحق الحصرى القيروانى ج ٤ ص ١٩٥ ذكر هذين البيتين أبو إسحق الحصرى فى زهر الآداب، ولم يذكرهما أحد غيره، وأورد قول الصولى: «اتصل بى المكتفى بالله يوما أن خصمى شمت بى، فكتبت قصيدة أقول فيها... (الأبيات) على أننى لم أعثر على القصيدة نفسها فى أى مرجع آخر.

قال أبو بكر الصولى[٢٠]:

قــلْ للْخَليفَــةِ يَـرْبِ العلْمِ والأَدَبِ — وأَفْضَلِ النَّاسِ مِنْ عُجْمٍ وَمْن عَرَبِ
وَمَنْ أَجَلَّ إلهُ النَّـاس رُتْبتَهُ — حَتَّى عَلَا وهَوَى الاملَاكُ فى صَبَبِ
قَدْ كَان لِى مَوْعدٌ فِى النَّسْخِ لَمْ أَرهُ — وَفَاتَنى القَدَح المَحْفُوفُ بالطَّرَبِ
وحازَ صَحْبى دُونى طِيبَ معرقةٍ — لِباسُها أَفْخَرُ الانْسابِ والحَسَبِ
ولَيْلَة الفطرِ أبقت لِى حزازتها — ناراً تَرامىَ عَلَى الاحشاء بـاللَّهبِ
فَجَازَنى برٌّ مولىً كَانَ يَبْدَأُنى — كَأَنَّنى نَاقِصٌ فى رُتْبَة الأدب
أَلَمَّ بِى طَيْفُ حِرْمَانٍ فَأَرَّقَنى — فَبِتُّ مُعْتِقــاً لِلْهَمِّ والكُــرَبِ
هَذَا على خِدْمةٍ ماذُمَّ سَالِفُهاَ — ودَوْلةٍ لى فيها أَوْكَدُ السَّبَبِ
وأننـا نُقَبـاءُ شَــاعَ نَصْـرهُم — نُلْقى أعَادِيكُمُ فى الحَرْبِ بالحَرِبِ
وَيَوْم مَرْوانَ أُفْـرِدْنَا بَمشْهَـدِهِ — والفَخْر فيهِ بنصرْ السَّادَةِ النُّجُبِ
مقَالةٌ تُـوردُ الأَخْبَارُ صِحَّتَهـا — مَوْجُودَةٌ فى روايات وفى كُتُبِ
إِنْ كَانَ ذلك مزحًا من إمام هُدًى — فحَبَّذَا هُوَ من مَزْحٍ ومنْ لَعِبِ
وَسَوْفَ يأتى سَريعًا منْه لى عوَضٌ — كَمَا أَتَاهُمْ بلاَ كَدٍّ ولاَ تَعَبِ
فالعَيْشُ إِنْ كاَنَ هَذَا عَنْ خَبِىٍّ رِضَا — والْموتُ إنْ كان كُلُّ الْمَوْتِ عَنْ غَضَبِ
رأيتَ وَجْهَ الرِّضَا أَعْلَى لطَالِبهِ — مِنَ الصِّلَاتِ إِذَا تُوبِعْنَ والرُّتَبِ
لا تَجْعَلَنِّى نَهْبًا لْلهُمُوم فَقَدْ — تَرَدَّدَ الظَّنُّ بَيْنَ الرَّغْبِ والرَّهَبِ
أَقُولُ قَوْلَ إمْرِىءٍ صَحَّتْ قَرِيحَتُهُ — مَازَالَ فِى الدَّهْر ذَا كَدْحٍ وَذَا دَأَبِ

---

(٢٠) الأوراق – أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ١٥١.

انفرد الصولى بذكر هذه القصيدة فى أخبار الراضى بالله والمتقى لله ولم يذكرها أحد من المترجمين له. ولم أجد أيامن أبياتها فى أى مرجع أو مصدر آخر. أما عن مناسبتها فيقول الصولى: وعدنى الراضى أن أنسخ له أشياء ويصلنى لها كعادته وكان لا يعجبه أن لا ينظر فى شىء إلا بخطى، فلما تغيبت وفرغت منه لم يعطنى شيئا. فعملت شعرا، ودخلت فى صبيحة الليلة. فانشدته.. «القصيدة».

سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الآدَابَ فى عُصَبٍ ... حظًّا وصَبَّرَها غَيْظاً على عُصَبِ

ومِثْلُ شَكْوَى حَكيم عَضَّهُ زَمَنٌ ... كَمَا اشْتَكَى غاربٌ منْ عَضَّةِ القتْبِ(٢١)

أَفْضِلْ عنانَكَ لاَ تَجمَحْ بهِ طَلَبًا ... فَلَا وعيشِكَ ما الأرزاقُ بالطَّلَبِ

قَدْ يُرْزَقُ المرءُ لَمْ تَتْعَبْ رَوَاحِلُهُ ... ويُحْرَمُ الرِّزقَ مَنْ لم يُؤْتَ منْ تَعَبِ

ما أَصْعَبَ الفَقْدَ للعَادَاتِ من مِلكٍ ... تَقْدِيمُهُ فى العَطَايَا أَشْرَفُ الرُّتَبِ

لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ صَبْرًا عَنْ مَحَاسِنِه ... وَنَشْرِهَا فى الوَرَى أَمعَنْتُ فى الهَرَبِ

مَالِى إذَا لَمْ أَفُزْ مِنْهُ بمَنْزِلَةٍ ... وَعَوْدِهِ بالرِّضَا فى العَيْشِ منْ أَرَبِ

إنِّى لآمُلُ مِنْهُ حُسْنَ عَطْفَتِهِ ... فالحَظُّ مُقْتَسمٌ والدَّهْرُ ذُو عُقَبِ

حَتَّى يُبَيِّضَ وَجْهِى مُذْهِباً حَزَنِى ... بِالْبَذْلِ للفِضَّةِ البَيْضَاء والذَّهَبِ

كعادَةِ الدَّهْرِ فى تقديمِهِ أبدًا ... رَضَعَتْ منْهُ بدَرٍّ طيبُ الحَلَبِ

فقَدْ سبقَتُ بمدحٍ فيه فُزْتُ بِهِ ... صِدْقٍ إذا مُدِحَ الأمْلَاكُ بالكَذِبِ

فاسمَعْ لمدحٍ يَلَذُّ السَّمعَ مُنْشِدُهُ ... لا تجعلِ الرأسَ فى الأشعارِ كالذَّنبِ

مُشَبَّهٌ لَفْظُهُ فى حُسْنِ مَذْهَبِهِ ... بِلَفظِ شِعْرٍ بِنَارِ الحُسْنِ مُلتَهِبِ

يا مَنْ يُحَمِّلُ ذَنْبَ الرَّاحِ شَارِبَها ... أقيلُ بوجهِ الرِّضا فى ساعةِ الغَضَبِ

لاَ وَالذِّى أنْتَ منه نِعمَةٌ مَلأَتْ ... عُرْضَ البلادِ وحَلَّتْ حُبْوَةَ(٢٢) النُّوَبِ

مَا فى عَبيدِك إن فَتَّشْتَ أَمْرَهُمُ ... أَقَلُّ مِنِّى فى رِزْقِى وفى نَشَبِى(٢٣)

وقال أيضا(٢٤)

أَرَابَكَ دمعٌ إذ جرى فحملتنى ... من الضُّرِّ والبلوى على مركبٍ صعبِ

فلا تُنكرنْ لونَ الدُّموع فإنّما ... يبيِّضُها تصعيدها من دم القلبِ

---

(٢١) القتب: المعدة.

(٢٢) الحبوة: إعطاء الشيء بغير عوض.

(٢٣) النشب: المال والعقار.

(٢٤) المصون فى الأدب لأبى أحمد العسكرى ص ١٢٨ طبع الكويت ١٩٦٠.

قافيـة الـدّال

وقال أبو بكر الصولى[٢٥]:

شَكَى إليـكَ ما وَجَـدْ مَنْ خَـانَه فيـكَ الجَلَدْ
لهفانُ إنْ شئتَ اشتكى ظمـآنُ إن شئتَ وَرَدْ
صب إذا رام الكـرى نَبّهَــهُ لـذعُ الكمـدْ
يـا أيها الـظبى الذى تصـرعُ عيناه الأسـدْ
أمـاَ لأَسْـراك فـدًى أمـالِقَتْـلاكَ قَـوَدْ[٢٦]؟
ماذا عَلَى من جَارَ فى أحكـامِـهِ لـو إقْتَصَدْ
مـا ضَرّه لـو أنـه أَنْجَـزَمـا كـان وَعَـدْ
هـانَ عليـه سهـرى فى حـبـه لمـاً رقـدْ
واهًـا لِـغـرٍّ غَـرّه أنّـا وصَلْنـاهُ وصَـدْ
بمـقـلتـيـه حَـوَرُ وقـدُّه فيـه غَيَـدٌ[٢٧]
الـراحُ فى إبـريقِهَـا أكـرمُ روحٍ فى جَسَدْ
فَهَـاتِهـاِ نُصلح بهـا من الـزمـان مـافَسَدْ
فـإن أيـامَ الصِّبَى.. عـاريةُ قـد تُستردْ

(٢٥) المنتظم لابن الجوزى ٣٦٠/٦، تاريخ بغداد ٤٣٠/٣. ذكر هذه القصيدة كل من ابن الجوزى، فى كتابه المنتظم، والخطيب البغدادى فى كتابه تاريخ بغداد، ولم أجد خلافا بين الروايتين فى أى لفظة أو بيت من أبياتها ولم أجدها فى أى مصدر آخر أو كتاب من كتب الصولى.

(٢٦) القود: القصاص، الفدية

(٢٧) غيد: نعومة

وقال أيضا(٢٨):

أيها الهاجرِ مَزْحًا لا مجدْ أَجَزَاءُ الوُدِّ أن يُلْقَى بصَدْ؟
لأميرِ المؤمنين المعتضد بَحْرُ جودٍ ليس يعدوه أَحَدْ
وأبو النجم لمن يقصده جدول منه إلى البحر يَرِدْ
قد مضى القطر إلى الأضحى وقد آن أن يَقْرُبَ وعدُ قد بَعُدْ
ما اقتضائى الوَعْدَ أنْ لَسْتُ عَلَى ثِقَةٍ من أنه أَخْذُ بيَدْ
غير أن النفسَ تهوى عاجلًا وسوا أعطى كريمُ أو وَعَدْ

وقال أبو بكر الصولى(٢٩):

مُتَيَّمٌ مُتْلفُهُ تَلَدُّدُهُ بانَ لِبَيْنِ الهَوَى تَجَلُّدُهُ
طَالَ عَلَيْهِ مَدَى الصُّدُودِ فَمَا يُبْصِرُهُ من ضَنَاهُ عُوَّدُهُ
قَدْ كَتَبَ الحبُّ بالسَّقامِ لَهُ نَظْمَهُ بمَنْ أَتَى يُفَنِّدُهُ
أَوْرَدَهُ الحَتْفَ ماردُ غَنِجُ زَادَ عَلَى حُسْنِهِ تَمَرُّدُهُ
يَكَادُ منْ لِينِهِ وَرِقَّتِهِ تُحِلُّهُ لَحْظَتِي وتعْقِدُهُ
قَدْ إِرْتَدَتْ بالجَمَالِ جُمْلَتُهُ كما ارتَدَى بالنَّدَى مُحَمَّدُهُ
خَلِيفةٌ أَكْملتْ فضائِلُهُ فَفَرْعُهُ طيِّبٌ وَمَحْتِدُهُ
قَدْ رَضِيَ الرَّاضِيَ الالهُ لاصـ ـلاحِ زَمَانٍ سِوَاهُ مُفْسِدُهُ
فَهُو بِتَفْويضِهِ الأمُورَ إلى اللـ ـهِ بحُسْنِ التَّوفِيقِ يَعْضُدُهُ

(٢٨) مروج الذهب: للمسعودى ٢٧٨/٤ - انفرد يذكر هذه المقطوعة المسعودى فى كتابه مروج الذهب - وقال إنها من قصيدة للصولى فى مدح الخليفة المعتضد لله - وأن الصولى ذكر فيها بدر غلام المعتضد بالله الذى تولى الشرطة يوم ولى الخلافة ثم ولاه فارس. وقد قتله الخليفة المكتفى سنة ٢٩٩هـ (انظر تاريخ ابن الأثير ٣١٧/٧، ٣٢٨).

(٢٩) الأوراق - أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ١١١.
انفرد الصولى بذكر هذه القصيدة فى كتابه الأوراق - ولم يذكر المترجمون له أى شىء منها. وقال الصولى عنها - إنه نظمها فى مدح الخليفة الراضى وعاصمة الخلافة بغداد.

أَمَا تَرَى ما كَفَاهُ مِنْ خَطَرٍ غَـائِـرَةٌ مُعْجِـزٌ وَمُنْجِـدُهُ
لاَ يَبْلُغُ الفكـر كَشْفَ غُمَّتِـهِ يَعُـومُ فِي حَيْـرَةٍ تُـرَدِّدُهُ
وَهُوَ عليه فِي ذَاكَ مُتَّكِـلُ يَشْكُـرُ إِحْسَانَـهُ ويَحْمَـدُهُ
وَلَنْ يُضِيعَ الإلـهُ مُلْتَجِئـًا إِلَيْهِ فِي الخَطْبِ بَل مُؤَيِّدُهُ
يَسِـلُّ رَأْيًا كـالسَّيْفِ وقْفتهُ وَيَحْتَـوِى سَيْفَـهُ وَيُغْمِـدُهُ
تَمَسُّكاً فيهِ بـالـوَفَـاءِ وَمَـا تَقْصُـرُ عَمَّا يُـرِيدُهُ يَـدُهُ
كِفَـايَـةُ الله تَسْتَـطِفُ بِـهِ تُنْحِسُ أَعْـدَاءَهُ وتُـسْعِـدُهُ
أَوْحَـدَهُ الله فِي فَـضَـائِلِهِ فَهُوَ مِنْ بَدْءِ الكَمَال أَوْجَدَهُ
جَـرَى عَلَى الصُّنْـع والسَّعَادَة والْـ ـيُمْـنِ لَـهُ سَـيْرٌ ومَـقْـصِـدُهُ
جُيُـوشُـهُ حَـوْلَـهُ كَـمَا حَـدَقَتْ بـالْبَـدْرِ بـدر التَّمَـامِ أسْعُـدُهُ
يَسُـوسُهُمْ بالسَّـدَادِ حَاجِبُـهُ وَهُـوَ بـآرائِـهِ يُـسَـدِّدُهُ
كَأَنَّهُ مِنْـهُ لَيْسَ يَبْعُدُ أَنْ يُشْبِهَ مَوْلىً فِي العِزِّ أَعْبُدُهُ
لـكـنَّـهُ فَـايِتُ بِهِـمَّتِـهِ كَـمَا يَفُوتُ الهِـلاَلَ فَرْقَـدُهُ
وَأَيْنَ مِنْ زَاخِرِ العُبَابِ صَرًى يُخْفِى إِذَا جَاشَ فِيه مُزْبِدُهُ
أَرَى ذكِيًّـا ذَكَتْ خَوَاطِـرُهُ فَـلَمْ يَخُنْ فـهمـه مُـتَـلَدُهُ
سَيْفٌ عَلَى مَنْ عَصَاكَ مُتَّقِدٌ تُطْفِى بِه طُغْيَـانَهُ وتغمِـدُهُ
يَاخَيْرَ مَنْ لاَذَ ذُو الرَّجاءِ بِهِ وَخَيْرَ مَنْ بالنَّـوَال يَرْفِـدُهُ
وَمَنْ يَفُـوتُ المُنَى تَـطَوُّلُـهُ وَيَقْتَضِيـهِ الإِنْجَازَ مَـوْعِـدُهُ
أَمْـوَالُـهُ نَـحْـوَنَـا مُـوَجَّهَـةٌ بِنَـائِـلٍ لاَ تُحُثُّ وِرْدُهُ
يُعْلَى لَنَا الحَالُ والمَحَلُّ بِهِ . فَـلاَ سؤالٌ لَـه نُـرَدِّدُهُ
لَـوْجَازَ أَنْ يَعْبُـدَ العِبادُ سِوىَ الـ ـخَـالِقِ كُـنَّـا لـلبِرِّ نَـعْـبُـدُهُ
عَبْدُكَ مَنْ قَدْ عَرَفْتَ نِيَّتَهُ لَمْ يَنْتَقِصْ سَـاعـةً تَـوَدُّدُهُ
يَسْأَلُ أَنْ يَسْتَبِينَ سَيِّدُهُ الـ ـرَّأْىَ بِفِكْـرٍ لَـهُ يُجَـدِّدُهُ

ومُؤْثـِر الحَقْنَ للدِّمـاءِ فَقْـدَ تَاقَتْ إِلَيْه لِلْعَيْثِ[٣٠] شُرَّدُهُ
مُسْتَيْقِنـًا نِعْمةً المُطيعِ لَـهُ يحملُ ما فى الضَّمانِ يَعْقِدُهُ
يَقْبَـلُ فيهِ ضَمـانَ مَوْعـِدِهِ فَلَيْس يَخْشى مِنْـهُ تَزَيُّـدُهُ
إِنْ قَال قَوْلاً وَفَّى بهِ عَجِلاً يَهْدِيه لِلرَّأْى فيـهِ أَرْشَـدُهُ
فكُـلُّ وقْتٍ لهُ شَـرِيـطَتُـهُ يُصْدرُ هذَا مـاذَاكَ يُـورِدُهُ
قَدْ يَسْمحُ اليَوْمَ بالمُرادِ وَلَا يُشْبِهُـهُ فى سَمـاحِـهِ غـدُهُ
فى كلِّ صُقْعٍ من البِلَادِ لظَىً مُسَعَّـرُ والغُـوَاةُ تُـوقِـدُهُ
فَـإِنْ نَجَا بَعْضُهـا بِمَقْصـدِهِ هُـدَّ مِنْ البَعْض مـايُشَيِّـدُهُ
وكلُّهُمْ إنْ أَقَـام فى يَـدِهِ خُطَامَهُ[٣١] صَاغِرًا وَمِقْـوَدُهُ
يَـطْلُبُ هَذَا مَـاذَاكَ يَطْلُبُـهُ بِشَـافِـعٍ عِنْـدَهُ يُؤَكِّـدُهُ
قَدْ يَسْتَحِيلُ الوَلِىُّ ذَا عَنَتٍ تَقْـدَحُ بـالْغِش مِنْـهُ أَزْنـدُهُ
وَيُصْبـحُ المخلقُ الوَلَاءَ لَـهُ مِنْ طَـاعَـةٍ ثَـابتٍ تُجَـدِّدُهُ
بَغْدَادُ حِصْنُ المُلوكِ تُؤْمِنُهُمْ مِنْ كُلِّ بَاغ يَخْشَى تَوَرُّدُه
وأَهْلُهَا فى الخُطُوبِ جَيْشُهُمْ بغَـيْر رِزْقٍ لِلْجَيْشِ يَنْقُـدُهُ
فَـأَيْنَ لا أَيْنَ مِثْلُهـاَ بَلَدٌ بـحَـافِظٍ مُلْكُـهُ يُـؤَكِّـدُهُ
فَلَا تُرِدْ غَيْـرَهاَ بِهـاِ بَلَدًا أَسْلَمُ سَـيْرِ المُغِـذِّ أَحْمَـدُهُ
والأمرُ منْ بَعْدِ ذَا وذَاكَ إِلى مُعَـوَّدٍ للصَّوابِ يُـوجِـدُهُ
فَـإِنَّـهُ أَعْلَمُ المُلُوكِ بِمـا يَفْعَـلُ واللهُ فِيـه يُـرْشِـدُهُ

وقال أبو بكر الصولى[٣٢]:

كان وعدِى أَوّلَ الشهرِ بما هَانَ مَوْلِـدْ

(٣٠) العَيْث: الإفساد. (٣١) الخطام: الزمام.

(٣٢) معجم الشعراء - المرزبانى ص ٤٦٥.

لم يذكر هذه المقطوعة أحد سوى المرزبانى، وقد أثبتها فى معجمه ضمن المقطعات التى وقعت فى يده والتى استشهد بها على شاعريته.

فمضَى غيرُ ليالٍ عاد فيها البدرُ أرمدْ
ناحلُ الجسمِ له نورٌ عن الأفقِ مُقَيّدْ
شبهها نصف سوارٍ من نضارٍ[٣٣] يتوَقّدْ
قَدْ جلاهُ الفجرُ للناظرِ فى ثوبٍ مُوَرّدْ
وكأن الزَّهرَ من أنجمه دُرٌّ مُبَدَّدْ
طَالَمَا فرّق يومًا من ثياب اللّيْلِ أَسْوَدْ

وقال أبو بكر الصولى[٣٤]:

يَا مُذِيقِى غُصَّة الكَمَدِ ... مُشْعِلاً للنَّارِ فى كَبِدِى
أَلِذَنْبٍ كَانَ هَجْرُكَ لِى ... أَوْ دَلاَلَ الغُنْجِ والغَيَدِ[٣٥]
حين أَزْمَعْتَ[٣٦] الرحيلَ ضحىً ... أَزْمَعَتْ رُوحى عَنِ الجَسَدِ
مَا أُبالِى مَايفُوتُ إِذَا ... ظَفِرَتْ بالوصلِ مْنكَ يَدِى
قُلْ لِخَيْرِ النَّاسِ كُلِّهِمِ ... لَا أُحَاشِى فِيهِ مِنْ أَحَدِ
الذِّى يَرْضَى الإِلَهُ بِهِ ... مُذْهِبًا لِلْغِّى بالرَّشَدِ
حَاسِدِى فى حُسْنِ فِعْلِكِ بِى ... غَيْرُ معذُولٍ عَلَى الحَسَدِ
قَدْ دَهَتْنِى الآنَ دَاهِيَةٌ ... وَسْمُهَا بَاقٍ عَلَى الأَبَدِ
أَنْتَ يَاأَعْلَى المُلُوكِ يَداً ... عُدَّتِى فِيهَا وَمُعْتَمَدِى
نَوْبَتِى قَدْ ذَلَّ جَانبُهَا ... بِيعَ مِنْها النَّوْمُ بالسُّهْدِ

---

(٣٣) النضار: الذهب.

(٣٤) الأوراق – أخبار الراضى بالله والمتقى لله ص ١١٦

لم ترد هذه القصيدة فى أى مصدر آخر من المصادر الأدبية، وانفرد الصولى بذكرها فى أخبار الراضى بالله وهى فى مديح الخليفة الراضى، وفيها يطلب منه أن يعطيه مثلما أعطى لبعض ندمائه وكان أعطاهم خمسة دنانير لكل واحد فى كل دينار عشرة دنانير (راجع الخبر ص ١١٥، ١١٦).

(٣٥) الغيد: النعومة.

(٣٦) أزمع: عزم على.

ضَعَّفَ الحِرْمَانُ قُوَّتَها ... بَعْدَ حُسْنِ الأَيْدِ[٣٧] والجَلَدِ

لا تُطِعْ فِيناَ الوُشَاةَ فَقَدْ ... جَعَلُونَا ضُحْكَةَ البَلَدِ

حِينَ فَازُوا دُونَنَا بِيَدٍ ... مِنْكَ واسْتَوْلُوا على الأَمَدِ[٣٨]

وَرَأَيْنَاهَا مُعَايَنَةً ... إنَّ هَذَا مُنْتَهَى الكَمَدِ

بَعْدَ أَنْ كُنَّا بِفَضْلِكَ فى ... طِيبَ عَيْشٍ دُونَهُمْ رَغَدِ

فَأَنِلْنَا ما أَنَلْتَهُمُ ... خَمْسَةٌ تُوفِى عَلَى العَدَدِ

أَوْ فَزِدْناَ مِثْلَ عَادَتِنَا ... لَيْسَ غَمْرُ الجُودِ كالثَّمَدِ[٣٩]

عِنْدَنَاَ مِنْ فِعْلِهِم تِرَةٌ ... فَأَزِلْها اليَوْمَ بالْقَوَدِ[٤٠]

لَمْ تَزَلْ بالبَذْلِ تَبْدَأُنَا ... فَاجْعَلْنَها الآنَ دُونَ غَدِ

وَلْيَكُنْ إنْ شِئْتَ مُكْتَتِماً ... إنَّنَاَ مِنْهُمْ عَلَى رَصَدِ

وَأَزِلْ نَحْسًا بِرُؤْيَتِهِمْ ... طَالِعاً مِنْهُمْ بِمُفْتَقَدِ

وعَلَيْهِمْ لَا عَلَيْكَ بِهِمْ ... دَابِرَاتُ السُّوءِ والنَّكَدِ

وقال أبو بكر الصولى[٤١]:

ونَيلُوفرٍ يحكى لنا المسكَ طيبُهُ ... تراه على اللَّذَّاتِ أفضل مسعدِ

قد إجتنِ خوفَ الحادثاتِ بجنةٍ ... تروق كثوب الرَّاهبِ المتَعَبِّدِ

تركبُ كالكاساتِ فى ذهبيةٍ ... على قُضبٍ مخضرّةٍ كالزَّبَرْجَدِ

وأُلبس ثوباً يفضل اللحظَ حسنهُ ... كما عبَثَتْ عينٌ بخدٍّ مُوَرّدِ

---

(٣٧) الأيد: القوة والشدة.

(٣٨) الأمد: الغاية.

(٣٩) الثمد: القليل الذى لا مادة له.

(٤٠) القود: القصاص.

(٤١) زهر الآداب وثمر الألباب – لأبى اسحق الحصرى القيروانى ٢١٢/٢ لم يذكر هذه القصيدة أحد سوى الحصرى القيروانى، وقد أثبتها فى كتابه زهر الآداب ضمن المقطعات التى وقعت فى يده – ويسبق هذه القصيدة رواية خبر للصولى عن ظبى داجن، هذا ولم أجد فى أى مصدر آخر شيئا منها، ولم أجدها فى كتب الصولى.

غَـذَّتْه أهـاضيبُ السماءِ بـدرِّها   تروُح عليهِ كلَّ يومٍ وتغتدى
تلبسُ لـلأنوار ثـوب سمائـه   ففضل عنه الحسنِ فى كل مشهدِ
وفى وسطه منه إصفرارٌ يزينُهُ   كياقوتةٍ زرقاء فى رأسِ عَسْجَدِ
أطاف به أحوى المدامع شَادِنٌ[٤٢]   حكىَ طرفَ من أهوى وحسن المقلدِ
كما أَخَذَ الظمآنُ بالفم كأسَهُ   ولم يَسْتعَنِ فى أخذِهِ الكاس باليدِ

قافيـة الـراء

وقال أبو بكر الصولى[٤٣]:

وحمـرةُ الخَـدَّين ممـزوجـةٌ   لاَئحِةُ الصُفْرة بِعـدَ إِحْمِرَارْ
كـأنمـا أَبْـدَلَهـا مُـلْبِسٌ   مِنْ خِلَعِ الوَرْدِ قَميصَ البَهارْ

وقال أبو بكر الصولى[٤٤]:

يـا أَميـرًا مـاَ رأَينـاَ   مْـثَلهُ فَـضْـلاً أَمـيـرا
يـا أبا العَّبـاس يا شمـ   ـسـاً ويـا بَـدْرًا منيـرا
يـا كبيرَ العَقْـلِ والـ   آداب مُذْ كـان صغيـرا
والـذَّىِ نَـكْـذِبُ إنْ   قسنـاَ بهَ يـوْمًـا نَـظِيـرا
قَـدْ أتىَ عَبْـدَكِ شِعْـرٌ   مْـنـكَ خـلاَّهُ حَسيـرا

(٤٢) الشادن: الغزال.

(٤٣) أخبار البحترى للصولى – ص ٧٦، ذكر الصولى هذين البيتين فى أخبار البحترى، ولم أجدهما فى مصدر آخر.

(٤٤) الأوراق – أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ٦٠.

لم يذكر هذه القصيدة أحد سوى الصولى نفسه – وقال إنها كانت ردا على رقعة وصلت إليه من الخليفة الراضى يستفسر فيها عن صحته. ويقول: «واعتللت وهو أمير فتأخرت عن خدمته والنوبة التى كانت علىّ، فكتب إلى رقعة.. فكتبت الجواب.. (القصيدة).

بَعْدَ سَبْقٍ من خَطَّارِ الـ ـشِّعْرِ من كان خَطِيرا
حَسَنٌ اللَّفْظِ يُحَاكِي رَصْفُهُ الدِرِ النثيرا
مَلأَ الجسمَ شِفاءً وحَشَا القَلبَ سُرُورَا
كَأَن مِنْ عَارِضِ شكـ ـوايَ ومنْ دَهْرِى مُجِيرا
لَيْسَ ما يَدْخَرُهُ عِنْـ ـدِى من الشُّكْرِ يَسِيراَ
سَوْفَ أُهْدَى منْهُ رَوْضًا جَاَوَرَتْ منْكَ غَدِيرا
كَمْ عَسِير عَادَ لِى منْ حُسْن نُعْمَاكَ يَسِيرًا
قَدْ يُرى العبْدُ وإنْ قَلَّ بِمَوْلاَهُ كَثِيرًا

وقال أبو بكر الصولى[٤٥]:

يتفادَى أعداؤه من خطيب بيديه يروضُ عقلاً وفكرا
ناحُل الجسمِ ليس يعرف من كا ن نعيما وليس يعرف ضُرًّا
ناطقٌ فى الوَرَى بلفظٍ سواه مذهب اللون قد تطرف جرا
قلمٌ يجلبُ السوادَ ويجْرِى مع جَرْىِ المدادِ نفعاً وضُرًّا
ضامرُ الكشح مُخَطَّبُ الجيدِ مذ حذف شابوره وقدر شبرا
ويدٌ ما تَزَالُ تنشرُ وشياً فى قراطيسِهِ وتَنْثُرُ دُرًّا

وقال أيضا[٤٦]:

قُلْ لِخَيْرِ الكفاةِ أحمد أَعْلَى الـ ـخَلْقِ جودًا وأعظمُ الناسِ قَدْراَ

---

(٤٥) أدب الكتاب للصولى ص ٧٨ - لم يذكر هذه المقطوعة أحد سوى الصولى وقد أثبتها فى كتابه أدب الكتاب ضمن المقطوعات التى استشهد بها فى (وصف القلم شعرا). ولم أجدها فى أى مصدر آخر.

(٤٦) الأوراق - أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ٢٠٢ - انفرد بذكر هذه القصيدة الصولى فى كتابه الأوراق - أخبار المتقى لله - ولم أجد أيا من أبياتها فى أى مصدر وآخر. أما عن مناسبتها فيقول: زوج الوزير البريدى ابنته من عبد الواحد أبى المنصور بن المتقى لله وركب إليه إلى النجمى، فنثر عليه دنانير كثيرة. يقال إنها كانت بدرة وقيل خمسة الآف دينار ومائة ألف درهم وأنشدت للوزير فى عشية ذلك اليوم.. (القصيدة).

والـذى يَـعشَـقُ المكـارَمَ والْـ — ـمَجْدَ ويَشرى بالمالِ حَمْداً وشُكْرا

مـا رَأى النـاسُ بـالـوزيـر البُـرَيْـ — ـدِىِّ كَـذَا اليـوم حُسْنًـا وفَخْـرا

أَمْـطَرتْنَـا السَّماء فيـه بيُمْنٍ — وَسَـمَاحٍ منْهُ لُجَيناً[٤٧] وتِبْـرا[٤٨]

فـالدَّنـانِيرُ هَـاوِيـاتٌ تُحـاكِى — أنْجُمًـا فى السَّماءِ تَنْقضُّ زُهْـرا

وَتَـلِيهـا دَرَاهِـمٌ مُـشْـبِـهَـاتٌ — أَبْـرُدًا تَـمْـلأُ الأمـاكِـنَ نَـثْـرا

نَـافِعَـاتٌ لِلحـرْثِ لا يَـذْهَبُ الحَرْ — ثُ فَسَـادًا ولا يُصَـاحِـبُ قَـطْرا

غَيْـرَ أَنَّى انْصَـرَفْتُ كـاَسِف بَـالٍ — آسِفـاً خَـالِيـاً مِنَ الكُلِّ صِفْـرا

مُضْمِـراً حَسْـرَةً لـذَاكَ وغَمـاً — وَآجِـدًا فى العِـظَامِ منِّى فَتْـرَا

سَـاكِنًـا إنْ سُئِلْتُ عن قَـدْرِ حَظِّى — لَمْ أجِـدْ لـلسُّؤَال عِنْـدى خُبْـرَا

جَمَـعَ الله ذَا عَـلِىٍّ وعَـيْـذًا — سَـالِكًـا بِى مِنْ التَّقَـلُّلِ وعْـرَا

شَـاهِـرًا لِلغنِىِّ سَيَفًـا وَقَـتًّـا[٤٩] — لاَبـهِ رأْىٌ يُـعَـالِـجُ فَـقْـرا

فَـأغْـنِنِى كَيْـمَا عُهِـدْتُ عَـلَيْـهِ — بِعَـطَايَـا أَكْـرَم النَّـاسِ طُـرًّا

وقال أيضا[٥٠]:

وشاورتُ فى أمرِى الذين أوَدُّهم — ولايجُد النُّجحَ الذى لايُشَاوِرُ

لأبلغَ عُذرًا فى الذِى قد رَأيْتُهُ — ولاذَنْبَ لِى فيما تَجُرُّ المقادِرُ

وقال أبو بكر الصولى[٥١]:

عَذَلْتُ امْرءًا فى عِشْقِهِ لَيْسَ بَعْذُرِكْ — أمَاَ عَاشَ أَنْ يَنْهَاكَ عَنْهُ وَيَزجُرُكْ

---

(٤٧) اللجين: الفضة.

(٤٨) التبر: الذهب.

(٤٩) القَتّ: نم الحديث.

(٥٠) أخبار أبي تمام للصولى ص ٥٣ – ذكر الصولى هذين البيتين فى كتابه أخبار أبي تمام – وقال إنها من أبيات له فى المشورة، ولم يردا فى أى مصدر آخر.

(٥١) الأوراق – أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ٢٧٣ – لم يذكر هذه القصيدة أحد من المترجمين أو الأدباء، وذكرها الصولى وأثبتها فى كتابة الأوراق، أخبار المتقى لله وقال أنه مدح بها الأمير توزون – أما عن مناسبتها فيقول: «لما استكتب الأمير أبو الوفاء توزون أبا جعفر محمد بن يحيى، وقدم بغداد، دخلت إليه فأنشدته... (القصيدة) ».

مَتَى لم تُحِطْ خُبْرًا بما صَنَعَ الْهَوَى   بمَنْ فَارَقَ الأَحْبَابَ فالدَّمْعُ يُخْبِرُكْ
أَمَا لَوْ بلوتَ الحُبَّ واقتَادَكَ الهوَى   إلى هجرِ مَحْبُوبٍ لقَلَّ تَصَبُّرُكْ
شَرِبْتُ كؤوسَ الحُبِّ صِرْفًا وَدُوَن مَا   شَرِبتْ من المَمْزُوجِ مالا يُسَكِّرُكَ
عَلَى اليُمْنِ والتوفيقِ أُلْبِسْتَ خِلْعَةً   بهـا المُتّقى لله بالحقِّ يُـؤْثِـرُكْ
وفى خِصْرِهَا قَاض كَرَأْيِكَ فى الْعِدَا   بِـهِ تَنْقَضى أَعْمَـارُهُمْ ويُعَمِّـرُكَ
رَآكَ أَحقَّ النَّاسِ بالإمْرَةِ التى   يمازِجُ فِيهَا جَوْهَرَ المُلْكِ جَوْهَرُكَ
يُقَـدِّم للمقـدُورِ دَهْـرٌ مُعانِـدٌ   سِـوَاكَ إِلَيْها ظَـالِماً وَيُـؤَخِّـرُكْ
إلَى أَنْ وَفَا بالوَعْدِ فيكَ أَبُو الوَفَا   فكُـلُّ أَميرٍ بـالصِّغـارِ يُـؤَمِّـرُكْ
لَئِنْ كانَ للأتْراكِ فَخْرٌ بهَـاشِمٍ   فَقَدْ زَادَهُمْ فى البَأْسِ والفَخْرِ مَفْخَرُكْ
مَلَكْتَ فَمَلَّكْتَ المُنَى كلَّ راغبٍ   فموردُكَ الإحسانُ والحَقُّ مَصْدَرُكْ
إذَا كَـاثَر الأَتـراكُ يَوْمًـا بسَيِّدٍ   فَمَا أَحَدٌ فى سالفِ الدَّهْرِ يكْثُرُكْ
وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ ماجِـدًا مُتَقَدِّمًـا   فَهُمْ رَهْطُكَ الغُرُّ الكِرَامُ ومَعْشَـرُكْ
طُبِعْتَ عـلى عَقْـلٍ وجُـودٍ وَنجْـدَةٍ   فـما تَسْتَطِيعُ الحَادِثَـاتُ تغَيُّـرُكْ
وسيَّانِ فى الأعْدَاءِ مَخْبَرُكَ الذى   بِهِ يَنْصُـرُ اللهُ الولَّى وَينصُـرُكْ
وهَلْ تَجِدُ الأَعْدَاءُ عِنْدَكَ غِـرَّةً   وأَبيَضُكَ الموتُ المُرَجَّى وأَسْمَرُكْ
ومَا نَصَرَ اللهُ إمرءًا أنتَ حَرْبُهُ   وأَنَّى لَهُ بالنَّصرِ واللهُ يَنْصُـرُكْ
تَخَيَّـرَكَ البارِى أميـرًا مـظفـرًا   تَبَـارَكَ فى تَـدْبِيـرِه متَخَيِّـرُكْ
رأيتُـكَ للسلطانِ مُحْيِى[٥٢] دَوْلَةٍ   فهذَا اسمُكَ الأَولَى بوصْفِكَ يُشْهِرُكْ
تَسَمَّ بِـهِ تَكْبِتْ عَدُوًّا وَحَـاسِدًا   كما قَدْ تَسمىَّ قَبْلُ مَنْ لَيْسَ يعْشُـرُكْ
إذا إلْتَقَتِ الأَقْرَانُ واحتَدَمَ الْوَغَا   فَسَيْفُكَ بالنَّصرِ الْقَريبِ يُبَشِّـرُكْ
عُـرِفْتَ بإقْـدَامٍ وَفَتْـكٍ وجُـرْأَةٍ   فَمَا أَحَدٌ فى كُلِّ ذلِكَ يُنْكِـرُكْ
وَإنْ جَرَّ يومًا عَسْكرًا ذُو تَجمُّعٍ   فسيفُكَ فَرْدًا فى قِتَالِكَ عَسْكَرُكْ

---

(٥٢) فى الأصل (محِنى) مع تشيد النون وفتحها، والأصوب ما أوردت.

تُدَبِّر فى تُرْبِ السِّنين أُمُورَنَا — بـرَأْىٍ مُصَيبٍ والالَـهُ يُـدَبِّـرُكْ
وَعَدْتُكَ هَذَا الأمْرَ مِنْ قَبْل كَوْنِهِ — وَوَعْدُكَ لِى بالْبَذْلِ لاَ شَكَّ يُنْذِرُكْ
وهَـذَا مَسِيحىٌّ بقَـوْلِى شَـاهِـدٌ — وحَسْبى بِهِ عَدْلاً بوَعْدِكَ يُذْكِرُكْ
وَمَازِلْتُ مُذْ عَايَنْتُ شَخَصْكَ دَائباً — لِمَا نِلْتَهُ أُثْنى عَلَيْكَ وأَشْكُرُكْ
لَقَدْ ظفرَتْ كَفَّاكَ بالمالِ والْعِدَا — برَأْىِ ابنِ يَحْيىَ القَرْمِ (٥٣) واللهُ يُظْفِرُكْ
وَثِقْتُ بِإِدْبَارِ النُّحُوسِ عَنْ الْوَرَى — وإقْبَالِ سَعْدٍ حينَ صَارَ يُدَبِّرُكْ
أَبُو جَعْفَرٍ فى الرأىِ والعَقْلِ وَافِرٌ — بِهِ اللهُ بَعْدَ الإِنتقاصِ يُوَقِّرُكْ
سَيُـورِدُكَ الْعَذْبَ الـزُّلاَلَ مُجَرِّبٌ — عَلِيمٌ بتدبيرِ الوَرَى كَيْفَ يُصْدِرُكْ
لَقَدْ ظَفَرَتْ كَفَّاكَ منهُ بفَـاصِلٍ — بِهِ اللهُ مِنْ بَعْدِ الْقَلِيلِ يُكَثِّرُكْ
فَـلاَ زَالَتِ الأَيامُ سِلْماً مُـطِيعَـةً — تُوَفِّيكَ ما تَخْشَاهُ فِيهاَ وَتخْفُرُكْ
وَفُزْتَ بِمَاَ تَهْوى وَصَالَتْ عَلىَ العِدَا — سُنُـوكَ بتَمْليكٍ عَلَيْهِمْ وأَشْهَـرُكْ

وقال أيضا(٥٤):

وغناءٌ أرقُّ من دمعةِ الصـ — ـبّ(٥٥) وشكوىَ المتيَّمِ المَهْجُورِ
يشغلِ الفهمَ عن تظنٍ وفهمٍ — فهو يصغى بظاهر وضميرِ
صافحَ السمعَ بالذى يشتهيهِ — فأذاقَ النفوسَ طعمَ السُّرُورِ
لبس بالصَّائلِ الضعيفِ إذَا ما — راضى نعما ولا الشَّنيع الجهيرِ
يجتنى السمعُ منه أحسنَ مما — تَجْتَنىِ العينُ من وُجُوهِ البُدُورِ

---

(٥٣) القرم: السيد المكرم.

(٥٤) ذيل زهر الآداب – أبى اسحق الحصرى ج٣ ص ٢٦٣.

لم يذكر هذه المقطوعة أحد سوى الحصرى القيروانى، وقد أثبتها فى كتابه ذيل زهر الآداب ضمن المقطوعات التى وقعت فى يده، ولم أعثر عليها فى كتب الصولى. وقد أوردها الحصرى فى مجال حديثه عن مجلس من مجالس الصولى، وقال إنه نظمها فى القيان.

(٥٥) الصب: الذى يعانى الشوق.

وقال أيضا[٥٦]:

ولا تنسَ التفضُّلَ من إلهٍ ... عليكَ بإخوةٍ نُجباءَ زُهرِ[٥٧]
يُرَدُّ الطرفُ من حَذَرٍ عليكم ... كـأنكم نجومٌ حـولَ بـدْرِ
أثـافى سُؤْدَدٍ تمت بـطود ... فكان مثلثا ونجوم نَسْرِ[٥٨]
وأشبُلُ غِيضَةٍ تحمىِ عَرِيناً ... وأَسْهُمُ صَائبٍ جاءت لِقَدْرِ
فعُمِّىَ عنكمُ طرفُ المنايَـا ... وقُلِّمَ من شَباها كُلُّ ظُفْرِ
ولا زالَ العدوُّ لكم مطيعًا ... مُقَارِنَ ذِلَّةٍ وحَليفَ صغْرِ[٥٨]

قافيـة الـزاى

وقال الصولى[٦٠]:

بـاركَ اللهُ لـلأميـر أبىِ الـ ... ـعبّاسِ خَيْرِ المُلُوكِ فىِ النَّيْرُوزِ
وأَرَاهُ أَوْلاَدَهُ الـغُـرُّ أَجْـدَا ... رًا بمُلْكٍ نـامٍ وعـزٍّ عَـزِيـزِ

---

(٥٦) أخبار أبى تمام – رسالة الصولى إلى مزاحم للصولى ص ١٣.

لم ترد هذه المقطوعة فى أى مصدر سوى رسالة الصولى إلى مزاحم. وقال عنها الصولى إنها من قصيدة له فى مدح مزاحم بن فاتك وأخويه أبى الفتح وأبى القاسم.

(٥٧) زهر: جمع زهر، ويقال رجل أزهر أى أبيض مشرق الوجه.

(٥٨) يريد بنجوم نسر، النسر الواقع، وهو ثلاثة أنجم كأنها أثافى، وقيل له واقع لأنهم يجعلون اثنين من جناحيه، ويقولون قد ضمها إليه كأنه طائر وقع. (راجع أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٧٢).

(٥٩) حليف صغر: أى الراضى بالضيم.

(٦٠) الأوراق – أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ٣١ – إنفرد الصولى بذكر هذه القصيدة فى كتابه الأوراق فى ثنايا حديثه عن أخباره مع الراضى – أما عن – مناسبتها فإنه قال: «كنا ليلة نشرب مع الراضى، فوصلنا وجىء برغيف كبير بحرف وافر قد عمل من ند فرمى به إلينا. وقال إنتهبوه فبدرونى، فاستلبوه دونى وسخفوا وتبذلوا حتى تكشف واحد منهم، وكل ذلك بعينه فسألته العوض فقال: «صف أمرك معهم وصف الزبيدية فإنك مشغوف بها، وأنا على العبور عليها حتى أعوضك» وانصرفت فعملت فى ذلك قصيدة زائية هى من خير زائية قيلت قط «فلذلك أذكرها» وكان ذلك فى أيام النيروز ... (القصيدة).

فهو أَوْلَى به وبالجودِ فيه ... من ابْرَوِيزَ وَمِنْ فَيْرُوزِ
لَهُمَ فى الهلالِ هُرمُزْرُورٍ ... وَلَنا الدَّهْر فيكَ هُرمُزْرُوزِ
فاقْتَبِلْ جِدَّةَ الزَّمانِ بعامٍ ... بَارِزٍ باللُّجَيْنِ والإبْرِيزِ
ضَاحِكاتٍ أيامُهُ طائعاتٍ ... طَاعَةَ الحِبِّ بعد طُولِ النُّشُوزِ[٦١]
واقْضِ حَقَّ النَّيْرُوزِ فيه بكَأسٍ ... مُزْعِجٍ سَقْيُها بكأسٍ وكُوزِ
فيه نَقْشٌ مُلَوَّنٌ من يَدَى مَنْ ... لم تَشُبْهُ مَعَايِبُ التَّلْوِيزِ
طَلَعَتْ شَمْسُ وَجْهِهِ تَحْت داجي الـ ... ـشَّعَرِ الجَعْدِ صبغَةَ الشِّيرُوزِ
مِنْ عَقَارٍ تَرَى الفَتِيَّةَ مِنْهَا ... عَجَزَتْ عن كَمَالِ حُسْنِ العَجُوزِ
يَشْتَكِي كَرْمُها الأُوامَ[٦٢] لَدَى القُطْـ ... ـفِ وَما زَال كَارِعاً فى البُرُوزِ
وعلى مُقْبِلٍ من السَّعْدِ مَحْجُو ... بٍ عن النَّحْسِ والأَذَى مَحْجُوزِ
بالزُّبَيْدِيَّةِ المُشَهَّرَةِ الحسْـ ... ـنِ وحَوْزِ[٦٣] اللَّذَاذَةِ المَاحُوزِ
وصُنُوف من الجَوَاهِرِ تَبْدُو ... كُلَّ يَوْمٍ مِنْ كَنْزِهَا المكْنُوزِ
يَاسَمِينٌ حَكَى قُرَاضَةَ تِبْرٍ ... فتقُوا طيبَهُ بِمَرْ مَاحُوزِ
يضْحَكُ الوردُ عنده بين نِسْرِيـ ... ـنَ وبُسْتَانُ لعهم[٦٤] آبروزِ
وَرِياحٍ من الرياَحِين أَدَّتْ ... نشرَ مِسْكٍ بعنْبَر مَعْرُوزِ
وبها من حَمَاحِمٍ هَامُ زَنْجٍ ... مُشْرفاتِ الطُّلَى على سينيزِ
ومياهٍ يشكوُ الجداوِل أَبْسًا ... لم تُمَزِّقْهُ حادثاتُ النُّزُوزِ
وبِنَارِنْجِها المُحمَّل تِبْرًا ... ومياهُ من آسها المَجْزُوزِ
ونخيلٍ ترفَّع النَّوعَ منها ... عن جِوار الأنْقَالِ والشُّهْرِيزِ
وبها الطَّلْعُ مثل بيض أَكُفٍ ... بَرَزَتْ من مخصرَّاتِ القُرُوزِ

(٦١) النشوز: عدم الطاعة.

(٦٢) الأوام: حر العطش.

(٦٣) الحوز: الجمع.

(٦٤) فى الأصل هكذا بدون اعجام. ولعلها (بستان لعبهم) وفى قاموس أدى شير (بستان ابروز).

وتَجَافَتْ عنها الجُفُوفُ فُشبِّهـ   ـن كمامًا مُفَتَّقَاتِ الدُّرُوزِ

كَمْ زمانٍ مضَى بها مُسْتَلَذٍ   لَيْلُنَا فيه مثلُ لَيْلِ الحزيزِ

قَبْلَ أن تَرْحَلَ البوارحُ عَنَّا   وتُحَطَّ الرِّحَالُ من تَمُّوزِ

رَضِىَ الرَّاضِىَ الالـهُ لمُلْكٍ   عَزَّزَ الدينَ أيَّما تَعْزِيزِ[٦٥]

فَهُو بالله فى مَحَلٍّ أَمَانٍ   تَحْتَ حِرْزٍ من القضاءِ حَرِيزِ

أيَّـد اللهُ مُلْكَـه بنَصيحٍ   رَازَ منه الزَّمانَ أذكى مَرُوزِ

بوزير مُؤيِّد الرَّأىِ قَدْ حَا   زَ بيُمْنِ التَّدْبيرِ خيرَ مَحُوزِ

فكُنُوزُ الآباء ثابتَةٌ منهُ   كلَّ يوم مُجَدَّدٍ بِكُنُوزِ

قَلَمٌ يملكُ الوَرَى فهو أَمْضَىَ   من حُسَامٍ على الأعادى جَرُوزِ

ومن السَّهْمِ حينَ يَسْتَلِبُ العُمْـ   ـرَ اخْتِطَافاً وعاملٍ مَجْلُوزِ

حَتَفَ اللهُ مردواجَ بحدٍّ   منهُ فى أَنْفُسِ الوَرَى مَرْكُوزِ

كم عَدُوٍ أَبَادَهُ غيرَ مَقْبُو   نٍ بمَرْدى الرَّدَى ولا مَجْنُوزِ

وكذا يَسْتَمِرُّ فى كُلِّ عاصٍ   وَنبيطٍ لَهُمْ عُتَاةٍ وخُوزِ

غَرَزُوا كالجرادِ نَسْلَ فسادٍ   مَحَقَ[٦٦] اللهُ ذاك مِنْ تَغْرِيزِ

فهو كالشُّهْدِ للنَّصِيحِ المُوَالىِ   وكسيفٍ عَلَى العِدَا مَهْزُوزِ

لَمْ يضقْ بالأمورِ صدرًا ولا أصـ   ـبَحَ فيها كحائرٍ مَلْهُوزِ

وَعلىٌّ كذَاكَ غَيْرُ ظَنِينٍ   فى مُرَاعَاتِهِ ولا مَلْمُوزِ[٦٧]

بَلْ يُنادى الأعْدَاء منه برأى   غير مُسْتَنْقَصٍ ولاَ مَغْمُوزِ[٦٨]

فـرداءُ الشبابِ ضَافٍ عَلَيْهِ   وهو ذُو حُنْكَةٍ ورأىٍ مَرِيزِ

كَمْ عَدُوٍ يبيتُ منهُ عَلَى صِـ   ـحَّةِ جسم بلَيْلِهِ المَنْكُوزِ

---

(٦٥) فى الأصل «عز ذا الدين» مع فتح النون.. ولعل الصواب ما ورد.

(٦٦) محق: أبطل وذهب ببركته.

(٦٧) اللمز: العيب.

(٦٨) مغموز: مطعون فيه؛ محزوز: مقطوع.

يا أجَلَّ المُلوكِ عَقْلًا وعِلْماً ... مُفرَدَ السّبقِ غَيْرَ ما مَلْزُوزِ
لَكَ عَبْدٌ كَسَاكَ فاخِرَ مَدحٍ ... رائِقٍ لُبْسُهُ لباسِ الخُزُوزِ
لَمْ يَشِنْهُ ذكرُ السَّباسِبِ والوَصْـ ... ـفُ لعيسٍ تحت الرِّحال جَمْوزِ
من قوافٍ على سواه صِعَابٍ ... سُبَّقِ الجَرْى ظاهرات البُرُوزِ
خَطَرَتْ نَحْوكَ القَوافي بمدحٍ ... غيرِ مُسْتَهْجَنٍ ولا مكْزُوزِ
بيْن صادٍ وبينَ ضادٍ وسين ... ثم زاىٍ مُبينةِ التَّبريزِ
سائلِ الطبع مُشْرقُ اللَّفْظِ سَهْلٌ ... ما تُغشِّيه ظُلْمَةُ التَّكْريزِ
فائضٌ ماؤُه يجيء مُطيعاً ... غيرَ مُسْتَجْلَبٍ ولا مَنْحُوزِ
يَرْجعُ الشِّعْرُ عنه حِينَ يَساميـ ... ـهِ بأنفٍ مُجَدَّعٍ مَحْزُوزِ[69]
مَنْ يَرُمْ نسجَ مثله تَخْتَطِفْهُ ... لامعاتٌ من ذلك التَّطْريزِ
قَصَّرَ المُخْلِفُ المُعَلَّمُ عن فيـ ... ـض صَيُودٍ مُعاوِدِ التَّكْرِيزِ
وكذا لاَ يقُاسُ بين خَسِيفٍ ... فائِضٌ عدُّهَا بِبئْرِ نَكُوزِ
جُزْتُ فيه مَيْدَان قُوْمَ أراهُمْ ... شُعَراءً بالخَطِّ والتَّجْويزِ
يَسْتَميزُونَ لَفظَ غَيْرِهم فيـ ... ـه غِلَاباً كَغَارة التَّكْليزِ
بقوافٍ مَدُوسَةِ ومَعَانٍ ... مُخْلِقاتٍ ومَنْطِقٍ مَرْمُوزِ
وكَزُوهُ[70] لِيَلْحَقُوهُ فآبُوا ... بِقَصيرٍ عن المَدَى مَوْكُوزِ
حُرِمُوا الطَّبْعَ صاغرينَ فَسارُوا ... مِنْ طَريق إليْه غيرِ مَجُوزِ
عَجَبٌ والقَضَاءُ يُقْعد ذا القُـ ... ـوَّة عَنْ خُطْوَةِ الضَّعيفِ الْعَجيزِ
كيف يحوى التَّجْويدَ صاحبُ قَلْبٍ ... مُوجَعٍ من تأسُّفٍ مَوْخُوزِ
لا أرَىَ كارعًا لَهُمْ فى إناءٍ ... لَاَ ولَاَ فى بحارِهِمْ ذا نُهُوزِ
ليسَ لى غُلَّةٌ تُحَصِّل ممَّا ... فى مَوَازِينهمْ ولا فى قَفِيزِ

---

(٦٩) محزوز: مقطوع.

(٧٠) وكز: ضرب ودفع.

لَا ولَآلِى فى أرضهم قيدُ شِبْرٍ ... فى وِهادٍ لَهُمْ ولا فى نُشُوزِ
درَّةُ الغُـزْرِ هـاميـاتٌ عَلَيْهِمْ ... وَلَنـاَ درَّةُ القَـطُوعِ العـزُوزِ
غَرَّزُوا أَرْجُلَ الطَّمَاعَةِ فى رُكْـ ... ـبٍ أَخَسَّتْ مِقْـدَارَهُمْ وغُـرُوزِ
لو يكونُ التجويدُ دارَ ثَـوَاءٍ ... لَمْ يجوزُوا منها مدى الدِّهْليزِ
قلت إذْ جُوِّزَتْ بغيرِ انتقابٍ ... لكَ حَظُّ القِنَاعِ فينا فجوزى
فَـازَ مِنْهُمْ جماعـةٌ بـأُنَـاسٍ ... واتِّكَـالى عَلَيْكَ فى التَّفْـويـزِ
لستُ أرجـوُ سـواكَ بعـدإلَهى ... عِنْـدَ تَقْصِيـدِهِم ولا التَّـرْجيـزِ
وَوَزيـرَيْن جَهَّـزَانـى بجُـودٍ ... نَعَّشَـانى بـذلـك التجهيـزِ
حَينَ عَىَّ الزمانُ عن ذكْرِ حَظِّى ... جَبَـرَا فـاقَتِى بجُـودٍ وَجِيـزِ
أنتَ أدْرَى بالشِّعرِ من قائِليِهِ ... فاقْضِ فيه بـالحَزْمِ والتعجيـزِ
وكـذا العلمُ بـالمحَّـرِكِ والسَّـا ... كِنِ فى نَحْـوِهـمْ وبـالمَهْـمُـوزِ
لَيْس إلَّا الـذى يَـضُـمُّهـمُ المجْـ ... ـلِسُ لـلانْـتِـحَـالِ والـتـمـيـيـزِ
فَهُمُ فَوْقَ مَنْ يَرَى قولَ حَقٍ ... غيـرَ مسْتَنْكَـرٍ ولا مَنْهُـوزِ
فأَجِزْنِى بِقَـدْرِ علمكَ بـالأشْـ ... ـعارِ يـا خيـر منعم ومجيـزِ
بدنانيرَ لا أُحَالُ على الجِهْـ ... ـبِذِ فيها وَلَا على كُتْبُ رُوزِ
وَرَغيفُ النَّـدِّ الـذى غَصَبُـو ... نِيـهِ وأكْرم بـذَاكَ مِنْ مَجْنُوزِ
غَلَبتنى عَلَيْـه أيدِى نهـابٍ ... نَهَـزَتْـهُ بحَـظِّهـا المَنْهُـوزِ
سبَقَتْنى إليـه سبْقَ ذئـابٍ ... خـاطِـفـاتٍ بـهِـزَّةٍ وأَزيـزِ
كان خَتْلاً(٧١) منهم كَخَتْلِ الحوارىِّ ... سَيفِ الله ذِى الرَّدى جُرْمُوزِ
لو خَشِيناَ البِدارَ مِنْهُمْ لِعِثْنا ... فيهم كـالُّليوثِ فى الأمْعُـوزِ
ثُمَّ آبـوا بجانبٍ طَيِّبِ النشْـ ... ـرِ وأبنْـا بجـانبٍ مَخْبُـوزِ
لَهْفَ نفسى عليه مُلْقىً كترسٍ ... وافرِ الحَرْفِ مُشْرفِ التَّغريـزِ

(٧١) الختل: الخداع.

فَـدُموعى من التَّـأسُّف تَجْرى جَـرْىَ وَفْرَاء وافيـاتِ الخُزُوزِ
جَمَـزَتْنى فَـوَايتُ الحظِّ منْـهُ وابـلَائى من حَظِّىَ المجمُـوزِ
قَدْ رأى سيِّدى وُقُوفى حَيْرا نَ كَمُصْمى الـرَّمْيـةِ المَتْـرُوزِ
فابْقَ يا سَيِّدى بقاءَ ثَبيرٍ(٧٢) غَيْرَ ما مُـزْعجٍ ولا محْقُـوزِ
وَتَمـلَّ السُّـرُورَ سـائـرَ مُلْكٍ غَيْـرَ مُسْتَنْـقصٍ ولا مَبْـزُوزِ
تَتَخَـطَّى مـداسَ كـلِّ إمـامٍ قـاهرَ العِزِّ غَيْرَ مـا مَعْـزُوزِ

قافيـة السّـين

وقال أبو بكر الصولى(٧٣):

ضَحِكَ الدهرُ بعد طُول عُبُوسٍ طالعاً بـالسُّعُودِ لا بـالنُّحوسِ
وأَتَـتْـنـاَ الأيـامُ مُـعـتـذراتٍ لابسـاتٍ نَعِيمهـا بعـد بُؤسِ
بالإمام الراضى المُطلِّ على الآ داب شَمْس الملوك وابن الشُّمُوسِ
سبعـةٌ من خَـلَائفٍ ولـدُوهُ لم يكْن ذَا لغيرهِ من رئيسِ
رضِىَ الـراضىِ الإلـهُ لمُلْكٍ أَوْضَحَ النَّهج منهُ بعد الدُّرُوسِ
فهو كالخِصْبِ بعدَ وافِدِ جَدْبٍ رُعِىَ الغَضُّ منه بعد اليبيسِ
آنس الله بـالخليفـةِ مُلْكـاً مُوحِشَ الرَّبعِ واهِنِ التأسيسِ
فهو يَخْتَالُ فى الجديدِ من اللُّبْـ ـسه والحُسْن بَعد لُبْس الدَّرِيسِ
يا نسيمَ الحياةِ أضحكت دَهْراً كـان لـولَاكَ دائم التَّعْبِيسِ
إنَّ أَيَّامَكَ اللِّذاذ كوَصْلِ الـ ـحِبِّ طيبًا ونَوْمِةِ التَّعْرِيسِ

---

(٧٢) ثبير: جبل بمكة.

(٧٣) الأوراق – أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ٢١.

انفرد بذكر هذه القصيدة الصولى وقد أثبتها فى كتابه الأوراق – فى ثنايا حديثه عن أخبار الراضى – وقال: دخلت إلى الراضى فى يوم السبت بعد الخميس بيومين وأنشدته مهنئا بأحد الفتوح.

مَـرْدُوَاجُ بسيفِ حَـظِّكَ مَقْتُـو ... لُ فأَهْونْ بذَاكَ من مَرْمُوسِ

قَصَفَتْـهُ ريـاحُ أَيَّـامـكَ الغُـ ... ـرُّ فأَخْمَدْنَ منهُ نارَ المَجُوسِ

ثُلَّ عَرْشُ اللعينِ أسرع مما ... سُلِبَ العرش من يَدَى بِلْقِيسِ

وَتـوَلَّتْ بمـأتم الـدَّهْـر أيَّـا ... مُ أَتتنـا تَجُرُّ ذَيْـلَ العَرُوسِ

بَعْـدَ كُفْـرٍ لنِعْمـةٍ وقبيـحٌ ... كُفْرُ عَبْدٍ فى نعمـةٍ مَغْمُوسِ

وَجزَى المسلمينَ تُؤخذُ قَسْراً ... بخـروجٍ عَلَيْـهِمُ ومُكـوسِ

حابسُ المالِ عنهم مُسْتَضَـامٌ ... باتساعِ الأَذَى وضيق الحُبُوسِ

وكـأَنَّ العيـالَ إذ فَـقَـدُوهُمْ ... أُنْشِرُوا فى البلاد بعد الرُّمُوسِ[^74]

وكـأنىِّ بِهِمْ حَمَـايـلَ إقْبَـا ... لِ طَويلى الاطْرَاقِ والتَّنْكيسِ

حُسُّهُمْ سيفُكَ الحسام فأَضْحَوْا ... هُمَّداً منْهُ مالَهُمْ منْ حَسِيسِ

يا حَلْى الزَّمانِ يا زينةَ الأر ... ضِ ورأسِ المُلُوكِ وابنَ الرُّءوسِ

إنَّ نُصحى وصدق وُدِّى قديمٌ ... لم أَشُبْـهُ بـالـزُّورِ والتَّدْليسِ

قَبْلَ أنْ يأكل الزَّمـانُ شَبَابىَ ... خَالِساً غُرتّى بشعرٍ خَلِيسِ[^75]

ما أُطيلُ المَقَالَ خَوْفًا لإضْجَا ... رِ إمـامٍ مُـؤَيَّـدٍ مَحْـرُوسِ

وأرى الناسَ أَظْهِروا بمـديحٍ ... لىِ منْـهُ البُكُـور بـالتَّغليسِ

رُبَّ بَذْلٍ سَقَيْتَنِى منه كأسًا ... فأَعِدْ لىِ مُدَارَ تلكَ الكئوسِ

حين شَـرَّفْتَنِى فكنتُ بنُعْمَـا ... كَ جليسًا من قبل كلِّ جليسِ

ثم أَفْـرَدْتَنِى خصوصـاً ببِـرٍ ... مُفْـرَدٍ طَاهِـرٍ من التَّـدْنيسِ

إنّ بينى وبينَ دَهْرِى حربًـا ... جاوَزَتْ حَرْبَ داحِسٍ والبَسُوسِ

أَنـا منه لغيْـرِ هَجْرٍ ووَصْـلٍ ... واقفٌ بين لَـوْعَـةٍ وَرَسِيسِ

فاعْتَبِرِ مـا شكاهُ عَبْدُك منهُ ... ثم داوِ الخُنَـاقَ بـالتَّنفِـيسِ

[^74]: (٧٤) الرمس: تراب القبر.

[^75]: (٧٥) خليس: مسلوب أو مستعار.

هُوَ فى مِخْلَبِ الزَّمَانِ فرِيسٌ ... فارحَم الآنَ نَفْسَ هذا الفَرِيسِ

واسْقِهِ من سُلافِ جُودِك بَذْلاً ... فَاقَ طيباً سُلاَفَةَ الخَنْدريسِ

يُطْلَقُ الشِّعْرُ فى أُنَاسٍ وشِعْرِى ... وَقْفُ مدحٍ على الأَمامِ حَبِيسِ

لم تزل فى القديم تلبسُ منه ... مستجد الطراز غير لبيسِ

لا أُعلِّى به لعُلْوَةَ فِكْراً[٧٦] ... فى مشيبٍ لها ولاَ للعَمِيسِ[٧٧]

مِدَحٌ لم يَزِدْ عَلَيْهَا زِيَادٌ[٧٨] ... وَهْوَ خَاشٍ ردى أبى قابُوسِ[٧٩]

لاَ ولاَ حَاكَ مثلهُنَّ جَرِيرٌ ... عندَ إِيحَاشِ رَبْعِه المأنوسِ

قَامَ هذا المديحُ بالعُذْرِ منىِّ ... نائباً عَنْ نشيدِ يَوْمِ الخَميسِ

فالْقَهُ بالنَّجاحِ يا أكرَمَ الأُمَّـ ... ـةِ أُعْطِى به يَمينَ غَمُوسِ

لِىَ سَبْقُ المديحُ فيكَ على النا ... سِ وفَخْرٌ بالسبَّقِ فى التَّأسِيسِ

هِىَ حالٌ لَيْسَ الشَّبَابُ وإنْ فُضِّـ ... ـلَ خيرًا فيها من التَّعْنِيسِ

يا إِمَاماً به أُمِرَّتْ عُرىَ الحَـ ... ـقِّ وحُلَّتْ مَعَاقِدُ التَّلبيسِ

أَيَّدَ اللهُ مُلْكَه بوَزيرٍ ... عَالمٍ بالزَّمانِ طَبٍّ رَئيسِ

ضَامِنٍ بالوفاءِ منْهُ رضى اللّـ ... ـه بحفْظِ الرَّئيسِ والْمَرءوسِ

ظَمِئَ المُلْكُ قبلَهُ فسقَاهُ ... ربُّهُ من زُلالِ نُصْحٍ مَسُوسِ

حَاصِدٍ للْعِدَى بأَقْلاَمِ رَأْىٍ ... تَقْطَعُ السيفَ عند حَمْى الوطيسِ

كَيْدُهُ وافِدٌ عَلَيْهِمْ بيَوم ... قَمْطَرِيرٍ[٨٠] بِماَ يَشُقُّ عَبُوسِ

بَانَ فَضْلاً على الكُفَاةِ كَماَ بَا ... نَ علَى ابن اللَّبُون فَضْلُ السَّدِيسِ

طابَ أَصْلاً وبابْنه طَابَ فَرْعًا ... غَرَسَ المُلْكُ منه خير غَرِيسِ

---

(٧٦) علوة: اسم امرأة. ويقال امرأة متعامسة أى تتستر فى شيبتها ولا تتهتك.

(٧٧) العميس: ستر المشيب.

(٧٨) زياد: هو النابغة الزبيانى.

(٧٩) أبو قابوس: النعمان بن المنذر.

(٨٠) قمطرير: شديد.

قَدْ أمر الزمانُ طِوْعاً عَلَيهِ فَسَخَا بَعْدَ نَفْرَةٍ وشُمُوسِ
فَتَرى النَّاسَ خَاضِعينَ إليْهِ منْ قيامٍ بأمْرِه وجُلوسِ
أمتَعَ اللهُ بالوزيرِ إمَاماً خُصَّ منْ نُصْحِهِ بعَلْقٍ نَفِيسِ
وأطَالَ البَقَاء لِلْمَلِكِ الرا ضِي إلَهٌ اصْفَاهُ وُدَّ النُّفُوسِ

وقال أبو بكر الصولى(٨١) :

تَعَزَّ يا خيرَ الْوَرى عن أخٍ لَمْ يَشُب الاخْلَاصَ باللَّبْسِ
كانَ صديقاً وافراً وُدُّهُ صداقَةَ الأنْفُسِ والجِنْسِ
تعزَّ عنْهُ بِنَبِيِّ الهُدَى مُحَمَّدٍ أُدْخِل فى الرَّمْسِ(٨٢)
وَهْوَ حبيبُ الله فى أرضِهِ مؤَيدًا بالوحى والقُدْسِ
سَمَّاكَ بالرَّاضِي لترْضَى بِمَا تُسْلِفُ من أمرٍ وما تُنْسى
قَدْ أنْذَرَ الدهرُ تصاريفَهُ بألسُنٍ ناطقةٍ خُرسِ
يُخْبِرُنَا عن موتِهِ كونُهُ بغُيْرٍ إذ كارٍ وَلَا حَدْسِ
كان نَسيباً لإمامِ الهُدَى بالوُدِّ والألْفَةِ والأُنسِ
ونِسْبَةُ الجسمِ شَتَاتٌ إذا لَمْ تتآلفْ نسبةُ النَّفْسِ
وكان فرعًا ذاكيًا غُصْنُهُ مُهَذَّباً من خَيْرِ ما غُرْسِ
وكان فى السُّودَد ذا هِمَّةٍ وَكانَ فى النِّعمةِ ذا غَمْسِ
أَرْسَىَ عليهِ دهْرُهُ مثلَ ما أرسىَ على ساكنةِ الرَّسِ(٨٣)
إن صُرِف الدَّهرُ إلى ما مضَىَ عادَ سُرُورُ الناسِ ذا عَكْسِ

---

(٨١) الأوراق – أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ٧٢ – لم يذكر هذه القصيدة أحد سوى الصولى وقد أثبتها فى كتابه الأوراق – أخبار الراضى – وقد قالها فى رثاء هارون بن المقتدر تلميذه وشقيق الخليفة الراضى (راجع الخبر فى المصدر).

(٨٢) الرمس: القبر.

(٨٣) الرس: البئر المطوية بالحجارة.

حـوادث الأيَّامِ شَقَّـاقـةٌ[٨٤]   تُقَـرِّبُ المـأتَمَ بـالعُـرْسِ
يَعْتَقِبُ المـرءُ بهـا حـالُـهُ   بوطئِهِ الحَزْنَ إلى الْوَعْسِ
مَنْ عَزّ بالـدنياَ هفـاَ قَلْبُهُ   وعادَ منْهُ النُّورُ ذا طَمْسِ
وزالَ في تلويـنهـاَ عـقلُهُ   وَغَـالـهُ طيفٌ من اللَّقْسِ
مَنِيـةٌ إنْ لم تُفَاجِ الفتَى   كانت لَهُ بالسُّقْمِ ذات مَسِ
لَهْفِي عليـهِ وقليـلٌ لَـهُ   لَهْفِي وهلْ يرجعُ لى أمْسِي
لَهْفِي على مُنْتَخَبٍ حلْمُـهُ   أرْجَحُ من رَضْوَى ومن قُدْسِ
وأيْنَ الأولىَ كانوا شمُوسَ الوَرَى   لُيُوثَ حربٍ غَيْر ما شُمْسِ
جَرَى على السُّودَدِ منهُمْ كمَاَ   شُيِّـد بُنْيـانٌ على أُسِ
فافْرِسْ له صبرًا يـزيلْ الأذَى   فالدَّهر للإِنْسَانِ ذُو فَرْسِ
ينعَمُ منْـهُ جسمُـهُ تـارةً   ثُمَّ تَـرَاهُ جَاسِي الجَسِ
فلَمْ تَزَلْ فوْقَ المُلُوك الأولىَ   مِنْ عَرَبٍ سادُوا ومن فُرْسِ
مَنْ لا يرى حُبَّك فَرْضًا فمَا   أدَّى فُروضَ الله فى الخَمْسِ
فِدَاؤُكَ النَّاس جَمِيعاً عَلَى   رغم عَدُوٍ لَحِزٍّ شَكِسٍ[٨٥]
فالخَلْقُ من وارِدِ رِفْهٍ إلىَ الـ   ـمَوْتِ وذِى عشْرٍ وَذِى خمسِ
أوَّلُـهُـمْ مُـنْـتَـظِرٌ آخِـرًا   فَهُوَ عليهِ الدَّهْرَ ذُو حَبْسِ
حتَّى يَجِيئُـوا وكِفَـاتٌ لَهُمْ   ولَا يُرىَ لِلْقَوْمِ مِنْ حِسِ
وَبَعْثُهُمْ من بَعْـدِ ذا كُـلِّه   لخُـابِـلِ الجِنَّـةِ والإِنْسِ
تخشَـعُ أصـواتُهُمْ خِيفَـةً   فلَا تُناجِى بسوىَ الهَمْسِ
دَاعِى المَنَايَا خاطِبٌ كُفْوَهُ   كخِطْبَـةِ المعْتَـامِ لِلْعِـرْسِ
يسمو إلى الأنفُـسِ فى قُدْرَةٍ   مُنكِّبـاً على سـاقِطٍ جِلْسِ

---

(٨٤) شقاقة: تفرق الجماعات.

(٨٥) صعب الخلق.

تلعبُ بالمرءِ الليـالى كَمَا ... قَدْ تلعبُ الأقلامُ بـالنِّقْسِ
تُـرْضِعُ بـالأنْعَامِ ذا عِـزَّةٍ ... يُفْـطَمُ بـالبُؤسِ وبـالتَّعْسِ
تَتْبِعُ نُعْمَاهَـا ببأسـائِهَـا ... ويَعْقِبُ الصِّحـةُ بـالنُّكْسِ
فـالحُرُّ فيهـا أبـد حَـائـرٌ ... من سَوْمِهاَ الغَالى عَلَى مكْسِ
يُتْعِبُ فيهـا أبـدًا جِسْمَـهُ ... وإنمـا الـرَّاحَـةُ كـالخَلْسِ
يَخْـدَعُ فيها بـالمُنَى نفسه ... ووَافِـدُ المَوْتِ بـه مُرْسِى
يَنْسَى الَّذِى يأتى به صَـرْفُهَا ... والآمِـلُ الغَرَّارُ قـد يُنْسِى
تلبسُـهُ مِـن طَمَـع غَـفَلَةً ... بـالمَـطْعَمِ المَلْذُوذِ واللُّبْسِ
فـأسلَمَ اللهُ إمـامَ الهُـدَى ... فما عَطَاءُ الدهرِ بـالنَّحْسِ
كلُّ الوَرَى أنتَ وكلٌّ يُرَى ... عَبْدَكَ مِنْ عالٍ ومن نِكْسِ
بقـاؤكَ الفـوزَ لنـا والغِنَى ... نُصْبِحُ فيه مِثْلَ ما نُمسى
شَوىَ صُـرُوف الدَّهْرِ ما لم تُصِبْ ... فى الرِّطْبِ إن عَاثَتْ وفى اليَبْسِ
مَنْ تاجَرَ الدَّهْرَ بلاَ صَـرْفِهِ ... فَصَارَ من رِبْحٍ إلى وَكْسِ
فأسْلَمَ الكُلَّ فلا بَأْسَ أنْ ... يُرْزَأ فى السُّدْسِ وفى الخُمْسِ
إنْ غَيَّبَ البَدْرَ كُسُوفٌ فقد ... لاَحَتْ بسَعْدٍ غُرَّةُ الشَّمْسِ
ما طَالِعُ الأُمَّةِ يـا سيدِى ... إذَا خَطَاكَ الخَطْب بالبَخْسِ

وقال أبو بكر الصولى(٨٦):

وصَلَتْ رقعة الأميرِ الرئِيسِ ... غُرَّة الدَّهْرِ والخطير النَّفِيسِ
فأزالت ما كُنْتُ أشكُو وأَهْدَتْ ... لى نعيمًا وأذْهَبَتْ كُلَّ بُوسِ
وأتى الشعـرُ مُبْـرِئـاً وشفـاءً ... وأنيسـاً يفُـوقُ كُـلَّ أنيسِ

(٨٦) الأوراق - أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ٥٨.
لم يذكر هذه القصيدة سوى الصولى حيث أوردها فى أخبار الراضى بالله.. وقال أنه نظمها ردا على رقعة وصلته من الخليفة الراضى يستفسر بها عن صحته حيث كان ملازما للفراش واعتذر عن مجالسته (راجع الخبر فى مصدره).

حسن اللفظ مُطْرِباً كل مَنْ يَسْـ ـمعُ إطراب زابدت الكُؤُوسِ
قَدْ جَلاهُ الطَّبْعُ المغَاثُ بحذق لعقول الوَرَى جلاء العرُوسِ
أَضْحَـكَ للهُ بـالأميـر زَمَـانى ولقد كان قَبْلَهُ ذا عُبُـوسِ
صرْتُ مُذْ قدَّر الاله جُلُوسى معـهُ سيِّدًا لكُـلِّ جَلِيسِ
ضاق شُكْرُ العَبِيدِ عن بِرِّ مَوْلىً مثْلَ ضيق الغُفْران عنْ إبْلِيسِ

وقال أيضا(٨٧):

أبا خليفة تجفُو من له أدبُ وتؤثر الغُرَّ من أبناءِ عبّاسِ
وأنت رأس الوَرَى فى كل مكرِمةٍ وفى العلومِ وما الأذنابُ كالرأسِ
ما كان قَدْر خبيصٍ(٨٨) لو أَذْنْتَ لنا فيه، لتختلط الأشرافُ بالناسِ

قافيـة الشّـين

وقال أبو بكر الصولى(٨٩):

حُبٌّ لأحمدَ قد فَشاَ بيْنَ الجوانِحِ والحَشَـا
يَهْتَـزُّ فى حـركـاتـهِ مثْلَ القضيبِ إذا مشاَ
خَدَّاهُ من بَرَدِ الـدُّجَا والمُقْلَتَـانِ من الـرَّشَـا

---

(٨٧) أنباه الرواة - القفطى ٢٣٥/٣، تاريخ بغداد ٤٢٩/٣.
ذكر هذه الأبيات كل من القفطى فى كتابه أنباه الرواة، والخطيب البغدادى فى كتابه تاريخ بغداد ولم ترد فى أى مصدر آخر أو فى كتب الصولى التى بين أيدينا. هذا ولم أجد خلافا بين الروايتين.

(٨٨) الخبيص: طعام يعمل من التمر والسمن.

(٨٩) الأوراق - أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ٥٣ انفرد الصولى بذكر هذه القصيدة فى كتابه الأوراق - أخبار الراضى بالله - وهى إحدى القصائد التى نظمها الصولى لينظم على منوالها الأمير محمد بن المقتدر (الذى صار خليفة فيما بعد وتسمى الراضى بالله) إبان فترة تعليمه قرض الشعر.. (راجع أخبار الراضى بالله للصولى ص ٥٣ - وأيضا الفصل الخاص بالأدب التعليمى من الكتاب).

لَمَّــا ظَفِـرْتُ بَــوصْلِهِ ... وملكْتُ منـهُ مـا أشَـا
أحْلَى البـرِيَّةِ أَوْ عَلَى ... عينِ الذى يَهْوى غِشَا
وتَنَـاوَمَتْ عينُ الـرقِيـ ... ـبِ لحَثِّ أقداحِ الوِشَا
وفَشَـا الحـدِيثُ بحُبِّنـا ... والحُبُّ يحسُنُ إنْ فشَاَ
عَبَثَ الـوُشاةُ بـوصْلِنَا ... حَسَدًا فقُبِّحَ مَنْ وَشَـا

وقال أبو بكر الصولى أيضا[٩٠]:

إذا مـا تحلّلَ قرطـاسُه ... وســاومـهُ القلمُ الأرقشُ
تضمَّنَ من خـــطِّهِ حلةً ... كنقشِ الدَّنانيرِ بل أنقشُ
حروفٌ تعيد لِعَيْنِ الكليلِ ... نشاطاً ويقرأُهَا الأخْفَشُ[٩١]

وقال أبو بكر الصولى أيضا[٩٢]:

غَشِيَتْنى مِنَ الهُمُومِ غَوَاشى ... لِعَــذُولٍ يلُومُ فيـكَ ووَاشِ
لَوْيلاقُوا الذى لقيتُ من الْوَجْـ ... ـدِ لشوقٍ بين الجوانِحِ ناشِ
نَمَّ بالسِّــرِّ عِنْدهُمْ دمْعُ عَيْنِي ... إنّ سرَّ المحبِّ بالدَّمْعُ فاشي
مَنْ عَذِيرِى لظالمٍ أنَا منْهُ ... فى زَمَان الوِصَالِ للهَجْرِ خاشى
أخَذَ القدَّ من قضيبٍ رطيبٍ ... وحكى أعيُن الظِّباءِ العطاشِ

---

(٩٠) أدب الكتاب لأبي بكر الصولى ص ٥٠ ذكر الصولى هذه الأبيات الثلاثة (فى وصف الخط) وأثبتها فى كتابه أدب الكتاب، ولم يذكر هذه الأبيات أديب آخر.

(٩١) الخفش: صغر العينين وضعف البصر.

(٩٢) الأوراق – أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ٥٢ ذكر هذه المقطوعة أبو بكر الصولى فى كتابه الأوراق – أخبار الراضى بالله – ولم يذكرها أحد من الأدباء أو المترجمين. ويقول الصولى أنه نظمها – لينظم الأمير محمد بن المقتدر على منوالها أى نفس الوزن والقافية وفى نفس المعنى.

قافيــة الصّـاد

وقال أبو بكر الصولى[٩٣]:

أَلَا قُـلْ لخيرِ النّـاس نفسًـا ووالـدًا ... ورَهْــطاً وأجـدادًا مقَــالَــةَ مُخْتَصٍّ
مُحَمَّـد المأمـولِ والمُقْتَدَى بـهِ ألْـ ... أمِينِ أَبِي العَبَّاسِ ذى الفَضْلِ لا النَّقْصِ
ومَنْ جمعَ الآدابَ بعد إفْتَـراقِهـا ... وَثَقَّفهــا بـالبَحْثِ منْــهُ ويـالفَحْصِ
دقيقِ حَـوَاشي الذِّهْنِ هُـذِّبَ طبعُـهُ ... ومُحِّصَ فى قُرْبِ المَدَى أَيَّماَ مَحْصِ
بَعيـدِ القَبُـول من حَسُـودٍ مُكـاشِـرٍ ... تَخَلَّف عن أُولاهُ بالنَّزْع والفَرْصِ[٩٤]
لَئِنْ ساغَ لىِ أكلىِ وشُرْبى فـانَّنى ... كذِى شَرَقٍ من غَيْبَتِى عنـهُ مُغْتَصِ
وقــد كنتُ ذا حَظٍ لـدَيْــهِ وزُلْفَـةٍ ... فجاءَ الذى حَاذَرْتُ فيه عَلَى غفصِ[٩٥]
بِفَسْـخ الذىِ سَـدَّى وأَلْحَمَ بـاطِـلاً ... وقَـد وقَصَـاهُ عَـاجِـلاً أَيَّمَـا وَقْصِ
من أكْلُبٍ خُـوزٍ سَتَـان نَغْـلُ مُحَقَّـرُ ... ضَئيلُ خَفِىُّ الشَّخْصِ فى صُورة الدَّرْصِ
وأَهْبَ منــهُ الجمـرَ بــالنفـعِ حــابـلُ ... عُلُوقُ بـأَذْنَـابِ الأكــاذِيبِ كـالشِّصِ
بنـو مُعْـوَرَاتِ الـطُّرقِ جـاءوا بعَــوْرَةٍ ... ذَوُو الآنُفِ الـذُّكَّـاءِ والأعيُنِ الـرُّمْصِ
أُولُـوا بِـطْنَـةٍ فى بَـاطـلٍ وتَكَـذُّبٍ ... وصِـدْقُهُم يَؤْىِ إلىَ أبطُنٍ خُمْصِ[٩٦]
فَمَـا أَسْنَدوا قـولاً إلى ذى تَمَاسُـكٍ ... ولا شَيَّـدُوا زُورَ المَقَـالِ عَلَى إِصٍ
وبــالْقَصْـرِ قــومٌ إن رَأَوْنَـا تبلَّغُــوا ... وَحَطُّوا لَنَا الأعْيَـاقَ كالـرَّخَمِ القُصِّ

(٩٣) الأوراق – أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ٢٧ انفرد بذكر هذه القصيدة أبو بكر الصولى. وقـد أثبتها فى كتابه الأوراق – أخبار الراضى بالله – أما عن مناسبتها فيقول: «وكان الراضى وعدنى بفص كنت استحسنته فكتبت إليه بقصيدة أسأله فيها التوجيه بالفص. فكتب إلى: «إنما أتفرخ بما يرد على من جهتك، فاكتب إلى بشعر صادى قـافيته الفص» فعملت القصيدة وكتبت بها إليه وهى...(القصيدة)..

(٩٤) الفرص: القطع.

(٩٥) على غفص: على غرة.

(٩٦) خمص: أى خاوية جائعة.

تـلاقَتْ بتـأليبٍ عَلَيْنَـا جُفُـونُهُمْ ... وفَرَّقَتِ الأقْوالَ بـالثّلْبِ والغَمْصِ (٩٧)

وما قَبِلُوا نُصْحَ العـروضيِ فى الَّذِى ... رَآهُ ورَضُّـوا إفْكَهُـمْ أَيَّمَـا رَضِّ

وقَـدْ هَـطَلَتْـهُ غيبـةٌ منْ سَحَـابِهِمْ ... وكَالُوا لَهُ صَاعاً من النَّثِّ (٩٨) والقَصِّ

وَهَبَّ لَـهُ من بُعـدِهِ لَـك قـاصِفٌ ... من الحُزْنِ يُنْئِ صبْرَهُ عنكَ بل يُقْصِى

فَغَضَّ بشُـرْبٍ من فَـراقِـكَ آجِنٍ ... عَصُوفٍ بجَدْواهُ أمـرَّ من العَفْصِ (٩٩)

وإنْ أنْجَـز الإمكـانُ يـومًا بجلسـةٍ ... لَدَيْكَ أتَاكَ القولُ بـالشَّرْحِ واللَّخْصِ

فـأدْنَيتَ حقًّـا قـد أُطيـحَ بشَخْصِـهِ إلى ... نَـزَوَانِ القَـوْمِ بـالـزُّورِ والقَـنْصِ

بِحَقٍ أَفَـاضَ القلبُ فـاضِـلَ شـربـةٍ ... من الهَمِّ حتى جَـاءنِى الأمرُ منْ فَصِّ

واطَلَعَ شخصُ الحقِّ عنـدك وجهـه ... إلى أنْ يَقُـودَ القُـرْبُ منـطِقَ مُسْتَقْصِى

تَحَيَّفَنى رَيْبُ الـزَّمـانِ ببُعْـدكُـمْ ... تَحَيُّفَ مِقْرَاضِ المُجَازِفِ فى القَصِّ (١٠٠)

إليـك تَـرَامَتْ بى الأمَـانى هِمَّـةٌ ... على لُحَق الأقْـرابِ ضَـامـرةٍ حُصِّ

وخُـوصٍ سَقَتْها الآلَ كـاسُ هَجِيرِه ... فأفْنَتْهُ بالوجـدِ المُواشِـكِ والرَّقْصِ

إلى ابن الـذى أَحْياَ البـرِيَّة عـدلُـهُ ... فشُبِّـهَ بـالفـارُوقِ منهمْ ابى حَفْصِ

وقَـدْ كـانَ وَعْـدٌ عليـكَ بخَـاتَمٍ ... عَلُوقٍ بلَحْظِ العَيْنِ مستَمْلِحِ الشَّخْصِ

شـريـفٍ إذَا مـارَفَعُـوُه لسَيِّـدٍ ... تَعَـاظَمَ واسْتَعْلَى بِـهِ شَـرَفُ الْفَصِّ

فَـلاَ أنَـا طَـالعتُ الأميرَ بـذِكْـرِهِ ... بتَعْرِيض قولٍ فى الخِطَابِ ولانَصِّ

وَلاَ أنْجَـدَتْنِى منْـهُ فى ذَاك حُـظْوَةٌ ... تُـذَكِّر إنجـازًا ولستُ بذِى حِـرصِ

وإنِّـى لأرجُـو أنْ يُسَـرِّى لُـبْسَـهُ ... فيـأُخُـذ منـهُ اللُّبْسَ أخْـذَةَ مُقْتَصِّ

وإنْ لم يكُنْ كـرعٌ يُقَـاوِمُ غُـلَّتى ... بـرِيٌّ قَنَعْنـاَ فيـه بـالـرَّشفِ والمَصِّ

---

(٩٧) الغمص: التقليل والتصغير.

(٩٨) النث: الإفشاء.

(٩٩) العفص: الذى يتخذ منه الحبر.

(١٠٠) القص: رأس الصدر.

إذا لَمْ يكُنْ كــلُّ الَّـذى يَشْتَهِى الْفَتَى ففى الرأى أن يَرْضَى ويقنع بالشِّقْصِ[(١٠١)]

ولستُ كَمَنْ يُمْضى على الظنِّ حكمَهُ ويجعـلُ إسنادَ الـرِّجـالِ إلى حَصِّ

وإنّى لأغْلى المدْحَ إلَّا على الَّذى يُغَـالِى بإعْـطَاءٍ ولستُ بـذى نَقْصِ

بـذِى هـامَ قلبُ لا بخــريـدةٍ بهـا يَميسُ بها غُصْنٌ رطيبٌ عَلَى دِعْصِ[(١٠٢)]

صَليبـةُ عَزْمِ القلبِ كـالصَّخرِ قلبُهـا عَلَى أنَّـهُ يكتَنُّ فى جسَـدٍ رخْصِ

ولا بشَمُولٍ لَذَّة الـطَّعْمِ قَرْقَفٍ[(١٠٣)] مَنَـاسِبُهَا فى عُمْـرِ كركيـه والقُفْصِ

فلَوْ كَـانَ فى حِمْصٍ يُرَجىَّ شبيهُـهُ لَسَاق مطَايَـاى الرِّجـالُ إلى حِمْصِ

أميــلُ إلى شُـرْبِ الكِــرَامِ بغُلَّتى ولستُ لأوشَــالِ اللِّئَــامِ بُمْـمتَصِّ

فقُـولُـوا لِمَنْ قـاسَ الأميَـر بغيـرِهِ تأيَّدْ فَمَا الكيلُ المُحَصَّلُ كالخَرْصِ[(١٠٤)]

تَيَمَّمَتْ زَورًا فى المقـالِ وبـاطِـلاً لدى حُرْقٍ سَادَ الصُّخُور عَلَى رَهَصِ

مَحَـاسِنُ هذا الخَلْقِ منْـكَ ابتداؤهـا ويجـذبُهـا ذُو كُلفـةٍ منْـكَ كـاللِّصِّ

كذَا المَجْدُ لا بالْمَالِ يُجْمَعُ شَمْلُهُ وبالدُّورِشِيدَتْ بالقراميدوالجِصِّ[(١٠٥)]

فَـلَا زلْتَ للدَّهْـرِ المُمَلَّكِ مــالكـاً يُـطيعُـكَ فيمــا تَشْتَهيـهِ ولا يَعْصِى

وَحَـزْتَ من الأعمارِ أقْصَى نهـايَـةٍ تَفُوتُ مَدَى الإحْصَاءِ فيها يَدُ المُحْصِى

(١٠١) الشقص: القليل من الشيء.

(١٠٢) كذا رواية الأصل، ولعل الصواب: «بذا هام قلب لا يحب فريدة».

(١٠٣) القرقف: الخمر.

(١٠٤) الخرص: الكذب.

(١٠٥) الجص: ما يبنى عليه.

قافيـة الضــاد

وقال أبو بكر الصولي[١٠٦] :

أَبْغِضْتَـهُ منْ بعد مـا بُذِلَ الـرِّضَا؟ ... هَذَا تَجَنٍ منْ حَبِيبٍ يُرْتَضَى
لا تَجْزَعَنْ للبُعْدِ توعدُهُ غَدًا ... فاللهُ يَصْرِفُـهُ بما فيـهِ قَضَا
ظُلِمَ الحَبِيبُ فأَظْلَمَ البَيْتُ الَّذِي ... أَمَّتْ مَطَايَاهُ بِهِ ذَاتَ الأَضَا
قَدْ قالَ بَشَّارٌ وكانَ مُسَدَّدًا ... يَحْوِي المعاني إنْ رَمَى أَوْ أَنْبَضَا
قَدْ ذُقْتُ أُلْفَتَهُ وذقتُ فراقَهُ ... فوجَدْتُ ذَا عسلًا وذَا جَمْرَ الغَضَا
خُذْ مِنْ زمانِكَ ما صَفَا لَكَ قَلَّما ... يُغْنِيكَ غُمُّكَ بالتَّكَدُّرِ إذ مضَا
وَاصْبِر عَلَى غَرَقٍ بنُعْمَى نِلْتَها ... إن الزمانَ لمقتضٍ ما أَقْرَضَا
فَهَوَيْتَ فى لُجٍّ علاكَ عُبَابُهُ ... لابُدَّ أَنْ تَلْقَى الذى لك قُيِّضَا
إنْ قُمتَ فيهِ لم تَطُلْهُ لغزرِهِ ... ورأيتَ تحتَ الرِّجلِ منه مَدْحَضَا
وتسرعَتْ منهُ إليكَ حجارةٌ ... تَذَرُ الصَّحيحَ من العظامِ مُرَضَّضا
وَكَساكَ منْ يدِه ولَمْ تَسْتَكْسِهِ ... عُشْرًا يُؤَلِّفُهُ المُدودُ وعِرْمَضَا
نَجَّاكَ مَنْ نجَّا بلُطفٍ يُونُساً ... مِنْهُ، وكَانَ لقَبْضِ رُوحِكَ مَعْرِضَا
هذا وقَدْ ثَلَم الزواقلُ جَانِبِي ... فَأَفَضْتُ دَمْعاً عند ذاك مُغَيَّضَا

---

(١٠٦) الأوراق - أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ١٢٤

لم ترد هذه القصيدة فى أى مصدر آخر سوى كتاب الأوراق للصولى (أخبار الراضى) ولكن أورد المرزبانى بيتين فقط منها فى معجم الشعراء ص ٤٦٥ وهما:

وإذا دنت سبعـون من متـأمـل ... أغضى فلم ير فى اللذاذة مركضـا
وجفـاه نـوم كـان يـألف جفنـه ... قـدمـا واضحى للحتـوف معـرضـا

أما عن مناسبتها فيقول: إن الراضى بالله حين أنشدته قصيدته الضادية وقت جلوسه قال: «هذه حمتك رميت بها». وأردتُ أن أعمل قصيدة أشكو فيها غرقنا وما نالنا فى رحلة. فقلت والله لأجعلنها ضادية ليعلم أن تلك لم تكن حمتى، وأنه قد بقيت لى قصيدة... نحو تلك القصيدة فى الطول وهى... (القصيدة).

أَبْكِى كِساءً كَان أوثَقَ عُدّتى ... إنْ أَخْضَرَ البَرْدُ العظامَ ونَقَّضَا

وَمَخَدَّةً قَدْ كَان يأْلَفُ لِينَهَا ... خَدِّى فأضْحَى الجِسْمُ منْها مُمْرِضَا

وَنَفِيسَ فرشٍ كالرِّياضِ نُقُوشُهُ ... ما كانَ منْ دُونِ الرياشِ مُرحَضَاَ

ومُجَمَّعاً قَدْ كُنْتُ أجمعُ آلةً ... فيِهِ وكانَ مِنَ البلاءِ مُفَضَّضَا

والصُّغْرَ أبْكِى كالنُّضارِ وشَمْعَةً ... زَانَتْ يَدُ المَاشِى بهاَ والمِقْبَضَا

صَرَّحْتُ بالشكوَى إليكَ تأنساً ... بنَدَى يديكَ إذَا غريبُ عَرَّضَاَ

فلأَنْتَ أعلىَ فى المُلُوكِ مَحِلَّةً ... وأجَلُّ منْ راشَ العَبيد وأنْهَضَا

مِنْ بعْدِ ما غالَ المشيبُ شبيبتَى ... ونَضَا لِباسَ تَجَمُّلِى فيماَ نَضَا

وأحَارَنى مَرَضٌ وأَوْهَنَ قُوَّتِى ... فغَدَوْتُ منـه وقَدْ صَحِحْـتُ مُمَرَّضَـا

وإذَا دَنَتْ سبعُونَ من متأمِّلٍ ... دَانَى ولَمْ يَرَ فى اللّذَاذةِ مركضًا(١٠٧)

وجَفَاهُ نَوْمٌ كانَ يألَفُ جفنَهُ ... قِدْمًا وأَضْحَى للحُتُوفِ مُعَرَّضَا

وإذَا بَلَغْتُ إلى الأمامِ مُسَلِّماً ... ورأيْتُهُ زَالَ التَّخوفُ وانْقَضَى

وَنَسِيتُ رَوْعَاتِ لارْجَافِ فشَا ... ما زُلْتُ لِلْاشْفَاقِ فيهِ مُرْمضًا(١٠٨)

ذَادَتْ مواردُهُ الكَرَى عَن مُقْلَتِى ... وأَبَى عَلَىَّ حِذَارُهُ أنْ أُغْمِضَا

فَعَلَىَّ نَذْرٌ إنْ رأيتُكَ سـالمًا ... صومٌ وعِتْقٌ عاجِلٌ لا يُقْتَضَى

بمُحَمَّـدٍ رَضِىَ الالَـهُ خليفـةً ... فى الأرضِ فَهُو بذاكَ راضٍ مُرْتَضَى

جَاءَتْهُ طوعاً لم يُسَيِّر لَقْطَهُ ... فيهاَ ولاَ أضْحَى لَهاَ مُتَعَرِّضَا

فَهُوَ الحَقِيق بها المعَانُ بقُوَّةٍ ... فيها بحُكْمٍ فاصلٍ لَنْ يُدْحَضَا

الله أقبلَ لىِ بوجهِ نَوَالِـهِ ... فرفَضْتُ وَجْه الدَّهْرِ لَمَّا أَعْرَضَا

بَـدْرٌ يضئُ دُجَى الظَّلامِ ولم يـزَلْ ... لِسَوَادِ مَا تَجْنِى الخُطُوبُ مُبَيِّضَا

---

(١٠٧) أورد هذا البيت والبيت الذى يليه المرزبانى فى معجم شعرائه ص ٤٦٥. وقد وجد خلاف فى روايته للبيت الأول – حيث أورد البيت:

(وإذا دنت سبعون من متأمل.. أغضى..) ولكن جاء فى كتاب الصولى ما أثبتناه.

(١٠٨) الرمض: شدة وقع الشمس. ومض: احترق.

بِكْرُ الزمانِ فلَيْسَ يُنْتَجُ مثلُهُ ... أبدًا ولَا يُلْفَى بِهِ مُتَمَخِّضَا
عالى المحَلِّ بَنَى لها آباؤُهُ ... شرفًا أَبَتْ أركانُهُ أن يُنْقَضَا
مَنْ شَامَ عزَّك ذَلَّ دُونَ مَنَالِهِ ... أَوْ رَامَ ما رَفَّعْتَ منْهُ تَخَفَّضَا
أَحْسَنْتَ حتَّى ما نَرَى مُتَسَخِّطاً ... يشكُو الزمانِ ولا نرى لك مُبغضَا
كم مُبْغِضٍ حُطَّت إليك ركابُهُ ... نَالَ الغنىَ عَجِلًا فأغْنَى المُبْغِضَا
بِعُلُوٍّ فخرِك فى المفاخِرِ يُعْتَلَى ... وبنُورِ هَدْيِكِ فى الدِّيانَة يُسْتَضَا
وجليلِ خطبٍ هَابَ منْكَ عزيمةً ... فأتَى إليكَ بما هَويتَ مُفَوَّضَا
ومضَتْ بُرُوقٌ فى العِراقِ فأخْبَلَتْ ... ورأيتُ برقَكَ صادقًا إذْ أَوْمَضَا
قَزَعٌ(١٠٩) أرَذَّ فما غَذَتْ أخْلَاقُهُ ... غَرْسًا ولَا هُوَ بالْجَمائِل رُوِّضَا
وتَداءَبَتَ بذوى الضَّلَالَةِ هَبْوَةٌ(١١٠) ... أبْقَتْ لَهُمْ أسفاً وخوفاً مُمْرِضَا
وسيكْشِفُ الهَبَواتِ رَبُّكَ نِقْمَةً ... تَدَعُ البناءَ من الضَّلَالِ مُقَوَّضَا
ستَرَى القيامَ بِهِ قعودًا عاجلًا ... فزعًا ويرجعُ ساكناً مَنْ حَرَّضَا
ويصحُّ من غمراتِهِ مَنْ لم يَزَلْ ... فِيمَا قَضَيْتَ من الأمُورِ مُمَرَّضَا
ويعودُ ساعٍ فى الجهالَةِ عَاثِراً ... لا يَسْتَطِيعُ منَ النَّدامَةِ مَنْهَضَا
ويَرَى غَوِيُّ رُشْدَهُ فَيُشِيمُ مَا ... قَدْ كَانَ مِنْ نعمِ الضَّلَالَةِ رَبَّضَا
وَيَفُلُّ غَرْبَ جُموعِهِم لك حاسِمٌ ... من جيشِ رأيكَ كالسِّهامِ المُنْتَضَى
ويُذيقُهُم جُرَعَ المنايا بجكَمٌ ... وكذَاكَ عادةُ بَجْكَمٍ فيمَا مَضَى
سيفُ الخلافةِ والمُبيرُ عَدُوَّها ... بسديدِ عزمٍ صائبٍ إنْ أَعْرَضَا
أنْحَى عليهِمْ بالسيوفِ فَخِلْتَهُمْ ... لِتناثُرِ الأعضاءِ حصباءِ الفَضَا
دَلَفَ الرجالُ إليهم فَكَأنَّمَا ... كانوا نساءً حِينَ دُمُّوا حُيَّضَا
فعفَوْتَ عَنْ طلبٍ لَهُمْ فتَبَسَّطُوا ... ثِقَةً وكَانَ نَجاؤُهُم مُتَقَيَّضَا

---

(١٠٩) قزع: قطع من السحاب رقيقة.

(١١٠) الهبوة: الغبرة.

كيفَ التورُّط فىِ ظَلَامِ ضَلَالَةٍ والصُّبْحُ فى سُبُلِ الهدايةِ قَدْ أَضَا
يَا واحِدَ الكَرمِ الذىِ تَلقَى بِهِ وَجْهَ الزَّمانِ إذَا تَسَوَّدَ أَبْيَضَا
خُذْهَا إليكَ قوافياً قد لُبِّسَتْ رَقماً أَبىَ تحسينُهُ أَنْ يُرْفَضَا
كانَتْ مجمعَةَ الظُّهُورِ نوافِراً فـأَتَتْك لينـة المقـادَة رُيَّضـا
لَفْـظاً أليفـاً للقُلُوبِ مُحَبَّبـاً لَمْ يُلْفِ وقْرًا فى المَسَامِعِ مُبْغضَا
مَنْ شِعْرٍ مَقْصُورِ المَدَى مُتَكَلَّفٍ إنْ رامَ نهجًا فى طريقٍ أُدحِضَا
وكـأنَّـهُ ثقـلاً فِـرَاقُ أحبَّـةٍ نَادى بِهِ دَاعِى الشَّتَاتِ وحَضَّضَا
بلْ مُرْسَلًا طبعاً فسيحًا ذرعُهُ قَدْ شَفَّ ذا البَّاعِ القصير وأَرْمَضَا
وإذَا أَمَالَ إليهِ سَمْعاً صَاعَدَتْ أَنْفَـاسُهُ أَسَفـاً عَلَيه وأَبْغَضـا
أَحْذَاكَهُ من لا يَزالُ ضَميرُهُ عمَّا كَرِهْتَ مِنَ المَذَاهِبِ مُعْرِضـا
أَفْنَى الزَّمانَ بخدمةٍ لَكَ آملاً ما نلتَهُ فَأَنَالَه غاياتِ الرِّضَا
ومدائح سبقَتْ إليكَ بأَسْرِهَا يـأتِيكَ قَـائِلهَا بهَـا مُتَعَرِّضـا
ما شرَّفَتْهُ خدمةٌ لَكَ قَبْلَهَـا حتَّى ملَكْتَ فَدَسَّهُنَّ مُعَرِّضـا
وأَصَابَ مرعىَ فى فنائِكَ مُمْرعاً فأَخَلَّ فيهِ بالحُظُوظِ وأَحْمَضَا
إذْ سَيْفُ عزمِكَ كامِنٌ فى جَفْنِهِ أرجو انتضَاكَ لَهُ ولماً يُنْتَضَىَ
هَذى سَوَابِقُ لا يَمُتُّ بِمِثْلِهَا مَنْ قد أَتىَ خَلْفَ السُّكَيْت مُرْكَضَا
فأَفِدْ وعوِّضْ مادحًا لك راجيًا فلأَنتَ أكرَمُ من أَقَالَ وَعَوَّضَا

وقال أبو بكر الصولى(١١١):

أثبتَ الرحمنُ بالسَّعْدِ الْمُضِى دولـةً قـائمـةً لا تنقضـى
لأبِى العبَّاسِ - عَفْوًا سَاقَها قدرُ اللهِ - الإمام المرتضى

(١١١) الأوراق - أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ٣.

انفرد الصولى بذكر هذه القصيدة فى كتابه الأوراق ولم ترد أى من أبياتها فى أى مصدر آخر. ويقول إنه نظمها فى تهنئة الأمير محمد بن المقتدر عند توليه الخلافة وبعد أن أختار الصولى له اسم «المرتضى بالله» ولكن الأمير اختار اسم «الراضى بالله» ولم يتح له أن ينشده إياها.

دولـةٌ يـأمَلُهـا كـلُّ الـوَرَى ... ماهَا إنْ ذُكِرتْ من مُبَغضِ
كَانَ وَجْهُ المُلْكِ مُسْوَدًّا فَقَدْ ... قـابلَ اللَّحْظَ بـوجْهٍ أبيضِ
يا أمينَ اللهِ يـا مَنْ جُودُهُ ... إنْ كَبَا دَهْرِى بحَظِّى مُنْهِضِى
غَلَبُ(١١٢) الوجد وفقدانُ الرِّضَى ... وَكِـلَا جسمى بِهِمٍّ مُمْرِضِ
كانَ حظِّى بك نَحْوِى مُقْبِلًا ... فـانْثَنَى عَنْهُ بـوجْهٍ معـرِضِ
أَقْـرَضَ الدهْـرُ شبابِى شَيْبَـةً ... لم أكنْ أطلُبها من مُقْرِضِ
لَيْسَ للشُّهبِ إذا ما جَارَتْ الـدُّهـ ... ـم فى سَبْقِ الهَوَى من رَائِضِ(١١٣)
أسِفَتْ نفسى على قُرْبِى الَّذِى ... كانَ مَنْ يوم احتفالى مُغْرِضِى(١١٤)
لـكَ عبدٌ مسَّـه بعـدكَ مَـا ... وكَّلَ الجسمَ بداءٍ مُحْرِضِ(١١٥)
قضى البُعْـدُ عَلَيْـهِ كَـارِهـاً ... لا يَرُدُّ النَّاسُ أمرًا قد قُضِى
كُلَّ يوم يَنْتَضِى سَيْفَ أذىً ... بـالتكـاذيبِ عليكم مُنْتَضِى
ما يُبَالِى إذ رأى فيكَ المُنَى ... غَضِبَ الدَّهْرُ عَلَيهِ أَمْ رَضِى

وقال أبو بكر الصولى(١١٦):

أصبحَ المُلْكُ عاليًا بأبى العـ ... ـبَّاسِ أعْلَى المُلُوكِ بعدَ انْخِفَاضِ
واستفاضَ السرورُ فى سائِرِ الـ ... ـنَّاسِ بمُلْكِ المهذَّب الفَيَّاضِ
رَضِى اللهُ هـديَه فـاصطفـاهُ ... فهو باللهِ والمقـاديرِ راضِى
مَنْ غذته العلوم يرتع منها ... فى جِنـانٍ أنيقـةٍ وريـاضِ
كمل الفضل والفضـائل فيـه ... قبل عشرين من سنيه مواضِى

(١١٢) الغلب والغلبة: القهر.

(١١٣) فى الأصل: من تراض وهو تصحيف.

(١١٤) الغرض: الهدف يرمى بالسهام.

(١١٥) فى الأصل: محوض والأصح محرض ومعناه المسقم المضنى.

(١١٦) الأوراق - أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ١٠.

لم ترد هذه القصيدة فى أى مصدر آخر غير كتاب الأوراق للصولى. وهذه القصيدة هى أول قصيدة يمدح بها الخليفة الراضى بالله بعد أن تولى الخلافة.

فهو بالعلمِ والتفرغِ فيه ... خير آتٍ من الملوكِ وماضى

خطرت نحوه الخلافة طوعًا ... باتفاق من الورَى وتَرَاضِ

واصطفاق من الأكفِّ دراكاً ... واجتماع موفٍ[١١٧] وعزم مفاضِ

مرض الدين قبله وأتاه ... بارئًا عنده من الأمراضِ

واستلذّ الزمانُ إذ أسفر المُلـ ... ـك وجَلَّى سوادَه ببياضِ

واجدٌ بالعلوم وجدَ محبٍ ... راعَهُ مَنْ يحب بالاعراضِ

يَرِدُ الناسُ منه أغدار جُودٍ ... طيب الوِرْد مترع الأحواضِ

حمدوا من محمد حُسْنَ مُلْكٍ ... منقضٍّ حق الورى وتقاضِى[١١٨]

نعمٌ للولِّى منهُ حَبَاهُ ... ومنايا على العدو مَوَاضِى

تملك الخطبَ منه عزمة رأيٍ ... يُذْعِنُ الصعب عندها لارْتياضِ

ياإمامًا إليه جُلَّتْ عُرَى الفخـ ... ـرِ وفلّت معاقدُ الاغراضِ

حازَ بالمكرماتِ كاملَ مجدٍ ... علق الناسُ فيه بالابعاضِ

وتعالى على النجوم ببيتٍ ... سامقِ العز ظاهر الاعراضِ

حجةُ الله أنت ياقبلةَ الـ ... ـدِّينِ فليست تُرد بالادحاضِ

آذن السيفُ من عصاكِ من الـ ... ـنَّاس بهُلْكٍ واشِكٍ وانقراضِ

وبثقل من العذاب ووزْرٍ ... ينقُضُ الظَّهْرَ أَيَّمَا إنقاضِ

لست ممن يُرِيدُ بالمدح حالاً ... يَبْسُطُ الجاه منه بَعْدَ إنقباضِ

قد ترويت من نوال إمامٍ ... لستُ ماعشتُ فيه بالمعتاضِ

بشرُهُ زائدٌ العطاء كما البَرْ ... قُ دليل الغيوث بالايماضِ

وتقدمتُ فى مديحى له النَّا ... س على الرغم من ذوى الابغاضِ

وافترعْتُ الابكار من عزّةِ الشعـ ... ـر فَذَلّلْتُ صَعْبَهاَ بافتضاضِ

---

(١١٧) فى الأصل: (واجتماع موفو عزم) ويظهر أن الزيادة التى رسمت بعد الفاء هى واو عزم.

(١١٨) فى الأصل يتغضى.. وتغاضى بالغين المعجمة. ولعل الصواب ماورد.

وَغذاني بطول منه في سا بق أيامي الطوال العراضِ
جاءَ عفوًا بلا سُؤَالٍ ولا وَعْـ ـدٍ ولا مُذَكِّرٍ به متقاضِي
صافيًا من تكدر المطل يجري جرى ماءٍ صاف على رضراضِ
وتشرقت بالجلوس لديه بحديث يلتذه مستفاضِ
وبلغت المُنَى وبشَّرني الـ ـنَّاسُ بثوبٍ من الغنى فضفاضِ
وتبدلت بالتذلل عِزًّا آذن الهَمُّ عنده بالقضاضِ[119]
واطمأنَّ الفراشُ من بعد أن جا نَبَ جنبي تجنب النهاضِ
واستردَّ العَدُوَّ وُكْدِي[120] وعادت أعين السخط وهي عني رواضِ
لا أرى مزعجا نَوَالِيَ وإن ابطأ عَنِّي جَنَاهُ بالايغاضِ
لا ولا خاطبا بذم زمانٍ أَتَشكَّى مِنْهُ نُدُوب[121] عِضَاضِ
قد كفاني الامامُ ما قد عَنَانِي وانْتَضَانِي من خَلَّةِ الانفاضِ
واجتنيتُ الغنى بمدحي غَضًّا من أيادٍ له رطاب غِضَاضِ
لم أُجُبْ نحوه الفلاة ولا اقـ ـبلتُ نقْضاً أَهْوى على انقاض[122]
تترامَى في المَفَاقِر[123] طورًا واعتراضًا كرميةِ المعراضِ
بعد أنْ حَلَّت النحوسُ مَحَلِّي وهوى نجمُ أسعدِي لا نقضاضِ
فَتَكَ اليأسُ بي فأَهْدَى صُدُودًا من وَصُول كفتكةِ البرَّاضِ[124]
وأراني تَحَيُّفُ الهجر للطَّيـ ـرِ بما نسي تحيف المِقْرَاضِ[125]

(١١٩) جانب من الأضداد.

(١٢٠) الوكد (بالضم) السعى والجهد

(١٢١) الندوب: جمع ندبه بفتح النون وهى الأثر الباقى على الجلد من جرح أو غيره.

(١٢٢) النقض المهزول من السير، والأنقاض: النوق أو الجمال المهزولة.

(١٢٣) المفاقر: الحاجات، المعراض: سهم بلاريش دقيق الطرفين غليظ الوسط يصيب بعرضه دون حده.

(١٢٤) البراض: هو البراض بين قيس الكنانى أحد فتاك العرب المشهورين، وبسببه نشبت حروف الفجار بين قومه بنى كنانه وبين قيس عيلان. وفى الأصل (كفيئة)

(١٢٥) فى الأصل: (وأرانى كخيف) المقراض واحد المقاريض. وقرض فلان إن مات والجيف: الجوز والظلم.

واقتضانى دين الشباب مشيبٌ ... فيه عسفٌ له وقبح تقاضِ
عجبى له كيف أوجَبَ ذَنْبًا ... لم يكُنْ عن تسلُّفً واقتراضِ
ظالمٌ منصفٌ سريعٌ بطيٌء ... سابقٌ ركضُهُ بغير إرتكاضِ
فَتَسَوَّدْتُ بالبياضِ وَعُذْ ... تُ به عن وصال بيضٍ بضَاضِ
واكتسبتُ الوقار بالكُرْه مِنّى ... وَنَضَتْ بشْرَتى ليالٍ نَواضِ
وأَتتْنى قوارضٌ من أُناسٍ ... مِثْلُ وقع الشَّهابِ فى الاغراضِ
كُلٌّ واهى القوى نؤوم إذا ما ... نَهَضَ النَّاسُ للعُلَى رَبَّاضِ
تَـرَكَتْنى لما أُحَاذِرُ منْهَا ... حَرَضاً هَالكاً من الاحراضِ
عَلِمَ الله ما الذى كُنْتُ أَلْقَى ... فيكُمُ من تَألّمٍ وامتعاضِ
لم أُذُقْ مذ ركبْتُ راحلَة الـ ... ـخوفِ إلى الآن لذة الاغماضِ
لا أطيق الدفاع عنك ولا ... أملك غير الهموم والارتماضِ (١٢٦)
زأرتنى أسودُ حقدٍ عليكم ... لم تُغَيَّبْ بِغَابةٍ وغياضِ (١٢٧)
وَفَرَاني الزمان منه بنابٍ ... بعدكم مرهف الشَّبا عَضَّاضِ
وانتحى آكلًا للحمي ورضَّ الـ ... ـعظم مِنِّى بكلكل رَضَّاضِ
واكتحلتُ السُّهادَ والحذر الـ ... ـدائم خَوْفاً بمرودً مضَّاضِ
من حَسُود مُنَافس لى عليكُمْ ... لبحار اغْتيابكم خَوَّاضِ
مُبْغضٍ لى لما أُسَرُّ فيكُمْ ... من مديح على الأذى حَضَّاضِ
فأرانى الاله ما كنت أرجو ... هُ وعُوِّضْتُ أحسنَ الاعتياضِ
ياإمام الهدي استمع لَولِيٍ ... سَائرٍ فى مديحكُمْ ركَّاضِ
بَذْلُ النفس واجبٌ لكَ مَحْضُ الـ ... ـنُّصح من أُسْرةٍ لكُمْ امحاضِ (١٢٨)

---

(١٢٦) الارتماض: الرمض، وقع الشمس على الرمل.. ارمضته الرمضاء. أحرقته.

(١٢٧) غياض: جمع غيضه والغيضة: الأجمة وهى الشجر الملتف.

(١٢٨) امحاض: امحضه الود.. أى أخلصه، امحاض أى مخلصن.

كُــلُّ عَـاصٍ بجِلْدتِــهِ العـ ـر فهم هانئوهُ بالخضخاضِ

يفضُلُ الناس فى الشجاعةِ والبأ س كفضلِ الدَّيْسِ لابن مَخاضِ

قبلةُ الحرب حين تُجْتَنَب الحر بُ وتَرْدَى خيولُها فى العراضِ

عَضَّد المُلْكَ فيه بالأبدِ الـ ـعالم شافى المحل بالاحْمَاضِ

بَاذِلُ الرَّأى سَالكٍ شُعْبَ عزمٍ ما المَصَاعيبُ فيه كالاحْفَاضِ

اخصبَتْ أَرْبُعُ الورى بـأمامٍ قَاتِلِ المحلِ جابِرِ المُنْهَاضِ

عَرَفَ الناسُ فَضْلَهُ مثل ما يعـ ـرَفُ قَصْدُ السهام بالانباضِ

من رأى حُبَّــهُ كنـافِلَةِ الـ ـفرْضِ فَإِنِّى أراهُ كالإِفْتراضِ

أَيَّــدَ اللهُ ملكــه بـوزيــرً مُسْتَقِــلٍ بــرأيِــهِ نَهَّــاضِ

عالمٍ بالزَّمَانِ قد راض منهُ جـامحًا آبِيًـا على الرُوَّاضِ

لَمْ يَطُفْ باليَقينِ منْ ظَنِّه الـ ـشَّكُّ ولا حَالَ دُونه باعتراضِ

ضَرَبٌ فى لُهَى وَلِيِّك ماضٍ وسُهَـادٌ على عَـدُوِّكَ قـاضِ

ناصحٌ لم يَخُضْ ضَحَاضِحَ غِشىٍ فى الزمانِ الماضى مع الخُوَّاضِ

مَـوَّلَ اللهُ بيتَ مالـك منـهُ باجتماعٍ منهُ لا بارْفِضَاضِ

غيز ما حَافِلٍ إذا انتخلَ النصـ ـحَ بشَكْوى مغاضِبٍ أو مُراضِ

من أُناَسٍ أقلامُهُمْ أسهُمُ المُلْـ ـك ولكنَّهـاَ بغَيْـر وِفَــاضِ

جَامِعاتٍ لـلأمر بعـد إفتراقٍ جَابِراتٍ للعَظْمِ بَعْدَ إِنْهِياضَ(١٢٩)

مازَأتْ سَاعِياً على البَيْنِ إلا قَيَّـدَتْ سَعْيَهُ بغيـر الأيَاضِ

نَفَثَتْ بـالمـداد سُمًّـا عَلَيـهِ نَفْثَ أنيــابِ حَيَّـةٍ نَنَــاضِ

فابْقَ يا سيِّدِ الملوكِ له تُبْـ ـرِمُ بالرأى منه كل انتقاضِ

وتَمَـلَّ النَّيْرُوزَ تسعين عَـامًا سـامِياً والعـدُوُّ ذُو إغْضَاضِ

---

(١٢٩) فى الأصل: للظلم ولا معنى لها.

وقال أبو بكر الصولى[١٣٠]:

لَيالِى صُدُودِى ليستْ تضى   وعُمْرُ تَجَنِّيكَ ما يَنْقَضِى
وَمَا تـألَفُ النفْسُ يـامُنيتى   سِوَى ماتُحِبُّ وما تَرْتَضِى
تَقَاضَيْت عينى بغُنْجِ اللّحَا   ظِ دُمُوعاً فأعْطَتْكَ ما تَقْتَضِى

وقال أيضا[١٣١]:

يا بابنا والدهر فى نقضه   واقفًا يُسرع فى ركضَـهَ
يلهُو وأيدِى الموت أخَّاذة   من طولِهِ طورًا ومن عرضِهِ
أما تَرَى الرأسَ ومسوده   طوع على الكر لمبيضِـهِ

قافيـة الغـين

وقال أبو بكر الصولى[١٣٢]:

لسـانى كـتـومٌ لأسـراره   ودمعى نمـومٌ بسِرّى مُـذيعُ
ولولاَ دُموعِى، كتمتُ الهوَى   ولولا الهوىَ لم يَكُنْ لى دمُوعُ

---

(١٣٠) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٦٨.

لم يذكر هذه المقطوعة أحد سوى الصولى. وقد أوردها فى كتابه الأوراق - أخبار الراضى بالله. وقال: إن «عبد الرحمن بن طرخان المغنى لحنها وغناه إياه».

(١٣١) معجم الشعراء للمرزبانى ص ٤٦٥.

ذكر هذه المقطوعة المرزبانى فى معجم شعرائه ولم يذكرها أحد غيره ولم أعثر عليها فى كتب الصولى المختلفة. وقد استشهد بها المرزبانى على شاعريته.

(١٣٢) رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى.. تحقيق وشرح الدكتورة بنت الشاطئ ص ٣٨٣..

انفرد بذكر هذين البيتين أبو العلاء المعرى فى رسالة الغفران ولم أجدهما فى أى مصدر آخر أو فى كتاب من كتب الصولى. وذكر أبو العلاء أن أبا عيسى كان يستحسن شعره فى البيتين والثلاثة وأنشد له الصولى هذين البيتين وأنه أثبتهما فى كتابه «النوادر».

قافية القاف

وقال أبو بكر الصولى(١٣٣):

إذا شكوتُ هواه قال: ماصَدَقَا ... وشاهدُ الدمع فى خَدَّىّ قد نطَقَا

ونار قلبى فى الاحشاءِملهبة ... لولا تشاعلها بالجسمِ لاحترقاَ

يا راقدَ العينِ لا تدرىِ بما لقيت ... عينٌ تكابدُ فيكَ الدمع والأرقاَ

يكادُ شخصى يخفى من ضنى جسدى ... كأن سقمى من عينيك قد سرقاَ

وقال أيضا(١٣٤):

أحببتُ من أجلِه من كان يشهبه ... وكل شىء من المعشوقِ معشوقُ

---

(١٣٣) تاريخ بغداد ٣/٤٣٠.

لم يذكر هذه المقطوعة سوى الخطيب البغدادى ولم أجدها فى أى مصدر آخر أو فى كتاب من كتب الصولى وقد استشهد بها الخطيب البغدادى على شاعرية الصولى (راجع الخبر الوارد من تاريخ بغداد بشأن هذه الأبيات وغيرها).

(١٣٤) نزهة الالبا فى طبقات الأدبا للانبارى ص ٣٤٤، المنتظم لابن الجوزى ٦/٣٦٠، البداية والنهاية فى التاريخ ١١/٢١٩ – ذكر هذين البيتين كل من الانبارى فى طبقات الادبا وابن الجوزى فى المنتظم وابن كثير فى البداية والنهاية ولم أجد خلافا بين هذه الروايات: أما الخطيب البغدادى فقد رواهما رواية أخرى فقال: «حدثنا أبوبكر البرقانى حدثنا محمد بن عبد الله بن جامع الدهان، حدثنا محمد بن يحيى الصولى قال: أنشدنا بعض الوزراء يوما بيتا للبحترى وجعل يردده ويستحسنه وهو:

وكأن فى جسمى الذى ... فى ناظريك من السقم

فجذبت الدواة وعملت بحضرته:

اشبهت من أجله من كان يشبهه ... وكل شىء من المعشوق معشوق

كذا رواه لنا البرقانى وانما هو: (احببت من أجله...).

حتى حكيت بجسمى ما بمقلته.. ... كأن سقمى من عينيه مسروق

«راجع تاريخ بغداد ٣/٤٣٠).

حتى حكيت بجسمى ما بمُقْلتهِ   كأن جِسْمِى من جفنيهِ مَسْرُوقُ

ويروى أيضا:

أشبهت...

قافيـة الكاف

وقال أبو بكر الصولى(١٣٥):

أَسُرُّكِ يامُنَـاىَ ولا أَسَـوكِ   وأَنْفِى بالْهَوَى عَرَضَ الشُكُوكِ
وأَحْمِيـكِ الذِى تخشينَ منـهُ   كما يحمِيكِ من عَارٍ أَخُوكِ
لَقَدْ بُلِّغتُ فيكِ مَدَى المنايَا   ومـابَلَغتْ مَدَى عشرٍ سُنُوكِ
أَرَى الهِجْرَانَ منْكِ يُحيلُ صُبْحى   ومَـا أَذْنبْتُ لَيْـلًا ذا حُلُوكِ
ودَهْرُ الوصل يحكي لى ربيعاً   يُشَـابِـه نَبْتُـهُ خلَىَ الهَلُوكِ
رياضُ نُمْرِجُ الالْحَـاظ فيهَا   مُنَـوَّرَةُ الاعَـالىِ والسُّمُـوكِ
بَهارُ قد حَكَى العُشَّاقَ لَوْناً   عَلَى قُضُبٍ حَكَتْهُمْ فى النُّهُوكِ
ووَرْدٌ مثل خَدٍّ منـكِ راضٍ   جَوارَ فم تَبسَّمَ عن مُسُوكِ
ويَضْحك أَقْحُوَانٌ فيهِ يَحْكى   لَنَاَ ثَغْرًا تكشفَّت عنه فُوكِ
تـطَلَّع بَين ذاكَ وبين هَـذا   شَقَائِقٌ مثل أعْرَافِ الدُّيُـوكِ
مَـدَاهِنُ من عقيقٍ نَـظَّمَتْهَــاَ   يَـدَا خرقـاءَ واهيـةِ السُّلَوكِ

---

(١٣٥) الأوراق – أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ٧٩:
انفرد الصولى بذكر هذه القصيدة فى كتابه الأوراق ولم أعثر عليها أو على أى من أبياتها فى أى مرجع آخر أما عن مناسبتها فيقول الصولى:
إن الراضى كتب إليه يستشيره فى خطبة الجمعة التى ألقاها.. فكتب إليه الصولى الرد نثرا – ثم أعقبه بهذه القصيدة وقدم لها بكلمات موجهة إلى الخليفة يقول له فيها: وقد عمل عبد أمير المؤمنين أبياتا فى وصف ذلك جعل أمام مدحه تشبيبا لم يخله من تشبيه مبتدع ومعنى منتزع، إذ كان الأمر قد تقدم إليه أن يجعل ذلك فى صدور قصائده. وأوائل مدائحه، وهو يأمل أن يقع من استحسان سيده بحسب تفضله عليه واصطناعه إياه... (القصيدة).

حَلَفْتُ بغُـرَّةِ الرَّاضِى فـإنِّى ... أَرَاهُ حقيقـةً فـوقَ المُلُوكِ
بـأَخَّـاذٍ لمـا يُـرْجَى أُلـوفٍ ... وعَيَّـافٍ لمـا يُخْشَى تَـرُوكِ
عَبُوسٍ فى انتهاك المُلك فَظٍ ... وطَلْقٍ فى مـذاهبِـهِ ضَحُـوكِ
نَهُوضٍ بالخُطُوبِ إذا اعْتَرَتْهُ ... فَـرَاهَا هبـة السّيفِ البَتُـوك
عَشِيقُ المُلْكِ جاء بِلاكْتـابٍ ... يُرَجَّى الوَصْلُ منهُ ولا أَلُوكِ
فَمَنْ للبُخْلِ يُمْسكُ ما حَوَاهُ ... فَمَا هُوَ بالبَخيلِ ولا المسَوكِ
أَجَـلُّ النَّـاسِ آراءٍ وعلمًـا ... مَقَـالٌ ليس يُقْرَنُ بـالأُفُـوكِ
وَمَـا أَحْيَاهُ من سُنَنٍ تَعَفَّت ... فَدَارَ صلاحُهَـا دَوْرَ الدُّمُـوكِ
ركـوبٌ للمنَابِـرِ سارَ قَصْـدًا ... إليهـا وهى حـائـرةُ السُّلوك
فَـذَكَّـرنـا مَقَـالٌ منـهُ فَصْـلٌ ... مَقَالَ المُصْطَفَى بِجِرىَ تَبُوكِ
فأطلَعَ منهُ شمسُ المُلْكِ سعدًا ... وكانَتْ نحسةً بشَفَا الدُّلُـوكِ
لأَعْتَمَـدَنَّ سَيْرَ المـدحِ فيـه ... بـإرقَال يبَـرُّ على الـرَّتُـوكِ
أُحُوكُ من القَصَائِدِ وَشْىَ مَدْحٍ ... تُفَضِّلُهُ عَلَى الوَشْىِ المَحُوكِ
لَقَدْ فَتَكَ الزَّمانُ بسُوءِ حالى ... فأَنْقِذْنِى من الـزمنِ الفَتُوكِ

قـافيـة اللام

وقال أبو بكر الصولى[١٣٦] :

يا مليحَ الدَّلالِ رفقاً بصَبٍّ ... يَشْتَكى مِنْكَ جَفْوَةً ومَـلَالَا
نطق السُّقْمُ بالذى كان يُخْفِى ... فَسلِ الجسْمَ إن أردْتَ سُؤَالَا

---

(١٣٦) الأوراق – أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ٤٥:

لم يذكر هذه المقطوعة أحد سوى الصولى وقد أثبتها فى كتابه الأوراق – أخبار الراضى بالله – وقال إن الراضى قرأ يوما أبياتا من الشعر فى الغزل، فقال له: اعمل فى نحوها فعمل هذه المقطوعة. وهذه المقطوعة ضمن المقطوعات التى كان ينظمها الصولى فيحاكيه فيها الراضى إبان فترة تدريبه على قرض الشعر وقوله.

قَدْ أَتَاهُ فِى النَّوْمِ مِنْكَ خَيالٌ   فـرآهُ كما اشْتَهيْتَ خَيـالاَ
يَتَحَاماهُ للضَّنَى ألسُنُ العَذْ   لِ فأَضْحَى لَا يَعْرِف العُذَّالاَ

وقال أيضا(١٣٧):

أنكر الخط إذْ رآه ضَئِيلا   قال هلا كتبتَ خطاً جليلاَ
قلت لا تسبقن باللومِ عُذرى   بَخل الخطُّ إذ رآنى بخيلاَ
وكذا الجسمُ إذ رأى علةَ الأ   لحاظ من مقلتيكِ صار عَليلاَ

وقال أبو بكر الصولى (١٣٨):

أَيرضيكِ أنْ تَضْنى فدام لكِ الرِّضاَ   سيقصُرُ عنهُ حـاسدٌ وعَـذُولُ
تقولُ وقد أفْنَى هواهَا تصبُّرى   فوجْدِى عَلَى طُولِ الزَّمَانِ يطُولُ
تجاوَزْت فى شَكْوَى الهَوى كُنْهَ قَدْرِه   ومـا هُوَ إلا زَفْـرَةٌ وغَليـلُ
وما أرقَتْ عَيْنٌ لها فيهِ ليلةً   فخَفَّ عليْهاَ الحُبُّ وهو ثَقِيلُ
وجدْتِ إلى قَتْلى سبيلاً وليسَ لى   إلىَ الصَّبْر والسُّلوانِ عَنْكِ سَبيلُ
فدُونكِ نفْسى فاجعلى تُحْفَةَ الرَّدَى   حُشَاشَتَها إذْ حَانَ مِنْكِ رَحِيلُ
ويكْبُرُ مَنْ يُلْقِى إليكِ بوُدِّهِ   وإنَّ هــوانِى فيكُمْ لقليـلُ
وما إزْدَادَ إلاّ صحَّةً بعدكِ الهَوَى   ولكنَّ قلبِى ما نَأيْتِ عَلِيلُ
لَعَمْرُكِ لا أتبعْتُ ما فاتَ بالأسَى   وَرأىُ أمير المؤْمنينَ جَميـلُ

---

(١٣٧) أدب الكتاب للصولى ص ٦٠:

ذكر الصولى هذه الأبيات الثلاثة فى كتابه أدب الكتاب. أما عن مناسبة نظمها فقال: إنه كتب إلى بعض أصدقائه بقلم دقيق فأنكر ذلك. فكتب إليه الصولى هذه الأبيات ولم أعثر على هذه الأبيات فى مرجع آخر.

(١٣٨) الأوراق – أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ١٨٨ – ذكر الصولى هذه القصيدة فى كتابه الأوراق أخبار المتقى لله – ولم يذكرها أحد سواه.. وقال الصولى عن مناسبتها إنه كان قد نظمها فى المكتفى بالله، ولم تتح له فرصة إنشادها له، وكان مطلعها: (شهيداه إن لم تظلميه نحول.. ودمع له فى وجنتيه همول) فلما دخل على المتقى لله قال له ابن ميمون أما عملت شعرا؟ فقال: أعمل الساعة فقلب مواضع القصيدة وكتبها ومدح بها المتقى لله. (راجع أخبار المتقى لله ص ١٨٨).

هُوَ الدِّينُ والدُّنْيَا فلَيْسَ لطالبٍ ... وَلَا رَاغِبٍ عَمّا لديهِ مُمِيلُ

سمِّى خَلِيل اللهِ لا زلْتَ مُقْبِلاً ... عليكَ بنُعْمَى ذى الجلالِ قَبُولُ

وَقَاكَ الذَّى سمّاكَ مُتقياً لَهُ ... فأَنْتَ عِمادُ الدِّينِ لَيْسَ يَزُولُ

أديلَ بكَ الاسْلَامُ فازْدَادَ عَزَّةً ... فأَنْتَ مِن الدَّهْرِ الغَشُومِ تُدِيلُ(١٣٩)

مُطِيعُكَ أنّى حلَّ فالعزُّ جارُهُ ... وَعَاصِيكَ لَوْ نَالَ النُّجُومَ ذَلِيلُ

مَدَدْتَ عَلَى الاسْلَامِ أكْنَافَ نِعْمَةٍ ... لأَعْطَافِها ظِلٌّ عَلَيْهِ ظَلِيلُ

فأضْحَتْ عُيونُ العدلِ تسمو بلَحْظِها ... وأصْبَحَ طرفُ الجَوْرِ وهُوَ كَلِيلُ

أَضَاءتْ بكَ الدُّنيا فأشرقَ نُورُها ... وأنتَ الذى يُذْكى سَنَاهُ أُفُولُ

فكلُّ علاءٍ إن سَمَوتَ مُقَصِّرٌ ... وكلُّ فخارٍ إنْ فَخَرْتَ ضَئِيلُ

وكلُّ سَنَادٍ من طريفٍ وتالدٍ ... إليكَ مُشِيرٌ بلْ عَلَيكَ دَلِيلُ

ولولَا بنُو العبَّاسِ عَمِّ مُحَمَّدٍ ... لأصبحَ نُور الحقِّ فيهِ خمولُ

لَكُمْ جَبَلَا اللهِ اللَّذانِ اصْطَفَاهُمَا ... يَقُومَانِ بالاسْلَامِ حِينَ يَمِيلُ

نُبُوَّته ثُمَّ الخِلَافَةُ بَعْدَها ... وَمَالَهُمَا حَتّى اللِّقَاءِ حَوِيلُ

أَتَتْكَ إختيارًا لا احْتلَاباً خِلَافَةٌ ... لَكَ اللهُ فيها حَافِظٌ وَوَكِيلُ

حَبَاكَ بِها مَنْ صَانَها لَكَ إنَّهُ ... بإتْمَامِ نُعْمَاهُ عَلَيكَ كَفِيلُ

ولو حِدْتَ عنْهاَ قَادَهَا بِزِمَامِها ... إليكَ إصطفاءُ اللهِ وهى نَزِيلُ

ثَوَتْ(١٤٠) حيثُ أثواها المليكُ بحُكمِهِ ... ولَيْسَ لما أَثْوَى المليكُ حَوِيلُ

ولا زَالَ مَوْصُولاً إليكَ حَنِينها ... كما حَنَّ فى إثْرِ الخليلِ خَلِيلُ

ليَهْنيكَ يا خَيْر البَرِيَّةِ ناصحٌ ... لَهُ خَطَرٌ فى العالَمِينَ جَلِيلُ

لقَدْ شَدّ أَزْرَ الدِّينِ مولاكَ بَحْكَمٌ ... بـهِ يَتَسَامَى مُلْكُكُمْ ويطُولُ

هُو الحَتْفُ مصبوباً على كلِّ ناكثٍ ... يظلُّ به أيدِى الشقاءِ نُحُولُ

---

(١٣٩) تديل: تحمى من الأعداء.

(١٤٠) ثوت: ثوى بالمكان.. أقام به.

فما لَكُمْ فى الْمُنْعِمِينَ مُعَانِدٌ ... وَلَيْسَ لَهُ فى النَّاصِحِينَ عَدِيلُ

فلا زِلْتَ محروساً لك الْمُلْكُ دائماً ... بَقَاؤُك ما واصىَ الغُدُوُّ أَصِيلُ

لِعَبْدِك إِذْ سَمَّاكَ رَسْمٌ مُشَهَّرٌ ... بهِ يَتَسامىَ فى الوَرَى ويَصُولُ[(١٤١)]

ومِثْلِكَ أَعْطَى رَسْمَهُ مُتَنَوِّلاً ... فما زلت تُعْطِى مُنْعِماً وتُنِيلُ

وقال أبو بكر الصولى[(١٤٢)]:

أَيْنَ الدُّبِيْقِى[(١٤٣)] الذى مَدَّتْ بِهِ ... أَيْدِى النِّساءِ فجاءَ طَوْعَ المِغْزَلِ

غَمَضَتْ حواشيهِ لدقَّةِ نسجِهِ ... من غير تضليعٍ وغير تسلْسُلِ

والثوبُ قد يحكى بدقَّةِ نسجِهِ ... نَسْجَ العناكِبِ بالمكانِ المُهْمَلِ

شُغِلَتْ بهِ هَمُ الملوك وأمهلت ... صُنَّاعُهُ فيـه ولم تُسْتَعْجَـلِ

فغدا عليكَ مُهَلْهَلاً يخفَى عَلَى ... رَاحِ التجارِ وليسَ بالمُسْتَرسِلِ

عِدْلُ الهواءِ إذا صَفَتْ أَقْطَارُهُ ... وأرقُّه نسجِ الخريفِ المُقْبِلِ

أَوْ مثلُ نسجِ الشَّمْسِ تَحْسِرُ دُونَهُ ... وَتَكِلُّ عَيْنُ النَّاظِرِ المُتَأَمِّـلِ

فكـأنَّهُ عَـرَضٌ يقومُ بنفسِـهِ ... مِنْ غَيْرِ ما جِسْمٍ له مُتَقَبِّلِ

وقال أبو بكر أيضا[(١٤٤)]:

خلقت على باب ابن عيسى كأننى ... (قفانيك من ذكرى حبيب ومنزلِ[(١٤٥)]

---

(١٤١) يصول: يطول ويقهر الأعداء.

(١٤٢) أخبار أبى تمام للصولى ص ١٩٢، انفرد الصولى بذكر هذه القصيدة فى كتابه أخبار أبى تمام ولم أجدها فى أى مصدر آخر.

(١٤٣) نسبة إلى دبيق وهى بلدة كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر تنسب إليها الثياب الدبيقية. يقول الصولى: ولى أبيات من قصيدة مدحت بها صديقا لى وصفت فيها الثياب وما علمت أن أحدا وصفها حتى قرأت شعر أبى تمام وقد أحسن فيه غاية الاحسان. ثم يذكر الأبيات السابقة. وفى آخرها يقول: ولا أعرف شيئا قبل هذا فى وصف ثوب ولا غزل إلا ما حدثنى به محمد بن يزيد النحوى. (راجع أخبار أبى تمام ص١٩٣).

(١٤٤) المنتظم لابن الجوزى ٣٦٠/٦.

انفرد ابن الجوزى بذكر هذه الأبيات للصولى فى كتابه المنتظم. يقول الصولى عنها: حضرت باب على بن عيسى الوزير ومعنا جماعة من أجلاء الكتاب فقدمت دواة وكتبت.. (الأبيات).

(١٤٥) الشطر الثانى من الأبيات من معلقة امرىء القيس المشهورة راجع ديوانه قافية اللام.

إن جئت أشكو طول فقرى وخلتى	(يقولان لا تهلك أسى وتجملِ)
ففاضت دموع العين من قبح ردهم	(على النحر حتى بل دمعى محملى)
لقد طال تردادى وقصدى إليهم	(فهل عند رسم دارس من معولِ)

قافية الميم

وقال أبو بكر الصولى[١٤٦] :

أنَاَ منْ بينِ ذَا الوَرَى مَظْلُوم	وإذَا مَا خَصَّمْتُهم مَخْصُومُ
تتخطانىِ الحظوظُ فَآسى	ومَكَانىِ من علمِهمْ معلومُ
كم تُرى فى الزمانِ مثلىِ حتَّى	لَمْ يَرُمْنيِ الوزيرُ فيمَنْ يرومُ
قد تَعَدَّانىِ اختيارُ كريمٍ	وَهُوَ طبٌّ بالاختيار عَليمُ
وهُوَ أعْلى الكفاةِ مجداً وفضلاً	إنَّ ذا ما عَلِمتُ حظٌّ جسيمُ
ليسَ هذا إلَّا لتأخيرِ حَظٍّ	حقُّهُ حينَ يُنصَفُ التَّقْدَيمُ
لستُ أشكُو أبا الحُسَين وحَاشَا	هُ لَهُ دُونَ ذلكَ التَّعظيمُ
أنا لَوْلُمْتهُ - وقد خَصَّ غيْرِى	بُدنوٌّ من الوزير - مُليمُ
أتُرانىِ أخْلَلْتُ بالعلمِ حتىَّ	شَدَّ منىِّ التحلَيلُ والتحريمُ
لو رَمَى بى الزمانُ عزًّا تليدًا	لم يَرُضْنىِ الذكاءُ والتعليمُ
كيفَ نُجْلىِ عليهِ أبْكَارَ لفظٍ	وَلَهُ فى الأنامِ مثلىِ نديمُ
أتَظُنُّ النِّدَامَ ترضَى بهذَا	لاَ ومُحْييِ العظام وهى رميمُ
أيْنَ من جالسَ الخلائِفَ قَبْلىِ	وَافِرٌ حيَن تُسْتَخَفُّ الحلومُ
طَائِرى ساكِنٌ وفكْرِى عزُوفٌ	عن فُضُولِ المُنَى ولَحْظىِ سليمُ

(١٤٦) الأوراق - أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ٩١.

أورد الصولى هذه القصيدة فى كتابه الأوراق (أخبار الراضى) ولم أجدها فى أى مصدر آخر.. ويقول أنه مدح بها الوزير ابن مقلة - وكذب من زعم أنه هجاه.. «القصيدة».

وكـلامى قـدْرُ الكفَـايـة إلاَّ ... شَرْحُ علمٍ وجانبى مستقيمُ
فأعِينُوا على الزمانِ بعَـدْوَى ... إنَّ ذنْبَ الزمانِ عندى عظيمُ
لى عداتٌ طيرُ التَّقاضى عليْهَا ... طلبًـا للنجـاحِ منكُمْ تَحُـومُ
والـوزيرُ الصغيُـر فيها زعيمٌ ... بالّذى أرْتَجى ونِعْمَ الـزعيمُ
هِىَ دَيْنٌ عَلَيـه وهَـوُ مَلِىءٌ ... مُنْصِفٌ من العِدَى ودَهْرِى ظَلُومُ
لعلّى على الأنـامِ إعْتِـلاءٌ ... حـادثٌ من جَـلاَلِـهِ وقـديمُ
وَرِثَ المجدَ من غَطَارِفَ شُمٍّ ... غُـرَرٍ لا يُعَـدُّ فيهمْ بَهِيمُ
فهُوَ ينحُو الوزير فى كُلِّ فضلٍ ... ليسَ ينحُو الكريَم إلاَ كريمُ
أنفسٌ تعشقُ المكـارمَ وقْفًـا ... فـرَّقَتْها على إئتـلافٍ جُسُومُ
فَـعَلِىٌّ مُـحَـمَّـدُ بـن عَـلِىٍّ ... طابَ فرعَاهُماَ وطابَ الأَرُومُ
ذاكَ بـدرٌ لنا وهـذا هِـلاَلٌ ... ذَا هـوَاءٌ لنـا وَهَـذَا نَسِيمُ
لم تلدْ مثلَهُ الملُوكُ كمـالاً ... فهـو ثَـأْرٌ من العـدُوِّ مُنيمُ
مَنْطِق يشغلُ اللحَـاظَ بحُسْنٍ ... فهـو ثاوٍ عليـه لَيسَ يَرِيمُ
تَسْتَـرِدُّ العيـونُ حُسْنًـا إليـهِ ... مثْلَ ما يَسْتَـرِدُّ دَيْنًا غـرِيمُ
ونَفَـاذٌ يَقْرِى الـولىَّ سُرورًا ... وَيُـرِدُّ العَـدُوَّ وَهُـوَ كَـظِيمُ
لَـوْ تَمَنـاَّهُ والـدُّ مـاعـدَاهُ ... وإلَيْـهِ فى أمـرِهِ التَّحكِيـمُ
لم يُمَحِّضْ بمـثْلِهِ مُـقَـرَبُ الـدَّهْـ ... ـرِ ولا اسْقَـامَ شِبْهَـهُ من يَـسُـومُ
لَوْ يُحَابِى النجـومُ فى طالِعِ المَجْـ ... ـدِ لقُلْنـاَ حَـابَتْـهُ فيـهِ النجـومُ
ليسَ يأتِى بمثلِهِ الدَّهْرُ فَضْلاً ... هو عَنْ ذَاكَ غير شكٍّ عقيمُ
كلُّ رَهْنٍ فى سُؤْدَدٍ أَغْلَقُوه ... فَلَهُ السَّبْقُ فيـهِ والتَّسْليـمُ
أنتمْ يـابَـنى عـلىٍّ نُجُـومٌ ... لِلورَى فى الضِّياءِ ليسَتْ تَغِيمُ
خَيَّمَتْ فيكُمْ محـاسنُ حَظٍّ ... لاَحَ منها للنّاسِ دُرٌّ عَظِيمُ
قلمٌ جـامعٌ بيـانـاً وحُسنـاً ... ما حَوِى فيـه مثْلكُمْ إقْليمُ

تتباهى به القراطيس حسناً … مثل وشي تروق منه الرقوم
وكلام كأنه زهر الرّو … ض بدت للنجوم منه نجوم
قد أحاطت به عيون المعاني … وأضاءت في جانبيه الظلوم
لكم إن تسقه الجود جود … واقع دراه وخصب مليم
وسحاب من النوال وساع … ضاق عنه سحابه المركوم
مدحكم واجب علي كفرض … ليس فيه لغو ولا تأثيم
ليس لي في تأخري عنكم ذنـ … ـب وإني من أجله مهموم
كلما جئت حال دوني حجاب … وتعالت له علي الهموم
كسرت دوني الحواجب عمزاً … وبدا للعيون لمح ذميم
لمعت لي بخلب الومض منها … بنواحي به لحاظ سقيم
فكأني لديهم شخص بو … لم تعطف عليه ظئر رءوم
طبعهم ظاهر القساوة فظ … ليس فيهم مع البلاء رحيم
ليس لي في الوصول وقت اختصاص … وكذا في العموم مالي عموم
فأسيم الكروب في مسرح القلـ … ـب ومرعى الحجاب مرعى وخيم
مالها مشرب عليه مع الظمـ … ـء وورد الاخماس إلا الحميم
والذي يوجب المديح لشرحي … جمه الفاء والنبات الجميم
لا تكروا علي فيهم ملاماً … فعذاب الحجاب عندي أليم
وكذا جاء في التلاوة نصا … ليس بعد الحجاب إلا الجحيم
كلهم في أوان عدو … وصديق في غير إذن حميم
ونيام عنهم كنومة أهل الـ … ـكهف لولا وصيدهم والرقيم(١٤٧)
لم يلدهم جوار سعد كما قا … ل جرير وكلهم مركوم
ما أعلي عليهم اللوم لكن … ملزمي فيهم الملام ذميم

---

(١٤٧) الرقيم: اسم جبل أو وادى، الوصيد/ عتبة الكهف أو فنائه.

واقتضانى دين الشباب مشيبٌ فيه عسفٌ له وقبح تقاضِ
عجبى له كيف أوجَبَ ذَنْبًا لم يكُنْ عن تسلُّفٍ واقتراضِ
ظالمٌ منصفٌ سريعٌ بطيءٌ سابقٌ ركضُهُ بغير إرتكاضِ
فَتَسَوَّدْتُ بالبياض وَعُذْ تُ به عن وصال بيضٍ بضاضِ
واكتسبتُ الوقار بالكُرْه مِنّى وَنَضَتْ بشْرَتى ليالٍ نَواضِ
وأتتْنى قوارضٌ من أُناسٍ مِثْلُ وقع الشّهابِ في الاغراضِ
كُلٌّ واهي القوى نؤوم إذا ما نَهَضَ النّاسُ للعُلَى رَبّاضِ
تَركتْنى لما أُحاذِرُ منْها حَرَضاً هالكاً من الاحراضِ
عَلِمَ الله ما الذى كُنْتُ أَلْقى فيكُمُ من تَألُّمٍ وامتعاضِ
لم أذُقْ مذ ركبْتُ راحلَة الـ ـخوفِ إلى الآن لذة الاغماضِ
لا أطيق الدفاع عنك ولا أملك غير الهموم والارتماضِ (١٢٦)
زأرتنى أسودُ حقدٍ عليكم لم تُغيَّبْ بِغَابةٍ وغياضِ (١٢٧)
وَفَرانى الزمان منه بنابٍ بعدكم مرهف الشّبا عَضّاضِ
وانتحى آكلاً للحمي ورضَّ الـ ـعظم مِنّى بكلكلٍ رَضّاضِ
واكتحلتُ السُّهادَ والحذر الـ ـدائم خَوْفاً بمروذٍ مضّاضِ
من حَسُود مُنَافس لى عليكُمْ لبحار اغْتيابكم خَوّاضِ
مُبْغضٍ لى لما أُسِرُّ فيكُمْ من مديح على الأذى حَضّاضِ
فأرانى الاله ما كنت أرجو هُ وعُوِّضْتُ أحسنَ الاعتياضِ
ياإمام الهدي استمع لوليٍ سَائرٍ فى مديحكُمْ ركّاضِ
بَذْلُ النفس واجِبٌ لك مَحْضُ الـ ـنُّصح من أسْرةٍ لكُمْ امحاضِ (١٢٨)

---

(١٢٦) الارتماض: الرمض، وقع الشمس على الرمل.. ارمضته الرمضاء. أحرقته.

(١٢٧) غياض: جمع غيضه والغيضة: الأجمة وهى الشجر الملتف.

(١٢٨) امحاض: امحضه الود.. أى أخلصه، امحاض أى مخلصن.

وَتَخَطَّى عِرَاصَكُمْ بُؤْسُ دَهْرٍ   وَثَوَتْهَا مَسَرَّةٌ ونَعِيمُ
كُلُّكُمْ فى مُعَجَّلِ الدَّهْرِ والآ   جِلِ جَمُّ العُلَى مُعَافىً سَلِيمُ

وقال أبو بكر الصولى[١٤٩] :

بنهرٍ ترعد احشاؤه   إذا علاه دارج النسمِ
ويقشعرُّ الجلدُ من مائِهِ   كأنما يرعد من جرمِ
وينسج الريحُ دروعًا به   ينظمها فيه بلا نَظْمِ
فى روضة اشرق نُوَّارُها   تضاحك الأنجمَ بالنجمِ
كأنه الفضة قد اجريت   ما بين وشى مسرّق الرقمِ
آبَالها بفقدها فقدُه   والبيت لا يفقد باليتمِ
ترضع أخلافاً له برَّه   لم يمرها الحالب من هضْمِ
تنفَّست بالماءِ حافاتِهِ   تنفُّسَ المغتاظ عن كظمِ
وامتدّ للأعين فى طولِهِ   من غير تعويجٍ ولا وصمِ
كأنه من حُسْنِ تقويمِهِ   غلوة رام قاصد السهمِ

وقال أيضا[١٥٠]:

وإن كانت الكتبة بالشوم   ورقة الأخطار واللومِ
فصغّر الحلقة حتى ترى   وأنت معلوم كمعدومِ
فأنت لا شك على ما أرى   أكتب من فى العربِ والرومِ

---

(١٤٩) الأوراق - أخبار الشعراء للصولى ص ٨٥.
انفرد بذكر هذه القصيدة أبو بكر الصولى وقد أوردها فى كتابه الأوراق (أخبار الشعراء) ولم أجدها فى أى مصدر آخر من المصادر القديمة - وقال إن هذه الأبيات من قصيدة له نحو مائة بيت وصف فيها الرياحين والروضة ونهر أبا - (راجع أخبار الشعراء ص ٨٥).

(١٥٠) أدب الكتاب - للصولى ص١٧١.
لم يذكر هذه المقطوعة سوى الصولى فى كتابه الأوراق فى فصل (من ادعى الكتابة) ولم أجدها فى أى مصدر آخر.

الـدهُـر ذو ظلم ولكنــه منكَ تشكى حال مظلومِ
يـأنف أن تحيـا ولكنــه تحت قضاءٍ فيكَ محتومِ

وقال أبو بكر الصولى(١٥١):

ينـظم درًا فى قراطيسِـهِ أفدى أبا العباس من ناظمِ
يـطلع أنوارًا بهـا غضـة بوابلٍ من نقشِهِ وَاسمِ(١٥٢)
بنفسجـا أو مشبها لـونه فى أرضِ نسْرَيْنِ له فاحمِ(١٥٣)
كالدر فى اللفظ وكالوشى فـ ـى الرقم أجادته يَدُ الراقمِ

وقال أيضا(١٥٤):

المستبيح من القرامط راية لما استباحوا حرمة الإسلامِ
أجرى المدادَ بكيدِهم فكأنما أجرى دماءَهم علَى الأقلامِ

قافيـة النّون

وقال أبو بكر الصولى(١٥٥):

هنيئًــا للوزيـرِ قضــاءُ دينٍ بِهِ أضحَى الزمانُ قريرَ عَيْنِ

(١٥١) أدب الكتاب للصولى ص ٤٧ - ٤٨.

انفرد الصولى بذكر هذه المقطوعة فى كتابه أدب الكتاب ولم أجدها فى أى مصدر آخر ويقول الصولى أنها قصيدة له فى مدح الوزير أبى القاسم عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن يحيى وفيها يمدحه بحسن الخط.

(١٥٢) أنوار جمع نور بالفتح وهو زهر النبات، الغض: الطرى، الوابل: المطر.

(١٥٣) الفاحم: الأسود بين الفحومة، ويبالغ فيه فيقال أسود فاحم.

(١٥٤) أدب الكتاب للصولى ص ٨٤.

ذكر الصولى هذين البيتين فى كتابه أدب الكتاب - ولم أجدهما فى أى مصدر آخر. وقد أثبتها فى فصل (وصف الخط شعرًا) ولم أعثر على القصيدة نفسها.

(١٥٥) الأوراق - أخبار المتقى لله للصولى ص ٢٢٠.

انفرد الصولى بذكر هذه القصيدة فى كتابه الأوراق (أخبار المتقى لله) ولم أجد أيا من أبياتها فى المصادر المختلفة التى ترجمت له. وهى فى مديح أبى عبد الله البريدى وزير المتقى وتهنئته بتولى وزارة واستخلاف أبى جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد (راجع المصدر ص ٢١٩ و٢٢٠).

وعَــوْدُ وزارةٍ سِيقَتْ إليــهِ كَعَوْدَةِ قُرْبِ حبٍ بَعْدَ بَيْنِ
أبي عبدِ الالهِ أَجَـلّ كافٍ تَسَمَّحَ بـالنُّضـارِ وبـاللُّجَيْنِ
ويَهْنِي ذَاكَ يعقـوبـاً أَخَـاهُ وَصِنْوَهُمَا الكَرِيمَ أَبَا الحُسَينِ
هُمـا قمرا الـزّمانِ وغـرّتـاهُ مُرِيحَا المُلْكِ من عارٍ وشَيْنِ
أَحَـلَّا منْـهُ نُصْحـاً وافْتِقَـاداً مَصَـالِحَـهُ محـلَّ النَّـاظِـرين
وما كانَ الفسـادُ وقَدْ تَعَلَّى لِيَخْفِضَهُ سوَى إِصْلَاحِ ذَيْنِ
ويَهْنِي ذَاكَ عَبْـدَاللهِ فـيـهِ فتـاهُ فَهوِ إِحْـدَى الحُسْنَيَيْنِ
هِــلَالٌ لَمْ تُبَـدِّدْهُ اللّيــالي فَيَنْقُصَــهُ مـرورُ الفَــرْقَــدَيْنِ
تُــرَادِفُـهُ السِّيــادَةُ غَيْــرَوَانٍ ويشبهُــهُ تشـابُـهَ قَــرْتَـيْنِ
كَمَا أَوْدَعْتَ سَطْرًا من كِتَابٍ وَلَمْ تَنْقُـطْهُ غَيْناً بَعْـدَ عَيْنِ
وزيـرٌ مقبـلُ الأيَّـامِ عـالٍ على أعـدائِـهِ طَلْقُ اليَـدَيْنِ
يُهينُ المالَ بالأَفْضَـال جُودًا ومَرْقَى الجُودِ صعبٌ غير هَيْنِ
سَيَقْضِيهِ الزَّمان بطُولِ عُمرٍ وتمليـكُ الريـاسةِ كُـلُّ دَيْنِ
غَـدَتْ خِلَعٌ عليـهِ تَـائِهـاتٌ بِعَالي النَّفسِ عالي الذِّرْوَتَيْنِ
جَلَتْ بسـوادِها ظلَم الليـالي كَمــا تَجْلُو سـوادَ المُقْلَتَيْنِ
بمنـطقـهِ يلُوحُ الحلْيُ فيهـاَ كما لَاحَتْ نجومِ الشِّعْرَيَيْنِ
تُنَــاطُ مَعـالِقٌ منهــا رقـاقٌ بمصقــولٍ رقيقِ الشَّفْــرَتَيْنِ
كرأيٍ منهُ يَفْعَلَ في اللّيالي وفي الأيّـامِ فعْـلَ النَّيِّـرَيْنِ
فـأَعْلَى اللهُ سَـادَتَنَـا جميعًـا وأبقــاهُمْ بقَـاءَ الفَـرْقَـدَيْنِ
وقلَّم عَنْهُمْ ظُفُــرَ المنـايَـا بِقُـرْبِ منـاهُمْ ويبُعْـدِ حَيْنِ
وَمِلْكٍ للوَرَى وصَفَـاءِ دَهْـرٍ يَرِينَ عَلى عِداهُمْ أيَّ رَيْنِ
فكُمْ عُذِلُوا على إِفْرَاط بِرٍ فَمَـا أَصْغَوْا لعَـذْلِ العَاذِلَيْنِ
أقولُ بماَ علَمْتُ مقَالَ صدْقٍ بعيدِ الشَّأوِ منْ كَذِبٍ وشَيْنِ

لَقَدْ صانُوا الوزارَةَ بَعْدَ هَتْكٍ وزَانُـوهَا وكـانَتْ غَيْـرَ زَيْنِ
بـرأيٍ مستنيـرٍ للمــوَالِي وصَعْبٍ للمعـادِي غَيْـرِ لَيْنِ
وأقـلامٍ تُحكِّم فى الأعَـادِي كحُكْمِ السَّيْفِ والرُّمْحِ الرُّدَيْنِي
ويُغْنِى الرمحُ فيها عَنْ ثِقَافٍ وَيغْنَى السيفُ عن إصلاحِ قَيْنِ
وتخفُقُ بـالّـذِى نَهْـوَاهُ كُتْبٌ تكـونُ بهاَ صـلاحُ الخَافِقَيْنِ
تـرىَ الأقدارَ مُصْعِـدَةً إليـهِ تَسَحَّبُ بيْنَ تَسْجِيـةٍ وطَـيْنِ
ثَــوَابُكُمُ على إصـلاحِ مُلْكٍ ثوابُ شُهُودِ أحدٍ أو حُنَيْنِ
فَرَعْتُمْ فى بَنِى الأحرارِ طورًا يَطُولُ الرَّعْنُ فيهِ ذا رُعَيْنِ
وزادكُـمْ مـحـمّـدُكُـمْ عُـلُوًّا ويَعْقُـوبُ شَرِيفُ الجَـانِبَيْنِ
وَرِثْتُم عَنْهُمـا كَرَمًـا وفَضْـلاً كذَاكَ يَجِيءُ نَجْلُ الفَـاضِلَيْنِ
لَقَدْ أَصْلَحْتُمْ ما بَيْ دَهْـرِى عَلَى رغمْ العْدَى كَرَماً وبَينِى
سأقْضِى فىِ مديحكُمْ حُقُوقًا كَماَ يُقْضَى حُقُوقُ الـوَالديْنِ

وقال أبو بكر الصولي(١٥٦):

فى يدك الأعلى محلى به تواصل الضرب مع الطعنِ
إن نبـه السيف لأمر لـه جـاء إليـه مـرعـد المتنِ
ينظر ما يهوى بلا نـاظر ويسمـع السـرَّ بـلا أذنِ
يذرى دموع العاشق المبتلى يطعن من يهواه فى الطعنِ
فيضحـك الملك بكـاء لـه لم يك من غم ولا حزنِ
ترى لديه فصحاء الـورى إذا امتطى القرطاس كاللكنِ(١٥٧)
سيف على الأعـداء لكنـه لم يغتمضـه ظلم الـجفـنِ

---

(١٥٦) أدب الكتاب للصولى ص ٨٢.
ذكر الصولى هذه المقطوعة فى كتابه أدب الكتاب فى فصل (وصف القلم شعرا) ولم يوردها أحد غيره.. ويقول إنها من قصيدة فى مدح بعض الرؤساء.

(١٥٧) ألللكن: جمع ألكن وهو الذى لا يفصح بالعربية.

وقال أيضا[١٥٨]**:**

سبقتما فى حلاب المجد بينكما   فـرط التجارب ميمـون لميمونِ
فاتبع النون عينا فى المقال ولا   تؤخر الميم عن عين وعن نون

انتهى الديوان وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١٥٨) أدب الكتاب للصولى ص ٦٥.

ذكر الصولى هذين البيتين فى كتابه أدب الكتاب – ولم يذكرها أحد سواه وقال إنها من قصيدة فى بعض الرؤساء.

فهرس القوافى

فهرس الموضوعات

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

رقم الإيداع		١٩٨٤ / ٥٩٦١
الترقيم الدولى	٥-١٠٩٣-٠٢-٩٧٧	ISBN

٣ / ٨٣ / ٢٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

٥٥٠